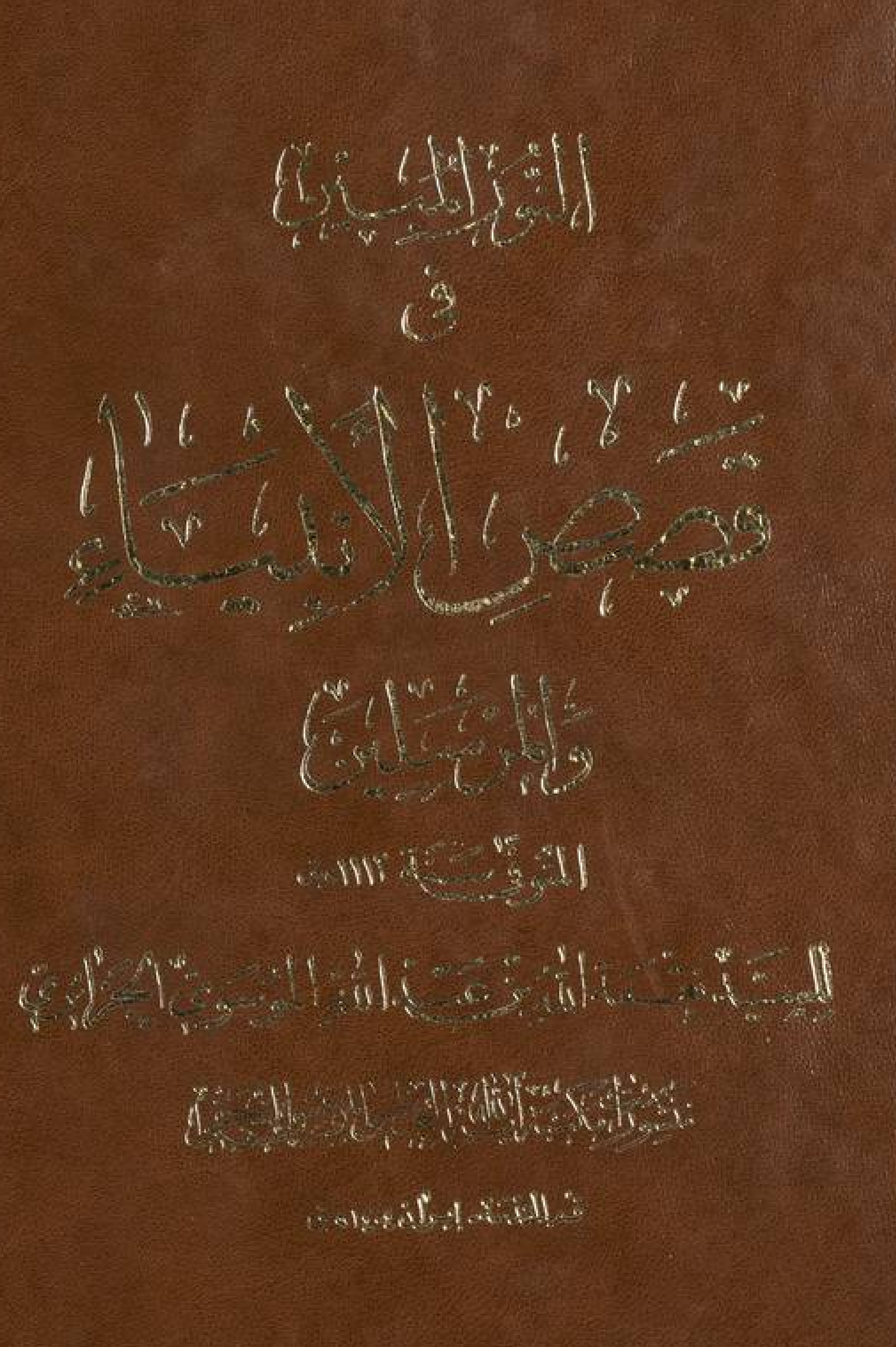

النور المبين
في
قصص الأنبياء
والمرسلين
المتوفى ١١١٢ هـ
السيد نعمة الله الموسوي الجزائري
منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي
قم المقدسة - إيران



النور المبين

في

قصص الأنبياء

والمرسلين

لمؤلفه

العالم العامل والكامل الباذل صدر الحكماء ورئيس العلماء

السيد نعمة الله الجزائري

طاب ثراه وجعل الجنة مثواه

منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي

قم - ايران ١٤٠٤ هـ ق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذي ارسل انبياءه حجة على العالمين ، وعقبهم بالاوصياء تكميلا للدين المبين ، واصطفى منهم خمسة ، وهم اولو العزم، وفضلهم على انبيائه المرسلين، واختار من بينهم محمداً (ص) وجعله نبياً ، وآدم بين الماء والطين ، ثم فضل اوصياءه صلوات الله عليهم ، وصيرهم حجة على اهل السموات والارضين ، وفضل من بينهم ابن عمه وأخاه وباب مدينة علمه ، على الخلق أجمعين ، وخصه باسم حرم على غيره بأن يسمى بـه وهو امير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى اولاده المعصومين ، من يومنا هذا الى يوم الدين .

وبعد : فيقول المذنب الجاني قليل البضاعة وكثير الاضاعة، نعمة الله الموسوي الجزائري، وفقه الله تعالى لمراضيه ، وجعل مستقبل احواله خيراً من ماضيه ، انه لما وفقنا الله سبحانه لتأليف كتابنا الموسوم (برياض الأبرار) ، في مناقب الائمة الاطهار ، سلام الله عليهم آناء الليل وأطراف النهار، واستقصينا فيه ما بلغنا من احوال النبي (ص) ، وأحوال الائمة عليهم السلام ، من مواليدهم ومعجزاتهم وغزواتهم ومناقبهم على التمام ، فجاءت عدته ثلاث مجلدات حسان فيهن من اسرارهم (ع) مـا لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان ، ثم ان جماعة من علماء الإخوان ، التمسوا منا ان نكتب كتاباً في تفصيل احوال الانبياء ، ومـا جرى عليهم في سالف الزمان ، ليكون متمماً لكتابنا المذكور ، وتتلى احاديثه في البكور والعصور ، وسميناه (النور المبين) في قصص الانبياء والمرسلين، ورتبناه على مقدمة وأبواب وفصول وخاتمة.

المقدمة

في بيان ما يشترك فيه الانبياء عليهم السلام ، وفي عددهم وبيان أولي العزم منهم ، والفرق بين النبي والامام ، وجملة من أحوالهم

إعلم ان وهب بن منبه صنف كتاباً مبسوطاً في قصص الانبياء ، ولا نعتمد ما أورده فيه لأنه من طريق الجمهور وتواريخهم ، فيصلح شاهداً لا حجة على المطلوب ، وأمـا الفاضل الراوندي ، قدس الله ضريحه ، فهو من علمائنا ، وكتب ايضاً كتاباً أوضح فيه عن قصص الأنبياء (ع) ، وروى ما أودع فيه من أخبارنا عن الأئمة عليهم السلام ، إلا انه قـد شذ عنه اكثر ما ضمنه كتابه ، فجاءت القصص ناقصة تحتاج الى التتميم . وأما شيخنا المعاصر ، قدس الله سره ، فقد ألف كتاب بحار الانوار ، وجعل الكتاب الخامس في احوال الأنبياء (ع) ، وسمـاه كتاب النبوة ، فهو وإن أحاط بجميع قصصهم (ع) ، وتفصيل احوالهم من اخبارنا ورواياتنا ، إلا انه بلغ الغـاية في التطويل والتفصيل ، لأنه ذكر الآيات اولاً تفسيرها . ثانياً وكل ما ورد من طريق العـامة والخاصة في بيان احوالهم (ع) . فأحببت ان أنسج كتابي هذا على منوال عجيب وطرز غريب ، بأن أذكر كل مـا ورد من طرق الخاصة ، وبعض ما احتاج اليه من روايات الجمهور ، إن وقع الاحتياج اليه على طريق الاختصار ، فيكون كتاباً صغير الحجم غزير العلم ، تهش اليه الألباب وتستلذه الطلاب ، قال الله تعالى : (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ، قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) .

روى الثقة علي بن ابراهيم في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : ما بعث الله نبياً من لدن آدم فهلم جرا ، إلا ويرجع إلى الدنيا وينصر أمير المؤمنين (ع) ، وهو قوله تعالى : ولتؤمنن به يعني برسول الله صلى الله عليه وآله ولتنصرن امير المؤمنين (ع) . ثم قال لهم في الذر ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري اي عهدي ، قالوا قد اقررنا قال الله فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين .

(أقول) جاءت الأخبار مستفيضة في ان القائم (ع) ، إذا خرج وقام له الملك يخرج في زمانه النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين (ع) ، وهو صاحب العصا والميسم يسم المؤمن في جبهته ، فينتقش بها هذا مؤمن، ويسم الكافر فينتقش في جبهته هذا كافر ، وتخرج الأئمة صلوات الله عليهم ، والأنبياء صلوات الله عليهم لينصروا أمير المؤمنين (ع)، والمهدي صلوات الله عليه ، سيما الانبياء الذين اوذوا في الله كزكريا ويحيى وحزقيل ، ومن قتل منهم ومن جرح فان الأخبار جاءت مستفيضة برجوعهم إلى الدنيا ، ليقتصوا ممن آذاهم وقتلهم من الأمم ، وليأخذوا بثأر الحسين (ع) . وعن جميل عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت قول الله عز وجل (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) قال ذاك والله في الرجعة ، أما علمت أن أنبياء الله كثير لم ينصروا في الدنيا ، والأئمة من بعدهم قتلوا ولم ينصروا في الدنيا ، وذلك في الرجعة ، والأشهاد ، الأئمة (ع) .

« يقول » مؤلف الكتاب أيده الله تعالى المراد من الرسل في الآية الأنبياء ، ففي هذا الحديث وما قبله ، وما روي بمعناهما دلالة على ان الأنبياء (ع) ، كلهم يرجعون إلى الدنيا وفي القيامة الصغرى وينصرهم الله تعالى بالقوة والملائكة على أعدائهم وأعداء آل محمد (ع) ويحيي الله سبحانه أممهم الذين آذوهم كما يخرج بني أمية ومن رضي بفعالهم ، من ذراريهم وغيرها وكذلك يحيي من أخلص الإيمان من الأمم ليفوزوا بثواب النصر والجهاد ، ويتنعموا في دولةِ آل محمد صلوات الله عليهم كما قال سبحانه « ويوم نبعث من كل أمة فوجاً » . وقال الصدوق طيب الله ثراه، اعتقادنا في عدد الانبياء (ع) انهم مائة ألف نبي، وأربعةوعشرون الف نبي ، ومائة الف وصي ، وأربعة وعشرون الف وصي ، وان سادة الانبياء خمسة الذين عليهم دارت الرحى ، وهم أصحاب الشرائع ، ومن أتى بشريعة مستأنفة نسخت شريعة من تقدمه وهم خمسة :نوح، وابراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، وهم أولوا العزم صلوات الله عليهم.

(أقول) ما قال في عددهم ، (ع) هو الذي دلت عليه واضحات الاخبار ، وقاله علماؤنا رضوان الله عليهم ، وما دل على خلافه يكون محمولاً على طريق التأويل مثل ما روي في قوله (ص) : بعثت على أثر ثمانية آلاف نبي منهم اربعة آلاف من بني اسرائيل، بأن يراد اعاظم الانبياء (ع) . وأما المرسلون ففيه صلى الله عليه وآله انهم ثلاثمائة وثلاثة عشر ، وقيل له : يا رسول الله كم أنزل من كتاب ؟ قال : مائة صحيفة وأربعة كتب ، أنزل الله على شيث عليه السلام خمسين صحيفة ، وعلى ادريس ثلاثين صحيفة ، وعلى ابراهيم عشرين صحيفة ، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان . وفي كتاب الاختصاص للمفيد طاب ثراه بإسناده الى صفوان الجمال ، عن ابي عبد الله عليه السلام ، قال : قال لي يا صفوان هل تدري كم بعث الله من نبي ؟ قال : قلت ما ادري . قال : بعث الله مائة الف نبي وأربعة

وأربعين الف نبي ومثلهم اوصياء. وعنه عليه السلام قال ابو ذر : يا رسول الله ! كم بعث الله من نبي ؟ فقال ثلاثمائة الف نبي وعشرين الف نبي والمرسلون منهم ثلاثمائة وبضعة عشر ، والكتب المنزلة مائة صحيفة وأربعة كتب ، انزل منها على ادريس خمسين صحيفة .

(اقول) وجه الجمع بين هذين الخبرين وما تقدم يكون اما بحمل الزائد من عدد الانبياء على ما كان قبل آدم (ع) ، فان الارض لا تخلو من حجة ما دام التكليف ، او بأن يقال ان مفهوم العدد ليس بحجة ، وعن ابي الحسن موسى (ع) قال : ان الانبياء وأتباع الانبياء خصوا بثلاث خصال : السقم في الابدان وخوف السلطان والفقر .

(اقول) يجوز ان يراد من اولاد الانبياء المعصومون منهم المنزهون عن الذنوب ، ويجوز ان يراد الأعم فتكون ذرية الرسول صلى الله عليه وآله ، من العلويين كلهم داخلين في الامور الثلاثة ، وأما الاتباع فهم العلماء والصلحاء والفقراء والمتقون .

وفي كتاب (الاقبال) لابن طاووس قدس الله ضريحه ، بإسناده الى الثمالي، قال: سمعت علي بن الحسين (ع) يقول: من احب ان يصافحه مائة الف نبي وأربعة وعشرون الف نبي فليزر الحسين (ع) ، ليلة النصف من شعبان ، فان ارواح النبيين يستأذنون الله في زيارته ، فيأذن لهم، فطوبى لمن صافحهم وصافحوه، منهم خمسة أولو العزم من المرسلين، نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وعليهم اجمعين. قلت: ولِمَ سموا أولي العزم؟ قال : لأنهم بعثوا الى شرقها وغربها وجنها وأنسها .

(أقول) هذه المصافحة يجوز ان تكون في الدنيا لزائريه، وإن لم يشعروا بها او ببعضها، فان الملائكة تتصور بصور الرجال يأتون الى زيارته ويصافحون زواره . ويجوز ان تكون يوم القيامة في الجنة او قبل دخولها . وقوله فليزر الحسين (ع) الظاهر ان المراد زيارته من قرب وإرادة البعد محتملة ايضاً، وما دل عليه من ان اولي العزم هذه الخمسة صلوات الله عليهم روي في الاخبار المستفيضة ، ورواه الجمهور عن ابن عباس وقتادة وذهب بعضهم الى انهم ستة، نوح وابراهيم واسحاق ويعقوب ويوسف وأيوب. وقيل هم الذين أمروا بالقتال والجهاد، وأظهروا المكاشفة وجاهدوا في الدين ، وقيل هم اربعة ، ابراهيم ونوح وهود ومحمد (ص). ولا عبرة بهذه الأقوال كلها ، لأنها خلاف اجماعنا وأصحابنا ، وما تضمنه ومن وجه التسمية، وان رسالتهم عامة هي احدى الروايات.وفي تفسير الثقة علي بن ابراهيم،انهم سموا اولي العزم، لأنهم سبقوا الأنبياء الى الإقرار بالله ، وأقروا بكل نبي كان قبلهم وبعدهم، وعزموا على الصبر مع التكذيب والأذى . وفي عيون الاخبار عن الرضا (ع) ، قال : إنما سمي أولو العزم لأنهم كانوا اصحاب العزائم والشرائع، وذلك ان كل نبي كان بعد نوح (ع) كان على شريعته ومنهاجه وتابعاً لكتابه الى زمن ابراهيم الخليل (ع) . ثم ساق الكلام في الخمسة على مثال

واحد ، وفيه دلالة على ان الخمسة (ع) رسالتهم عامة ، ولا كلام في الثلاثة إنما الكلام في عموم رسالة موسى وعيسى (ع) ، لأن في بعض الاخبار نوع معارضته لها ، وان رسالتها كانت خاصة لا عامة ، ويمكن تأويل تلك الاخبار ، وإبقاء ما دلّ على عموم رسالتها على حاله ، لاستفاضة الاخبار الدالة عليه .

وفي (مشارق الانوار) عن علي بن عاصم الكوفي، قال : دخلت على ابي محمد العسكري (ع) فقال لي : يا علي ، انظر الى ما تحت قدميك ، فانك على بساط قد جلس عليه كثير من النبيين والمرسلين والأئمة الراشدين ، ثم قال : ادن مني فدنوت منه فمسح يده على وجهي ، فصرت بصيراً . قال : فرأيت في البساط أقداماً وصوراً ، وقال : هذا أثر قدم آدم (ع) وموضع جلوسه ، وهذا اثر هابيل ، وهذا اثر نوح ، وهذا اثر قيدار ، وهذا اثر مهلائيل ، وهذا اثر يارد ، وهذا اثر اخنوخ ، وهذا اثر ادريس ، وهذا اثر متوشلخ ، وهذا اثر سام ، وهذا اثر فخشد ، وهذا اثر صالح ، وهذا اثر لقمان ، وهذا اثر ابراهيم ، وهذا اثر لوط ، وهذا اثر اسماعيل ، وهذا اثر الياس ، وهذا اثر اسحاق ، وهذا اثر يعقوب ، وهذا اثر يوسف ، وهذا اثر شعيب ، وهذا اثر موسى ، وهذا اثر يوشع بن نون ، وهذا اثر طالوت ، وهذا اثر سليمان، وهذا اثر الخضر، وهذا اثر دانيال، وهذا اثر اليسع ، وهذا اثر ذي القرنين اسكندر ، وهذا اثر شابور بن اردشير ، وهذا اثر لؤي ، وهذا اثر كلاب ، وهذا اثر قصي، وهذا اثر عدنان ، وهذا اثر عبد مناف ، وهذا اثر عبد المطلب ، وهذا اثر عبد الله ، وهذا اثر سيدنا محمد رسول الله (ص) ، وهذا اثر امير المؤمنين عليه السلام، وهذا اثر الأوصياء من بعده ، والمهدي عليهم السلام ، لأنه قد وطأه وجلس عليه . ثم قال : انظر الى الآثار ، واعلم انها آثار دين الله ، وان الشاك فيهم كالشاك في الله . ثم قال : اخفض طرفك يا علي ، فرجعت محجوباً كما كنت .

(اقول) ما اشتمل عليه من ذكر شابور وما بعده ، يدل على انهم كانوا مسلمين وقتاً ما ، وذلك لأن شابور من اجداد علي بن الحسين (ع). كما ان لؤي وما بعده من اجداد النبي(ص). وروى الشيخ في الأمالي بإسناده الى رجل جعفي ، قال : كنا عند ابي عبدالله (ع) ، فقال: اللهم اني اسألك رزقاً طيباً ، قال : فقال ابو عبدالله (ع) هيهات هيهات، هذا قوت الانبياء ولكن سل ربك رزقاً لا يعذبك عليه يوم القيامة ، هيهات ان الله يقول : (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً)، والطيبات الرزق الحلال. وفي الكافي بإسناده الى معمر بن خلاد ، قال : نظر ابو جعفر عليه السلام الى رجل وهو يقول : اللهم اني اسألك عن رزقك الحلال ، فقال ابو جعفر عليه السلام سألت قوت النبيين ، قل اللهم اني اسألك رزقاً واسعاً طيباً من رزقك .

(اقول) المراد من الرزق الحلال في الحديثين ، ما يكون حلالاً في الواقع ، ونفس الأمر وهو رزق الانبياء وأوصيائهم ، وأما رزق المؤمنين فهو الحلال في ظاهر الشريعة وربما كان فيه شبهات ، وفي الكافي عن زرارة قال : سألت ابا جعفر (ع) عن قول الله تعالى (وكان رسولاً نبياً) ما الرسول وما النبي ؟ قال : النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك ، والرسول الذي يرى في المنام ويسمع الصوت ويعاين الملك . قلت : الامام ما منزلته ؟ قال : يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك ، ثم تلا هذه الآية . (وما ارسلنا قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث) . وعن الرضا (ع) الرسول الذي ينزل عليه جبرئيل فيراه ويسمع كلماته ، وينزل عليه الوحي ، وربما يرى في منامه نحو رؤيا ابراهيم (ع) ، والنبي ربما يسمع الكلام ، وربما رأى الشخص ولم يسمع الامام ، هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص .

وفي الصحيح عن الاحوال قال : سمعت زرارة يسأل ابا جعفر (ع) ، قال : اخبرني عن الرسول والنبي والمحدث ، فقال : الرسول الذي يأتيه جبرئيل قبلاً فيراه ويكلمه ، وأما النبي فهو يرى في منامه على نحو ما رأى ابراهيم (ع) ، ونحو ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله عليه ، من اسباب النبوة قبل الوحي حتى اتاه جبرئيل من عند الله بالرسالة ، وكان محمد صلى الله عليه وآله حين جمع له النبوة وجاءته الرسالة من عند الله ، يجيئه بها جبرئيل (ع) ويكلمه بها قبلاً . ومن الأنبياء من جمع له النبوة ويرى في منامه ، يأتيه الروح فيكلمه من غير ان يكون رآه في اليقظة ، وأما المحدث فهو الذي يحدث فيسمع ولا يعاين ولا يرى في منامه .

(اقول) : اختلف علماء الإسلام في الفرق بين النبي والرسول ، فقيل بالترادف ، وقيل بالفرق بأن الرسول من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه ، والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وإنما يدعو إلى كتاب من قبله .

ومنهم من قال ان من كان صاحب المعجزة وصاحب الكتاب ، ونسخ شرع من قبله فهو الرسول ، ومن لم يكن مستجمعاً لهذه الخلة فهو النبي غير الرسول .

ومنهم من قال من جاءه الملك ظاهراً وأمره بدعوة الخلق فهو الرسول ، ومن لم يكن كذلك بل يرى في النوم فهو النبي . ذكر هذه الوجوه الفخر الرازي وغيره . والظاهر من حديثنا صحة القول الأخير ، لما مر من عدد المرسلين وكون من نسخ شرعة ليس إلا خمسة .

وفي كتاب البصائر عن الباقرين (ع) ، والمرسلون على أربع طبقات ، فنبي تنبأ في نفسه لا يعدو غيرها ، ونبي يرى في النوم ويسمع الصوت ولا يعاين في اليقظة ، ولم يبعث إلى احد وعليه أمام مثل ما كان ابراهيم على لوط ، ونبي يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك وقد أرسل الى طائفة قلوا او كثروا ، كما قال الله تعالى (فأرسلناه إلى مائة الف او يزيدون).

وقال يزيدون ثلاثين الفاً . ونبي يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين في اليقظة ، وهو إمام مثل أولي العزم وقد كان ابراهيم (ع) نبياً وليس بامام ، حتى قال (اني جاعلك للناس إماماً ، قال ومن ذريتي ، قال : لا ينال عهدي الظالمين) ، اي من عبد صنماً او وثناً .

أقول يعني الامامة الرياسة العامة لجميع المخلوقات ، فهي أفضل من النبوة وأشرف منها .

الاختصاص للمفيد : عن عمر بن ابان عن بعضهم قال : كان خمسة من الانبياء سريانيين ، آدم وشيث وادريس ونوح وابراهيم ، وكان لسان آدم العربية ، وهو لسان اهل الجنة ، فلما عصى ربه، ابدله السريانية ، قال : وكان خمسة عبرانيون : اسحاق ويعقوب وموسى وداود وعيسى ، وخمسة من العرب هود وصالح وشعيب واسماعيل ومحمد (ص) ، وملك الدنيا مؤمنان وكافران ، فالمؤمنان ذو القرنين وسليمان (ع) وأما الكافران فنمرود بن كوش ابن كنعان وبخت نصر .

اقول : نصر بوزن بقم اسم صنم ، وبخت يعني اولد ، لأنه وجد مطروحاً عنده ، فكأنه ابنه .

وروى الصدوق طاب ثراه في اكمال الدين حديثاً طويلاً يسنده الى الباقر (ع) ، وفيه ان آدم (ع) لما استكملت ايام نبوته ، اوحى الله سبحانه اليه بجعل العلم وميراث النبوة في ابنه هبة الله ، وبشر آدم بنوح ، وكان بينهما عشرة آباء كلهم انبياء ، فلما مضت ايام نبوة نوح (ع) ، دفع ميراث العلم والنبوة الى ابنه سام ، وليس بعد سام إلا هود ، فكان بين نوح وهود من الانبياء مستخفين وغير مستخفين ، ومن بعد هود انتهت النبوة الى ابراهيم ، وكان بين هود وابراهيم من الانبياء عشرة ، وذكر كلاماً طويلاً ثم قال : فأرسل الله موسى وهارون الى فرعون وهامان وقارون ، وكان يقتل في اليوم نبيين وثلاثة وأربعة حتى انه كان يقتل في اليوم الواحد سبعون نبياً ويقوم سوق بقلهم آخر النهار .

ثم ذكر ان موسى (ع) ارسل الى اهل مصر خاصة ، وأن عيسى ارسل الى بني اسرائيل خاصة ، وأرسل الله محمداً صلى الله عليه وآله الى الانس والجن عامة . وهذا الحديث يعارض ما تقدم من عموم رسالة موسى وعيسى عليهما السلام ، ويجري فيه من التأويل انه من قبيل ما يقال ان رسول الله (ص) ارسل الى العرب ، او يقال انه ارسل الى مكة – لضرب من المجاز والعلاقة ظاهرة .

وفي الكافي يسنده الى البرقي يرفعه الى ابي عبد الله (ع) قال : ان الله جعل اسم الاعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً ، فأعطى آدم منها خمسة وعشرين حرفاً ، وأعطى نوحاً منها خمسة وعشرين ، وأعطى ابراهيم منها ثمانية احرف ، وأعطى منها موسى اربعة احرف ، وأعطى منها عيسى حرفين وكان يحيي بهما الموتى ويبرىء الاكمة والأبرص ، وأعطى محمداً صلى الله

عليه وآله اثنين وسبعين حرفاً،واحتجب حرفاً لئلا يعلم ما في نفسه ويعلم ما في نفس العباد.

وعنه (ع) كان مع عيسى بن مريم حرفان يعمل بهما، وكان مع موسى (ع) اربعة احرف وكان مع ابراهيم (ع) ستة احرف ، وكان مع آدم (ع) خمسة وعشرون حرفاً وكان مع نوح ثمانية، وجمع ذلك كله لرسول الله (ص) ان اسم الله ثلاثة وسبعون حرفاً وحجب عنه واحد.

اقول : ان الله سبحانه حجب الاسم الأعظم عن عباده غير الانبياء وأوصيائهم .

قال المحققون لعل الوجه فيه انه لو عرفهم اياه لأقبلوا على الدعاء به، واعرضوا عما سواه من الاسماء الحسنى ، على ان اكثرهم لا تحتمله عقولهم ولو عرفوه لأفسدوا على انفسهم ضياع دينهم ، وعلى غيرهم ضياع دنياهم كما وقع لبلعم بن باعورا حتى سلخه الله تعالى علمه. وكذلك حجبت ليلة القدر في ثلاث ليال ليحافظ على العبادة فيها كلها ، وكذلك حجب ولي الله في جملة الناس ، لأنه لو عرف بعينه لربما اقبل الناس على توقيره واحترامه وحده ، وولعوا بالإضرار بغيره وربما اوقع الضرر به فيعظم الذنب ، ومع انه سبحانه حجبه عن الخلق ، ورد في الأخبار تارة انه اقرب الى بسم الله الرحمن الرحيم من سواد العين الى بياضها . وقيل انه في سورة التوحيد .

وقيل انه لفظة الله لا غير. وفي الاخبار غير هذا ايضاً.وأما آدم(ع) فقد اعطي من الاسم الاعظم ازيد من ابراهيم (ع) ، وكذلك اعطى نوح (ع) ، فلا يلزم منه فضلها شرفها على ابراهيم (ع) ، لأن الأفضلية لا يلزم ان تكون بكل فرد فرد وشخص شخص ، من انواع التكامل في التفاضل ، بين اولي العزم الاربعة ، والذي يظهر من إشارات الاخبار ، انه الخليل (ع) لأمور سيأتي التنبيه عليها ان شاء الله تعالى في مواضعها .

وفي بعض انه كان مع ابراهيم (ع) من الاسم الاعظم ستة احرف ، ومع نوح (ع) ثمانية، ومفهوم العدل ليس بحجة كما تقرر في الاصول .

وروى الثقة عن علي بن ابراهيم عن ياسر عن ابي الحسن (ع) ، قال : ما بعث الله نبياً إلا صاحب مرة سوداء صافية .

اقول : صاحب هذه المرة تقرر في عالم الطب انه في غاية الحذق والفطانة والحفظ، لكن لما كان يجامعها الخيالات الفاسدة والجبن والغضب ، وصفها بأنها هنا صافية أي خالية من هذه الاخلاق الردية .

وعن أبي عبد الله (ع) ان الله عز وجل أحب لأنبيائه من الاعمال الحرث والرعي لان لا يكرهوا شيئاً من قطر السماء ، وقال عليه السلام ما بعث الله نبياً قط حتى يسترعيه الغنم يعلمه بذلك رعيه الناس .

اكمال الدين باسناده الى الصادق عن النبي صلى الله عليه وآله قال : عاش آدم أبو البشر

تسعمائة وثلاثين سنة، وعاش نوح الفي سنة واربعمائة، وعاش ابراهيم (ع) مائة سنة وخمساً وسبعين، وعاش اسمعيل بن ابراهيم مائة وعشرين سنة، وعاش اسحاق مائة وثمانين سنة، وعاش يعقوب عليه السلام مائة وعشرين سنة وعاش يوسف(ع) مائة وعشرين سنة ، وعاش موسى (ع) مائة وستاً وعشرين سنة، وعاش هرون(ع) مائة وثلاثاً وثلاثين سنة، وعاش داود(ع) مائة سنة منها اربعون سنة ملكه، وعاش سليمان بن داود (ع) سبعمائة واثني عشر سنة.

وعنه (ع) قال ان كان النبي من الأنبياء ليبتلي بالجوع حتى يموت جوعاً وان كان النبي من الانبياء ليبتلى بالعطش حتى يموت عطشاً وان كان النبي من الأنبياء ليبتلى بالسقم والامراض حتى يتلفه وان كان النبي ليأتي قومه فيقوم فيهم يأمرهم بطاعة الله ويدعوهم إلى توحيد الله وما معه مبيت ليلة، فما يتركونه يفرغ من كلامه ولا يستمعون اليه حتى يقتلوه. وإنما يبتلي الله تبارك وتعالى عباده على قدر منازلهم عنده. وعن ابي الحسن(ع) من أخلاق الانبياء التنظف والتطيب وحلق الشعر و كثرة الطروقة.

وعن امير المؤمنين (ع) العشاء بعد العتمة عشاء النبيين.

وعن ابي الحسن الرضا (ع) ما من نبي إلا وقد دعي لأكل الشعير، وبارك عليه. وما دخل جوفاً إلا أخرج كل داء فيه. وهو قوت الانبياء وطعام الأبرار، أبى الله تعالى أن يجعل قوت أنبيائه إلا شعيراً.

وعن الصادق (ع)، السويق طعام المرسلين، واللحم باللبن مرق الأنبياء، وكان أحب الاصباغ [1] إلى رسول الله (ص)، الخل والزيت وهو طعام الانبياء، وما افتقر اهل بيت يأتدمون بالخل والزيت.

وروى الصدوق طاب ثراه في كتاب (علل الشرايع) بإسناده الى ابن السكيت، قال: قلت لأبي الحسن الرضا (ع) لماذا بعث الله موسى بن عمران بيده البيضاء والعصى وآلة السحر؟ وبعث عيسى بالطب؟ وبعث محمداً بالكلام والخطب؟ فقال (ع) : ان الله تبارك وتعالى لما بعث موسى، كان الاغلب على اهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله عز وجل بما لم يكن في وسع القوم مثله، وبما ابطل به سحرهم، فأثبت به الحجة عليهم وان الله تبارك وتعالى بعث عيسى في وقت ظهرت فيه الزمانات، واحتاج الناس الى الطب، فأتاهم من عند الله عز وجل بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيى لهم الموتى وإبراء الاكمه والأبرص بإذن الله، وأثبت به الحجة عليهم. وان الله تبارك وتعالى بعث محمداً (ص) في وقت كان الاغلب على اهل عصره الخطب والكلام، فأتاهم من كتاب الله عز وجل ومواعظه وأحكامه،

---

(١) الصبغ بالكسر وما يصطبغ به من الآدام والزيت لان الخبز يغمز فيه.

ما ابطل به قولهم وأثبت الحجة عليهم . فقال ابن السكيت : تالله ما رأيت مثل اليوم قط، فما الحجة على الخلق اليوم ؟ فقال (ع) : العقل يعرف به الصادق على الله فيصدقه ، والكاذب على الله فيكذبه ، فقال ابن السكيت : هذا والله الجواب .

خاتمة

(في بيان عصمة الانبياء وتأويل ما يوهم خلافه)

قال الصدوق قدس الله ضريحه : اعتقادنا في الانبياء والرسل والأئمة والملائكة صلوات الله عليهم ، انهم معصومون مطهرون من كل دنس، وانهم لا يذنبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً ، ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمَرون ، ومن نفى عنهم العصمة في شيء من احوالهم فقد جهلهم . واعتقادنا فيهم انهم موصوفون بالكمال والتمام والعلم من اوائل امورهم الى اواخرها، لا يوصفون في شيء من احوالهم بنقص ولا جهل .

روى قدس الله رمسه في كتاب الأمالي بإسناده الى ابي السلط الهروي ، قال : لما جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا (ع) اهل المقالات ، من اهل الاسلام والديانات واليهود والنصارى والمجوس والصابئين ، وسائر اهل المقالات ، فلم يقم احد إلا وقد ألزمه حجته ، كأنه القم حجراً فقام اليه علي بن الجهم فقال : يا ابن رسول الله ! أتقول بعصمة الانبياء ؟ قال : بلى . قال : فما تعمل في قول الله عز وجل : وعصى آدم ربه فغوى ؟

وقوله عزّ وجل : وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه .

وقوله في يوسف : ولقد همّت به وهمّ بها .

وقوله في داود : وظن داود أنما فتناه .

وقوله في نبيه محمد: وتخفي في نفسك ما الله مبديه، وتخشى الناس والله احق ان تخشاه .

فقال مولانا الرضا (ع) : ويحك يا علي ! اتق الله ولا تنسب الى انبياء الله الفواحش، ولا تأول كتاب الله برأيك، فإن الله عزّ وجل يقول (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم).

وأما قوله عزّ وجل فعصى آدم ربه فغوى ، فإن الله عزّ وجل خلق آدم حجة في ارضه وخليفة في بلاده ، ولم يخلقه للجنة . وكانت المعصية من آدم في الجنة ، لا في الارض ، لتتم مقادير امر الله عزّ وجل، فلما أهبط الى الارض، جعل حجة وخليفة، عصم بقوله عزّ وجل ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين . وأما قوله عزّ وجل : وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه ، إنما ظن ان الله عزّ وجل لا يضيق عليه ،

ألا تسمع قول الله عزّ وجل؟ (وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه)، أي ضيق عليه ولو ظن ان الله لا يقدر عليه لكان قد كفر .

أما قوله عزّ وجل في يوسف : ولقد همّت به وهمّ بها ، فإنها همّت بالمعصية وهم يوسف بقتلها ، ان اجبرته لعظم مـــا داخله فصرف الله عنه قتلها ، والفاحشة وهو قوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ، يعني الزنى .

وأما داود فما يقولون من قبلكم فيه؟ فقال علي بن الجهم : يقولون ان داود كان في محرابه يصلي إذ تصور له ابليس على صورة طير احسن ما يكون من الطيور ، فقطع صلاته وقـام ليأخذ الطير ، فخرج الطير الى الدار فخرج في أثره فطار الطير الى السطح ، فصعد في طلبه فسقط الطير في دار اوريا بن حنان ، فأطلع داود في أثر الطير ، فإذا امرأة اوريا تغتسل فلما نظر اليها هواها . وكان اوريا قد اخرجه في بعض غزواته ، فكتب الى صاحبه ان قـــدم اوريا امام الحرب فقدم فظفر اوريا بالمشركين ، فصعب ذلك على داود فكتب الثانية ان قدمه امـــام التابوت فقتل اوريا رحمه الله وتزوج داود بامرأته . قال : فضرب الرضا (ع) بيده على جبهته وقال : إنا لله وإنا اليه راجعون ، ولقـد نسبتم نبياً من الانبياء إلى التهاون بصلاته، حتى خرج في اثر الطير ثم بالفاحشة ثم بالقتل .

فقال : يا ابن رسول الله ! فما كانت خطيئته ؟ فقال ويحك ان داود إنما ظن ان الله لم يخلق خلقاً هو أعلم منه، فبعث الله اليه الملكين فتسورا المحراب ، فقالا : خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب،فعجل داود على المدعى عليه فقال: لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ولم يسأل المدعي البينة على ذلك ولم يقبل على المدعى عليه فيقول ما يقول ، فقال : هذه خطيئة حكمه لا ما ذهبتم اليه . ألا تسمع قول الله عز وجل ؟ يا داود إنا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق الآية ، فقلت : يا ابن رسول الله فما قصته مع اوريا ؟ فقال الرضا (ع) : ان المرأة في ايام داود كانت إذا مات بعلها او قتل لا تتزوج بعده ابداً، وأول من أباح الله عز وجل له ان يتزوج بامرأة قتل بعلها داود، فذلك الذي على اوريا. وأما محمد وقول الله عز وجل وتخفي في نفسك ما الله مبديه، وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه ، فإن الله عز وجل عرف نبيه (ص) ، أزواجه في دار الدنيا واسماء أزواجه في الآخرة ، وانهن أمهات المؤمنين ، واحد من سمى له زينب بنت جحش ، وهي يومئذ تحت زيد بن حارثة ، فأخفى (ص) اسمها في نفسه ، ولم يبدله لكيلا يقول احد من المنافقين، انه قال فيامرأة في بيت رجل، انها احد ازواجهمن امهاتالمؤمنين، وخشي قول المنافقين . قال الله عز وجل والله احق ان تخشاه في نفسك، وان الله عز وجل

ما تولى تزويج احد من خلقه إلا تزويج حواء من آدم (ع) ، وزينب من رسول الله (ع)، وفاطمة من علي (ع) ، قال : فبكى علي بن الجهم وقال يا ابن رسول الله ، أنا تائب الى الله عز وجل ، ولن انطق في انبياء الله بعد يومي هذا إلا بما ذكرته .

اقول: قوله (ع) وكانت المعصية من آدم في الجنة ظاهره تجويز الخطيئة على آدم (ع) على بعض الجهات ، أما لأن المعصية منه كانت في الجنة والعصمة تكون في الدنيا ، او لأنها كانت قبل البعثة . وإنما تجب عصمتهم بعد النبوة ، وكلاهما خلاف ما أجمع عليه علماؤنا ، ودلت عليه اخبارنا .

ومن ثم قال شيخنا المحدث ابقاه الله تعالى : يمكن ان يحمل كلامه (ع) ، على ان المراد من المعصية ، ارتكاب المكروه ويكونون بعد البعثة معصومين عن مثلها ايضاً، ويكون ذكر الجنة لبيان كون النهي للتنزيه والإرشاد ، لأن الجنة لم تكن دار تكليف حتى يقع فيها النهي التحريمي . ويحتمل ان يكون المراد الكلام على هذا النحو لنوع من التقية ، مماشاة مع العامة لموافقة بعض اقوالهم او على سبيل التنزل والاستظهار، رداً على من جوز الذنب على الانبياء (ص) وأما ظن داود (ع) فيحتمل ان يكون ظن انه اعلم اهل زمانه ، وهذا وإن كان صادقاً ، إلا انه لما كان مصادفاً لنوع من العجب ، نبه الله تعالى بإرسال الملكين . وأما تعجيله (ع) في حال المرافعة ، فليس المراد انه حكم بظلم المدعى عليه قبل البينة ، إذ المراد بقوله لقد ظلمك ، انه لو كان كما تقول فقد ظلمك ، وكان الاولى ان لا يقول ذلك ايضاً إلا بعد وضوح الحكم .

معاني الاخبار مسنداً الى رجل من اصحابنا عن ابي عبدالله (ع) قال : سألته عن قول الله عزّ وجل في قصة ابراهيم ، بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ، قال : ما فعله كبيرهم ولا كذب ابراهيم (ع) لأنه قال فاسألوهم إن كانوا ينطقون ، إن نطقوا فكبيرهم فعل ، وإن لم ينطقوا فلم يفعل كبيرهم فما نطقوا وما كذب ابراهيم . فقلت : قوله عزّ وجل في يوسف أيتها العير انكم لسارقون ، قال انهم سرقوا يوسف من ابيه . ألا ترى انه قال لهم حين قال ماذا تفقدون ؟ قالوا : نفقد صواع الملك ولم يقل سرقتم صواع الملك ، إنما عنى سرقتم يوسف من ابيه : فقلت : قوله اني سقيم قال ما كان ابراهيم سقيماً وما كذب ، إنما كان سقيماً في دينه مرتاداً .

وقد روي انه عنى بقوله اني سقيم ، أي سأسقم وكل ميت سقيم ، قال الله عزّ وجل لنبيه (ص) انك ميت أي ستموت .

وقد روي انه عني اني سقيم بما يفعل بالحسين بن علي عليهما السلام .

وفي تفسير علي بن ابراهيم، سئل ابو عبدالله (ع) عن قول ابراهيم (هذا ربي) لغير الله، هل اشرك في قوله هذا ربي ؟ قال : من قال هذا اليوم فهو مشرك ، ولم يكن من ابراهيم

شرك وإنما كان في طلب ربه .

وفي قوله: ما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها اياه، قال ابراهيم لأبيه ان لم تعبد الاصنام استغفرت لك فلما لم يدع الاصنام تبرأ منه .

عيون الاخبار مسنداً الى علي بن الجهم قال : حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي ابن موسى (ع) فقال له المأمون: يا ابن رسول الله ! أليس من قولك ان الانبياء معصومون؟ قال : بلى . قال : فما معنى قول الله عز وجل « وعصى آدم ربه فغوى » ؟ فقال (ع) : ان الله تبارك وتعالى قال لآدم (ع) اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة ، وأشار لهما الى شجرة الحنطة فتكونا من الظالمين ، ولم يقل لهما كلا من هذه الشجرة ولا مما كان من جنسها فلم يقربا من تلك الشجرة وإنما اكلا من غيرها ، لما ان وسوس الشيطان اليهما وأقسم لهما : اني لكما من الناصحين ، ولم يكن آدم وحواء قد شاهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً ، فدلهما بغرور فأكلا منها ثقة بيمينه بالله . وكان ذلك من آدم قبل النبوة، ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق به النار، وإنما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الانبياء قبل نزول الوحي عليهم ، فلما اجتباه الله عز وجل وجعله نبياً ، كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرة . قال الله عز وجل : فعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه فتاب عليه وهدى . وقال تعالى : ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين . فقال له المأمون : فما معنى قول الله عز وجل فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما ؟ فقال الرضا (ع) : ان حواء ولدت لآدم خمسمائة بطن في كل بطن ذكر وأنثى ، وان آدم وحواء عاهدا الله عز وجل ودعواه وقالا : لئن آتيتنا صالحاً من النسل خلقاً سوياً برئاً من الزمانة والعاهة ، كان ما آتاهما صنفين صنفاً ذكراناً وصنفاً أناثاً ، فجعل الصنفان لله تعالى شركاء فيما آتاهما ولم يشكراه كشكر أبويهما له عز وجل ، فتعالى الله عما يشركون. فقال المأمون : أشهد انك ابن رسول الله حقاً فأخبرني عن قول الله عز وجل في ابراهيم ، (فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي) ، فقال الرضا ان ابراهيم وقع على ثلاثة اصناف ، صنف يعبد الزهرة ، وصنف يعبد القمر ، وصنف يعبد الشمس ، وذلك حين خرج من السرب الذي أخفي فيه، فلما جنّ عليه الليل ، رأى الزهرة فقال: هذا ربي على الانكار والاستخبار، فلما أفل الكوكب قال: لا احب الآفلين . لأن الأفول من صفات الحدث لا من صفات القديم. فلما رأى القمر بازغا ، قال: هذا ربي على الانكار والاستخبار، فلما أفل قال: لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين. فلما اصبح ورأى الشمس بازغة ، قال: هـذا ربي هذا اكبر من الزهرة والقمر على الاستخبار لا على الاخبار والاقرار، فلما أفلت قال للأصناف الثلاثة من عبدة الزهرة والقمر والشمس : اني بريء مما تشركون ، اني وجهت وجهي للذي

فطر السموات والارض حنيفاً مسلماً ، وما أنا من المشركين . وإنما اراد ابراهيم (ع) بما قال ، ان يبين لهم بطلان دينهم ويثبت عندهم ان العبادة لا تحق لمن كان بصفة الزهرة والقمر والشمس ، وإنما تحق العبادة لخالقها وخالق السموات والارض .

وكان ما احتج به على قومه مما ألهمه الله عز وجل وآتاه ، وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه .

فقال المأمون : لله درك يا ابن رسول الله ، فأخبرني عن قول ابراهيم (رب أرني كيف تحيي الموتى) قال : او لم تؤمن ؟ قال بلى ولكن ليطمئن قولي . قال الرضا (ع): ان الله تعالى أوحى الى ابراهيم (ص) اني متخذ من عبادي خليلا ، ان سألني إحياء الموتى أجبته، فوقع في نفس ابراهيم (ع) أنه ذلك الخيل ، فقال (رب أرني كيف تحيي الموتى) قال : أو لم تؤمن قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي على الخلة، قال: خذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعوهن يأتينك سعياً واعلم ان الله عزيز حكيم . فأخذ ابراهيم نسراً وبطاً وطاووساً وديكاً ، فقطهن وخلطهن ثم جعل على كل جبل من الجبال التي حوله وكانت عشرة، منهن جزءاً . وجعل مناقيرهن بين اصابعه، ثم دعاهن بأسمائهن ووضع عنده حباً وماء ، فتطايرت تلك الاجزاء بعضها الى بعض حتى استوت الابدان ، وجاء كل بدن حتى انضم الى رقبته ورأسه ، فخلى ابراهيم (ع) عن مناقيرهن ، فطرن ثم وقعن فشربن من ذلك الماء والتقطن من ذلك الحب،وقلن يا نبي الله أحييتنا أحياك الله، فقال ابراهيم (ع): بل الله يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير .

قال المأمون: بارك الله فيك يا ابا الحسن. فأخبرني عن قول الله عز وجل (فوكزه موسى فقضى عليه) قال : هذا من عمل الشيطان .

قال الرضا (ع) : ان موسى (ع) دخل مدينة من مدائن فرعون على حين غفلة من اهلها ، وذلك بين المغرب والعشاء فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه، فقضى موسى (ع) على العدو ، بحكم الله تعالى ذكره فمات ، فقال هذا من عمل الشيطان يعني الاقتتال الذي كان وقع بين الرجلين لا ما فعله موسى (ع)، من قتله انه يعني الشيطان عدو مضل مبين .

قال المأمون : فما معنى قول موسى (رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي) ؟

قال : يقول اني وضعت نفسي غير موضعها بدخولي هذه المدينة ، فاغفر لي اي استرني من اعدائك لئلا يظفروا بي فيقتلوني . فغفر له انه هو الغفور الرحيم . قال موسى : رب بما أنعمت عليّ من القوة (رجلا بوكزة) فلن أكون ظهيراً للمجرمين ، بل اجاهد في سبيلك بهذه القوة حتى ترضى . فأصبح (ع) في المدينة خائفاً يترقب ، فإذا الذي استنصره

بالامس يستصرخه على آخر ، قال له موسى انك لغوي مبين ، قاتلت رجلاً بالامس وتقاتل هذا اليوم لأودينك ، وأراد ان يبطش به ، فلما أراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما ، وهو من شيعته قال يا موسى أتريد ان تقتلني كما قتلت نفساً بالامس، إن تريد إلا ان تكون جباراً في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين .

قال المأمون : جزاك الله خيراً يا ابا الحسن ، فما معنى قول موسى لفرعون : فعلتها إذاً وأنا من الضالين ؟

قال الرضا عليه السلام: ان فرعون قال لموسى لما أتاه : وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين بي . قال موسى : فعلتها إذاً وأنا من الضالين عن الطريق بوقوعي الى مدينة من مدائنك ، ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين . وقد قال الله عز وجل لنبيه محمد : (ألم يجدك يتيماً فآوى) . يقول : ألم يجدك وحيداً فآوى اليك الناس، ووجدك ضالاً يعني عند قومك فهدى، أي هداهم الى معرفتك. ووجدك عائلاً فأغنى، يقول : أغناك بأن جعل دعاءك مستجاباً .

قال المأمون : بارك الله فيك يا ابن رسول الله . فما معنى قول الله عز وجل : (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني انظر اليك ، قال لن تراني) الآية ، كيف يجوز ان يكون كليم الله موسى بن عمران لا يعلم ان الله تعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأله هذا السؤال ؟

فقال الرضا (ع) : ان كليم الله موسى بن عمران ، علم ان الله تعالى عز ان يُرى بالابصار، ولكنه لما كلمه الله تعالى وقرّبه نجياً ، رجع الى قومه ، فأخبرهم ان الله عز وجل كلمه وقرّبه وناجاه ، فقالوا : لن نؤمن لك حتى نسمع كلامه كما سمعت . وكان القوم سبعمائة الف رجل اختار منهم سبعمائة ثم اختار من السبعمائة سبعين رجلاً لميقات ربه ، فخرج بهم الى طور سيناء . فأقامهم في سفح الجبل وصعد موسى (ع) الى الطور ، وسأل الله تبارك وتعالى ان يكلمه ويُسمعهم كلامه . فكلمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه، من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام ، لأن الله عز وجل احدثه في الشجرة وجعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه . فقالوا : لن نؤمن لك بأن الذي سمعناه كلام الله حتى نرى الله جهرة ، فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا ، بعث الله صاعقة فأخذتهم بظلمهم فماتوا ، فقال موسى : يا رب ما اقول لبني اسرائيل ، اذا رجعت اليهم وقالوا انك ذهبت بهم فقتلتهم، لأنك لم تكن صادقاً فيما ادعيت من مناجاة الله إياك ؟ فأحياهم الله وبعثهم معه فقالوا : انك لو سألت الله ان يراك تنظر اليه لأجابك، وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حق معرفته . فقال موسى : يا قوم ان الله لا يُرى بالابصار ولا كيفية له ، وإنما يعرف بآياته

ويعلم بأعلامه. فقالوا : لن نؤمن لك حتى تسأله. فقال موسى (ع) : يا رب انك قد علمت مقالة بني اسرائيل وانت اعلم بصلاحهم. فأوحى الله اليه: يا موسى سلني ما سألوك فلن أواخذك بجهلهم . فعند ذلك قال موسى (ع) : يا رب أرني انظر اليك ، قال : لن تراني ولكن انظر الى الجبل فإن استقر مكانه وهو يهوي فسوف تراني . فلما تجلى ربه للجبل بآية من آياته جعله دكاً وخرّ موسى صعقاً ، فلما أفاق قال : سبحانك تبت اليك . يقول : رجعت الى معرفتي بك عن جهل قومي ، وأنا اول المؤمنين منهم بأنك لا تُرى .

فقال المأمون : لله درك يا ابا الحسن ، فأخبرني عن قول الله . ولقد همّت به وهمّ بها لولا ان رأى برهان ربه .

فقال الرضا : لقد همت به ، ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها كما همت به ، لكنه كان معصوماً والمعصوم لا يهم بذنب ولا يأتيه ، وقد حدثني ابي عن ابيه عن الصادق (ع) ، قال : همت به بأن تفعل وهمّ بأن لا يفعل .

فقال المأمون : لله درك يا ابا الحسن ، فأخبرني عن قول الله عز وجل « وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه » .

قال الرضا (ع) : ذاك يونس بن متى ، ذهب مغاضباً لقومه فظن بمعنى استيقن أن لن نقدر عليه ، اي لن نضيق عليه رزقه ، ومنه قوله تعالى : وأما اذا ما ابتلاه ربه فقدر عليه رزقه ، اي ضيّق وقتر ، فنادى في الظلمات ظلمة الليل وظلمة البحر وبطن الحوت ، ان لا إله إلا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ، بتركي مثل هذه العبادة التي قد فرغتني لها في بطن الحوت . فاستجاب الله له ، وقال عز وجل : « فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون » .

فقال المأمون : لله درك يا ابا الحسن ، فأخبرني عن قول الله : حتى اذا استيأس الرسل ، وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا .

قال الرضا (ع) يقول الله حتى إذا استيأس الرسل من قومهم ان الرسل قد كذبوا جاء الرسل نصرنا .

فقال المأمون : لله درك يا أبا الحسن ، فاخبرني عن قول الله عز وجل (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) .

قال الرضا (ع) : لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنباً من رسول الله (ص)، لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين صنماً، فلما جاءهم(ص)بالدعوة إلى كلمة الاخلاص كبر ذلك عليهم وعظم ، وقالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً ان هذا لشيء عجاب ، وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم، ان هذا لشيء يراد. ما سمعنا بهذا في الملة الاخرى

ان هذا إلا اختلاق . فلما فتح الله على نبيه (ص) مكة قال له : يا محمد إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر عند مشركي أهل مكة ، بدعائك إلى توحيد الله فيما تقدم وما تأخر ، لأن مشركي مكة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة ، ومن بقي منهم لم يقدر على انكار التوحيد ، عله إذا دعى الناس اليه فصار ذنبه في ذلك عندهم مغفوراً بظهوره عليهم .

فقال المأمون : لله درك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول الله عز وجل : (عفا الله عنك لم أذنت لهم) . قال الرضا (ع) : هذا مما نزل باياك أعني واسمعي يا جارة ، خاطب الله عز وجل نبيه (ص) وأراد به أمته. وكذلك قول الله عز وجل (لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) وقوله عز وجل (ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً).

قال : صدقت يا ابن رسول الله ، فأخبرني عن قول الله (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه) .

قال الرضا (ع) : ان رسول الله (ص) قصد دار زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي في امر اراده ، فرأى امرأته تغتسل ، فقال لها سبحان الذي خلقك ، وإنما اراد بذلك تنزيه الله تعالى عن قول من زعم ان الملائكة بنات الله ، فقال الله عز وجل : (أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة أناثاً انكم تقولون قولاً عظيماً) .

فقال النبي (ص) : فلما رآها تغتسل قال سبحان الذي خلقك ان يتخذ ولداً يحتاج الى هذا التطهير والاغتسال ، فلما عاد زيد الى منزله اخبرته بمجيء رسول الله (ص) وقوله لها (سبحان الذي خلقك) ، فلم يعلم زيد ما اراد بذلك وظن انه قال ذلك لما اعجبه من حسنها ، فجاء الى النبي (ص) فقال : يا رسول الله ! امرأتي في خلقها سوء واني اريد طلاقها ، فقال له النبي (ص) : أمسك عليك زوجك واتق الله ، وقد كان الله عز وجل عرفه عدد ازواجه وانما تلك المرأة منهن ، فأخفى ذلك في نفسه ولم يبده لزيد ، وخشي الناس ان يقولوا ان محمداً يقول لمولاه ان امرأتك ستكون لي زوجة فيعيبونه بذلك ، فأنزل الله عز وجل (وإذ تقول للذي انعم الله عليه) يعني بالاسلام وأنعمت عليه بالعتق (أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه). ثم ان زيداً طلقها وأعتدت منه ، فزوجها الله من نبيه (ص) وأنزل بذلك قرآناً (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها ، لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان امر الله مفعولاً) .

ثم علم عز وجل ان المنافقين سيعيبونه بتزويجها ، فأنزل (ما كان على النبي من حرج في ما فرض الله له) .

فقال المأمون : لقد شفيت صدري يا ابن رسول الله وأوضحت لي ما كان ملتبساً عليّ فجزاك الله عن أنبيائه وعن الاسلام خيراً .

قال علي بن محمد بن الجهم: فقام المأمون الى الصلاة وأخذ بيد محمد بن جعفر بن محمد وكان حاضر المجلس ، فتبعتها فقال له المأمون : كيف رأيت ابن اخيك ؟ فقال عالم ولم نره يختلف الى احد من اهل العلم . فقال المأمون : ان ابن اخيك من اهل بيت النبي الذين قال فيهم ان ابرار عترتي وأطائب أرومتي ، احلم الناس صغاراً وأعلم الناس كباراً ، لا تعلموهم فانهم أعلم منكم لا يخرجونكم من باب هدى ، ولا يدخلونكم في باب ضلال . وانصرف الرضا (ع) الى منزله ، فلما كان من الغد غدوت اليه وأعلمته ما كان من قول المأمون وجواب عمه محمد بن جعفر له ، فضحك (ع) ثم قال : يا علي بن الجهم ! لا يغرنك ما سمعته منه فانه سيغتالني والله ينتقم لي منه .

قال الصدوق : هذا الحديث عجيب ، من طريق علي بن محمد بن الجهم مع نصبه وبغضه وعداوته لأهل البيت عليهم السلام .

اقول هذا ليس بعجيب، لأن الله سبحانه يجري الحق لأوليائه على ألسنة اعدائه في كثير من الاحوال وفي اغلب الأزمان .

وفي كتاب الخصال مسنداً الى الاشعري ، رفعه الى ابي عبدالله (ع) قال : ثلاث لم يعر منها نبي فمن دونه ، الطيرة والحسد والتفكر في الوسوسة في الخلق .

قال الصدوق ومعنى الطيرة في هذا الموضع هو ان يتطير منهم قومهم فأما هم (ع) ، فلا يتطيرون ، وذلك كما قال الله عز وجل في قوم صالح ، قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال : طائركم عند الله ، وكما قال آخرون لأنبيائهم: انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم ... الآية .

وأما الحسد في هذا الموضع ، هو ان يحسدوا لا انهم يحسدون غيرهم . وذلك كما قال الله عز وجل (ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً) .

وأما التفكر في الخلق ، فهو بلواهم (ع) بأهل الوسوسة لا غير ذلك، كما حكى الله عنهم من الوليد بن المغيرة المخزومي ، انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ، يعني قال للقرآن ان هذا إلا قول البشر .

اقول ما ذكره من التأويل حسن ، إلا ان في الكافي وغيره تتمة للحديث لا يحتمله ، وهي لكن المؤمن لا يظهر الحسد ، ومن ثم حمل جماعة من اهل الحديث على ما هو اعم من

الغبطة ، او ان القليل منه اذا لم يظهر ليس بذنب . والطيرة هي التشاؤم بالشيء وانفعال النفس بما يراه او يسمعه مما يتشاءم به ، ولا دليل على انه لا يجوز ذلك على الانبياء إذ ورد انهم يتفاءلون بالشيء الحسن ، والمراد بالتفكر في الوسوسة في الخلق التفكر فيما يحصل في نفس الانسان من الوساوس في خالق الاشياء ، وكيفية خلقها وخلق اعمال العباد ، والتفكر في الحكمة في خلق بعض الشرور في العالم من غير استقرار في النفس ، وحصول شك بسببها. ويحتمل ان يكون المراد بالخلق المخلوقات ، وبالتفكر في الوساوس التفكر وحديث النفس بعيوبهم ، وتفتيش احوالهم . وفي الاخبار ما يؤيد الوجهين كما سيأتي ، وبعض افراد هذا الأخير على الوجهين لا يستبعد عروضها لهم عليهم السلام هذا .

واعلم ان الخلاف بين علماء الاسلام في عصمة الانبياء عليهم السلام ، يرجع الى اربعة اقسام ما يقع في باب العقائد ، وما يقع في التبليغ وما يقع في الاحكام والفتيا ، وما يقع في افعالهم وسيرهم عليهم السلام .

اما الاعتقادات فهم منزهون عن الكفر والضلال ، فيما قبل النبوة وبعدها باتفاق الامة ، غير ان الارازقة من الخوارج جوزوا عليهم الذنب وعندهم كل ذنب كفر ، فيلزمهم تجويز الكفر عليهم، بل يحكى عنهم انهم قالوا: يجوز ان يبعث الله نبياً ويعلم انه يكفر بعد نبوته .

وأما النوع الثاني وهو ما يتعلق بالتبليغ فقد اتفقت الأمة وأرباب الملل والشرائع على وجوب عصمتهم عن الكذب والتحريف فيما يتعلق بالتبليغ عمداً وسهواً، إلا القاضي ابو بكر فانه جوز ما كان من ذلك على سبيل النسيان وفلتات اللسان .

وأما النوع الثالث وهو ما يتعلق بالفتيا ، فأجمعوا على انه لا يجوز خطأهم فيه عمداً وسهواً ، إلا شرذمة قليلة من العامة .

وأما النوع الرابع وهو الذي يتعلق بأفعالهم فقد اختلفوا فيه على خمسة اقوال : اولها قول اصحابنا الإمامية رضوان الله عليهم ، وهو نفي الذنب عنهم مطلقاً ، الصغار والكبار والعمد والنسيان والسهو والإسهاء ، ولم يخالف فيه إلا الصدوق وشيخه محمد بن الحسن ابن الوليد ، فانهما جوزا عليهم الاسهاء من الله لا السهو من الشيطان ، وكذا القول في الأئمة الطاهرين عليهم السلام .

الثاني : مذهب اكثر المعتزلة وهو انه لا يجوز عليهم الكبائر ، ويجوز عليهم الصغائر إلا الصغائر الخسيسة المنفردة، كسرقة حبة او لقمة، وكل ما ينسب فاعله الى الدنائة والضعة .

الثالث : وهو مذهب ابي علي الجبائي، انه لا يجوز ان يأتوا بصغيرة ولا كبيرة على جهة العمد ، لكن يجوز على جهة التأويل والسهو كما تقدم في حكاية آدم عليه السلام ، من انه كان

منه غلطاً في التأويل ، لأنه ظن انه نهى عن شخص الشجرة لا عن نوعها ، فتناول من غير التي نهى عن شخصها .

الرابع : انه لا يقع منهم الذنب إلا على طريق السهو والخطأ ، لكنهم مؤاخذون به . وأن رفع حكمه عن الامة لقوة معرفتهم وعلو مرتبتهم وقدرتهم على التحفظ ، وهو قول النظام ومن تبعه .

الخامس : انه يجوز عليهم الصغائر والكبائر عمداً وسهواً وخطأ ، وهو قول الحشوية وكثير من اصحاب الحديث من العامة ، ثم انهم اختلفوا في وقت العصمة على ثلاثة اقوال :

الاول : انه من وقت ولادتهم الى ان يلقوا الله، وهو مذهب الإمامية رضوان الله عليهم.

الثاني : انه من حين بلوغهم ولا يجوز عليهم الكفر والكبيرة قبل النبوة ، وهو مذهب كثير من المعتزلة .

الثالث : انه وقت النبوة او ما قبله فيجوز صدور المعصية عنهم ، وهو قول اكثر الأشاعرة ومنهم الفخر الرازي ، وأما دلائلنا على ما صرنا اليه فهي وان كانت متكثرة ، إلا ان العمدة فيها اخبارنا المتواترة واجماعنا المقطوع به ،حتى انه صار من ضروريات ديننا .

وقد ذكر سيدنا الأجل ، علم الهدى في الشافي وكتاب تنزيه الانبياء عليهم السلام جملة من الدلائل والبراهين القاطعة ، من أراد الاطلاع عليها فليطلبها من هناك .

الباب الاول

في قصص آدم وحواء وأولادهما وفيه فصول

الفصل الاول

في فضلها والعلة في تسميتها وبدو خلقها وسؤال الملائكة في ذلك ، قال الله تعالى : (وإذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدس لك ، قال اني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبؤوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم انبئهم بأسمائهم ، فلما انبأهم بأسمائهم قال: ألم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) .

اقول : الخليفة من ينوب عن غيره ، والهاء للمبالغة . وهذه الآية وما بمعناها دالة على ان الغرض والمقصود من خلق آدم (ع) ، ان يكون خليفة في الأرض لمن تقدمه من الجان ، وليس المقصود من خلقه ان يكون في الجنة . نعم كان الأولى به ألا يفعل ما فعل وينزل من الجنة عزيزاً كريماً ، على خلع الجنة وعلى زوجته ثياب حور العين والملائكة يزفونه ويسجدون له في الجنة .

واما قول الملائكة (أتجعل فيها) ؟ فهو تعجب اما من ان يستخلف لعمارة الارض ، وإصلاحها من يفسد فيها ، واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي غلبت تلك المفاسد ، واستخبار عما يزيح شبههم وليس باعتراض على الله ، ولا طعن في بني آدم ، وعلى وجه الغيبة كما توهمه من جواز الذنوب على الملائكة ، فإنهم اجل وأعلى من ان يظن بهم ذلك .

وإنمـــا عرفوا ذلك بأخبار من الله او تلق من اللوح المحفوظ ، او قياس لأحد الثقلين على الآخر .

وقوله ونحن نسبح بحمدك ، حال مقررة لجهة الاشكال عليهم . قيل وكأنهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلاث قوى ، عليها مدار امره شهوية وغضبية تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء ، وعقلية تدعوه الى المعرفـــة والطاعة . ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا تقتضي الحكمة ، ايجاده فضلاً عن استخلافه ، وأمـــا

باعتبار القوة العقلية ، فنحن نقيم بما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد ، وغفلوا عن فضيلة كل واحد من القوتين اذا صارت مهذبـــة مطواعة للعقل متمرنة على الخير ، كالعفة والشجاعة ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد كالاحاطة بالجزئيات ، واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل ، الذي هو المقصود من الاستخلاف .

وأما تعليم آدم الاسماء فبخلق علم ضروري فيه او انه ألقاه في روعه .

وقوله ثم عرضهم أي المسميات المدلول عليها ضمناً .

وأما ما يقال من انه كان للملائكة ان يقولوا لو علمتنا كما علمت آدم لعلمنا مثله ، فجوابه انهم اجابوا انفسهم بقولهم انك انت العليم الحكيم .

وذلك ان مقتضى الحكمة وضع الاشياء مواضعها على وفق الحكمة ، فحكمته تعالى إنمـــا اقتضت إلقاء التعليم الى آدم لا الى الملائكة .

وروى الصدوق بإسناده الى ابي عبدالله عليه السلام قال : إنما سمي آدم عليه السلام لأنه خلق من اديم الارض .

قال الصدوق : اسم الارض الرابعة أديم ، وخلق منها آدم فلذلك قيل من أديم الارض ، وقال عليه السلام : سميت حواء لأنها من حي يعني آدم عليه السلام .

وقد اختلف في اشتقاق اسم آدم (ع) فقيل اسم اعجمي لا اشتقاق له كازر .

وقيل انه مشتق من الأدمة بمعنى السمرة ، لأنـــه كان اسمر اللون وقيل من الآدم بمعنى الالفة والاتفاق .

وأما اشتقاق حواء من حي او الحيوان ، فهو من الاشتقاقات الشاذة او الجعلية كلابن وتأمر .

وروى الصدوق رحمه الله ايضاً عن ابن سلام انه قيل للنبي صلى الله عليه وآله، هل خلق آدم من الطين كله او من طينة واحد ؟ قال : بل من الطين كله ، ولو خلق من طين واحد لما عرف الناس بعضهم بعضاً ، وكانوا على صورة واحدة ، قـــال فلهم في الدنيا مثل ذلك . قال : التراب فيه ابيض وفيه اخضر وفيه اشقر، يعني شديد الحمرة، وفيه ازرق وفيه عذب وفيه ملح ، فلذلك صار الناس فيهم ابيض وفيهم اصفر وفيهم اسود وعلى ألوان التراب .

الحديث. وعن امير المؤمنين عليه السلام ان الله تبارك وتعالى بعث جبرئيل عليه السلام، وأمره ان يأتيه من أديم الارض بأربع طينات : طينة بيضاء وطينة حمراء وطينة غبراء وطينة سوداء ، وذلك من سهلها وحزنها ، ثم أمره ان يأتيه بأربع مياه عذب وماء ملح وماء مر وماء منتن ، ثم امره ان يفرغ الماء في الطين ، فجعل المـــاء العذب في حلقه وجعل الماء المالح في عينيه وجعل الماء المر في اذنيه وجعل الماء المنتن فى انفه .

وجاء تعليله في توحيد المفضل عن الصادق عليه السلام .

انما جعل الماء العذب في الحلق ليسوغ له أكل الطعام .

وجعل الماء المالح في العينين إبقاء على شحمة العين لأن الشحم يبقى اذا وضع عليه الماء .

وأما الماء المر في الاذنين ، فلئلا تهجم الهوام على الدماغ ، ومن ذلك انها اذا وصلت الى الماء المر في الاذنين ماتت ، وربما تعدى الماء المر ووصل الى الدماغ .

ومن العجب انه جاءت اليّ امرأة تستفتيني ، في ان بعض الجراحين ، أراد ان يكسر قطعة من عظم رأسها حتى يظهر الدماغ ، وذلك ان هامة تسمى هزاريا[١] ، دخلت اذنها وهي نائمة ، فوصلت الى الدماغ والى مخ الرأس ، فصارت تأكل منه ، وربما سكنت وبقيت على هذا اعواماً . وما افتيت في حكاية كسر شيء من قحفة رأسها . وجاء في كتب الطب انه وقع مثل هذا في زمن افلاطون ، فأخذ الرجل الى الحمام ، ورفع قطعة من قحفة رأسه واستخرج الهامة ، ثم وضع القحفة على حالها . وهذا منه ليس بعجيب ، فقد روي عنه لما قلع القحفة وظهر هزاريا في الدماغ أراد ان يتناوله بالمنقاش، فقال له احد تلاميذه: لا تفعل فانه محكم ايديه وأرجله في حجاب الدماغ . فحمى له المنقاش ووضعه على ظهره ، حتى رفع رجليه من حجاب الدماغ فتناوله ورماه . وعنه عليه السلام اول من قاس ابليس ، قال : (خلقتني من نار وخلقته من طين) . ولو علم ابليس ما جعل الله في آدم لم يفتخر عليه . ثم قال : ان الله عز وجل خلق الملائكة من نور ، وخلق الجان من النار ، وخلق الجن صنفاً من الجان من الريح ، وصنفاً من الماء ، وخلق آدم من صفحة الطين ، ثم اجرى في آدم النور والنار والريح والماء . فبالنور ابصر وعقل وفهم، وبالنار أكل وشرب ، ولولا النار في المعدة لم تطحن المعدة الطعام ، ولولا ان الريح في جوف بني آدم تلهب نار المعدة لم تلتهب ، ولولا ان الماء في جوف ابن آدم يطفىء حر المعدة لأحرقت النار جوف ابن آدم ، فجمع الله ذلك في آدم لخمس خصال وكانت في ابليس خمسة فافتخر بها .

وعنه عن ابي عبد الله عليه السلام قال : ان القبضة التي قبضها الله عز وجل من الطين الذي خلق منها آدم ، ارسل اليها جبرائيل عليه السلام ان يقبضها ، فقالت الارض : اعوذ بالله ان تأخذ مني شيئاً ، فرجع الى ربه وقال : يا رب تعوذت بك مني ، فأرسل اليها اسرافيل فقالت مثل ذلك، فأرسل اليها ميكائيل فقالت مثل ذلك، فأرسل اليها ملك الموت فتعوذت بالله ان يأخذ منها شيئاً ، فقال ملك الموت : واني اعوذ بالله ان ارجع اليه حتى اقبض منك .

---

(١) كلمة فارسية ، وهي هامة .

اقول : جاء في الرواية ان الله سبحانه ، امر ملك الموت على الحتم ، ويدل على ان امره تعالى لمن تقدمه ليس على سبيل الحتم .

وروى علي بن ابراهيم باسناده الى الباقر عليه السلام ، عن امير المؤمنين صلوات الله عليه قال: ان الله تعالى لما اراد ان يخلق خلقاً بيده وذلك بعدما مضى من الجن والناس في الارض، سبعة آلاف سنة ، فكشف عن اطباق السموات وقال للملائكة : انظروا الى اهل الارض من خلقي من الجن والناس ، فلما رأوا ما يعملون فيها من المعاصي ، عظم ذلك عليهم فقالوا: ربنا انت العزيز القادر وهذا خلقك الضعفاء يعيشون برزقك ويعصونك ، ولا تنتقم لنفسك. فلما سمع من الملائكة ، قال : اني جاعل في الأرض خليفة يكون حجة في ارضي . فقالت الملائكة : سبحانك تجعل فيها من يفسد فيها كما افسدت بنو الجان، فاجعل ذلك الخليفة منا، فإنا لا نعصيك ونسبح بحمدك ونقدس لك . فقال عز وجل (اني اعلم ما لا تعلمون) اريد ان أخلق خلقاً بيدي، واجعل من ذريته انبياءً وعباداً صالحين وأئمة مهديين ، اجعلهم خلفاء على خلقي في ارضي، واطهر ارضي من الناس وانقل مردة الجن العصاة على خلقي واسكنهم في الهواء وفي اقطار الارض واجعل بين الجن وبين خلقي حجاباً ، فقالت الملائكة : يا ربنا افعل ما شئت، فباعدهم الله من العرش مسيرة خمسمائة عام،فلاذوا بالعرش واشاروا بالاصابع. فنظر الرب إليهم ونزلت الرحمة فوضع لهم البيت المعمور. فقال : طوفوا به ودعوا العرش. فطافوا به وهو البيت الذي يدخله الجن كل يوم سبعون الف ملك يعودون اليه ابداً . فوضع الله البيت المعمور توبة لاهل السماء ، ووضع الكعبة توبة لاهل الارض ، إلى ان قال : ثم قبض الله سبحانه طينة آدم واجرى فيها الطبائع الاربع، الويح والدم والمرة والبلغم. فلزمه من ناحية الويح حب النساء ، وطول الأمل ، والحرص، ولزمه من ناحية البلغم، حب الطعام والشراب والبر ، والحلم والرفق ، ولزمه من ناحية المرة ، الغضب والسفه والشيطنة والتجبر والتمرد والعجلة ، ولزمه من ناحية الدم ، حب النساء واللذات وركوب المحارم والشهوات .

اقول قيل المراد بالريح السوداء وبالمرة الصفراء او بالعكس، او المراد بالريح الروح والمرة الصفراء والسوداء معاً إذ يطلق عليهما وتكرار حب النساء لمداخليتها معاً .

وعن الرضا عليه السلام ، قال : كان نقش خاتم آدم لا إله إلا الله محمد رسول الله هبط به معه في الجنة .

وعنه صلى الله عليه وآله اهل الجنة ليست لهم كنى إلا آدم عليه السلام، فانه يكنى بأبي محمد توفيراً وتعظيماً .

وعن ابي عبد الله عليه السلام ، ان الله سبحانه خلق آدم عليه السلام من غير أب وأم ، وعيسى عليه السلام من غير أب ، ليعلم انه قادر على ان يخلق من غير أب وأم ، ومن غير

أب . كما هو قادر على ان يخلق منها . وفي قوله : خلق الانسان من عجل، قال : لما اجرى الله الروح في آدم من قدميه فبلغت الى ركبتيه، اراد ان يقوم فلم يقدر، فقال الله عز وجل: « خلق الانسان من عجل » وقال: سميت المرأة امرأة لأنها خلقت من المرء ، يعني خلقت من آدم عليه السلام . وسمي النساء نساءاً لأنه لم يكن لآدم أنس غير حواء .

وعن عبد العظيم الحسني قال: كتبت الى ابي جعفر الثاني عليه السلام اسئلة عن علة الغائط ونتنه ، قال: ان الله عز وجل خلق آدم عليه السلام وكان جسده طيباً ، وبقي اربعين سنة ملقاً تمرُّ به الملائكة، فتقول: لأمر ما خلقت . وكان ابليس يدخل في فيه ويخرج من دبره ، فلذلك صار ما في جوف آدم منتناً خبيثاً غير طيب . وعن احدهما عليهما السلام ، انه سئل عن ابتداء الطواف ، فقال : ان الله تبارك وتعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام ، قال للملائكة : اني جاعل في الارض خليفة ، فقال ملكان من الملائكة : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ فوقعت الحجب فيما بينهما وبين الله عز وجل. وكان تبارك وتعالى نوره ظاهراً للملائكة، فلما وقعت الحجب بينه وبينهما، علما انه سخط من قولهما، فقالا للملائكة : ما حيلتنا وما وجه توبتنا ؟ فقالوا : ما نعرف لكما من التوبة إلا ان تلوذا بالعرش ، فلاذا بالعرش حتى انزل الله توبتهما ورفعت الحجب فيما بينه وبينهما . وأحب الله تبارك وتعالى ان يعبد بتلك العبادة ، فخلق الله البيت في الارض ، وجعل على العباد الطواف حوله ، وخلق البيت المعمور في السماء .

(اقول) المراد من نوره تعالى الانوار المخلوقة في عرشه، او انوار الأئمة صلوات الله عليهم او انوار معرفته وفيضه فتكون حجباً معنوية .

وفي علل محمد بن سنان عن الرضا عليه السلام ، ان الملائكة لما استغفروا من قولهم : أتجعل فيها من يفسد فيها ، وعلموا انهم اذنبوا فندموا ولاذوا بالعرش واستغفروا ، فأحب الله ان يتعبد بمثل ذلك العبادة ، فوضع في السماء الرابعة بيتاً بحذاء العرش يسمى الضراح ، ثم وضع في سماء الدنيا بيتاً يسمى المعمور، بحذاء الضراح، ثم وضع البيت بحذاء البيت المعمور، ثم أمر آدم عليه السلام فطاف به ، فتاب الله عليه ، وجرى ذلك في ولده الى يوم القيامة .

وروى انه قيل لأبي عبد الله عليه السلام: لمَ صار الطواف سبعة اشواط ، قال: لأن الله تبارك وتعالى قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة، فردوا على الله تبارك وتعالى وقالوا: اتجعل فيها من يفسد فيها ؟ وكان لا يحجبهم عن نوره فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام ، فلاذوا بالعرش سبعة آلاف فتاب عليهم ، وجعل لهم البيت المعمور الذي في السماء الرابعة ، ووضع البيت الحرام تحت البيت المعمور ، فصار الطواف سبعة اشواط واجباً على العباد لكل الف سنة شوطاً واحداً .

وعن ابي عبدالله عليه السلام قال: كان الصراط دليل آدم عليه السلام،من بلاد سرانديب الى جدة شهراً وهو اول طائر صام لله تعالى .

وسأل امير المؤمنين عليه السلام النبي صلىالله عليه وآله ، كيف صارت الاشجار بعضها تحمل وبعضها لا تحمل؟ فقال : كلما سبح آدم تسبيحاً ، صارت له في الدنيا شجرة مع حمل، وكلما سبحت حواء تسبيحة ، صارت لها في الدنيا شجرة من غير حمل .

وسئل مما خلق الله الشعير ؟ فقال : ان الله تبارك وتعالى امر آدم عليه السلام ، ان ازرع مما اخترت لنفسك . وجاء جبرئيل بقبضة من الحنطة ، فقبض آدم عليه السلام على قبضة وقبضت حواء على قبضة ، فقال آدم لحواء : لا تزرعي انت ، فلم تقبل قول (امر) آدم ، وكلما زرع آدم عليه السلام جاء حنطة وكلما زرعت حواء جاء شعيراً .

وروى الثقة علي بن ابراهيم بإسناده الى ابي جعفر عليه السلام ، في قول الله (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً)، قال : عهد اليه في محمد والأئمة من بعده صلوات الله عليهم ، فترك ولم يكن له عزم فيهم انهم هكذا ، وإنما سموا اولوا العزم لأنه عهد اليهم في محمد وأوصيائه من بعده، والقائم عليهم السلام وسيرته فاجمع عزمهم ان كذلك والإقرار به.

وعن ابي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى ، وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً ، ان الله تعالى خلق آدم عليه السلام من الماء العذب ، وخلق زوجته من سنخه فبراها من اسفل اضلاعه ، فجرى بذلك الضلع بينهما نسب ، ثم زوجها اياه فجرى بسبب ذلك بينهما صهر، فذلك قوله نسباً وصهراً، فالنسب ما كان من نسب الرجال والصهر ما كان من سبب النساء .

وقال ان الله تعالى خلق ادم من الطين ، وخلق حواء من آدم فهمة الرجال الارض وهمة النساء في الرجال .

وقال عليه السلام : لما بكى آدم صلوات الله عليه على الجنة ، كان رأسه في باب من ابواب السماء ، وكان يتأذى بالشمس فحط من قامته .

وقال : ان آدم لما أهبط من الجنة وأكل من الطعام، وجد في بطنه ثقلاً فشكى ذلك الى جبرئيل فقال : يا آدم فتنح فنحاه فأحدث وخرج منه الثقل .

وقال عليه السلام أتى هذا البيت الف آتية على قدميه منها سبعمائة حجة وثلثمائة عمرة .

وعنه عليه السلام لما ان خلق الله آدم اوقعه بين يديه ، فعطس فألهمه الله ان حمده فقال الله : يا آدم حمدتني فوعزتي وجلالي لولا عبدان اريد خلقهما في آخر الزمان ، ما خلقتك . قال يا رب بقدرهم عندك ما اسمها ؟ فقال تعالى : يا آدم انظر نحو العرش ، فاذا بسطرين من نور اول السطر لا إله إلا الله محمد نبي الرحمة على مفتاح الجنة .

والسطر الثاني ، اني آليت على نفسي ان ارحم من والاهما وأعذب من عاداهما .

وفي قصص الانبياء عن ابي عبد الله عليه السلام،قال: اجتمع ولد آدم في بيت فتشاجروا فقال بعضهم خير خلق الله ابونا آدم .

وقال بعضهم الملائكة المقربون ، وقال بعضهم حملة العرش ، اذ دخل عليهم هبة الله ، فحكوا له فرجع الى آدم عليه السلام، وقال : يا ابت اني دخلت على اخوتي وهم يتشاجرون في خير خلق الله ، فسألوني فلم يكن عندي ما اخبرهم ، فقال آدم : يا بني اني وقفت بين يدي الله جل جلاله ، فنظرت الى سطر على وجه العرش مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم محمد وآل محمد خير من برأ الله .

وروى العياشي عن عمرو بن ابي المقدام عن ابيه ، قال : سألت ابا جعفر عليه السلام من اي شيء خلق الله حواء ؟ فقال : اي شيء يقولون هذا الخلق ؟ قلت : يقولون ان الله خلقها من ضلع من اضلاع آدم . فقال : كذبوا كان يعجزه ان يخلقها من ضلعه . فقلت : جعلت فداك يا ابن رسول الله ، من اي شيء خلقها ؟ فقال اخبرني ابي عن آبائي ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ان الله تبارك وتعالى قبض قبضة من طين ، فخلطها بيمينه وكلتا يديه يمين ، فخلق منها آدم وفضلت فضلة من الطين فخلق منها حواء .

اقول هذا الخبر معمول عليه بين اصحابنا رضوان الله عليهم ، وما ورد من انه خلق من ضلع من اضلاعه وهو الضلع الأيسر القصير ، محول على التقية او على التأويل ، او بأن يراد ان الطينة التي قررها الله سبحانه لذلك الضلع ، خلق منها حواء لأنها خلقت منه بعد خلقه ، فانه يلزم ، كما قال عليه السلام ، ان يكون ادم ينكح بعضه بعضاً ، فيقوى بذلك مذهب الحوس في نكاح المحرمات .

وعن جميل بن دراج عن ابي عبد الله عليه السلام ، قال : سألته عن إبليس أكان من الملائكة ، وهل كان يلي من امر السماء شيئاً ؟ قال : لم يكن من الملائكة ولم يكن يلي من امر السماء شيئاً ، كان من الجن ، وكان مع الملائكة ، وكانت الملائكة تراه انه منها ، وكان الله يعلم انه ليس منها ، فلما أمر بالسجود، كان منه الذي كان . وقال عليه السلام: لما خلق الله آدم قبل ان ينفخ فيه الروح ، كان إبليس يمرّ به فيضربه برجله ويقول إبليس : لأمر ما خلقت ؟

وقال السيد ابن طاوس في كتاب سعد[1] السعود: من صحائف ادريس النبي عليه السلام، خلق الله آدم على صورته التي صوّرها في اللوح المحفوظ . يقول علي بن طاوس: فأسقط بعض

(١) طبع في المطبعة الحيدرية في النجف الاشرف .

المسلمين بعض هذا الكلام . وقال : ان الله خلق آدم على صورته ، فاعتقد الجسم ، فاحتاج المسلمون الى تأويل الحديث .

وقال في الصحف : ثم جعل طينة آدم جسداً ملقى على طريق الملائكة ، التي تصعد فيه الى السماء ، اربعين سنة ، ثم ذكر تناسل الجن وفسادهم وهروب إبليس منهم الى الله، وسأله ان يكون مع الملائكة ، وأجابه سؤاله وما وقع من الجن، حتى امر الله إبليس ان ينزل مع الملائكة لطرد الجن ، فنزل وطردهم من الارض التي افسدوا فيها ، الى اخر كلامه .

واعلم انهم ذكروا في اخبار الملائكة عن الفساد وجوهاً ، منها :

انهم قالوا ذلك ظناً لما رأوا من حال الجن ، الذين كانوا قبل آدم في الارض ، وهو المروي عن ابن عباس ، وفي اخبارنا إرشاد اليه .

ومنها انهم علموا انه مركّب من الاركان المتخالفة ، واخلاط المتنافية الموجبة للشهوة ، التي منها الفساد ، والغضب منه سفك الدماء .

ومنها: انهم قالوا ذلك على اليقين، لما يروي ابن مسعود وغيره،انه تعالى لما قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة، قال : ربنا وما يكون الخليفة ؟ قال : تكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ، ويقتل بعضهم بعضاً . فعند ذلك قالوا : ربنا أتجعل فيها الخ ...
ومنها انه تعالى كان قد اعلم الملائكة ، انه اذا كان في الارض خلق عظيم افسدوا فيها وسفكوا الدماء .

ومنها انه لما كتب القلم في اللوح المحفوظ ما هو كائن الى يوم القيامة ، فلعلهم طالعوا اللوح فعرفوا ذلك .

ومنها ان الخليفة اذا كان معناه النائب عن الله في الحكم والقضاء والاحتياج ، إنما يكون عند التنازع واختلال النظام ، كان الاخبار عن وجود الخليفة اخباراً عن وقوع الفساد والشر بطريق الالتزام .

ومنها ان الله سبحانه لما خلق النار خافت الملائكة خوفاً شديداً فقالوا : لمن خلقت هذه النار ؟ قال لمن عصاني من خلقي، ولم يكن يومئذ خلق غير الملائكة . فلما قال : اني جاعل في الارض خليفة عرفوا ان المعصية منهم وقد جوز الحشوية صدور الذنب من الملائكة ، وجعلوا اعتراضهم هذا على الله ، من اعظم الذنوب ، ونسبه بني ادم الى القتل والفساد من الكبائر ، لأنه غيبة لهم ، ولأنهم مدحوا انفسهم بقولهم : ونحن نسبح بحمدك وهو عجب . وأيضاً قولهم : لا علم لنا إلا ما علمتنا ، اعتذار والعذر دليل الذنب .

وأيضاً قوله : ان كنتم صادقين ، دل على انهم كانوا كاذبين فيما قالوه .

والجواب عن هذا كله ظاهر وهو ان ليس غرضهم الاعتراض ، بل السؤال عما خفي

عليهم من وجه الحكمة ، وليس لمن لم يوجد غيبة .

وفي كتاب قصص الراوندي عن مقاتل بن سليمان ، قال سألت ابا عبدالله عليه السلام ، كم كان طول آدم عليه السلام حين هبط به الى الارض،وكم كان طول حواء؟ قال : وجدنا في كتاب علي عليه السلام ، ان الله عز وجل لما اهبط آدم وزوجته حواء الى الارض ، كانت رجلاه على ثنية الصفا ، ورأسه دون افق السماء . وأنه شكى الى الله ما يصيبه من حر الشمس فصير طوله سبعين ذراعاً بذراعه ، وجعل طول حواء خمسة وثلاثين ذراعاً بذراعها.

وفي الكافي بعد قوله من حر الشمس ، فأوحى الله الى جبرئيل عليه السلام ، ان آدم قد شكى ما يصيبه من حر الشمس فأغمزه غمزة ، وصير طوله سبعين ذراعاً بذراعه ، وأغمز حواء فصير طولها خمسة وثلاثين ذراعاً بذراعها .

اقول : هذا الحديث ، عده المتأخرون من مشكلات الاخبار لوجهين .

الاول: ان طول القامة كيف يصير سبباً للتضرر بحر الشمس مع ان حرارة الشمس، إنما تكون بالانعكاس من الاجرام الارضية وحده اربعة فراسخ في الهواء .

الثاني: ان كونه (ع) سبعين ذراعاً بذراعه ، يستلزم عدم استواء خلقته ، وانه يتعسر عليه كثير من الاعمال الضرورية . واجيب الاول بوجهين :

احدهما : ان يكون للشمس حرارة من غير جهة الانعكاس ايضاً ، وتكون قامته عليه السلام طويلة جداً ، بحيث تتجاوز الطبقة الزمهرية ، ويتأذى من تلك الحرارة ويؤيده حكاية ابن عناق انه كان يشوي بعين الشمس .

الثاني: انه كان لطول قامته لا يمكنه الاستظلال ببناء ، ولا شجر ، ولا جبل . فلا يمكنه الاستظلال ولا الجلوس تحت شيء ، فكان يتأذى من حرارة الشمس لذلك .

واما الجواب عن الثاني ، فمن وجوه اكثرها فيه من التكلف ما اوجب الاعراض عن ذكره ، لبعده عن لفظ الحديث ومعناه .

واما الوجوه القريبة ، فمنها ما ذكره بعض الافاضل، من ان استواء الخلقة ليس منحصراً فيما هو معهود الآن ، فان الله تعالى قادر على خلق الانسان على هيئات اخر ، كل منها فيه استواء الخلقة . وذراع آدام عليه السلام ، يمكن ان يكون قصيراً مع طول العضد وجعله ذا مفاصل ، او ليناً بحيث يحصل الارتفاق به والحركة كيف شاء .

ومنها ما روى عن شيخنا بهاء الدين طاب ثراه ، من ان في الكلام استخداماً بأن يكون المراد بآدام حين ارجاع الضمير اليه ، آدم ذلك الزمان من اولاده ، ولا يخفي بعده وعدم جريانه في حواء إلا بتكلف .

ومنها ما قاله شيخنا المحدث سلمه الله تعالى ، وهو ان اضافة الذراع اليهما على التوسعة

والمجاز ، بأن نسب ذراع صنف آدم اليه وصنف حواء اليها ، او يكون الضميران راجعين الى الرجل والمرأة بقرينة المقام .

ومنها ان الباء في قوله بذراعه للملابسة ، أي كما قصر من طوله قصر من ذراعه لتناسب الاعضاء ، وإنما خص الذراع لأن جميع الاعضاء داخلة في الطول ، بخلاف الذراع . والمراد بالذراع في قوله سبعين ذراعاً إما ذراع من كان في زمن آدم ، او ما كان في زمن من صدر عنه الخبر .

والأوجه عندي هو الوجه الاول وذلك لأن استواء الخلقة إنما يكون بالنسبة الى اغلب انواع ذلك العصر، والشائع في ذلك العصر . روى ان موسى (ع) ارسل نقباء الاثني عشر ليأتوا له بخبر العمالقة حتى يغزوهم ، فلما قربوا من بلادهم رآهم رجل من العمالقة ، فوضع الاثني عشر رجلاً في طرف كمه وحملهم الى سلطانهم وصبهم بين يديه، وقال: هؤلاء من قوم موسى، أتأمرني ان اضع رجلي عليهم اقتلهم ؟ فقال اتركهم يرجعون الى صاحبهم ويخبرونه بما يرون، فطلبوا منه زاداً للطريق فأعطاهم رمانة على ثور، نصفها خال من الحب يضعونه فوق النصف الآخر الذي يأكلون منه ، وفي الليل ينامون في النصف الخالي، فهو في الليل منام وفي النهار غطاء ، وكان قوم موسى بالنسبة اليهم غير مستوى الخلقة وكذا العكس . على ان الاخبار الواردة بصفات حور العين وولدان الجنة ، وأكثر ما ورد فيها لو وجد في الدنيا لكان بعيداً عن استواء الخلقة .

الفصل الثاني

في سجود الملائكة وله معناه وانها أية جنة كانت ؟ ومعنى تعليمه الاسماء

قال الله تعالى: وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، فسجدوا إلا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين .

وقال عز شأنه ما منعك ان لا تسجد إذ امرتك ؟ قال : انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين. وقال : فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم ، وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين .

وقال عز جلاله: رب فانظرني الى يوم يبعثون، قال: فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم.

وقوله : فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن امر ربه .

في مجمع البيان روي عن ابن عباس ، ان الملائكة كانت تقاتل الجن فسبي إبليس ، وكان صغيراً . وكان مع الملائكة ، فتعبد معها بالامر بالسجود لآدم فسجدوا وأبى ، فلذلك قال الله تعالى : (إلا ابليس كان من الجن) .

وروي عن طاوس ومجاهد ان ابليس كان قبل ان يرتكب المعصية ، ملكاً من الملائكة اسمه عزرائيل وكان من سكان الارض وكان سكان الارض من الملائكة يسمون الجن ، ولم يكن من الملائكة أشد اجتهاداً ولا أكثر علماً منه ، فلما عصى الله لعنه وجعله شيطاناً وسماه ابليس ، وكان من الكافرين في علم الله .

قال ابن عباس : اول من قاس ابليس فأخطأ القياس ، فمن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله بإبليس .

وقوله : أنظرني الى يوم يبعثون ، يعني يخرجون من قبورهم للجزاء ، أراد الخبيث ان لا يذوق الموت في النفخة الاولى ، وأجيب بالإنظار الى يوم الوقت المعلوم ، وهي النفخة الاولى ليذوق الموت بين النفختين وهو اربعون سنة .

وقوله : فبما اغويتني ، اي خيبتني من رحمتك ، وجنتك ، وامتحنتني بالسجود لآدم ، فغويت عنده او حكمت بغوايتي . وهذا كله تأويل ، والظاهر انه كان يعتقد ان الإضلال عن الله تعالى وهو من جملة اعتقاداته الخبيثة .

وتعجبني مقالة حكيتها في كتاب زهر الربيع [١] ، وهي اني تباحثت مع علماء الجمهور فانتهى الحال الى قوله ان الشيطان كان من اهل العلم ، فما مذهبه ؟ فقلت : انه كان في الاصول من الأشاعرة وفي الفروع من ... فتعجب من قولي ، فقال : وما الدليل ؟ قلت : اما الاول فقوله فبما اغويتني فنسب الاضلال والاغواء الى الله تعالى، وهذا هو مذهب الجبرية من الأشاعرة .

وأما الثاني فعمله بالقياس في قوله : انا خير منه ، خلقتني من نار وخلقته من طين ، فعمل بقياس الاولوية زعماً منه ان السجود إنما يكون للأشرف الأفضل ، وهو بزعمه أفضل من آدم لأنه مخلوق من النار وهي أشرف من الطين .

والحاصل ان مذهب الشيطان أفضل من مذهب (...) لأنه يعمل بقياس الاولوية وأبو (...) كان يعمل بقياس المساواة الذي هو أضعف القياسات وأردؤها .

وقوله : ثم لآتينهم من بين أيديهم ، روى ابو جعفر عليه السلام ، قال : ثم لآتينهم من

---

(١) المطبوع في المطبعة الحيدرية في النجف الاشرف الاول والثاني .

بين أيديهم ، معناه أهون عليهم أمر الآخرة ، ومن خلفهم آمرهم بجمع الاموال والبخل بها عن الحقوق ، لتبقى لورثتهم . وعن ايمانهم أفسد عليهم أمر دينهم بتزيين الضلالة ، وتحسين الشبهة . وعن شمائلهم بتحبب اللذات اليهم وتغليب الشهوات على قلوبهم .

وفي كتاب الخرايج في حديث طويل عن ابي محمد العسكري عليه السلام ، وفيه انه لا احد من محب علي عليه السلام ، نظف قلبه من قذر الغش والدغل والغل ونجاسة الذنوب ، إلا لكان اطهر وأفضل من الملائكة .

وفي جواب مسائل الزنديق ، عن ابي عبدالله عليه السلام، انه سئل أيصلح السجود لغير الله؟ قال : لا . قال : فكيف أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ؟ فقال : ان من سجد بأمر الله ، فكان سجوده إذ كان عن أمر الله .

وفي حديث آخر عنه عليه السلام ، سجدت الملائكة لآدم ووضعوا جباههم على الأرض تكرمة من الله .

وعن ابي الحسن الثالث عليه السلام ، ان السجود من الملائكة لآدم لم يكن لآدم ، إنما كان طاعة لله ومحبة منهم لآدم .

وفي الخرايج عن موسى بن جعفر ، عن آبائه عليهم السلام ، ان يهودياً سأل امير المؤمنين عليه السلام ، عن معجزة النبي صلى الله عليه وآله في مقابلة معجزات الانبياء ، فقال : هذا آدم أسجد الله له ملائكته ، فهل فعل بمحمد صلى الله عليه وآله شيئاً من هذا ؟ فقال علي عليه السلام : لقد كان ذلك ، ولكن أسجد الله لآدم ملائكته لم يكن سجود طاعة ، انهم عبدوا آدم من دون الله عز وجل ، ولكل اعترافاً لآدم بالفضيلة ورحمة من الله له ، ومحمد عليه السلام اعطى ما هو افضل من هذا ، ان الله جل وعلا صلى عليه في جبروته والملائكة بأجمعها ، وتعبد المؤمنون بالصلاة عليه فهذه زيادة له يا يهودي .

اقول اتفق علماء الاسلام على ان ذلك السجود لآدم عليه السلام ، لم يكن سجود عبادة ، وإلا لحصل الشرك لكنهم ذكروا فيه أقوالاً .

الاول ان ذلك السجود كان لله تعالى ، وآدم عليه السلام كان قبلة ، وهو قول ابي علي الجبائي وجماعة .

الثاني ان السجود في اللغة هو الانقياد والخضوع ، فهذا هو السجود لآدام .

ويبعده مع انه خلاف التبادر ، قوله تعالى (فقعوا له ساجدين) وكذلك الحديث السابق الثالث ، ان السجود كان تعظيماً لآدم عليه السلام وتكرمة ، وهو في الحقيقة عبادة لله تعالى

لكونه بأمره، وهذا هو الأظهر من الاخبار. وقال علي بن ابراهيم طاب ثراه، ان الاستكبار اول معصية عصى الله بهـا قال إبليس : يا رب اعفني من السجود لآدم وأنا اعبدك عبادة لم يعبدكها ملك مقرب ، ولا نبي مرسل . فقال الله تعالى : لا حاجة لي الى عبادتك ، إنما اريـد من حيث اريد لا من حيث تريد ، فأبى ان يسجد فقال الله تعالى : اخرج منها فإنك رجيم قال إبليس : كيف يا رب وأنت العدل الذي لا تجور؟ فثواب عملي بطل؟ قال: لا . ولكن سلني من أمر الدنيا مـا شئت ثواباً لعملك اعطك . فأول ما سأل البقاء الى يوم الدين، فقال الله تعالى: قد اعطيتك، قال : سلطني على ولد آدم، قال: سلطتك. قال: اجرني فيهم مجرى الدم في العروق . قال : قد اجريتك. قال: لا يولد لهم واحد إلا ولد لي اثنان، وأراهم ولا يروني، وأتصور لهم في كل صورة شئت. فقال: قد اعطيتك. قال: يا رب زدني. قال : لقد جعلت لك ولذريتك صدورهم اوطاناً. قال : رب حسبي. قال إبليس عند ذلك: فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ، ثم لاتينهم من بين أيديهم الآية .

قال ابو عبدالله عليه السلام ، لما اعطى الله تبارك وتعالى إبليس ما اعطاه من القوة ، قال آدم عليه السلام : يا رب سلطت إبليس على ولدي وأجريته فيهم مجرى الدم في العروق ، وأعطيته ما اعطيته، فما لي وولدي ؟ فقال: لك ولولدك السيئة بواحدة والحسنة بعشرة أمثالها قال : يا رب زدني قال التوبـة مبسوطة الى ان تبلغ النفس الحلقوم قال : يا رب زدني قال : اغفر ولا أبالي قال : حسبي .

قال : جعلت فداك بماذا استوجب إبليس من الله ان اعطاه مـا اعطاه ؟ فقال : بشيء كان منه شكره الله تعالى عليه قلت وما كان منه جعلت فداك ؟ قال : ركعتين ركعها في السماء في اربعة آلاف سنة .

اقول وفي نهج البلاغة من قوله عليه السلام ، انه صلى ركعتين في السماء في ستة آلاف سنة لا يدري امن سني الدنيا ام سني الآخرة ، وعلى هـذا فلو كان من سني الآخرة لبلغ من السنين شيئاً كثيراً .

واعلم ان جماعة من الصوفيه قد شكروا لإبليس إباءه عن السجود لآدم قالوا انـه أراد اختصاص السجود بالله تعالى ، فسموه من أجل هـذا سيد الموحدين عليه وعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

وفي كتاب فضائل الشيعة للصدوق طاب ثراه باسناده عن ابي سعيد الخدري، قال : كنا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، إذ أقبل اليـه رجل فقال يا رسول الله اخبرني عن قول الله

عز وجـل لإبليس (استكبرت ام كنت من العالين) فمن هم يا رسول الله الذين هم أعلى من الملائكة ؟ فقـال رسول الله ﷺ : انا وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، كنا في سرادق العرش ، نسبح وتسبح الملائكة بتسبيحنا ، قبل ان خلق الله عز وجل آدم بألفي عام ، فلما خلق الله عز وجل آدم ، أمر الملائكة ان يسجدوا له ، ولم يأمرنا بالسجود، فسجد الملائكة كلهم إلا إبليس، فقال الله تبارك وتعالى (استكبرت ام كنت من العالين) ، من هؤلاء الخمس المكتوبة اسماؤهم في سرادق العرش ؟ وعنه ﷺ قال : إنما كان لبث آدم وحواء في الجنة، حتى اخرجا منها سبع ساعات من أيام الدنيا ، حتى أهبطهما الله من يومهما ذلك . وفي كتاب علل الشرايع ، عن وهب قال : لما أسجد الله الملائكة لآدم عليه السلام وأبى إبليس ان يسجد، قال له ربـه عز وجل : أخرج منها ، ثم قال عز وجل : يا آدم انطلق الى هؤلاء الملإ من الملائكة ، فقل : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فسلم عليهم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، فلما رجع الى ربـه قال له ربه تبارك وتعالى : هذه تحيتك وتحية ذريتك من بعدك فيما بينهم الى يوم القيامة .

علل الشرائع مسنداً الى الصادق عليه السلام ، قال : سألته عن جنة آدم ، فقال : جنة من جنان الدنيا تطلع منها الشمس والقمر ، ولو كانت من جنان الخلد ما خرج منها ابداً .

وروى علي بن ابراهيم مثله ايضاً . وقد وقع الاختلاف بين علماء المسلمين في ان جنة آدم عليه السلام، هل كانت في الارض ام في السماء ؟ وعلى الثاني هل هي جنة الخلد والجزاء ام غيرها؟ ذهب اكثر المفسرين وجمهور المتعلمة الى انها جنة الخلد ، وهو ظاهر اكثر علمائنا رضوان الله عليهم .

وقال ابو هاشم جنة من جنان الدنيا غير جنة الخلد ، وذهب طائفة من علماء المسلمين الى انها بستان من بساتين الدنيا في الارض كما دلّ عليه الخبر .

احتج الأولون بالتبادر وعهدية الالف واللام ولا يخفى ما فيه .

واحتجت الفرقة الثانية بأن الهبوط ، يدل على الاهباط من السماء الى الارض ، وليست بجنة الخلد لأن من دخلها خلد فيها فلزم المطلوب .

والجواب الانتقال من ارض الى ارض اخرى ، يسمى هبوطاً كقوله تعالى اهبطوا مصر.

واحتج القائلون بأنها من بساتين الدنيا بأن جنة الخلد لا يخرج داخلها ولا يفنى نعيمها .

وأجيب عنه بأنه إنمـا يمكن بعد الدخول والاستقرار . وذكروا في الكتب الكلامية ،

دلائل متكثرة على ما ساروا اليه . وهذان الخبران يعارضهما ظواهر الآيات ، والاخبار مع إمكان حملهما على التقية .

وعن جميل بن دراج قال سألت ابا عبدالله عليه السلام: أكان إبليس من الملائكة ام من الجن؟ قال : كانت الملائكة ترى انه منها و كان الله يعلم انه ليس منها ، فلما امر بالسجود كان منه الذي كان .

اقول اختلف علماء الاسلام في ان إبليس ، هل كان من الملائكة ام لا ؟ فأكثر المتكلمين وكثير من علمائنا كالشيخ المفيد طاب ثراه ، على انه لم يكن من الملائكة بل كان من الجن. قال : وقد جاءت الاخبار متواترة عن ائمة الهدى سلام الله عليهم ، وهو مذهب الامامية ، وذهبت طائفة الى انه من الملائكة ، واختاره شيخ الطائفة في التبيان ، قال : وهو المروي عن ابي عبدالله عليه السلام ، والظاهر في تفاسيرنا .

ثم اختلفت الطائفة الأخيرة .

فقيل انه كان خازناً للجنان .

وقيل كان له سلطان السماء وسلطان الأرض .

وقيل كان يسوم ما بين السماء والأرض ، وما صار اليه المفيد طاب ثراه ، هو مدلول الأحاديث المستفيضة، والعياشي مسنداً الى أمير المؤمنين عليه السلام ، انه قال: أول بقعة عُبد الله عليها ظهر الكوفة ، لما أمر الملائكة ان يسجدوا لآدم ، سجدوا على ظهر الكوفة . وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام ، قال : ان الله لما امتحن الحسين عليه السلام . ومن معه بالعسكر الذين قتلوه وحملوا رأسه ، قال لعساكره : أنتم في حل من بيعتي ، فالحقوا بعشائركم . وقال لأهل بيته : قد جعلتكم في حل من مفارقتي فإنكم لا تطيقونهم لتضاعف أعدادهم . وما المقصود غيري فدعوني والقوم ، فإن الله يعينني كعادته في اسلافنا فأما عسكره ففارقوه .

وأما أهله الأدنون فأبوا وقالوا : لا نفارقك . فقال لهم : فإن كنتم قد وطنتم أنفسكم على ما وطنت نفسي عليه ، فاعلموا ان الله انما يهب المنازل الشريفة لعباده باحتمال المكاره ، وان الله خصني مع من مضى من اهلي ، الذين انا آخرهم بقاءً في الدنيا ، من الكرامات بما يسهل معها احتمال المكروهات ، وان لكم شطر ذلك من كرامات الله تعالى ، واعلموا ان الدنيا حلوها ومرها حلم ، والانتباه في الآخرة ، أولاً أحدثكم بأول أمرنا ؟ قالوا : بلى يابن رسول الله . قال : ان الله تعالى لما خلق آدم علمه أسماء كل شيء وعرضهم على الملائكة ،

جعل محمداً وعلياً وفاطمة والحسن والحسين أشباحاً خمسة في ظهر آدم، وكانت أنوارهم تضيء في آفاق السموات ، والحجب والجنان والكرسي والعرش ، فأمر الله الملائكة بالسجود لآدم تعظيماً له، انه قد فضله بأنه جعله وعاءً لتلك الأشباح التي عمت أنوارها في الآفاق، فسجدوا إلا إبليس أبى ان يتواضع لأنوارنا أهل البيت وقد تواضعت الملائكة .

وفي حديث علي بن الحسين ، أن آدم نظر الى ذروة العرش ، فرأى نور أشباحنا ، فقال الله تعالى : يا آدم هذه الأشباح أفضل خلائقي، وعرفه أسماءهم وقال : بهم آخذ وبهم أعطي وبهم أعاقب ، وبهم أثيب ، فتوسل بهم يا آدم ، وإذا دهتك داهية ، فاجعلهم إليّ شفعاءك فإني آليت على نفسي لا أرد لهم سائلاً ، فلذلك حين نزلت منه الخطيئة ، دعا الله عز وجل بهم فتاب عليه .

وعن اسحاق بن جرير ، قال ابو عبدالله عليه السلام : اي شيء يقول اصحابك في قول إبليس (خلقتني من نار وخلقته من طين)؟ قلت : جعلت فداك قد قال : وذكره الله في كتابه . قال : كذب يا اسحاق ، ما خلقه الله إلا من طين ، ثم قال : قال الله الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا انتم منه توقدون ، خلقه الله من تلك النار ، من تلك الشجرة والشجرة أصلها من طين .

علي بن ابراهيم باسناده الى الصادق عليه السلام ، في قول الله تبارك وتعالى الى يوم الوقت المعلوم ، يوم يذبحه رسول الله صلى الله عليه وآله على الصخرة التي في بيت المقدس .

اقول يشير الى ان انظاره الى يوم خروج القائم عليه السلام ، وهو القيامة الصغرى والاخبار المستفيضة دالة عليه .

الفصل الثالث

في ان ذنبه كان ترك الأولى وكيفية قبول توبته والكلمات التي تلقاها من ربه وكيفية نزوله من الجنة وحزنه عليها

في كتاب النبوة ، ان الله تعالى خلق آدم من الطين ، وخلق حواء من آدم، فهمة الرجال الماء والطين، وهمة النساء الرجال، وفي العلل والأمالي مسنداً الى الحسن بن علي عليهما السلام، قال:

جاء نفر من اليهود الى رسول الله ﷺ ، فسألوه عن مسائل فقالوا : أخبرنا عن الله لأي شيء وقّت هذه الصلوات الخمس في خمس مواقيت على أمتك في ساعات الليل والنهار ؟ فأجاب الى أن قال : وأما صلاة العصر ، فهي الساعة التي اكل فيها من الشجرة ، فأخرجه الله من الجنة ، فأمر الله ذريته بهذه الصلاة الى يوم القيامة ، واختارها لأمتي ، فهي من أحب الصلوات الى الله عز وجل ، وأوصاني ان احفظها من بين الصلوات . وأما صلاة المغرب ، فهي الساعة التي تاب الله فيها على آدم ، وكان بين ما اكل من الشجرة وبين ما تاب الله عليه ثلاثمائة سنة من ايام الدنيا ، وفي ايام الآخرة يوم كألف سنة من وقت صلاة العصر الى العشاء ، فصلى آدم ثلاث ركعات ، ركعة لخطيئته ، وركعة لخطيئة حواء وركعة لتوبته فافترض الله عز وجل هذه الثلاث ركعات ، على أمتي . ثم قال : فاخبرني لأي شيء توضأ هذه الجوارح الاربع وهي أنظف المواضع في الجسد ؟ وقال النبي ﷺ : لما ان وسوس الشيطان الى آدم ودنا من الشجرة ونظر اليها ، ذهب ماء وجهه . ثم قام وهو أول قدم مشت الى الخطيئة . ثم تناوله بيده ثم مسها فأكل منها فطار الحلي والحلل عن جسده ، ثم وضع يده على رأسه وبكى فلما تاب الله عليه ، فرض الله عليه وعلى ذريته الوضوء ، على الجوارح الاربع ، وأمره ان يغسل الوجه ، لما نظر الى الشجرة وأمره ان يغسل الساعدين الى المرفقين ، لما تناوله منها ، وأمره ان يمسح القدمين ، لما مشى الى الخطيئة . ثم قال : أخبرني لأي شيء فرض الله الصوم على أمتك بالنهار ثلاثين يوماً وفرض الله على آدم اكثر من ذلك ؟ قال النبي ﷺ : لما أكل آدم من الشجرة ، بقي في بطنه ثلاثين يوماً ، وفرض الله على ذريته ثلاثين يوماً الجوع والعطش ، والذي يأكلونه تفضل من الله عز وجل عليهم ، وكذلك كان على آدم ففرض الله على أمتي ذلك . ثم تلا رسول الله ﷺ : (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً معدودات) .

تفسير علي بن ابراهيم عن ابن أبي عمير عن ابن مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : ان موسى عليه السلام سأل ربه ان يجمع بينه وبين آدم عليه السلام ، فجمع فقال له موسى : يا أبت ألم يخلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأمرك ان لا تأكل من الشجرة ، فلم عصيته ؟ قال يا موسى : بكم وجدت (حل على) قبل خلقي في التوراة ، قال : بثلاثين سنة . قال : فهو نسلك . قال الصادق عليه السلام . فحج آدم موسى عليهما السلام .

أقول وجد ان الخطيئة قبل الخلق ، أما في عالم الأرواح كما قيل بأن تكون روح موسى عليه السلام اطلعت على ذلك في اللوح ، أو المراد أنه وجد في التوراة ان تقدير خطيئة آدم عليه السلام كان قبل خلقه بثلاثين سنة . وفي الأخبار دلالة عليه ، وقوله فحج أي غلبه في الحجة .

وهذا من فروع مسألة القضاء والقدر ، وراجع الى العلم القديم ، وهي المعركة الكبرى ، بين علماء الإسلام ، وضل به خلق كثير ، وطوائف لا تحصى فوردوا النار بهاتين المسألتين .

وعنه عليه السلام ، لما خرج آدم من الجنة ، نزل عليه جبرئيل عليه السلام ، فقال : يا آدم أليس الله خلقك بيده ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك الملائكة وزوجك حواء أمته وأسكنك الجنة وأباحها لك ونهاك مشافهة ان لا تأكل من الشجرة ؟ فأكلت منها وعصيت الله . فقال آدم عليه السلام : ان إبليس حلف لي بالله ، أنه لي ناصح فما ظننت ان احداً من خلق الله يحلف بالله كاذباً .

معاني الأخبار وعيون الأخبار بإسناده الى الهروي ، قال : قلت للرضا عليه السلام ، يا بن رسول الله ! أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم وحواء ، ما كانت ؟ فقد اختلف الناس فيها . فمنهم من يروي انها الحنطة ، ومنهم من يروي انها العنب ، ومنهم من يروي انها شجرة الحسد .

فقال: كل ذلك حق . قلت : فما معنى هذه الوجوه على اختلافها ؟ فقال : يا أبا الصلت! ان شجرة الجنة تحمل انواعاً ، فكانت شجرة الحنطة وفيها عنب وليست كشجرة الدنيا ، وان آدم عليه السلام ، لما أكرمه الله تعالى ذكره ، بإسجاد ملائكته وبإدخاله الجنة ، قال في نفسه: هل خلق الله بشراً افضل مني ؟ فعلم الله عز وجل ما وقع في نفسه ، فناداه : ارفع رأسك يا آدم! فانظر الى ساق عرشي ، فرفع آدم رأسه فنظر الى ساق العرش ، فوجد عليه مكتوباً « لا إله إلا الله محمد رسول الله علي بن ابي طالب امير المؤمنين وزوجته فاطمة سيدة نساء العالمين والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » . فقال آدم عليه السلام : يا رب مَن هؤلاء ؟ فقال عز وجل : من ذريتك وهم خير منك ، ومن جميع خلقي ولولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنة والنار ولا السماء والأرض ، فإياك ان تنظر اليهم بعين الحسد ، وتمنى منزلتهم فتسلط الشيطان عليه حتى أكل من الشجرة التي نهي عنها ، وتسلط على حواء لنظرها الى فاطمة عليها السلام بعين الحسد ، حتى أكلت من الشجرة كما أكل منها آدم ، فأخرجهما الله عز وجل عن جنته وأهبطهما عن جواره الى الأرض .

أقول : اختلفوا في الشجرة التي ورد النهي عنها ، فقيل : كانت السنبلة .

ورووه عن ابن عباس ، ويدل عليه بعض الأخبار ، وقيل : هي الكرمة ، وقيل : شجرة الكافور .

وقيل التينة ، وقيل شجرة العلم ، علم الخير والشر ، وقيل هي شجرة الخلد ، التي كانت

تأكل منها الملائكة ، والكل مروي في الأخبار . وهذه الرواية تجمع بين الروايات ، وأكثر الأقوال . وسيأتي ما هو أجمع للأقوال والأخبار . والمراد بالحسد هنا ، الغبطة التي تركها هو الأولى . وقوله : وتمنى منزلتهم ، دال عليه ، وحينئذ فمعنى شجرة الحسد الشجرة التي كان سبب الاكل منها الحسد .

علل الشرائع بإسناده الى الباقر عليه السلام ، قال : لولا أن آدم أذنب ، ما أذنب مؤمن ابداً ولولا ان الله عز وجل تاب على آدم ، ما تاب على مذنب ابداً .

وفيه عن ابي عبيد الله عليه السلام ، لما اهبط الله آدم من الجنة ، ظهرت فيه شامة سوداء في وجهه ، من قرنه الى قدمه ، فطال حزنه وبكاؤه على ما ظهر به ، فأتاه جبرئيل عليه السلام ، فقال : ما يبكيك يا آدم ؟ قال : لهذه الشامة التي ظهرت بي ، قال : قم فصل فهذا وقت الأولى ، فقام فصلى فانحطت الشامة الى صدره ، فجاءه في الصلوة الثانية ، فقال : يا آدم قم فصل ، فهذه وقت الصلوة الثانية ، فقام فصلى فانحطت الشامة الى سرته ، فجاء في الصلوة الثالثة فقال : يا آدم قم فصل فهذا وقت الصلوة الثالثة ، فقام فصلى فانحطت الشامة الى ركبتيه ، فجاءه في الصلوة الرابعة فقال : يا آدم قم فصل فهذا وقت الصلوة الرابعة ، فقام فصلى فانحطت الشامة الى رجليه ، فجاءه في الصلوة الخامسة ، فقال : آدم قم فصل فهذا وقت الصلوة الخامسة ، فقام فصلى فخرج منها فحمد الله وأثنى عليه ، فقال جبرئيل عليه السلام : يا آدم مثل ولدك في هذه الصلاة كمثلك في هذه الشامة ، من صلى من ولدك في كل يوم وليلة خمس صلوات خرج من ذنوبه كما خرجت من هذه الشامة .

وفيه أنه سأل الشامي أمير المؤمنين عليه السلام : لم صار الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين ؟ قال : من قبل السنبلة كان عليها ثلاث حبات ، فبادرت اليها حواء فأكلت منها حبة وأطعمت آدم حبتين فمن أجل ذلك ورث الذكر مثل حظ الانثيين .

وفيه عن ابي عبد الله عليه السلام : كيف صار الميراث للذكر مثل حظ الانثيين ؟ قال : لأن الحبات التي أكل منها آدم وحواء في الجنة كانت ثمانية عشر اكل آدم منها اثنتي عشرة حبة ، وأكلت حواء ستاً ، فلذلك صار الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين .

أقول يجمع بين الخبرين بحمل ما تقدم على أول سنبلة اخذاها ، كذلك حتى صار ثمانية عشر ، او المراد انها كانت على شعبة فيها ثلاث حبات وكانت الشعبة ستة ، وعنه عليه السلام في حديث طويل ، قال فيه : ان آدم جاء من الهند وكان موضع قدميه حيث يطأ عليه العمران وما بين القدم الى القدم صحارى ، ليس فيها شيء ، ثم جاء الى البيت فطاف ، الحديث .

وفي ذلك الكتاب عن ابن مسعود ، وسئل عن ايام البيض مـا سببها ؟ قـال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : ان آدم لما عصى ربه عز وجل ، ناداه مناد من لدن العرش يا آدم اخرج من جواري فإنـه لا يجاورني أحد عصاني فبكى ، وبكت الملائكة. فبعث الله عز وجل اليه جبرئيل ، فأهبطه الى الأرض مسوداً فلما رأته الملائكة ضجت وبكت وانتحبت ، وقالت : يا رب خلقاً خلقته ونفخت فيه من روحك وأسجدت له ملائكتك ، فبذنب واحد حولت بياضه سواداً ؟ فنادى مناد من السماء صم لربك اليوم ، فصام فوافق يوم الثالث عشر من الشهر ، فذهب ثلث السواد . ثم نودي يوم الرابع عشر أن صم لربك فصام ، فذهب ثلثا السواد . ثم نودي في اليوم الخامس عشر بالصيام فصام ، وقد ذهب السواد كله. فسميت ايام البيض التي رد الله فيها على آدم من بياضها. ثم نادى مناد من السماء: يا آدم هذه الثلاثة ايام جعلتها لك ولولدك ، من صامها في كل شهر فإنما صام الدهر . ثم قال فأصبح آدم وله لحية سوداء كالحمم ، فضرب يده اليها فقال: يا رب ما هذه؟ فقال هذه اللحية زينتك بها أنت وذكور ولدك الى يوم القيامة .

معاني الأخبار باسناده الى المفضل قال : قال ابو عبدالله عليه السلام : ان الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة بعدهم صلوات الله عليهم ، فعرضها على السموات والارض والجبال ، فغشيها نورهم ، فقال الله تبارك وتعالى للسموات والأرض والجبال : فهؤلاء حججي على خلقي لهم ، ولمن تولاهم خلقت جنتي ، ولمن خالفهم وعاداهم خلقت ناري ، فمن ادعى منزلتهم مني ومحلهم من عظمتي ، عذبته عذاباً لا أعذبه احـداً من العالمين ، ومن أقر بولايتهم ولم يدّع منزلتهم مني ، جعلته معهم في روضات جناتي ، فولايتهم أمانة عند خلقي ، فأيكم يحملها وبأثقالها يدعيها لنفسه دون خيرتي . فأبت السموات والأرض والجبال ان يحملنها وأشفقن من ادعاء منزلتها ، وتمنى محلها من عظمة ربها ، فلما أسكن الله عز وجل آدم وزوجته الجنة ، قال لهما: كلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة ، يعني شجرة الحنطة فتكونا من الظالمين ، فنظرا الى منزلة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من بعدهم فوجداها أشرف منازل اهل الجنة . فقالا : يا ربنا لمن هذه المنزلة ؟ فقال الله جل جلاله : إرفعا رأسيكما الى ساق العرش ، فرفعا رأسيهما فوجدا اسم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة بعدهم صلوات الله عليهم مكتوبة من ساق العرش ، من نور الجبار جل جلاله ، فقالا : يا ربنا ما أكرم هذه المنزلة عليك . فقال لولاهم لما خلقتكما ؛ إياكما أن تنظرا اليهم بعين الحسد ، وتتمنيا منزلتهم عندي فتدخلا بذلك في نهيي وعصياني فتكونا من الظالمين. قالا: ربنا ومَن الظالمون؟ قال : المدعون لمنزلتهم بغير حق . قالا : ربنا فأرنا منازل ظالميهم في نارك ، حتى نراها كما

رأينا منزلتهم في جنتك . فأمر الله تبارك وتعالى النار ، فأبرزت جميع ما فيها من ألوان العذاب ، فأوحى الله اليهما : يا آدم ويا حواء ! لا تنظرا الى أنوار حججي بعين الحسد ! فأهبطكما عن جواري . فوسوس لهما الشيطان وقاسمهما أني لكما لمن الناصحين . فحملهما على تمني منزلتهم ، فنظرا اليهم بعين الحسد ، فخذلا حتى أكلا من شجرة الحنطة . فعاد مكان ما أكلا شعيراً ، فأصل الحنطة كلها مما لم يأكلاه وأصل الشعير كله مما عاد مكان ما اكلاه ، فلما اكلا من الشجرة طار الحلى والحلل عن أجسادهما ، وبقيا عريانين . فناداهما : ألم أنهكما عن تلك الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين ؟ فقالا : ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . قال : اهبطا من جواري فلا يجاورني في جنتي من يعصيني . فهبطا موكولين الى أنفسهما في طلب المعاش ، فلما أراد الله عز وجل ان يتوب عليهما ، جاءهما جبرئيل عليه السلام ، فقال لهما : انكما ظلمتما انفسكما بتمني منزلة من فضل عليكما فجزاؤكما ما قد عوقبتما بـه من الهبوط من جوار الله عز وجل الى ارضه ، فاسألا ربكما بحق الاسماء التي رأيتموها على ساق العرش ، حتى يتوب عليكما ، فقالا : اللهم إنا نسألك بحق الاكرمين عليك محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والائمة ، الا تبت علينا ورحمتنا ، فتاب الله عليهما . فلم تزل أنبياء الله بعد ذلك ، يحفظون هذه الامانة ويخبرون بهـا اوصياءهم والمخلصين من أمم ، فيأبون حملها ويشفقون من ادعائها وحلها الانسان ، الذي قد عرفت فأصل كل ظلم منه الى يوم القيامة .

وذلك قول الله عز وجل : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان انه كان ظلوماً جهولاً » .

أقول : لا يتوهم ان آدم عليه السلام ، صار يتمنى منزلتهم من الظالمين المدعين لمنزلتهم ، حتى يستحق بذلك أليم النكال فان في عده من الظالمين ، هنا نوعاً من التجوز لأنـه تشبه بهم في التمني ، ومخالفة الامر الندبي لا في ادعـاء المنزلة وغصبها والقتل عليها ، وحمل الأمانة غير حفظها كما يدل عليه قوله ، فلم تزل انبياء الله يحفظون هذه الأمانة ، الى قوله : فيأبون حملها . فالمراد بحملها ادعاؤها بغير حق وغصبها ، وقال الزجّاج : كل مَن خان الأمانة فقد حملها ومن لم يحمل الأمانة فقد أداها ، فآدم عليه السلام لم يكن من الحاملين للأمانة على مـا ذهب اليه بعض المفسرين وفسروا الإنسان بآدم ، وقوله الذي قد عرفت هو الأول ، وهـذا مشهور لا أصل له لأن الثاني كما قال الصادق عليه السلام : سيئة من سيئات الاول ، وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون .

وعن ابن عباس قال : لمـا خلق الله تعالى آدم ونفخ فيه من روحه ، عطس ، فألهمه الله

الحمد لله رب العالمين ، فقال له ربه : يرحمك ربك ، فلما أسجد له ملائكته تداخله العجب ، فقال: يا رب خلقت خلقاً أحب اليك مني؟ فلم يجب ثم قال الثالثة فلم يجب ثم قال الله عز وجل له: نعم لولاهم ما خلقتك، فقال: يا رب فأرينهم، فأوحى الله عز وجل الى ملائكة الحجب أن ارفعوا الحجب، فلما رفعت اذا آدم بخمسة اشباح قدام العرش، فقال: يا رب مَن هؤلاء؟ قال : يا آدم هذا محمد نبي وهذا علي امير المؤمنين ابن عم نبي ووصيه وهذه فاطمة ابنة نبي وهذان الحسن والحسين ابنا علي وولد ابنة نبي ، ثم قال : يا آدم هم ولدك ، ففرح بذلك ، فلما اقترف الخطيئة قال: يا رب أسألك بمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين لما غفرت لي، فغفر الله له بهذا ، فهذا الذي قال الله عز وجل : فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، فلما هبط الى الأرض صاغ خاتماً فنقش عليه : محمد رسول الله وعلي أمير المؤمنين ويكنى آدم بأبي محمد عليه السلام .

معاني الأخبار بإسناده الى الصادق عليه السلام ، قال : لقد طاف آدم عليه السلام بالبيت مائة عام ما ينظر الى وجه حواء، ولقد بكى على الجنة حتى صار على خديه مثل النهرين العظيمين من الدموع . ولقد قام على باب الكعبة ثيابه جلود الإبل والبقر فقال : اللهم اقلني عثرتي واغفر لي ذنبي واعدني الى الدار التي اخرجتني منها فقال الله عز وجل : قد اقلتك عثرتك وغفرت لك ذنبك وسأعيدك الى الدار التي اخرجتك منها .

أقول فيه دلالة على أن الجنة التي اخرج منها هي جنة الخلد لأنها التي سيعود اليها وكذلك الأخبار السابقة ، وما بمعناها الدالة على انه نظر الى منزلة محمد وعلي وإلى انه رآهم مكتوبين على اركان العرش فان العرش سقف لجنة الخلد كما جاء في الحديث، ان الجنة فوق السماء وسقفها العرش والتأويل بالحمل على انها جنة البرزخ التي تأوي ارواح المؤمنين بعيد لما عرفت . وحينئذ فطريق الجمع ما مر من حمل الأخبار الدالة على انها من بساتين الدنيا على التقية .

وفي ذلك الكتاب الحديث عن الصادق عليه السلام .

وفيه ان الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام فتاب عليه، هي النبي وأهل بيته عليهم السلام . ثم قال المفضل فما يعني عز وجل بقوله اتمهن قال : يعني اتمهن الى القائم عليه السلام اثني عشر اماماً تسعة من ولد الحسين عليه السلام .

أقول ورد أن الكلمات هي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية .

وورد ايضاً انها قوله سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك الدعاء .

وورد غيره ايضاً .

والجمع بين الروايات الجمع بينها إلا ان الأصل هو ما روي عن السادة الأطهار صلوات الله عليهم من انها اسماؤهم .

وفي الحديث ان آدم عليه السلام لما كثر ولده وولده كانوا يتحدثون عنده وهو ساكت فقالوا : يا ابة مالك لا تتكلم فقال : يا بني ان الله جلّ جلاله لما اخرجني من جواره عهد إليّ وقال : اقلل كلامك ترجع الى جواري .

قصص الراوندي بإسناده الى ابي جعفر عليه السلام قال : ان آدم عليه السلام نزل بالهند، فبنى الله تعالى له البيت فلما خطا من الهند فكان موضع قدميه حيث خطا عمران وما بين القدم والقدم صحارى .

أقول المشهور في الأخبار عن السادة الاطهار صلوات الله عليهم ان نزول آدم عليه السلام كان على الصفا ونزول حواء على المروة، وهذا الخبر وما روي بمعناه يدل على ان نزولها كان بالهند وحمله بعض اهل الحديث على التقية لأنه المشهور بين العامة ان آدم عليه السلام هبط على جبل في سرنديب يقال له (نود) وحواء هبطت في جدة مع انه يمكن ان يقال ان هبوطها على الصفا والمروة بعد دخولها مكة من اهبطوا مصراً .

العياشي عن مسعده بن صدقة ، عن ابي عبدالله عليه السلام رفعه الى النبي صلى الله عليه وآله ، ان موسى عليه السلام سأل ربه ان يجمع بينه وبين آدم عليه السلام حيث عرج الى السماء في أمر الصلوة . ففعل فقال له موسى : يا أبت انت الذي خلقك الله بيده وأباح لك جنته ثم نهاك عن شجرة واحدة فلم تصبر عنها ، حتى أهبطت إليّ بسببها فلم تستطع ان تضبط نفسك عنها حتى اغراك إبليس فأطعته فأنت الذي اخرجتنا من الجنة بمعصيتك. فقال آدم عليه السلام ارفق بأبيك يا بني فيما لقي من امر هذه الشجرة ، يا بني ان عدوّي واتاني من وجه المكر والخديعة ، فحلف لي بالله انه في مشورته عليّ لمن الناصحين . وذلك انه قال لي منتصحاً : اني لشأنك يا آدم لمغموم قلت : وكيف قال : قد كنت آنست بك وبقربك مني وأنت تخرج مما انت فيه الى ما استكرهه ، فقلت له وما الحيلة ؟ فقال : ان الحيلة هوذا معك أفلا أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فكلا منها انت وزوجك فتصيرا معي في الجنة ابداً من الخالدين وحلف لي بالله كاذباً انه لمن الناصحين . ولم أظن يا موسى ان احداً يحلف بالله كاذباً ، فوثقت بيمينه فهذا عذري ، فاخبرني يا بني هل تجد فيما أنزل الله ان خطئتم كائنة من قبل ان اخلق ، قال له موسى بدهر طويل ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله فحج آدم موسى قال : ذلك ثلاثاً .

أقول أما ان تلك الشجرة شجرة الخلد فهو غير كاذب فيما قاله إلا ان من اكلها أفادته

الخلد في الجنة اذا كان الأكل مباحاً منها يكون مأموراً به ، واذا كان الاكل منهياً عنه ، يكون أثره المترتب عليه ما وقع على آدم من إخراجه من الجنة في ذلك اليوم ، وقوله بدهر طويل يرجع حاصله الى ان الله سبحانه علم بذنب آدم وقدره موافقاً للعلم القديم كما هو حال جميع مقدرات الله سبحانه ومقدراته .

العياشي عن عبد الله بن سنان قال : سئل ابو عبيد الله عليه السلام وأنا حاضر كم لبث آدم عليه السلام وزوجته في الجنة حتى اخرجها منها فقال : ان الله تبارك وتعالى نفخ في آدم روحه بعد زوال الشمس من يوم الجمعة ثم برى زوجته من أسفل أضلاعه ثم أسجد له ملائكته وأسكنه جنته من يوم ذلك فوالله ما استقر ذلك فيها إلا ست ساعات في يومه ذلك حتى عصى الله فأخرجهما الله منها بعد غروب الشمس وما باتا فيها وصيرا بفناء الجنة حتى أصبحا فبدت لهما سوآتهما وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة فاستحى آدم من ربه وخضع وقال : ربنا ظلمنا أنفسنا واعترفنا بذنوبنا فاغفر لنا . قال الله لهما : اهبطا من سمواتي الى الأرض فإنه لا يجاورني في جنتي عاص ولا في سمواتي .

وقال ابو عبد الله عليه السلام ان آدم لما أكل من الشجرة ذكر ما نهاه الله عنها فندم، فذهب ليتنحى من الشجرة فأخذت الشجرة برأسه فجرته اليها ، وقالت له : أفلا كان فرارك قبل ان تأكل مني .

وفي هذا الحديث دلالة على ان تلك الجنة كانت في السماء والظاهر انها شجرة الخلد .

وفي تفسير الامام العسكري عليه السلام : ولا تقربا هذه الشجرة ، شجرة العلم ، شجرة علم محمد وآل محمد آثرهم الله تعالى به على سائر خلقه ، فقال الله تعالى : ولا تقربا هذه الشجرة، شجرة العلم ، فإنها لمحمد وآله خاصة دون غيرهم لا يتناول منها بأمر الله إلا وهم منها ما كان يتناوله النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين ، بعد اطعامهم المسكين واليتيم والأسير ، حتى لم يحسوا بعد بجوع ولا عطش ولا تعب ولا نصب ، وهي شجرة تميزت من بين أشجار الجنة ، ان سائر أشجار الجنة كان كل نوع منها يحمل نوعاً من الثمار المأكول ، وكانت هذه الشجرة وجنسها تحمل : البر والعنب والتين والعناب وسائر أنواع الثمار والفواكه والأطعمة . فلذلك اختلف الحاكمون بذكر الشجرة ، فقال بعضهم : هي برة ، وقال آخرون : هي عنبة ، وقال آخرون : هي عنابة . وقال الله : ولا تقربا هذه الشجرة ، تلتمسان بذلك درجة محمد وآل محمد في فضلهم . فإن الله عز وجل خصهم بهذه الدرجة دون غيرهم ، وهي الشجرة التي من تناول منها بإذن الله ألهم على الأولين

والآخرين من غير تعلم ، ومن تناول بغير إذن الله خاب من مراده وعصى ربه ، فتكونا من الظالمين بمعصيتكما والتماسكما درجة قد أوثر بهـا غيركما ، إذا رمتما بغير حكم الله ، قال الله تعالى : فأزلهما الشيطان عنها ، عن الجنة بوسوسته وغروره ، بأن بدأ بآدم ، فقال : مـا نها كما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين ، إن تناولتما منها تعلمان الغيب وتقدران على ما يقدر عليه من خصه الله تعالى بالقدرة ، أو تكونا من الخالدين لا تموتان أبداً ، وكان إبليس بين لحيي الحية ، أدخلته الحية ، وكان آدم يظن أن الحية هي التي تخاطبه ، ولم يعلم أن إبليس قد اختبأ بين لحييها . فرد آدم على الحية : أيتهـا الحية ، هذا من غرور إبليس ، كيف أروم التوصل الى ما منعني ربي وأتعاطاه بغير حكمه . فلما أيس إبليس من قبول آدم عاد ثانية بين لحيي الحية ، فخاطب حواء من حيث يوهمها أن الحية هي التي تخاطبها ، وقال: يا حواء أرأيت هذه الشجرة التي كان الله حرمها عليكما قد أحلها لكما بعد تحريمها لما عرف من حسن طاعتكما له ، وذلك أن الملائكة الموكلين بالشجرة التي معها الحراب يدفعون عنهـا سائر حيوانات الجنة ، لا يدفعونكما عنها ، ان رمتما فاعلما بذلك أنه قد أحل لكـما ، وأبشري بأنك ان تناولتها قبل آدم كنت انت المسلطة عليه ، الآمرة الناهية فوقه ، فقالت حواء : سوف أجرب هذا ، فرامت الشجرة ، فأرادت الملائكة أن يدفعوها عنها بحرابها ، فأوحى الله اليها إنما تدفعون بحرابكم من لا عقل له يزجره ، وأما من جعلته متمكناً مميـزاً مختاراً فكلوه الى عقله الذي جعلته حجة عليه ، فإن أطاع استحق ثوابي ، وإن عصى وخالف أمري استحق عقابي ، فتركوها ولم يتعرضوا لها بعدمـا هموا بمنعها بحرابهم ، فظنت أن الله نهاهم عن منعها لأنه قد أحلها بعدما حرمها . فقالت : صدقت الحية ، وظنت أن المخاطب بها هي الحية ، فتناولت منها ولم تنكر من نفسها شيئاً . فقالت لآدم عليه السلام : ألم تعلم أن الشجرة المحرمة علينا قد أبيحت لنا ، وتناولت منها ولم تمنعني ملائكتها ولم أنكر شيئاً من حـالي فلذلك اغتر آدم عليه السلام وغلط فتناول فأصابها ما قال الله تعالى في كتابه : فأزلهما الشيطان عنها بغرور ، فأخرجها مما كانا فيه من النعيم ، وقلنا يا آدم ويا حواء ويا أيتها الجنة ويا إبليس ، اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، وآدم وحواء وأولادهمـا (أعداء) للحية وإبليس وأولاده أعداؤكم ولكم في الأرض مستقر للمعاش ومتاع الى حـين الموت ، وكانت الحية من أحسن دواب الجنة ، وهبوطها كان من الجنة وهبوط إبليس من حواليها فإنه كان محرماً عليه دخول الجنة ، الحديث .

أقول اختلف في كيفية وصول إبليس الى آدم وحواء ، حتى وسوس اليهما ، وإبليس كان قد أخرج من الجنة حين أبى السجود وهما في الجنة .

فقيل ان آدم كان يخرج الى باب الجنة وإبليس لم يكن ممنوعاً من الدنو منه ، فكان يكلمه وكان هذا قبل أن يهبط الى الأرض وبعد ان أخرج من الجنة .

وقيل أنه كلمها في الأرض بكلام عرفاه وفهماه منه .

وقيل أنه دخل في شدق الحية وخاطبها من شدقها ، قال صاحب الكامل ان إبليس أراد دخول الجنة فمنعته الخزنة ، فأتى كل دابة من دواب الأرض وعرض نفسه عليها أن تحمله حتى يدخل الجنة ليكلم آدم وزوجته . فكل الدواب أبى عليه ذلك حتى أتى الحية ، وقال لما أمنعك من ابن آدم فأنت في ذمتي إن أدخلتني ، فجعلته ما بين نابين من أنيابها ، ثم دخلت به وكانت راسية على أربع قوائم من أحسن دابة خلقها الله ، كأنها بختية فأعراها الله تعالى وجعلها تمشي على بطنها انتهى .

وقيل راسلها بالخطاب ، وظاهر الآيات تدل على المشافهة ، وورد أن السم الذي في أنياب الحية من مقعد الشيطان فيه ، أما لأنه أثر فيه السم ، أو لأن السم خلق هناك بسببه .

أقول أعظم شبهة الخطئة للأنبياء عليهم السلام ، قصة آدم عليه السلام ، حيث سماه عاص ، بقوله : وعصى آدم ربه فغوى .

وأجاب عنه علم الهدى طاب ثراه ، بأن العصيان مخالفة الأمر أعم من كونه واجباً أو ندباً ، وأطال في تحقيق المقام ، وكل هذا يرجع الى قوله عليه السلام ، حسنات الأبرار سيئات المقربين . وقد حققنا جملة القول في هذه المقالة ، الواردة في الأنبياء والأئمة عليهم السلام في شرحنا [١] على الصحيفة السجادية عند شرح دعاء الإمام علي بن الحسين عليهما السلام إذا استقال من ذنوبه ، وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : رن إبليس أربع رنات ، أولهن يوم لعن وحين أهبط الى الأرض ، وحين بعث محمد صلى الله عليه وآله على حين فترة من الرسل ، وحين أنزلت أم الكتاب ونخر نخرتين حين أكل . يعني آدم من الشجرة وحين أهبط من الجنة .

أقول الرنة الصوت والصياح والنخير ، الصوت من الأنف والأول للحزن والثاني للفرح .

وعنه عليه السلام البكاؤون خمسة : آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وعلي بن الحسين عليهما السلام . فأما آدم فبكى للجنة حتى صار في خديه مثل الأودية .

وفي حديث آخر أنه بكى حتى خرج من إحدى عينيه من الدموع مثل ماء الدجلة ،

---

(١) المطبوع في ايران .

ومن الأخرى مثل ماء الفرات ، وعنه عليه السلام لما أهبط الله عز وجل آدم عليه السلام من الجنة أهبط معه مائة وعشرين قضيباً . منها أربعون ما يؤكل منها داخلها وخارجها . وأربعون منها ما يؤكل داخلها ويرمى خارجها . وأربعون منها ما يؤكل خارجها ويرمى بداخلها . وغرارة فيها بذر كل شيء . والغرارة الجوالق معرب جوال .

علل الشرائع عن بكير بن أعين قال : قال لي ابو عبد الله عليه السلام هل تدري ما كان الحجر ؟ قال : قلت لا . قال كان ملكاً عظيماً من عظماء الملائكة عند الله عز وجل . فلما أخذ الله من الملائكة الميثاق كان أول من آمن به . وأقر ذلك الملك فاتخذه الله أميناً على جميع خلقه فألقمه الميثاق وأودعه عنده.واستعبد الخلق ان يجددوا عنده في كل سنة الإقرار بالعهد والميثاق الذي أخذه الله عليهم . ثم جعله الله مع آدم في الجنة يذكر الميثاق ويجدد عنده لإقرار كل سنة . فلما عصى آدم عليه السلام وأخرج من الجنة أنساه الله العهد والميثاق الذي أخذ الله عليه وعلى ولده لمحمد ووصيه وجعله باهتاً حيراناً . فلما تاب على آدم حول ذلك الملك في صورة درة بيضاء فرماه من الجنة الى آدم وهو بأرض الهند . فلما رآه أنس اليه وهو لا يعرفه بأكثر من أنه جوهرة فأنطقه الله عز وجل . فقال : يا آدم أتعرفني ؟ قال : لا . قال: اجل استحوذ عليك الشيطان فأنساك ذكر ربك. وتحول الى الصورة التي كان بها في الجنة مع آدم عليه السلام . فقال لآدم : أين العهد والميثاق ؟ فوثب اليه آدم وذكر الميثاق وبكى وخضع له وقبله وجدد الإقرار بالعهد والميثاق . ثم حول الله عز وجل جوهر الحجر درة بيضاء صافية تضيء . فحمله آدم على عاتقه إجلالاً له وتعظيماً فكان إذا أعيى عليه حمله عنه جبرئيل عليه السلام حتى وافى به مكة فما زال أنس به بمكة ويجدد له الإقرار كل يوم وليلة . ثم إن الله عز وجل لما أهبط جبرائيل عليه السلام الى أرضه وبنى الكعبة . هبطا الى ذلك المكان بين الركن والباب وفي ذلك الموضع تراءيا لآدم حين أخذ الميثاق . وفي ذلك الموضع ألقم الملك الميثاق فلتلك العلة وضع في ذلك الركن.ونحى آدم من مكان البيت الى الصفا وحواء الى المروة. وجعل الحجر في الركن فكبر الله وهلله ومجده. فلذلك جرت السنّة بالتكبير في استقبال الركن الذي فيه الحجر من الصفا .

وفيه عنه عليه السلام قال أهبط آدم عليه السلام من الجنة الى الصفا وحواء الى المروة. وقد كانت امتشطت في الجنة فلما صارت في الأرض قالت ما أرجو من المشط وأنا مسخوط علي فحلت مشطها فانتشر من مشطها العطر الذي كانت امتشطت به في الجنة فطارت به الريح فألقت أثره في الهند . فلذلك صار العطر بالهند .

وفي حديث آخر انها حلت عقيصتها فأرسل الله عز وجل على ما كان فيها من ذلك الطيب ريحاً فهبت به في المشرق والمغرب .

وفيه عن أمير المؤمنين عليه السلام ان النبي صلى الله عليه وآله سئل مما خلق الله عز وجل الكلب ؟ قال خلقه من بزاق إبليس ، قال : وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال : لما أهبط الله عز وجل آدم وحواء الى الأرض أهبطها كالفرخين المرتعشين فغدا إبليس الملعون الى السباع وكانوا قبل آدم في الارض ، فقال لهم : ان طيرين قد وقعا من السماء لم يرَ الراؤون أعظم منهما تعالوا فكلوهما ، فتعاوت السباع معه وجعل إبليس يحثهم ويصيح بهم ويعدهم بقرب المسافة فوقع من فيه من عجلة كلامه بزاق ، فخلق الله عز وجل من ذلك البزاق كلبين ، أحدهما ذكر والآخر أنثى. فقاما حول آدم وحواء ، الكلبة بجدة والكلب بالهند فلم يتركا السباع ان يقربوهما ومن ذلك اليوم صار الكلب عدو السبع والسبع عدو الكلب .

وفيه عن أبي جعفر عن آبائه عليهم السلام ، قال : ان الله عز وجل أوحى الى جبرئيل عليه السلام أني قد رحمت آدم وحواء فاهبط عليهما بخيمة من خيم الجنة ، فاضرب الخيمة مكان البيت وقواعدها التي رفعها الملائكة قبل آدم. فهبط بالخيمة على مقدار أركان البيت فنصبها وأنزل آدم من الصفا وحواء من المروة ، وجمع بينهما في الخيمة ، وكان عمود الخيمة قضيباً من ياقوت أحمر ، فأضاء نوره جبال مكة ، فامتد ضوء العمود وهو موضع الحرم اليوم ، فجعله الله حرماً لحرمة الخيمة والعمود لأنهما من الجنة ، ومدت أطناب الخيمة حولها فمنتهى أوتادها ما حول المسجد الحرام . وأوحى الله عز وجل الى جبرئيل ، أن اهبط الى الخيمة بسبعين ألف ملك يحرسونها من مردة الشياطين ويؤنسون آدم ويطوفون حول الخيمة ، فكانوا يطوفون حولها ويحرسونها . ثم ان الله تبارك وتعالى أوحى الى جبرئيل عليه السلام بعد ذلك ان اهبط الى آدم وحواء فنحهما عن موضع القواعد وارفع قواعد بيتي لملائكتي وخلقي من ولد آدم . فهبط عليهما وأخرجهما من الخيمة ونحاهما عن البيت، ونحّى الخيمة عن موضع البيت، وقال : يا آدم ان السبعين ألف ملك الذين أنزلهم الله الى الارض ، سألوا الله عز وجل ان يبني لهم مكان الخيمة بيتاً على موضع الترعة المباركة حيال البيت المعمور ، فيطوفون حوله كما كانوا يطوفون في السماء حول البيت المعمور ، فأوحى الله تبارك وتعالى الى أن انحيك وارفع الخيمة ، فرفع قواعد البيت بحجر من الصفا وحجر من المروة وحجر من طور سيناء وحجر من جبل السلام وهو ظهر الكعبة ، فأوحى الله عز وجل الى جبرئيل عليه السلام ان ابنه وأتمه ، فاقتلع جبرئيل عليه السلام الأحجار الأربعة من مواضعها بجناحه، فوضعها حيث أمره الله تعالى في أركان البيت على قواعده ونصب أعلامها .

ثم أوحى الى جبرئيل أن ابنه وأتمه من حجارة ابي قبيس واجعل له بابين ، باباً شرقاً

وباباً غرباً . فأتمه جبرئيل عليه السلام ، فلما فرغ طافت الملائكة حوله، فلما نظر آدم وحواء الى الملائكة يطوفون حول البيت انطلقا فطافا سبعة أشواط ثم خرجا يطلبان ما يأكلان .

وفيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان آدم عليه السلام لما أُهبط من الجنة اشتهى من ثمارها ، فأنزل الله تبارك وتعالى عليه قضيبين من عنب فغرسهما ، فلما أورقا وأثمرا وبلغا جاء ابليس فحاط عليهما حائطاً ، فقال له آدم : ما لك يا ملعون ؟ فقال ابليس : إنهما لي ، فقال : كذبت ، فرضيا بينهما بروح القدس ، فلما انتهيا اليه قصّ عليه آدم عليه السلام قصته ، فأخذ روح القدس شيئاً من نار فرمى بها عليهما فالتهبت في أغصانها حتى ظن آدم انه لم يبق منهما شيء إلا احترق ، وظن ابليس مثل ذلك . قال : فدخلت النار حيث دخلت ، وقد ذهب منهما ثلثاهما وبقي الثلث ، فقال الروح : أما ما ذهب منهما فحظ إبليس (لعنه الله) وما بقي فلك يا آدم .

العياشي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما بكى أحد بكاء ثلاثة : آدم ويوسف وداود . فقلت : ما بلغ بكاؤهم ؟ فقال : أما آدم عليه السلام ، فبكى حين أخرج من الجنة وكان رأسه في باب من أبواب السماء ، فبكى حتى تأذى به أهل السماء ، فشكوا ذلك الى الله، فحط من قامته . فأما داود ، فإنه بكى حتى هاج العشب من دموعه وكان ليزفر الزفرة فيحرق ما ينبت من دموعه .

وأما يوسف فإنه كان يبكي على أبيه يعقوب وهو في السجن فتأذى أهل السجن ، فصالحهم على ان يبكي يوماً ويسكت يوماً .

علل الشرايع وعيون الأخبار عن صفوان بن يحيى قال سئل أبو الحسن عليه السلام عن الحرم وأعلامه ، فقال ان آدم عليه السلام لما أهبط من الجنة ، هبط على ابي قبيس والناس يقولون بالهند . فشكا الى ربه عز وجل الوحشة وانه لا يسمع ما كان يسمع في الجنة ؛ فأهبط الله عز وجل عليه ياقوتة حمراء ، فوضعت في موضع البيت، فكان يطوف بها آدم عليه السلام، وكان يبلغ ضوؤها الأعلام ، فعلمت الأعلام على ضوئها فجعله الله عز وجل حرماً .

أقول فيه دلالة على ما قدمنا سابقاً من الأخبار الواردة بنزوله عليه السلام بالهند محمول على التقية .

وأما الجمع بين هذين الخبرين من نزول الياقوتة وما تقدم من نزول الخيمة ، فقد ورد في بعض الروايات ان تلك الخيمة كانت ياقوتة .

وقيل في وجه الجمع بنزولها متعاقبين او متقاربين .

الكافي باسناده الى ابي عبدالله عليه السلام ، قال : ان الله تبارك وتعالى لما أهبط آدم طفق يخصف عليه من ورق الجنة ، وطار عنه لباسه الذي كان عليه من حلل الجنة ، فالتقط ورقة فستر بها عورته ، فلما هبط عبقت ، أي لصقت رائحة تلك الورقة بالهند ، بالنبت فصار في الارض من سبب تلك الورقة التي عبقت بها رائحة الجنة . فمن هناك الطيب بالهند لأن الورقة هبّت عليها ريح الجنوب فأدت رائحتها الى المغرب لأنها احتملت رائحة الورقة في الجو ، فلما ركدت الريح بالهند عبق بأشجارهم ونبتهم فكان أول بهيمة ارتعت من تلك الورقة ، ظبي المسك فمن هناك صار المسك في سرة الظبي لأنه جرى رائحة النبت في جسده وفي دمه حتى اجتمعت في سرة الظبي .

وفيه عنه عليه السلام قال : ان الله تبارك وتعالى لما أهبط آدم عليه السلام أمره بالحرث والزرع وطرح اليه غرساً من غروس الجنة ، فأعطاه النخل والعنب والزيتون والرمان وغرسها لتكون لعقبه وذريته فأكل هو من ثمارها ، فقال إبليس لعنه الله : يا آدم ما هذا الغرس الذي لم أكن أعرفه في الأرض ، وقد كنت بها قبلك ؟ ائذن لي آكل منها شيئاً فأبى أن يطعمه فجاء الى حواء ، فقال لحواء : انه قد أجهدني الجوع والعطش ، فقالت له حواء عليها السلام : ان آدم عهد أن لا أطعمك من هذا الغرس ، لأنه من الجنة ولا ينبغي لك أن تأكل منه ، فقال لها : فاعصري في كفي منه شيئاً ، فأبت عليه ، فقال : ذريني أمصه ولا آكله ، فأخذت عنقوداً من العنب فأعطته فمصه ولم يأكل منه شيئاً ، لما كانت حواء قد أكدت عليه ، فلما ذهب بعضه جذبته حواء من فيه ، فأوحى الله عز وجل الى آدم عليه السلام ، ان العنب قد مصه عدوي وعدوك إبليس لعنه الله وقد حرمت عليك من عصيره الخمر ما خالطه نفس إبليس ، فحرمت الخمر لأن عدو الله ابليس مكر بحواء حتى مص من العنبة ولو أكلها لحرمت الكرمة من اولها الى آخرها وجميع ثمارها وما يخرج منها . ثم انه قال لحواء عليها السلام فلو امصصتيني من هذا التمر كما أمصصتيني من العنب ، فأعطته تمرة فمصها . وكانت العنبة والتمر أشد رائحة وأذكى من المسك الأذفر وأحلى من العسل ، فلما مصها عدو الله ذهبت رائحتها وانتقصت حلاوتها. ثم ان ابليس الملعون ذهب بعد وفاة آدم عليه السلام ، فبال في أصل الكرمة والنخلة فجرى الماء في عروقها ببول عدو الله ، فمن ثم يختمر التمر والعنب أي يتغير ريحها ويصير منتناً ، فحرم الله عز وجل على ذرية آدم كل مسكر لأن الماء جرى ببول عدو الله في النخل والعنب ؛ وصار كل مختمر خمراً لأن الماء اختمر في النخلة والكرمة من رائحة بول عدو الله ابليس لعنه الله ، وعنه عليه السلام قال العجوة أم التمر وهي التي أنزلها الله تعالى لآدم من الجنة .

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام ، قال : كانت نخلة مريم عليها السلام العجوة نزلت في كانون ونزل مع آدم عليه السلام العتيق والعجوة ومنها تفرق انواع النخيل .

الفصل الرابع

في تزويج آدم وحواء وكيفية ابتداء النسل

وقصة قابيل وهابيل وبقية احوال آدم عليه السلام

علل الشرايع بإسناده الى زرارة قال : سئل ابو عبد الله عليه السلام ، ان عندنا أناساً يقولون ان الله تبارك وتعالى اوحى الى آدم عليه السلام ان يزوج بناته من بنيه وأن هذا الخلق كله اصله من الاخوة والاخوات . قال ابو عبد الله عليه السلام : سبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ، يقول من يقول هذا ان الله عز وجل جعل صفوة خلقه وأبو أنبيائه من حرام ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من الحلال ؛ والله لقد نبئت ان بعض البهائم تنكرت له اخته فلما نزا عليها ونزل ، كشف له عنها وعلم أنها أخته ، أخرج عزموله في ذكره ثم قبض عليه بأسنانه ، ثم قلعه ثم خرَّ ميتاً . قال زرارة : ثم سئل عليه السلام عن خلق حواء .

وقيل : أناس عندنا يقولون ان الله عز وجل خلق حواء من ضلع آدم الايسر الاقصى . قال : سبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ، من يقول هذا أن الله تعالى لم يكن له من القدرة ما يخلق لآدم زوجته من غير ضلعه ، وجعل المتكلم من اهل التشنيع سبيلاً الى الكلام. يقول ان آدم ينكح بعضه بعضاً اذا كانت من ضلعه ، ما لهؤلاء حكم الله بيننا وبينهم . ثم قال: ان الله تبارك وتعالى لما خلق آدم من طين أمر الملائكة فسجدوا له وألقى عليه النوم. ثم ابتدع له خلقاً ثم جعلها في موضع النقرة الذي بين وركيه ، وذلك لكي تكون المرأة تبعاً للرجل . فأقبلت تتحرك فانتبه لتحركها فنوديت ان تنحى عنه ، فلما نظر اليها ، نظر الى خلق حسن يشبه صورته غير انها انثى ، فكلمها فكلمته بلغته . فقال لها: من انت ؟ قالت: خلق خلقني الله كما ترى . فقال آدم : يا رب مَن هذا الخلق الحسن الذي قد آنسني قربه والنظر اليه ؟ فقال الله : هذه أمتي حواء . أفتحب أن تكون معك فتؤنسك وتحدثك وتأتمر لأمرك ؟ قال : نعم يا رب ولك بذلك الشكر والحمد ما بقيت . فقال الله : فاخطبها إلي

فانها أمتي وقد تصلح ايضاً للشهوة. وألقى الله عليه الشهوة. وقد علم قبل ذلك المعرفة فقال: يا رب فاني اخطبها اليك فما رضاك لذلك ؟ قال : رضائي ان تعلمها معالم ديني ، فقال : لك ذلك عليَّ يا رب ان شئت ذلك ، قال عز وجل : قد شئت ذلك وقد زوجتكها فضمها اليك ، فقال : اقبلي ، فقالت : بل انت فاقبل إلي ، فأمر الله عز وجل آدم ان يقوم اليها فقام . ولولا ذلك لكان النساء هن يذهبن الى الرجال حتى يخطبن على انفسهن . فهذه قصة حواء صلوات الله عليها .

اقول : المشهور بين العامة ان حواء خلقت من ضلع آدم الايسر .

وفي بعض الاخبار ما يدل عليه وهذا الحديث وما بمعناه ينفي ذلك القول ، وحينئذ لذلك الاخبار اما محمولة على التقية او على انها خلقت من فضلة الطينة كما قاله الصدوق .

قال الرازي في تفسير قوله تعالى: « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها » المراد من هذا الزوج هو حواء. وفي كون حواء مخلوقة من آدم قولان: الاول وهو الذي عليه الأكثر انه لما خلق الله آدم ألقى عليه النور ثم خلق حواء من ضلع من اضلاعه اليسرى فلما استيقظ رآها ومال اليها لأنها مخلوقة من جزء من أجزائه واحتجوا عليه بقول النبي ﷺ ان المرأة خلقت من ضلع فإن ذهبت تقيمها كسرتها وإن تركتها وفيها عوج استمتعت بها .

القول الثاني وهو اختيار ابي مسلم الاصفهاني في أن المراد من قوله (وخلق منها زوجها) أي من جنسها وهو كقوله تعالى : (والله خلق لكم من انفسكم ازواجاً) وكقوله: (إذ بعث فيهم رسولاً منهم) . قال القاضي : والقول الاول أقوى لكي يصح قوله خلقكم من نفس واحدة ، إذ لو كانت حوا مخلوقة ابتداء لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة ويمكن أن يجاب عنه بأن كلمة من لابتداء الغاية فلما كان ابتداء التخليق والايجاد وقع بآدم عليه السلام صح أن يقال خلقكم من نفس واحدة ، وأيضاً فلما ثبت انه تعالى قادر على خلق آدم من التراب كان قادراً على خلق حوا من التراب فاذا كان الأمر كذلك فأي فائدة في خلقها من ضلع من اضلاع آدم عليه السلام انتهى . وقال بعض اهل الحديث : يمكن ان يقال ان المراد بالخلق من نفس واحدة الخلق من أب واحد كما يقال بنو تميم نشأوا من تميم ولا تنافيه شركة الأم على انه يجوز ان يكون من قوله منها للتعليل أي لأجلها . (وفيه ايضاً) عن زرارة عن ابي عبدالله عليه السلام في حديث طويل ذكر فيه ما يقوله العامة من تزويج الاخوة بالاخوات الى ان قال: ويح هؤلاء، أين هم عما لم يختلف فيه فقهاء أهل الحجاز ولا فقهاء اهل

العراق ان الله عز وجل امر القلم فجرى القلم على اللوح المحفوظ بما هو كائن الى يوم القيامة قبل خلق آدم عليه السلام بألفي عام وإن كتب الله كلها مما جرى فيه القلم في كلها تحريم الاخوات على الاخوة مع ما حرم ونحن نقرأ الكتب المنزلة الأربعة المشهورة في هذا العالم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان انزلها الله عز وجل من اللوح المحفوظ على رسله صلوات الله عليهم ليس فيها تحليل شيء من ذلك ، ومن أراد ان يقول هذا وشبهه إلا تقوية حجج المجوس ثم انشأ يحدثنا كيف كان بدء النسل من آدم وذريته فقال ان لآدم صلوات عليه ولد سبعون بطناً في كل بطن غلام وجارية الى ان قتل هابيل فجزع آدم عليه جزعاً قطعه عن اتيان النساء خمسمائة عام ثم تخلى ما به من الجزع عليه فغشي حوا فوهب الله له شيثاً وليس معه ثان فلما ادرك وأراد الله ان يبلغ بالنسل ما ترون وأن يكون ما جرى به القلم تحريم ما حرم الله عز وجل من الاخوات على الاخوة انزل بعد العصر في يوم الخميس حوراء من الجنة اسمها (نزلة) فأمر الله عز وجل ان يزوجها من شيث فزوجها منه ثم انزل بعد العصر من الغد حوراء من الجنة اسمها (منزلة) فأمر الله عز وجل آدم ان يزوجها من يافث فزوجها منه فولد لشيث غلام وولد ليافث جارية. فأمر الله عز وجل آدم حين ادركا ان يزوج بنت يافث من ابن شيث ففعل ذلك فولد الصفوة من النبيين والمرسلين ومعاذ الله ان ذلك على ما قالوا من الاخوة والاخوات .

(وعنه) عليه السلام قال : اوصى آدم الى شيث وهو هبة الله ابن آدم وأوصى شيث الى ابنه شيبان وهو ابن منزلة الحوراء التي انزلها الله على آدم من الجنة فزوجها ابنه شيثاً . في كتاب (الخرايج) عن الثمالي قال : سمعت علي بن الحسين عليه السلام يحدث رجلاً من قريش قال لما تاب الله على آدم واقع حوا ولم يكن غشيها منذ خلقت إلا في الارض وذلك بعد ما تاب الله عليه وكان آدم يعظم الحرم واذا اراد ان يغشى حوا خرج من الحرم واخرجها معه وغشيها في الحل ثم يغتسلان ثم يرجع الى فناء البيت ، فولد لآدم من حوا عشرون ولداً ذكراً وعشرون انثى فولد له في كل بطن ذكر وأنثى فأول بطن ولدت حواء هابيل ومعه جارية يقال لها اقليما ، وولدت في البطن الثاني قابيل ومعه جارية يقال لها (لوذا) وكانت لوذا أجمل بنات آدم ، فلما ادركوا خاف عليها آدم الفتنة فقال أريد أن أنكحك يا هابيل لوذا. وأنكحك ياقابيل اقليما ، قال قابيل: ما أرضى بهذا أتنكحني اخت هابيل القبيحة وتنكح قابيل اختي الجميلة، قال آدم عليه السلام فأنا أقرع بينكما فإن خرج سهمك يا قابيل على اقليما زوجت كل واحد منكما التي خرج سهمه عليها فرضيا بذلك فاقترعا فخرج سهم هابيل على لوذا اخت قابيل وخرج سهم قابيل على اقليما اخت هابيل فزوجها على ما خرج لهما من عند الله ، قال: ثم حرّم الله

نكاح الاخوات بعد ذلك ، فقال له القرشي : فأولداهما ؟ قال : نعم ، فقال القرشي : فهذا فعل المجوس اليوم ، فقال علي بن الحسين عليه السلام : ان المجوس انما فعلوا ذلك بعد التحريم من الله ، ثم قال علي بن الحسين عليه السلام : لا تنكر هذا أليس الله قد خلق زوجة آدم منه ثم أحلها فكان ذلك شريعة من شرايعهم ، ثم أنزل الله التحريم بعد ذلك .

اقول : هذا الحديث وما روي بمعناه محمول على التقية لأنه المذهب المشهور بينهم .

وعن ابي عبد الله عليه السلام قال : لما أهبط الله آدم وحواء الى الارض وجمع بينهما ، ولدت له بنتاً فسمّاها عناقاً فكانت اول من بغى على وجه الارض ، فسلط الله عليها ذئباً كالفيل ونسراً كالحمار فقتلاها، ثم ولد له أثر عناق قابيل ، فلما أدرك أظهر الله عز وجل جنّية من ولد الجان يقال لها جهانة في صورة إنسية ، فلما رآها قابيل أحبها . فأوحى الله الى آدم أن يزوج جهانة من قابيل ، ثم ولد لآدم هابيل ، فلما ادرك اهبط الله الى آدم حوراء واسمها نزلة الحوراء، فلما رآها هابيل احبها، فأوحى الله الى ادم ان يزوجها من هابيل ففعل ذلك، فكانت نزلة الحوراء زوجة لهابيل بن آدم، ثم اوحى الله الى آدم ان يضع ميراث النبوة والعلم ويدفعه الى هابيل ففعل ذلك ، فلما علم قابيل غضب وقال لأبيه : ألست اكبر من اخي وأحق بما فعلت به ؟ فقال : يا بني ان الامر بيد الله وان الله خصّه بما فعلت فان لم تصدقني فقربا قرباناً فأيكما قبل قربانه فهو أولى بالفضل ، وكان القربان في ذلك الوقت تنزل النار فتأكله . وكان قابيل صاحب زرع فقرّب قمحاً ردياً ، وكان هابيل صاحب غنم فقرّب كبشاً سميناً ، فأكلت النار قربان هابيل، فأتاه إبليس فقال: يا قابيل لو ولد لكما ولد وكثر نسلكما افتخر نسله على نسلك بما خصه به ابوك ، ولقبول النار قربانه وتركها قربانك وانك ان قتلته لم يجد ابوك بداً من ان يخصك بما دفعه اليه . فوثب قابيل الى هابيل فقتله ، ثم قال إبليس : ان النار التي قبلت القربان هي المعظمة ، فعظمها واتخذ لها بيتاً واجعل لها اهلاً وأحسن عبادتها والقيام عليها يقبل قربانك اذا اردت ذلك ، ففعل قابيل ذلك فكان اول من عبد النار واتخذ بيوت النيران ، وان آدم أتى الموضع الذي قتل فيه قابيل اخاه فبكى هناك اربعين صباحاً ، يلعن تلك الارض حيث قبلت دم ابنه ، وهو الذي فيه قبلة المسجد الجامع بالبصرة ، وان هابيل يوم قتل ، كانت امرأته نزلة الحوراء حبلى ، فولدت غلاماً فسماه آدم باسم ابنه هابيل، وان الله عز وجل وهب لآدم بعد هابيل ابناً فسماه شيث، ثم قال: ان هذا هبة الله ، فلما ادرك أهبط الله على آدم حوراء يقال لها ناعمة في صورة إنسية ، فلما رآها شيث احبها ، فأوحى الله الى ادم أن زوّج ناعمة من شيث ففعل ذلك ادم، فولدت له جارية فسماها ادم حورية ، فلما ادركت اوحى الله الى ادم أن زوّج حورية من هابيل ففعل

ذلك ادم ، فهذا الخلق الذي ترى من هذا النسل فلما انقضت نبوة ادم أمره الله تعالى ان يدفع العلم واثار النبوة الى شيث وأمره بالكتمان والتقية من اخيه لئلا يقتله كما قتل هابيل .. الحديث .

وروى علي بن ابراهيم عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام انه لما سولت له نفسه قتل اخيه لم يدر كيف يقتله حتى جاء إبليس فعلّمه ، فقال: ضع رأسه بين حجرين ثم اشدخه . فلما قتله لم يدر ما يصنع به ، فجاء غرابان فأقبلا يتقاتلان حتى قتل احدهما صاحبه ثم حفر الذي بقي على الارض بمخالبه ودفن صاحبه ، قال قابيل : يا ويلتي أعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة اخي؟ فحفر له حفيرة ودفنه فيها، فرجع قابيل الى ابيه ولم يكن معه هابيل، قال ادم : اين تركت ابني ؟ فقال قابيل : ارسلتني عليه راعياً ؟ فقال : انطلق معي الى مكان القربان ، وأحس قلب ادم بالذي فعل قابيل ، فلما بلغ مكان القربان استبان قتـله ، فلعن ادم الارض التي قبلت دم هابيل ، ولذلك لا تشرب الارض الدم ، فانصرف وبكى على هابيل اربعين يوماً وليلة .

وعنه عليه السلام: ان قابيل يعذب بعين الشمس،يستقبلون بوجهه الشمس حتى تطلع ويديرونه معها حتى تغيب ، ثم يصبون عليه في البرد الماء البارد وفي الحر الماء الحار .

عيون أخبار الرضا عليه السلام : سأل الشامي امير المؤمنين عليه السلام عن قول الله عز وجل : (يوم يفر المرء من اخيه) . فقال عليه السلام : قابيل يفر من اخيه هابيل . وسئل عليه السلام عن يوم الاربعاء والتطير منه . فقال عليه السلام : هو آخر اربعاء وهو المحـاق وفيه قتل قابيل اخاه هابيل .

وعن ابي عبدالله عليه السلام : أن اشد الناس عذابـاً يوم القيامة لسبعة أنفر اولهم : ابن آدم الذي قتل اخـاه ، ونمرود الذي حاج ابراهيم في ربه ، واثنان في بني اسرائيل هوّدا قومهم ونصراهم ، وفرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى ، واثنان من هـذه الامة يعني الاول والثاني ، سأل الشامي امير المؤمنين عليه السلام عن اول من قال الشعر ، فقال : آدم لمـا انزل الى الارض من السماء ، فرأى تربتها وسعتها وهواها ، وقتل قابيل هابيل . فقال آدم عليه السلام :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه المليح

فأجابه إبليس لعنه الله :

تنح عن البلاد وساكنيها فبيء بالخلد ضاق بك الفسيح

وكنت بها وزوجك في قرار وقلبك من أذى الدنيا مريح
فلم تنفك من كيدي ومكري الى ان فاتك الثمن الربيح
فلولا رحمة الجبار أضحت بكفك من جنان الخلد ريح

أقول : وربما زاد فيه بعضهم إلا ان الاعتماد على هذا الورود في كتاب (علل الشرايع) و (عيون الاخبار) وغيرهما .

وعن ابي عبد الله عليه السلام قال : كانت الوحوش والطير والسباع وكل شيء خلق الله عز وجل مختلطاً ببعض ، فلما قتل ابن آدم اخاه نفرت وفزعت فذهب كل شيء الى شكله .

وعنه عليه السلام : ان الله عز وجل انزل حوراء من الجنة الى آدم فزوجها احد ابنيه وتزوج الآخر الى الجن ، فولدتا جميعاً ، فما كان من الناس من جمال وحسن خلق فهو من الحوراء وما كان فيهم من سوء الخلق فمن بنت الجان ، وأنكر أن يكون زوج بنيه من بناته .

أقول : قيل في وجه الجمع بينه وبين ما سبق إما بالتجوز في الخبر السابق بأن يكون المراد بالحوراء الشبيهة بها في الجمال او في هذا الخبر بأن يكون المراد بكونها من الجن كونها شبيهة بهم في الخلق ، ويمكن القول بالجمع بينهما في احد ابنيه ، وفي الاخبار ما يؤيده ، وعنه عليه السلام : ان الله عز وجل حين أهبط آدم وزوجته ، وهبط إبليس ولا زوجة له ، وهبطت الحية ولا زوج لها ، فكان اول من يلوط بنفسه إبليس ، فكانت ذريته من نفسه وكذلك الحية . وكانت ذرية آدم من زوجته ، فأخبرهما انهما عدوان لهما .

أقول : قد مرّ سابقاً ، ان ذرية إبليس انه يبيض ويفرخ ، فيحمل هذا إما على أن يكون هذا اللواط ليتولد منه البيض والفرخ ، وإما على أن ذريته يحصلان من النوعين .

وعن امير المؤمنين عليه السلام : ان اول من بغى على الله عز وجل على وجه الارض ، عناق بنت آدم (ع) خلق الله لها عشرين إصبعاً ، وفي (كل) اصبع منها ظفران طويلان كالمنخلين العظيمين . وكان مجلسها في الارض موضع جريب ، فلما بغت بعث الله لها اسداً كالفيل وذئباً كالبعير ونسراً كالحمار ، وكان ذلك في الخلق الاول فسلطهم الله عليها فقتلوها .

(معاني الاخبار) عنه صلى الله عليه وآله قال : اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فأما الامانة فهي التي اخذ الله عز وجل على آدم حين زوجه حواء ، وأما الكلمات فهي الكلمات التي شرط بها على آدم أن يعبده ولا يشرك به شيئاً ، ولا يزني ولا يتخذ من دونه اولياء .

(القصص للراوندي) إن عوج بن عناق كان جباراً عدوّاً لله وللإسلام ، وله بسط في

الجسم والخلق ، وكان يضرب يده فيأخذ الحوت من أسفل البحر ، ثم يرفع الى السماء فيشويه في حر الشمس فيأكله وكان عمره ثلاثة آلاف وستمائة سنة ، وروي انه لما أراد نوح عليه السلام ان يركب السفينة ، جاء اليه عوج فقال له : احملني معك، فقال : اني لم اومر بذلك ، فبلغ الماء اليه وما جاوز ركبتيه وبقي الى ايام موسى عليه السلام ، فقتله موسى صلوات الله عليه .

العياشي عن ابي بكر الحضرمي ، عن ابي جعفر عليه السلام قال : ان آدم لما ولد له اربعة ذكور . فأهبط الله اليهم اربعة من الحور العين ، فزوج كل واحد منهم واحدة فتوالدوا ، ثم ان الله رفعهن وزوج هؤلاء الاربعة اربعة من الجن فصار النسل فيهم . فما كان من حلم ، فمن آدم وما كان من جمال ، فمن قبل الحور العين . وما كان من قبح او سوء خلق ، فمن الجن. وعن ابي جعفر عليه السلام ان قابيل بن آدم معلق بقرونه في عين الشمس ، تدور به حيث دارت في زمهريرها وحميمها الى يوم القيامة صيره الله الى النار .

(الكافي) مسنداً الى ابي عبدالله عليه السلام ، انـه سئل عن اول كتاب كتب في الارض فقال : ان الله عز وجل عرض على آدم وذريته عرض العين في صورة الذر نبياً فنبياً ، وملكاً فملكاً ، ومؤمناً فمؤمناً ، وكافراً فكافراً ، فلما انتهى الى داود عليه السلام قال: من هذا الذي نبأته وكرمته وقصرت عمره ، فأوحى الله عز وجل اليه : هـذا ابنك داود عمره اربعون سنة واني قد كتبت الآجال وقسمت الارزاق ، وأنا امحو ما أشاء وأثبت وعندي ام الكتاب ، فـإن جعلت له شيئاً من عمرك الحقته له . قال : يا رب قد جعلت له من عمري ستين سنة تمام المائة. فقال الله عز وجل لجبرئيل وميكائيل وملك الموت : اكتبوا عليه كتاباً فإنـه سينسى ، فكتبوا عليه كتاباً وختموه بأجنحتهم من طينة عليين . فلما حضرت آدم الوفاة أتاه ملك الموت، فقال آدم : يا ملك الموت ما جاء بك؟ فقال : جئت لأقبض روحك قال : قد بقي من عمري ستون سنة ، فقال : انك جعلتها لابنك داود، ونزل عليه جبرئيل وأخرج له الكتاب. فقال ابو عبدالله عليه السلام : « فمن اجل ذلك اذا اخرج الصك على المديون ذل المديون » فقبض روحه .

وفيه : عن الباقر عليه السلام قال : ان ما بين الركن والمقام لمشحون من قبور الانبياء، وإن آدم لفي حرم الله عز وجل . وفيه عن ابي عبدالله عليه السلام ، لما مات ادم عليه السلام ، وشمت بـه إبليس وقابيل فاجتمعا في الارض ، فجعل إبليس وقابيل المعازف والملاهي شماتة بآدم عليه السلام ، فما كان في الارض من هذا الضرب الذي يتلذذ به الناس فإنما هو ابن ذاك .

(كتاب التهذيب) سمعت مرسلاً من الشيوخ ومذاكرة ولم يحضرني الآن اسناده ، ان ادم عليه السلام لما اهبطه الله من حنة المأوى الى الارض ، استوحش فسأل الله تعالى أن يؤنسه

بشيء من اشجار الجنة ، فأنزل الله تعالى اليه النخلة، فكان يأنس بها في حياته ، فلما حضرته الوفاة قال لولده : اني كنت انس بهـــا في حياتي وأرجو الأنس بها بعد وفاتي ، فإذا مت فخذوا منها جريداً وشقوه بنصفين وضعوهما معي في أكفاني ، ففعل ولده ذلــك وفعلته الأنبياء بعده . ثم اندرس ذلك في الجاهلية ، فأحياه النبي ﷺ وفعله فصارت سنة متبعة.

وعـــن ابي عبدالله عليه السلام قال : ان الله تبارك وتعالى اوحى الى نوح عليه السلام وهو في السفينة ، ان يطوف بالبيت اسبوعاً ، فطاف اسبوعاً ثم نزل في المـاء الى ركبتيه فاستخرج تابوتاً فيه عظام ادم عليه السلام ، فحمل التابوت في جوف السفينة حتى طاف بالبيت ما شاء الله ان يطوف، ثم ورد الى باب الكوفة في وسط مسجدها وتفرق الجمع الذي كان مع نوح عليه السلام في السفينة فأخذ التابوت فدفنه في الغري .

وعنه عليه السلام قال : قال النبي ﷺ : عـاش ادم ابو البشر تسعمائة وثلاثين سنة . وفي قول ان عمره الف سنة .

وذكر السيد ابن طاوس في (سعد السعود) من صحف ادريس عليه السلام مرض عليه السلام ، عشرة ايام بالحمى ووفاته يوم الجمعة لإحدى عشر يوماً خلت من المحرم ، ودفنه في غار جبل ابي قبيس ووجهه الى الكعبة ، وأن عمره عليه السلام من وقت نفخ الروح الى وفاتـه الف سنة وثلاثين . وإن حواء ما بقيت بعده إلا سنة، ثم مرضت خمسة عشر يوماً ، ثم توفيت ودفنت الى جنب ادم عليه السلام .

وهذا حاصل قصص ادم وحواء عليهما افضل الصلوات .

الباب الثاني

في قصص ادريس عليه السلام

قال الله تعالى : (واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقاً نبياً ورفعناه مكاناً علياً) قـال أمين الاسلام الطبرسي طاب ثراه : الكتاب القرآن وادريس هو جد أب نوح عليه السلام واسمه في التوراة أخنوخ وسمي ادريس لكثرة درسه الكتب يعني كتب الله وحكمه وهو أول من خط بالقلم ، وكان خياطاً وأول من خاط الثياب ، وقيل ان الله سبحانه علمه علم النجوم والحساب وعلم الهيئة وكان ذلك معجزة له .

وقوله مكاناً علياً ، أي عليـاً رفيع الشأن برسالات الله تعالى ، وقيل انـه رفع الى السماء السادسة .

عن ابن عباس ومجاهد ، رفع ادريس عليه السلام كما رفع عيسى وهو حي لم يمت .

وقال آخرون انه قبض روحه بين السماء الرابعة والخامسة . وروي ذلك عن ابي جعفر عليه السلام ، وقيل المعنى ورفعناه محله ومرتبته بالرسالة ولم يرد رفعة المكان .

(علل الشرايع) بالاسناد الى وهب ان ادريس عليه السلام كان رجلاً ضخم البطن عريض الصدر قريب الخطا اذا مشى ، وقد فكر في عظمة الله وجلاله تعالى ان لهذه السماوات ولهذه الأرضين ولهذا الخلق العظيم لرباً يدبرها ويصلحها ، فكيف لي بهذا الرب فأعبده حق عبادته ، فخلا بطائفة من قومه ، فجعل يعظهم ويذكرهم ويدعوهم الى عبادة خالق الأشياء ، فأجابه ألف من قومه فاختار منهم سبعة ، ثم قال تعالوا فليدع هؤلاء السبعة وليؤمن بقيتنا فلعل هذا الرب جل جلاله يدلنا على عبادته ، فوضعوا أيديهم على الارض ودعوا طويلاً فلم يتبيّن لهم شيء ، ثم رفعوا أيديهم الى السماء ، فأوحى الله عز وجل الى ادريس عليه السلام ونبأه ودله على عبادته ومن آمن معه ، فلا يزالون يعبدون الله عز وجل لا يشركون به شيئاً حتى رفع الله عز وجل ادريس الى السماء ، وانقرض من تابعه على دينه إلا قليلاً ، ثم انهم اختلفوا بعد ذلك وأحدثوا الأحداث وأبدعوا البدع حتى كان زمان نوح عليه السلام .

(وفي كتاب الكافي) باسناده الى ابي جعفر عليه السلام قال : كان بدء نبوة ادريس عليه السلام انه كان في زمانه ملك جبار، وانه ركب ذات يوم في بعض نزهة فمر بأرض خضرة نضرة لعبد مؤمن من الرافضة فأعجبه فسأل وزراءه: لمن هذه الارض؟ قالوا : لعبد من عبيد الملك فلان الرافضي ، فقال له : امتعني بأرضك هذه ؟ فقال له : عيالي أحوج اليها منك ، فقال : بعني فأبى ، فغضب الملك وانصرف الى اهله وهو مغموم مفكر في امره ، وكانت له امرأة من الأزارقة فرأت في وجهه الغضب ، فأخبرها بخبر الأرض وصاحبها ، فقالت : ان كنت تكره ان تقتله بغير حجة فأنا أكفيك أمره وأصير ارضه اليك بحجة ، وكان لها اصحاب من الأزارقة على دينها يرون قتل الرافضة من المؤمنين ، فبعثت الى قوم منهم فأتوها ، فأمرتهم أن يشهدوا على فلان الرافضي عند الملك أنه قد بريء من دين الملك ، فشهدوا عليه فقتله وأخذ ارضه، فغضب الله للمؤمن عند ذلك ، فأوحى الله الى ادريس: اذا رأيت عبدي هذا الجبار فقل له أما رضيت أن قتلت عبدي المؤمن حتى أخذت ارضه وأحوجت عياله من بعده أما وعزتي لأنتقمن له منك في الآجل ولأسلبنك ملكك في العاجل ولأخربن مدينتك ولأطعمن الكلاب لحم امرأتك فقد غرك حلمي عنك ، فأتاه ادريس برسالة ربه وأداها اليه فقال له الجبار: أخرج يا ادريس لئلا أقتلك ، وقالت له امرأته: لا يهولنك رسالة إله ادريس أنا ارسل اليه من يقتله فتبطل رسالة إلهه ، قال : فافعلي . وكان لإدريس عليه السلام اصحاب من الرافضة مؤمنون يأنس بهم فأخبرهم بتبليغ رسالته الى الجبار فأشفقوا على ادريس وأصحابه وخافوا عليه القتل ، وبعثت امرأة الجبار الى ادريس أربعين رجلا من الأزارقة ليقتلوه فأتوه فلم يجدوه وقد رآهم اصحاب ادريس فحسبوا انهم أتوا ادريس ليقتلوه، فتفرقوا في طلبه فلقوه ، فقالوا له : خذ حذرك يا ادريس فإن الجبار قاتلك ، فاخرج من هذه القرية . فتنحى ادريس عن القرية ومعه نفر من اصحابه ، فلما كان في السحر ناجى ادريس ربه فقال : يا رب توعدني الجبار بالقتل . فأوحى الله اليه أن اخرج من قريته وخلني وإياه فوعزتي لأنفذن فيه أمري . فقال : يا رب ان لي حاجة . قال الله : سلها تعطها . قال : أسألك أنلا تمطر السماء على اهل هذه القرية وما حولها،حتى اسألك ذلك.قال الله عز وجل: اذن تخرب القرية ويجوع اهلها . فقال ادريس عليه السلام وإن خربت وجاعوا ؟ قال الله : اني أعطيتك ما سألت . فأخبر ادريس اصحابه بحبس المطر عنهم ، فخرجوا من القرية وعدتهم عشرون رجلا ، فتفرقوا في القرى ، وشاع خبر ادريس في القرى بما سأل الله تعالى، وتنحى ادريس الى كهف في الجبل ، ووكل الله به ملكاً يأتيه بطعامه عند كل مساء ، وسلب الله عند ذلك ملك الجبار وقتله وخرب مدينته ، وأطعم الكلاب لحم امرأته غضباً للمؤمن .

وظهر في المدينة جبار آخر عاص ، فمكثوا بعد خروج ادريس من القرية عشرين سنة لم تمطر السماء ، فاشتد حالهم وصاروا يمتارون الأطعمة من القرى، فقالوا : ان الذي نزل بنا بسؤال ادريس ربه ان لا يمطر السماء علينا حتى يسأله هو وقد خفي ادريس عناوالله أرحم بنا منه، فاجتمع امرهم على ان يتوبوا الى الله ويسألوه ان تمطر السماء عليهم. فقاموا على الرماد ولبسوا المسوح وحثوا على رؤوسهم التراب ، ورجعوا الى الله عز وجل . فأوحى الله الى ادريس ، ان اهل قريتك قد تابوا إلي ، وأنا الله الرحمن الرحيم أقبل التوبة وقد رحمتهم ، ولم يمنعن إجابتهم الى ما سألوني من المطر إلا مناظرتك فيما سألتني ان لا أمطر السماء عليهم ، حتى تسألني فسلني يا ادريس ، قال ادريس : اللهم اني لا اسألك ذلك ، قال الله عز وجل : سلني يا ادريس، قال : اللهم إني لا اسألك، فأوحى الله عز وجل الى الملك الذي يأتي ادريس بطعامه ان احبس عنه طعامه ، فلما أمسى ادريس لم يؤت بطعام فحزن وجاع . فلما كان في اليوم الثاني ، لم يؤت بطعامه ، فاشتد جوعه . فلما كان في الليلة الثالثة، لم يؤت بطعامه، فنادى ربه : يا رب حبست عني رزقي من قبل ان تقبض روحي . فأوحى الله عز وجل اليه : يا ادريس جزعت ان حبست عنك طعامك ثلاثة ايام ولياليها ، ولم تجزع ولم تنكر جوع اهل قريتك وجهدهم منذ عشرين سنة ؟ ثم سألتك عن جهدهم ورحمتي إياهم ان تسألني ان أمطر السماء عليهم ، فلم تسألني وبخلت عليهم بمسألتك إياي فأذقت الجوع ، فقلّ عند ذلك صبرك وظهر جزعك ، فاهبط من موضعك واطلب المعاش لنفسك ، فقد وكلتك في طلبه الى حيلك . فهبط ادريس من موضعه الى غيره يطلب أكلة من جوع ، فلما دخل القرية نظر الى دخان في بعض منازلها ، فأقبل نحوه ، فهجم على عجوز وهي ترقق قرصتين لها على مقلاة فقال لها : أيتها المرأة اطعميني فإني مجهود من الجوع . فقالت له : يا عبدالله ما تركت لنا دعوة ادريس فضلاً نطعمه أحداً ، وحلفت انها ما تملك شيئاً غيره فاطلب المعاش من غير اهل هذه القرية . قال لها : اطعميني ما أمسك به روحي وتحملني به رجلي الى ان اطلب . قالت : انها قرصتان واحدة لي والاخرى لابني ، فإن اطعمتك قوتي مت وإن أطعمتك قوت ابني مات ، فقال لها : ان ابنك يجزيه نصف قرصه فيحيى بها ويجزيني النصف الآخر ، فأحيا به ، فأكلت المرأة قرصها ، وكسرت الآخر بين ادريس وبين ابنها. فلما رأى ابنها ادريس يأكل من قرصته اضطرب حتى مات . قالت أمه : يا عبدالله قتلت علي ابني جزعاً على قوته ، قال ادريس : فأنا أحييه بإذن الله تبارك وتعالى فلا تجزعي ، ثم أخذ ادريس بعضدي الصبي ، ثم قال : أيتها الروح الخارجة من بدن هذا الغلام باذن الله أرجعي الى بدنه باذن الله ، وأنا ادريس النبي. فرجعت روح الغلام اليه باذن الله، فلما سمعت

المرأة كلام ادريس ونظرت الى ابنها قد عاش بعد الموت ، قالت: أشهد أنك ادريس النبي ، وخرجت تنادي بأعلى صوتها في القرية : أبشروا بالفرج فقد دخل ادريس قريتكم . ومضى ادريس حتى جلس على موضع مدينة الجبار الأول وهي على تل ، فاجتمع اليه أناس من اهل قريته ، فقالوا له: يا ادريس أما رحمتنا في هذه العشرين سنة التي أجهدنا فيها ومسنا الجوع والجهد فادع الله لنا ان يمطر السماء علينا . قال : لا حتى يأتيني جباركم هذا وجميع اهل قريتكم مشاة حفاة فيسألوني ذلك، فبلغ الجبار قوله فبعث اليه أربعين رجلاً ليأتوه بادريس. فأتوه فقالوا له : ان الجبار بعث اليك لتذهب اليه ، فدعا عليهم فماتوا . فبلغ الجبار ذلك فبعث إليه خمسمائة رجل ليأتوه به فقالوا له: ياادريس ان الجبار بعثنا اليك لنذهب بك اليه، فقال لهم ادريس انظروا الى مصارع اصحابكم . فقالوا : يا ادريس قتلتنا بالجوع منذ عشرين سنة ، ثم تريد ان تدعو علينا بالموت اما لك رحمة ؟

فقال ما أنا بذاهب اليه ولا أنا بسائل الله ان يمطر عليكم حتى يأتيني جباركم ماشياً حافياً وأهل قريتكم ، فانطلقوا الى الجبار فاخبروه بقول ادريس وسألوه ان يمضي معهم وجميع اهل قريتهم حفاة مشاة ، فأتوه حتى وقعوا بين يديه خاضعين له طالبين اليه ان يسأل الله لهم بالمطر . فقال ادريس : أما الآن فنعم ، فسأل الله تعالى ادريس عند ذلك ان تمطر السماء عليهم وعلى نواحيهم فأظلتهم سحابة من السماء وأرعدت وأبرقت وهطلت عليهم من ساعتهم حتى ظنوا انه الغرق ، فما رجعوا الى منازلهم حتى اهمتهم انفسهم من الماء .

أقول : ينبغي ان يحمل ان امره تعالى لإدريس بالدعاء لهم بالمطر لم يكن على سبيل الحتم والوجوب ، بل على الندب وجواز التأخير وغرض ادريس عليه السلام من ذلك التأخير ذلتهم وزجرهم على الطغيان والفساد ، ولئلا يخالفوه اذا دخل بينهم كما خالفوه اولاً ، وفيه إشارة الى ان اولياء الله سبحانه يغضبون لربهم اكثر من غضبه تعالى لسعة حلمه وعظمة رحمته .

تفسير علي بن ابراهيم ابي ، عن ابن ابي عمير عمن حدثه ، عن ابي عبدالله عليه السلام ، قال : ان الله تعالى غضب على ملك من الملائكة ، فقطع جناحه فألقاه في جزيرة من جزائر البحر ، فبقي ما شاء الله في ذلك البحر ، فلما بعث الله ادريس عليه السلام ، جاء ذلك الملك اليه، فقال: يا نبي الله ادع الله ان يرضى عني ويرد عليّ جناحي . قال : نعم . فدعا ادريس ربه فردّ الله عليه جناحه ورضي عنه. قال الملك لإدريس : ألك حاجة ؟ قال : نعم احب ان ترفعني الى السماء الرابعة ، فرفعه الى السماء الرابعة فإذا ملك الموت جالس يحرّك رأسه تعجباً. فسلم ادريس على ملك الموت ، وقال له : ما لك تحرّك رأسك ؟ قال : إن رب العزة امرني ان

اقبض روحك بين الرابعة والخامسة ، فقلت : يا رب كيف يكون هذا ، وغلظ السماء الرابعة مسيرة خمسمائة عام ، ومن السماء الرابعة الى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام ؟ وكل سماء وما بينهما كذلك فكيف يكون هذا ؟ ثم قبض روحه بين السماء الرابعة والخامسة وهو قوله تعالى : (ورفعناه مكاناً علياً) .

قال وسمي ادريس لكثرة دراسته الكتب . وقال رسول الله ﷺ : انزل الله على ادريس ثلاثين صحيفة ، وعن امير المؤمنين عليه السلام ، ان ادريس عليه السلام رفعه الله مكاناً علياً وأطعمه من تحف الجنة بعد وفاته .

وفي (قصص الأنبياء) للشيخ الراوندي طاب ثراه ، بإسناده الى ابي جعفر عليه السلام ، قال: قال رسول الله ﷺ ان ملكاً من الملائكة كانت له منزلة، فأهبطه الله من السماء الى الارض فأتى ادريس فقال : اشفع لي عند ربك ، فصلى ثلاث ليال لا يفتر وصام ايامها لا يفطر ، ثم طلب الى الله في السحر للملك فأذن له في الصعود الى السماء . فقال له الملك : احب ان اكافيك فاطلب حاجة ، فقال : تريني ملك الموت لعلي انس به فإنه ليس يهنئوني مع ذكره شيء . فبسط جناحه ثم قال : اركب . فصعد به فطلب ملك الموت في سماء الدنيا ، فقيل انه قد صعد فاستقبله بين السماء الرابعة والخامسة . فقال الملك للموت ما لي أراك قاطباً ؟ قال : أتعجب اني كنت تحت ظل العرش ، حتى امرت ان اقبض روح ادريس بين السماء الرابعة والخامسة ؟ فسمع ذلك ادريس فانتفض من جناح الملك ، وقبض ملك الموت روحه مكانه، وذلك قوله تعالى: (واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقاً نبياً ورفعناه مكاناً علياً).

وفي الكتاب ايضا ، بإسناده الى ابن عباس قال : كان ادريس النبي عليه السلام يسبح النهار ويصومه ، ويبيت حيث ما جنه الليل ويأتيه رزقه حيث ما افطر . وكان يصعد له من العمل الصالح مثل ما يصعد لأهل الارض كلهم ، فسأل ملك الموت ربه في زيارة ادريس وأن يسلم عليه، فأذن له . فنزل وأتاه، فقال : اني اريد ان اصحبك فأكون معك . فصحبه وكانا يسبحان النهار ويصومانه ، فإذا جنهما الليل اتى ادريس فطوره فيأكل ويدعو ملك الموت اليه فيقول لا حاجة لي فيه ، ثم يقومان يصليان ، وإدريس يصلي ويفتر وينام وملك الموت يصلي ولا ينام ولا يفتر . فمكثا بذلك اياماً، ثم انهما مرّا بقطيع غنم وكرم قد أينع ، فقال ملك الموت : هل لك ان تأخذ من ذلك حملاً او من هذا عناقيد فتفطر عليه ؟ فقال: سبحان الله أدعوك الى مالي فتأبى فكيف تدعوني الى مال الغير؟ ثم قال ادريس صلوات الله عليه : قد صحبتني وأحسنت فيما بيني وبينك ، من انت ؟ قال : أنا ملك الموت ، قال

ادريس : لي اليك حاجة . فقال : وما هي ؟ قال : تصعد بي الى السماء ، فاستأذن ملك الموت ربه في ذلك ، فأذن له ، فحمله على جناحه فصعد به الى السماء . ثم قال له ادريس : ان لي اليك حاجة اخرى ، قال : ومـا هي ؟ قال : بلغني من الموت شدة فأحب ان تذيقني منه طرفاً فانظر هو كما بلغني ، فاستأذن ربه فأذن له فأخذ بنفسه ساعة ثم خلى عنه فقال له : كيف رأيت ؟ قال : بلغني عنه شدة وانه لأشد مما بلغني . ولي اليك حاجة اخرى تريني النار . فاستأذن ملك الموت صاحب النار ، ففتح له فلما رآهـا ادريس عليه السلام ، سقط مغشياً عليه . ثم قال : لي اليك حاجة اخرى ، تريني الجنة. فاستأذن ملك الموت خازن الجنة فدخلها ، فلما نظر اليها قال : يا ملك الموت ما كنت لأخرج منها ان الله تعالى يقول : كل نفس ذائقة الموت ، وقد ذقته ، ويقول:وإن منكم إلا واردها وقد وردتها ويقول في الجنة: وماهم بخارجين.

أقول : اعتمد مشايخنا من الحديث عن الخبرين السابقين لوضوح سندهما ، وقالوا : ان هذه الرواية اشبه بروايات العامة وإن كان الجمع بين هذه الاخبار قريب .

وفيه ايضاً عن وهب بن منبه قال : ان ادريس اول من خاط الثياب ولبسها ، وكان من كان قبله يلبسون الجلود وكانت الملائكة في زمـان ادريس يصافحون الناس ويسلمون عليهم ويكلمونهم ويجالسونهم ، وذلك لصلاح الزمان وأهله . فلم يزل الناس على ذلك، حتى كان زمن نوح وقومه، ثم انقطع ذلك ، وكان من امره مع ملك الموت ما كان، حتى دخل الجنة . فقال له ربه : ان ادريس إنما حاجك فحجك بوحيي وأنا الذي هيأت له دخول الجنة ، فإنه كان ينصب نفسه وجسده لي ، فكان حقاً عليّ ان اعوضه من ذلك الراحة والطمأنينة، وأن ابوئه بتواضعه لي وبصالح عمله من الجنةمقعداً او مكاناً علياً .

وفيه عن الصادق عليه السلام قال : اذا دخلت الكوفة فأت مسجد السهلة فصلّ فيه ، واسأل الله حاجة لدينك ودنياك ، فـان مسجد السهلة بيت ادريس عليه السلام الذي كان يخيط فيه ويصلي فيه ، ومن دعا الله فيه بما أحب قضى له حوائجه ورفعه يوم القيامة مكاناً علياً الى درجة ادريس وأجير من مكروه الدنيا ومكائد اعدائه .

وقال المسعودي : ان عمر ادريس عليه السلام في الارض ثلثمائة سنة ، وقيل : اكثر من ذلك، وقال ابن الاثير في الكامل: قام انوش بن شيث بعد موت ابيه بسياسة

الملك مقام ابيه، وكان عمر انوش سبعمائة سنة وخمس سنين ثم ولد لأنوش ابنه قينان وولد معه نفر كثير واليه الوصية ، وولد قينان مهلائيل واليه الوصية . وولد لمهلائيل يارد واليه الوصية ، فولد ليـــارد أخنوخ وهو ادريس النبي ، والحكماء اليونانيون يسمونه هرمس الحكيم .

وقال السيد بن طاووس في صحف ادريس عليه السلام : كأنك بالموت وقد نزل، فاشتد أنينك وعرق جبينك ، وتقلصت شفتاك ، وانكسر لسانك ، ويبس ريقك ، وعـلا سواد عينيك بياضاً ، وازبد فوك ، واهتز جميع بدنك ، وعالجت غصة الموت وسكرته ومرارته وزعقته ، ونوديت فلم تسمع بما خرجت نفسك ، وصرت جيفة بين اهلك ، إن فيك لعبرة لغيرك، فاعتبر في معاني الموت ، ان الذي نزل بك لا محالة ، وكل عمر وإن طال قليل يفنى، لأن كل ما هو آت قريب لوقت معلوم ، فاعتبر بالموت يا من يموت ، واعلم ايهـا الانسان ان الموت أشد مما قبله ، والموت أهون مما بعده من شدة أهوال يوم القيامة . ثم ذكر من احوال الصيحة والفناء ويوم القيـامة ومواقف الحساب والجزاء ما يعجز عن سماعه قوة الأقوياء .

الباب الثالث

في قصص نوح النبي عليه السلام وفيه فصلان

الفصل الاول

في مدة عمره ووفاته وعلل تسميته ونقش خاتمه ومكارم أخلاقه

عيون اخبار الرضا قال : إن نوحاً عليه السلام لما ركب السفينة أوحى الله عز وجل اليه يا نوح إن خفت الغرق فهللني الفاً ، ثم سلني النجاة انجيك من الغرق ومن آمن معك ، فلما استوى نوح ومن معه في السفينة ، ورفع القلص عصفت الريح عليهم ، فلم يأمن نوح الغرق ، فاعجلته الريح فلم يدرك أن يهلل الف مرة ، فقال بالسريانية (هلوليا الفاً الفاً يا ماريا اتقن) فاستوى القلص وجرت السفينة ، فقال نوح : إن كلاماً نجاني الله به من الغرق لحقيق أن لا يفارقني ، فنقش خاتمه لا إله إلا الله الف مرة يا رب أصلحني .

الامالي بإسناده الى الصادق عليه السلام قال : عاش نوح عليه السلام الفي وخمسمائة سنة ، منها ثمانمائة وخمسون سنة قبل أن يبعث ، وألف سنة إلا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم ، ومائتا سنة في عمل السفينة ، وخمسمائة عام بعد ما نزل من السفينة ونضب الماء ، فمصّر الأمصار وأسكن ولده البلدان ، ثم إن ملك الموت جاءه وهو في الشمس قال : السلام عليك ، فردّ عليه نوح السلام ، فقال : ما حاجتك يا ملك الموت؟ قال: جئت لأقبض روحك ، قال له : تدعني ادخل من الشمس الى الظل ، فقال له : نعم ،

فتحول نوح ، ثم قال عليه السلام : يا ملك الموت فكأن ما مرّ بي من الدنيا مثل تحولي من الشمس الى الظل ، فامض لما أمرت به ، قال : فقبض روحه عليه السلام .

علل الشرايع سأل الشامي امير المؤمنين عليه السلام عن اسم نوح ما كان؟ فقال : اسمه السكن ، وإنما سمي نوحاً لأنه ناح على قومه الف سنة إلا خمسين عاماً .

وفيه عن الصادق عليه السلام : كان اسم نوح عبد الغفار ، وإنما سمي نوحاً لأنه كان ينوح على نفسه . وفيه عنه عليه السلام : كان اسم نوح عليه السلام عبد الملك ، وإنما سمي نوحاً لأنه بكى خمسمائة سنة . وعنه عليه السلام : اسم نوح عبد الأعلى ، قال الصدوق رحمه الله تعالى : الأخبار في اسم نوح عليه السلام كلها متفقة غير مختلفة ، تثبت له التسمية بالعبودية، وهو : عبد الغفار والملك والأعلى .

قصص الأنبياء عن الصدوق بإسناده الى وهب قال إن نوحاً لبث في قومه الف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم الى الله تعالى ، فلا يزدادون إلا طغياناً ، ومضى ثلاثة قرون من قومه ، وكان الرجل منهم يأتي بابنه هو صغير فيوقفه على رأس نوح عليه السلام، فيقول : يا بني إن بقيت بعدي فلا تطيعن هذا المجنون . (وفيه) عن علي بن محمد العسكري عليه السلام انه جاء إبليس الى نوح فقال : إن لك عندي يداً عظيمة فانتصحني فإني لا اخونك ، فتأثم نوح بكلامه ومسألته ، فأوحى الله اليه ان كلمه وسله ، فإني سأنطقه بحجة عليك ، فقال نوح صلوات الله عليه : تكلم ، فقال إبليس : اذا وجدنا ابن آدم شحيحاً او حريصاً او حسوداً او جباراً او عجولاً ، تلقفناه تلقف الكرة ، فإن اجتمعت لنا هذه الاخلاق سميناه شيطاناً، فقال نوح: ما اليد العظيمة التي صفت؟ قال انك دعوت الله على اهل الارض فألحقتهم في ساعة بالنار ، فصرت فارغاً . ولولا دعوتك لشغلت بهم دهراً طويلاً .

إكمال الدين بإسناده الى ابي عبدالله عليه السلام، قال : عاش نوح عليه السلام بعد النزول من السفينة خمسين سنة ، ثم أتاه جبرئيل عليه السلام فقال : يا نوح انه قد انقضت نبوتك واستكملت أيامك ، فانظر الاسم الاكبر وميراث العلم فادفعها الى ابنك سام ، فإني لا أترك الارض إلا وفيها عالم يعرف به طاعتي ، ويكون نجاة فيما بين قبض النبي وبعث النبي الآخر ، فدفع عليه السلام آثار علم النبوة الى ابنه سام ، فأما حام ويافث فلم يكن عندهما علم ينتفعان به ، وبشرهم نوح بهودا ، وظهرت الجبرية في ولد حام ويافث ، واستخفى ولد سام بما عندهم من العلم ، وجرت على سام بعد نوح الدولة لحام ويافث ،

وعنه صلى الله عليه وآله : كانت أعمار قوم نوح ثلاثمائة سنة ، وعاش نوح ألفي سنة وأربعمائة وخمسين سنة .

أقول : اختلفوا في مدة عمره عليه السلام ، فقيل : كان الفاً وأربعمائة وخمسين سنة ، وقيل : كان ألفاً وأربعمائة سنة وسبعين سنة ، وقيل : ألفاً وثلاثمائة سنة ، وأكثر أخبارنا المعتبرة تدل على أنه عاش الفين وخمسمائة سنة ، وبعضها قابل للتأويل بإسقاط زمن البعثة او زمان عمل السفينة او بعدها الطوفان او زيادتها او نحو ذلك . وقال شيخنا الطبرسي طاب ثراه في قوله تعالى : (انه كان عبداً شكوراً) معناه ان نوحاً كان عبدالله كثير الشكر ، وكان اذا لبس ثوباً او اكل طعاماً او شرب ماء شكر الله تعالى وقال : الحمدلله ، وقيل : انـه كان يقول في ابتداء الأكل والشرب : بسم الله ، وفي انتهائـه الحمدلله . وروي عن ابي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام : ان نوحاً كان اذا أصبح وأمسى قال : اللهم اني اشهدك أن ما أصبح او أمسى بي من نعمة في دين او دنيا فمنك وحدك لا شريك لك ، لك الحمد ولك الشكر بهـا عليّ حتى ترضى وبعد الرضا ، فهذا كان شكره .

أقول ظاهره انه كان يقولها مرة واحدة ، وفي كثير من الاخبار مثله ، ورواه في الفقيه وإنه كان يقولها عشراً .

(علل الشرايع) وعن الدقاق عن الأسدي عن سهل عن عبد العظيم الحسني قال : سمعت علي بن محمد العسكري عليه السلام يقول : عاش نوح الفين وخمسمائة سنة ، وكان يوماً في السفينة نائماً ، فهبت ريح فكشفت عورته ، فضحك حام ويافث فزجرهما سام ونهاهم عن الضحك ، وكان كلما غطى سام شيئاً تكشفه الريح كشفه حام ويافث ، فانتبه نوح عليه السلام فرآهم وهم يضحكون ، فقال ما هذا ؟ فأخبره سام بما كان ، فرفع نوح يده الى السماء يدعو ويقول : اللهم غير ماء صلب حام حتى لا يولد له إلا السودان اللهم غير ماء صلب يافث ، فغير الله ماء صلبهما ، فجميع السودان حيث كانوا من حام ، وجميع الترك والصقالبة وياجوج ومأجوج والصين من يافث ، حيث كانوا وجميع البيض سواهم من سام ، وقال نوح عليه السلام لحام ويافث : جعل ذريتكما خولاً ، أي خدماً ، لذرية سام الى يوم القيامة ، لأنه بر بي وعققتماني ، فلا زالت سمة عقوقكما لي في ذريتكما ظاهرة ، وسمة البر في ذرية سالم ظاهرة ما بقيت الدنيا .

اقول : روى الشيخ الطبرسي هذا الخبر من كتاب النبوة بهذا الإسناد ثم قال :

قال الشيخ ابو جعفر بن بابويه رحمه الله: ذكر يافث في هذا الخبر غريب لم أروه إلا من هذا الطريق ، وجميع الاخبار التي رويتها في هذا المعنى فيها ذكر حام وأنه ضحك لما انكشفت عورة ابيه ، وأن ساماً ويافثاً كانا في ناحية ، فبلغهما ما صنع ، فأقبلا ومعهما ثوب وهما معرضان ، وألقيا عليه الثوب وهو نائم ، فلما استيقظ اوحى الله عز وجل اليه ما صنع حام ، فلعن حام ودعا عليه .

قصص الانبياء للراوندي طاب ثراه ، بإسناده الى ابن عباس قال : قال ابليس لعنه الله : يا نوح لك عندي يد ، سأعلمك خصالاً ، قال نوح : وما يدي عندك ؟ قال : دعوتك على قومك حتى أهلكهم الله جميعاً ، فإياك والكبر ، وإياك والحرص ، وإياك والحسد؛ فان الكبر هو الذي حملني على أن تركت السجود لآدم فأكفرني وجعلني شيطاناً رجيماً ، وإياك والحرص فان آدم أبيح له الجنة ونهي عن شجرة واحدة فحمله الحرص على ان أكل منها ، وإياك والحسد فان ابن آدم حسد اخاه فقتله . فقال نوح صلوات الله عليه : متى تكون اقدر على ابن آدم ؟ قال : عند الغضب .

الكافي في الصحيح عن ابي عبد الله صلوات الله عليه قال : لما هبط نوح عليه السلام من السفينة ، غرس غرساً ، فكان فيما غرس النخلة ، ثم رجع الى اهله ، فجاء ابليس لعنه الله فقلعها ، ثم إن نوحاً عليه السلام عاد الى غرسه فوجده على حاله ، ووجد النخلة قد قلعت ، ووجد ابليس عندها ، فأتاه جبرئيل عليه السلام فأخبره ان ابليس لعنه الله قلعها، فقال نوح لإبليس: ما دعاك الى قلعها؟ فوالله ما غرست غرساً أحب إلي منها، ووالله لا أدعها حتى أغرسها . فقال إبليس : وأنا والله لا أدعها حتى اقلعها . فقال : اجعل لي منها نصيباً . قال: فجعل له منها الثلث، فأبى ان يرضى، فجعل له النصف، فأبى ان يرضى ، وأبى نوح ان يزيده . فقال جبرئيل لنوح عليه السلام : يا رسول الله أحسن فان منك الإحسان ، فعلم نوح انه قد جعل الله له عليها سلطاناً ، فجعل نوح له الثلثين .

قال ابو عبد الله عليه السلام: فاذا أخذت عصيراً فاطبخه حتى يذهب الثلثان من نصيب الشيطان ، فإذا ذهب فكل واشرب حينئذ .

وفيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن ابليس نازع نوحاً عليه السلام في الكرم فأتاه جبرئيل عليه السلام ، فقال: ان له حقاً فاعطه ، فأعطاه الثلث فلم يرض ابليس ، ثم اعطاه النصف فلم يرض ، فطرح جبرئيل ناراً فأحرقت الثلثين ، وبقي الثلث ، فقال : ما احرقت النار فهو نصيبه ، وما بقي فهو لك يا نوح حلال .

الفصل الثاني

في بعثته الى قومه وقصة الطوفان

إعلم أن الله سبحانه كرر قصة نوح عليه السلام في كثير من سوَر القرآن، قال الطبرسي طاب ثراه : وهو نوح بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام وهو اول نبي بعد ادريس . وقيل : انه كان نجاراً وولد في العام الذي مات فيه آدم عليه السلام ، وبعث وهو ابن اربعمائة سنة ، وكان يدعو قومه ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعاؤه إلا فراراً ، وكان يضربه قومه حتى يغشى عليه، فاذا أفاق قال: اللهم إهد قومي فانهم لا يعلمون، وكانوا يثورون الى نوح عليه السلام فيضربونه حتى تسيل مسامعه دماً وحتى لا يعقل شيئاً مما صنع به ، فيحمل فيرمى في بيت او على باب داره مغشياً عليه ، فأوحى الله تعالى اليه أن لن يؤمن قومك إلا من آمن ، فعندها أقبل على الدعاء عليهم فقال : « رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً » فأعقم الله أصلاب الرجال وأرحام النساء ، فلبثوا اربعين سنة لا يولد لهم ، وقحطوا في تلك الاربعين سنة حتى هلكت اموالهم وأصابهم الجهد والبلاء ، ثم قال لهم نوح: « استغفروا ربكم انه كان غفاراً » ، الآيات، فلم يؤمنوا وقالوا : لا تذرن آلهتكم ، الآيات، حتى اغرقهم الله تعالى وآلهتهم التي كانوا يعبدونها ، فلما كان بعد خروج نوح عليه السلام من السفينة ، وعبد الناس الأصنام سموا اصنامهم بأسماء اصنام قوم نوح، فاتخذ اهل اليمن يغوث ويعوق، وأهل دومة الجندل صنماً سمّوه وداً ، واتخذت حِميَر صنماً سمته نسراً ، وهذيل سماه سواعاً ، فلم يزل يعبدونها حتى جاء الإسلام .

وروي ان الله تعالى لم يرحم قوم نوح عليه السلام في عذابهم .

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : لما فار التنور وكثر الماء في السكك ، خشيت ام صبي عليه وكانت تحبه حباً شديداً ، فخرجت الى الجبل حتى بلغت ثلثه، فلما بلغها الماء عرجت به حتى بلغت ثلثيه ، فما بلغها الماء حتى استوت على الجبل ، فلما بلغ الماء

رقبتها رفعته بيديها حتى ذهب بها الماء ، فلو رحم الله منهم احداً لرحم ام الصبي . وأما امرأة نوح فقال الله فيها وفي امرأة لوط : « كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما » .

قال ابن عباس: كانت امرأة نوح كافرة تقول للناس : انه مجنون ، واذا آمن احد بنوح اخبرت الجبابرة من قوم نوح به ، وكانت امرأة لوط تدل على أضيافه ، وكان ذلك خيانتها لهما ، وما بغت امرأة نبي قط ، وإنما كانت خيانتها في الدين .

قال السدي : كانت خيانتهما أنهما كانتا كافرتين .

وقيل : كانتا منافقتين .

وقال الضحاك : خيانتهما النميمة إذ أوحى الله اليهما افشتاه الى المشركين ، واسم امرأة نوح واغلة ، واسم امرأة لوط واهلة ، وقال مقاتل : والفة وواهلة .

وفي تفسير علي بن ابراهيم : (كانتا تحت عبدين من عبادنا فخانتاهما) والله ما عنى بقوله فخانتاهما إلا الفاحشة . أقول : ينبغي حمل الفاحشة هنا على معناها اللغوي وهو ما تفاحش قبحه ولا قبح اكبر من الكفر والنفاق .

وفيه ايضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن ابن ابي عمير عن ابن سنان عن ابي عبدالله عليه السلام قال : بقي نوح عليه السلام في قومه ثلاثمائة سنة يدعوهم الى الله ، فلم يجيبوه ، فهمّ أن يدعو عليهم عند طلوع الشمس، فوافاه اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة سماء الدنيا ، وهم العظماء من الملائكة ، قالوا له : نسألك ان لا تدعو على قومك، قال نوح : قد اجلتهم ثلاثمائة سنة ، فلما أتى عليهم ستمائة سنة ولم يؤمنوا ، همّ ان يدعو عليهم ، فوافاه اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماء الثانية ، فقالوا : نسألك أن لا تدعو على قومك ، فقال نوح : قد اجلتهم ثلاثمائة سنة ، فلما أتى عليهم تسعمائة سنة ولم يؤمنوا ، همّ ان يدعو عليهم ، فأنزل الله عز وجل (انه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) فقال نوح عليه السلام (رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً) فأمره الله عز وجل ان يغرس النخل ، فكان قومه يسخرون به ويقولون : شيخ يغرس النخل ، فلما أتى لذلك خمسون سنة وبلغ النخل ، امره الله ان ينحت السفينة، وأمر جبرئيل عليه السلام إن يعلمه ، فقدر طولها في الارض ألفاً ومائتي ذراع ، وعرضها ثمانمائة ذراع ، وطولها في السماء ثمانون ذراعاً ، فقال : يا رب من يعينني على اتخاذها؟ فأوحى الله اليه : ناد في قومك من أعانني عليها ونجر منها شيئاً صار ما ينجره ذهباً وفضة ،

فنادى نوح فيهم بذلك فأعانوه عليه ، وكانوا يسخرون منه ويقولون يتخذ سفينة في البر .

وعنه عليه السلام لما أراد الله عز وجل إهلاك قوم نوح عليه السلام ، عقم أرحام النساء أربعين عاماً لم يولد فيهم مولود ، فلما فرغ من اتخاذ السفينة امره الله تعالى ان ينادي فيهم بالسريانية لا يبقى بهيمة ولا حيوان إلا حضر ، فأدخل كل جنس من أجناس الحيوان زوجين السفينة ، وكان الذين آمنوا به من جميع الدنيا ثمانون رجلاً ، فقال الله تعالى (احمل فيها من كل زوجين اثنين) وكان نجر السفينة في مسجد الكوفة ، فلما كان اليوم الذي أراد الله إهلاكهم، كانت امرأة نوح تخبز في الموضع الذي يعرف بفار التنور في مسجد الكوفة ، وقد كان نوح عليه السلام اتخذ لكل ضرب من أجناس الحيوان موضعاً في السفينة ، وجمع لهم ما يحتاجون اليه من الغذاء ، وصاحت امرأته لما فار التنور ، فجاء نوح الى التنور فوضع طيناً وختمه ، حتى أدخل جميع الحيوانات في السفينة ، ثم جاء الى التنور وفض الخاتم، ورفع الطين، وانكسفت الشمس ، ونزل من السماء ماء منهمر صب بلا قطر ، وتفجرت الارض عيوناً ، فقال الله عز وجل : اركبوا فيها ، فدارت السفينة ، ونظر نوح عليه السلام الى ابنه يقع ويقوم فقال له (يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين) ، فقال ابنه (سآوي الى جبل يعصمني من الماء) فقال نوح : (لا عاصم اليوم من امر الله إلا من رحم الله) ، ثم قال نوح : (رب إن ابني من اهلي وإن وعدك الحق) ، فقال : يا نوح (انه ليس من اهلك إنه عمل غير صالح فحال بينهما الموج فكان من المغرقين) فدارت السفينة وضربتها الأمواج حتى وافت مكة ، وطافت في البيت ، وغرق جميع الدنيا إلا موضع البيت ، وإنما سمي البيت العتيق لأنه أعتق من الغرق ، فبقي الماء ينصب من السماء أربعين صباحاً ، ومن الأرض العيون حتى ارتفعت السفينة فمست السماء ، فرفع نوح يده وقال : (يا رهمان انفر) وتفسيرها يا رب أحسن ، فأمر الله الارض أن : تبلع ماءها ، فأراد ماء السماء ان يدخل في الارض، فامتنعت الارض من قبوله ، وقالت : انما امرني ان ابلع مائي، فبقي ماء السماء على وجه الارض ، واستوت السفينة على جبل الجودي وهو بالموصل جبل عظيم ، فبعث الله جبرئيل عليه السلام فساق الماء الى البحار حول الدنيا ، وأنزل الله على نوح : (يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم) ، فنزل نوح عليه السلام بالموصل من السفينة مع الثمانين ، وبنوا مدينة الثمانين ، وكانت لنوح بنت ركبت معه السفينة ، فتناسل الناس منها ، وذلك

قول النبي ﷺ : نوح أحد الأبوين . انتهى ملخصاً .

أقول قوله تعالى : (إنه ليس من أهلك) . قيل فيه أقوال :

أحدها : انه كان ابنه لصلبه ، والمعنى انه ليس من اهلك الذين وعدتك نجاتهم معك ، لأن الله تعالى قد استثنى من اهله الذين وعده ان ينجيهم ممن أراد إهلاكهم بالغرق ، فقال (إلا من سبق عليه القول) عن ابن عباس .

وثانيها ان المراد بقوله (إنه ليس من أهلك) ليس على دينك ، فكأن كفره اخرجه عن أن يكون له احكام أهله ، وهذا كما قال النبي ﷺ سلمان منا اهل البيت وإنما أراد على ديننا . ويؤيد هذا التأويل ان الله سبحانه قال على طريق التعليل (انه عمل غير صالح) فبين انه إنما اخرج عن احكام اهله لكفره وشر عمله .

وثالثها انه لم يكن ابنه حقيقة وإنما ولد على فراشه ، فقال عليه السلام انه ابنه على ظاهر الأمر ، فاعلمه الله ان الأمر بخلاف الظاهر ونبهه على خيانة امرأته ، عن الحسن ومجاهد وهذا الوجه بعيد من حيث أن فيه منافاة للقرآن ، لأنه تعالى قال (ونادى نوح ابنه) ولأن الأنبياء يجب أن ينزهوا عن مثل هذا الحال لأنها تعيير وتشين وقد نزه الله انبياءه عما دون ذلك .

ورابعها انه كان ابن امرأته وكان ربيبه. ويعضده قراءة من قرأ بفتح الهاء وحذف الالف وإثباته لفظاً ، والمعتمد المعول عليه في تأويل الآية القولان الاولان .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال : كان قوم مؤمنون قبل نوح عليه السلام فماتوا ، فحزن عليهم الناس ، فجاء إبليس فاتخذ لهم صورهم ليأنسوا بها ، فأنسوا بها فلما جاء الشتاء أدخلوهم البيوت ، فمضى ذلك القرن وجاء القرن الآخر، فجاءهم إبليس فقال لهم : ان هؤلاء آلهة كان آباؤكم يعبدونها فعبدوهم ، وضل منهم كثير ، فدعا عليهم نوح فأهلكهم الله .

وفي مناقب ابن شهر آشوب عن الأزدي قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول (ونادى نوح ابنه) أي ابنها وهي لغة طي .

أقول : هذه القراءة بفتح الهاء وحذف الالف ، وهي لغة طي ، ونسبها القراء والمفسرون الى أهل البيت عليهم السلام يعني ابن امرأته .

وعن ابي عبدالله عليه السلام قال : إن نوحاً لما كان ايام الطوفان ، دعا مياه الارض فأجابته إلا المر والكبريت . وعنه عليه السلام لما هبط نوح عليه السلام من السفينة أتاه إبليس

فقال له : ما في الأرض رجل اعظم منة عليّ منك ، دعوت الله على هؤلاء الفساق فأرحتني منهم ألا أعلمك خصلتين : إياك والحسد فهو الذي عمل بي ، وإياك والحرص فهو الذي عمل بآدم ما عمل . وفي حديث آخر قال له : جزاء هذه المنة اذكرني في ثلاثة مواطن ، فإني أقرب ما يكون الى العبد اذا كان في احداهن ، اذكرني اذا غضبت ، واذكرني اذا حكمت بين اثنين ، واذكرني اذا كنت مع امرأة خلياً ليس معكما احد .

عيون أخبار الرضا عليه السلام : سأل الشامي امير المؤمنين عليه السلام عن قول الله عز وجل (يوم يفر المرء من اخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه) من هم ؟ فقال عليه السلام قابيل يفر من هابيل ، والذي يفر من امه موسى ، والذي يفر من ابيه ابراهيم ، والذي يفر من صاحبته لوط ، والذي يفر من ابنه نوح يفر من ابنه كنعان .

علل الشرايع عن وهب مسنداً قال : أهل الكتاب يقولون ان إبليس عمر زمان الغرق كله في الجو الأعلى يطير بين السماء والأرض بالذي أعطاه الله من القوة والحيلة ، وعمرت جنوده في ذلك الزمان تطفو فوق السماء وتحولت الجن أرواحاً تهب فوق الماء ، وبذلك توصف خلقتها أنها تهوي هوى الريح ، إنما سمي طوفان لأن الماء طفا فوق كل شيء ، فلما هبط نوح عليه السلام من السفينة اوحى الله عز وجل اليه يا نوح إني خلقت خلقي لعبادتي ، وأمرتهم بطاعتي ، وقد عصوني وعبدوا غيري ، واستوجبوا بذلك غضبي فغرقتهم ، وإني قد جعلت قوسي أماناً لعبادي وبلادي وموثقاً مني بيني وبين خلقي يأمنون به الى يوم القيامة من الغرق ومن اوفى بعهده مني ، ففرح نوح عليه السلام بذلك وتباشر ، وكانت القوس فيها سهم ووتر ، فنزع الله عز وجل السهم والوتر من القوس وجعلها أماناً لعباده من الغرق .

أقول : جاء في الحديث عن الصادق عليه السلام ان هذا القوس ظهر في السماء بعد الغرق أماناً منه لمن بقي الى يوم القيامة . وقال عليه السلام : لا تقولوا قوس قزح ، فإن قزح اسم الشيطان ، ولكن قولوا قوس الله ، وإن هذه المجرة التي في السماء ويسمونها مجر الكبش موضع انفطار السماء للماء ، لأنه لم ينزل قطرات وإنما نزل دفعاً ، فلما التأمت السماوات بقي أثره كالجرح المندمل يبقى أثره في البدن .

(عيون أخبار الرضا عليه السلام) قال الوشا : قال لي كيف تقرأون (قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح) فقلت من الناس من يقرأ (انه عمل غير

صالح) نفاه عن أبيه ، فقال عليه السلام : كلا لقد كان ابنه ، ولكن لما عصى الله عز وجل ، نفاه عن ابيه .

أقول : ها هنا قراءتان في المتواتر ، فالأكثر على الفعل الماضي وما بعده منصوب على المفعولية ، يعني أن اعماله غير صالحة ، وقراءة الكسائي ويعقوب وسهل على المصدرية ، وما بعده صفة له وأولوه على انه تولد من الخيانة ، وحينئذ فقوله عليه السلام : كلا يجوز ان يكون رداً للتأويل لا للقراءة ، يعني ان تأويلهم باطل لأن نفيه عنه باعتبار الدين والعمل ، ويجوز ان يكون نفياً للقراءة ، يعني أنها قراءة باطلة لم ينزل بها جبرئيل عليه السلام .

وفيه تأييد لما حررناه في مواضع من كتبنا من القدح في تواتر القراءات السبع ، وانها إن ثبت تواترها فإنما هو عن القراء السبعة لا عن صاحب الوحي صلى الله عليه وآله ، وذلك ان القراء في كثير من الموارد اذا ذكروا قراءة يقولون قرأ فلان كذا ، فيجعلون قراءة القرآن تسمية لقراءتهم صلوات الله عليهم ، وقد فصلنا الكلام في هذا المقام في شرحنا على تهذيب الحديث بما لا مزيد عليه .

وفيه عنه عليه السلام قال : سأل الشامي أمير المؤمنين عليه السلام فقال : ما بال الماعز مرفوعة الذنب بادية الحياء والعورة ؟ فقال : لأن الماعز عصت نوحاً عليه السلام لما أدخلها السفينة ، فدفعها فكسر ذنبها . والنعجة مستورة الحياء والعورة لأن النعجة بادرت بالدخول الى السفينة ، فمسح نوح عليه السلام يده على حياها وذنبها ، فاستوت الألية .

(علل الشرايع) عن ابي عبدالله عليه السلام قال : ان النجف كان جبلاً ، وهو الذي قال ابن نوح (سآوي الى جبل يعصمني من الماء) ولم يكن على وجه الارض جبل اعظم منه ، فأوحى الله عز وجل اليه: يا جبل أيعتصم بك مني ! فتقطع قطعاً قطعاً الى بلاد الشام ، وصار رماداً دقيقاً ، وصار بعد ذلك بحراً عظيما ، وكان يسمى ذلك البحر ببحر (ني) ثم جف بعد ذلك وقيل : ني جف ، فسمي نجف ، ثم صار بعد ذلك يسمونه نجف لأنه كان أخف على ألسنتهم .

وفيه : انه لما ركب نوح عليه السلام في السفينة ، ألقى الله عز وجل السكينة على ما فيها من الدواب والطير والوحش ، فلم يكن شيء فيها يضر شيئاً ، كانت الشاة تحتك بالذئب ، والبقرة تحتك بالأسد ، وأذهب الله حمة كل ذي حمة ، فلم يزالوا كذلك في السفينة حتى خرجوا منها ، وكان الفار قد كثر في السفينة والعذرة ، فأوحى الله عز وجل الى نوح عليه السلام ان يمسح الأسد ، فمسحه فعطس فخرج من منخريه هران ذكر

وانثى فخف الفار ، ومسح وجه الفيل فعطس فخرج من منخريه خنزيران ذكر وانثى فخف العذرة .

وعن ابي عبدالله عليه السلام قال : جاء نوح عليه السلام الى الحمار ليدخله السفينة فامتنع عليه ، وكان إبليس بين أرجل الحمار ، فقال : يا شيطان ادخل ، فدخل الحمار ودخل الشيطان .

وعنه عليه السلام قال : ارتفع الماء زمن نوح عليه السلام على كل جبل وعلى كل سهل خمسة عشر ذراعاً .

(الفقيه) قال ابو جعفر الباقر عليه السلام أن الحيض للنساء نجاسة رماهن الله عز وجل بها ، وقد كن النساء في زمن نوح عليه السلام إنما تحيض المرأة في كل سنة حتى خرجن نسوة من حجابهن ، وكن سبعمائة امرأة ، وانطلقن فلبسن المعصفرات من الثياب ، وتحلين وتعطرن ، ثم خرجن فتفرقن في البلاد ، فجلسن مع الرجال وشهدن الأعياد معهم ، وجلسن في صفوفهم فرماهن الله عز وجل بالحيض عند ذلك في كل شهر ، يعني اولئك النسوة بأعيانهن ، فسالت دماؤهن ، فخرجن من بين الرجال ، فكن يحضن في كل شهر حيضة ، فشغلهن الله تعالى بالحيض وكسر شهوتهن ، قال : وكان غيرهن من النساء اللواتي لم يفعلن مثل ما فعلن يحضن في كل سنة حيضة ،قال فتزوج بنو اللائي يحضن في كل شهر بنات اللاتي يحضن في كل سنة حيضة ، فامتزج القوم ، فحضن بنات هؤلاء وهؤلاء في كل شهر حيضة ، وكثر اولاد اللاتي يحضن في كل شهر حيضة لاستقامة الحيض ، وقل أولاد اللاتي يحضن في السنة حيضة لفساد الدم ، قال : فكثر نسل اولئك .

الكافي عن ابي عبد الله عليه السلام قال : لما أظهر الله نبوة نوح وأيقن الشيعة بالفرج ، اشتدت البلوى ، ووثبوا الى نوح بالضرب المبرح ، حتى مكث في بعض الاوقات مغشياً عليه ثلاثة ايام ، يجري الدم من أذنه ، ثم افاق وذلك بعد سنة ثلاثمائة من مبعثه ، وهو في خلال ذلك يدعوهم ليلا ونهاراً فيهربون ، ويدعوهم سراً فلا يجيبون ، ويدعوهم علانية فيولون . فهم بعد ثلاثمائة سنة بالدعاء عليهم وجلس بعد صلاة الفجر للدعاء ، فهبط اليه وفد من السماء السابعة وهم ثلاثة أملاك ، فسلموا عليه ثم قالوا له : يا نبي الله حاجتنا ان تؤخر الدعاء على قومك ، فإنها اول سطوة لله عز وجل في الارض ، قال : قد أخرت الدعاء عليهم ثلاثمائة سنة أخرى ، وعاد اليهم فصنع ما كان يصنع ويفعلون ما كانوا يفعلون حتى اذا انقضت ثلاثمائة سنة أخرى ويئس من إيمانهم جلس في وقت

ضحى النهار للدعاء ، فهبط اليه وفد من السماء السادسة فسلموا عليه وسألوه مثل ما سأله الوفد الاول، فأجابهم مثل ما أجاب اولئك ، ثم عاد وقومه بالدعاء حتى انقضت ثلاثمائةسنة تتمة تسعمائة سنة فصارت اليه الشيعة وشكوا ما ينالهم من العامة والطواغيت وسألوه الدعاء بالفرج فأجابهم الى ذلك وصلى ودعا ، فهبط جبرئيل عليه السلام فقال : ان الله تبارك وتعالى قد أجاب دعوتك فقل للشيعة يأكلوا التمر ويغرسوا النوى ويراعوه حتى يثمر ، فاذا أثمر فرجت عنهم ، فعرّفهم ذلك واستبشروا ففعلوا ذلك وراعوه حتى أثمر ثم سألوه ان ينجز لهم الوعد . فسأل الله ذلك ، فأوحى الله اليه : قل لهم كلوا هذا التمر واغرسوا النوى فاذا اثمرت فرجت عنكم . فلما ظنوا ان الخلف قد وقع عليهم ارتد عنهم الثلث وبقي الثلثان ، فأكلوا التمر وغرسوا النوى حتى اذا أثمر أتوا به نوحاً ، فسألوه ان ينجز لهم الوعد ، فسأل الله عز وجل عن ذلك ، فأوحى الله اليهم : قل لهم كلوا التمر واغرسوا النوى ، فارتد الثلث الآخر ، وبقي الثلث . فأكلوا التمر وغرسوا النوى ، فلما أثمر أتوا به نوحاً عليه السلام فأخبروه وقالوا : لم يبق منا إلا القليل ونحن نتخوف على انفسنا بتأخر الفرج أن نهلك، فصلى نوح عليه السلام فقال : يا رب لم يبق من اصحابي إلا هذه العصابة واني اخاف عليهم الهلاك إن تأخر الفرج، فأوحى الله عز وجل اليه: قد أجبت دعوتك فاصنع الفلك ، فكان بين إجابة الدعاء والطوفان خمسون سنة .

اقول : ورد في سبب التأخير تصفية المؤمنين من الكفار والمنافقين الذين يظهرون الايمان ويسرون الكفر .

الخرائج عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : لما اراد الله ان يهلك قوم نوح اوحى الله اليه أن شق ألواح الساج ، فلما شقها لم يدر ما يصنع بها فهبط جبرئيل فأراه هيئة السفينة ومعه تابوت بها مائة الف مسمار وتسعة وعشرون الف مسمار فسمر المسامير كلها السفينة الى ان بقيت خمسة مسامير فضرب بيده الى مسمار فأشرق بيده وأضاء كما يضيء الكوكب الدري في أفق السماء، فتحير نوح فأنطق الله المسمار بلسان طلق ذلق فقال: انا على اسم خير الانبياء محمد بن عبد الله ، فهبط جبرئيل عليه السلام فقال له : يا جبرئيل ما هذا المسمار الذي ما رأيت مثله ؟ فقال : هذا باسم سيد الانبياء محمد بن عبد الله ، إسمره على اولها على جانب السفينة الايمن، ثم ضرب بيده الى مسمار ثان، فأشرق وأنار، فقال : هذا مسمار اخيه وابن عمه سيد الاوصياء علي بن ابي طالب فاسمره على جانب السفينة الايسر في اولها ، ثم ضرب بيده الى مسمار ثالث فزهر وأشرق وأنار ، فقال

جبرئيل عليه السلام : هذا مسمار فاطمة ، فاسمره الى جانب مسمار ابيها ، ثم ضرب بيده الى مسمار رابع فزهر وأنار ، فقال جبرئيل عليه السلام : هذا مسمار الحسن فاسمره الى جانب مسمار ابيه، ثم ضرب بيده الى مسمار خامس فزهر وأنار وأظهر النداوة، فقال جبرئيل عليه السلام : هذا مسمار الحسين عليه السلام فاسمره الى جانب مسمار ابيه ، فقال نوح: يا جبرئيل ما هذه النداوة ؟ فقال : هذا الدم ، فذكر قصة الحسين عليه السلام وما تعمل الامة به ، فلعن الله قاتله وظالمه وخاذله .

وعن ابي عبد الله عليه السلام انه قال لبعض غلمانه في شيء جرى : لئن انتهيت وإلا ضربتك ضرب الحمار ، قيل : وما ضرب الحمار ؟ قال : ان نوحاً عليه السلام لما ادخل السفينة من كل زوجين اثنين جاء الى الحمار ، فأبى ان يدخل ، فأخذ جريدة من نخل فضربه ضربة واحدة وقال له : عبسا شيطانا ، اي ادخل يا شيطان .

المحاسن عن ابي عبد الله عليه السلام قال : لما حسر الماء عن عظام الموتى فرأى ذلك نوح عليه السلام فجزع جزعاً شديداً، فاغتم بذلك، فأوحى الله اليه: ان كل العنب الاسود ليذهب غمك .

العياشي عن عبد الله العلوي قال : كانت السفينة مطبقة بطبق وكان معه خرزتان تضيء احداهما بالنهار ضوء الشمس وتضيء احداهما بالليل ضوء القمر، وكانوا يعرفون وقت الصلاة ، وكان آدم معه في السفينة ، فلما خرج من السفينة صير قبره تحت المنارة بمسجد منى .

اقول : اكثر الاخبار دالة على ان قبره بالنجف الاشرف ضجيع قبر امير المؤمنين عليه السلام وقبر نوح عليه السلام .

وعن ابي عبد الله عليه السلام : ان مدة لبثهم في السفينة سبعة ايام ولياليها .

وفي حديث آخر : مائة وخمسين يوماً بلياليها ، وقيل ستة اشهر .

العياشي عن الأعمش يرفعه الى علي عليه السلام في قوله: «حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور» فقال : اما والله ما هو تنور الخبز ، ثم أومأ بيده الى الشمس فقال : طلوعها .

وفي تفسير العياشي عن ابي عبد الله عليه السلام قال : صنعها في مائة سنة ثم امره ان يحمل فيها من كل زوجين اثنين ، الازواج الثمانية التي خرج بها آدم من الجنة ليكون معيشة لعقب نوح عليه السلام في الارض كما عاش آدم عليه السلام فان الارض تغرق وما فيها إلا ما كان معه في السفينة ، قال : فحمل نوح عليه السلام في السفينة الازواج الثمانية التي

قال الله : « وأنزل لكم من الأنعام ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين » فكان زوجين من الضأن زوج يربيها الناس ويقومون بأمرها،وزوج من الضأن التي تكون في الجبال وهي الوحشية أحل لهم صيدها،ومن المعز اثنين زوج يربيها الناس ، وزوج من الظباء ، ومن البقر اثنين زوج يربيه الناس ، وزوج هو البقر الوحشي ، ومن الابل زوجين وهو النجاتي والغراب، وكل طير وحشي وأنسي ، ثم غرقت الارض .

اقول: المفسرون قالوا المراد بالزوجين الصنفان، يعني الذكر والانثى، وما قاله عليه السلام هو الاصوب والأنسب، وعنه عليه السلام قال: ينبغي لولد الزنا ان لا تجوز شهادته ولا يؤم بالناس، لم يحمله نوح في السفينة وقد حمل فيها الكلب والخنزير. وعنه عليه السلام في قوله: « وما آمن معه إلا قليل » قال : آمن معه ثمانية نفر من قومه .

وعنه عليه السلام بأسانيد متعددة في قول الله : « ونادى نوح ابنه » فقال: ليس بابنه انما هو ابن زوجته على لغة طي يقولون لابن المرأة ابنه .

وعن ابي الحسن عليه السلام : ان الله أوحى الى الجبال اني واضع سفينة نوح على جبل منكن في الطوفان ، فتطاولت وشمخت وتواضع جبل بالموصل يقال له : الجودي ، فمرت السفينة تدور في الطوفان على الجبال كلها حتى انتهت الى الجودي، فوقفت عليه، فقال نوح : بارات قني بارات قني ، يعني : اللهم اصلح اللهم اصلح . وفي حديث آخر انه ضرب جؤجؤ السفينة الجبل فخاف عليها، فقال: يا ماريا اتقن، يعني: رب اصلح. وفي حديث آخر انه قال : يا رهمان اتقن ، وتأويلها : رب احسن .

وعن ابي عبد الله عليه السلام قال : سأل نوح ربه ان ينزل على قومه العذاب، فأوحى الله اليه ان يغرس نواة من النخل فاذا بلغت وأثمرت هلك قومه ، فغرس نوح النواة وأخبر اصحابه بذلك ، فلما أثمرت وأطعم اصحابه ، قالوا له . يا نبي الله الوعد الذي وعدتنا . فأوحى الله اليه ان يعيد الغرس ثانية ، حتى اذا بلغ النخل وأثمر فأكل منه نزل عليهم العذاب ، فأخبر نوح اصحابه بذلك ، فصاروا ثلاث فرق ، فرقة ارتدت وفرقة نافقت وفرقة ثبتت مع نوح عليه السلام ، ففعل نوح عليه السلام ذلك حتى اذا بلغت النخلة وأثمرت وأكل منها وأطعم اصحابه قالوا : يا نبي الله الوعد الذي وعدتنا ، فدعا نوح ربه ، فأوحى الله اليه: ان يغرس الغرسة الثالثة فاذا بلغ وأثمر أهلك قومه. فأخبر اصحابه ، فافترقوا ثلاث فرق ، فرقة ارتدت وفرقة نافقت وفرقة ثبتت معه حتى فعل نوح ذلك عشر مرات وفعل الله بأصحابه الذين يبقون معه فيفترقون كل فرقة ·

ثلاث فرق على ذلك فلما كان في العاشرة جاء اليه رجل من أصحابه فقال : يا نبي الله فعلت بنا مـا وعدت او لم تفعل ، فأنت صادق نبي مرسل لا نشك فيك ولو فعلت ذلك بنا ، قال فعند ذلك من قولهم اهلكهم الله لقول نوح ، وأدخـل الخاص معه السفينة فنجاهم الله تعالى ونجى نوحاً معهم بعد ما صفوا وذهب الكدر منهم .

(كتاب القصص) لمحمد بن جرير الطبري : ان الله تعالى اكرم نوحـاً بطاعته وكان طوله ثلاثمائة وستين ذراعاً ، بذراع زمانه . وكان لباسه الصوف ولباس إدريس قبله الشعر ، وكان يسكن الجبال ويأكل من نبات الأرض .

وفي حديث آخر : انه كان نجاراً فجاءه جبرئيل عليه السلام بالرسالة وقـد بلغ عمره اربعمائة سنة وستين سنة ، فقال له : ما بالك معتزلاً ؟ قال لأن قومي لا يعرفون الله فاعتزلت عنهم ، فقال جبرئيل عليه السلام فجاهدهم ، فقال نوح عليه السلام لا طاقة لي بهم ، ولو عرفوني لقتلوني فقال له : فإن اعطيت القوة كنت تجاهدهم ؟ قال : واشوقاه الى ذلك ، فقال له نوح : من أنت ؟ فصاح جبريل عليه السلام صيحة واحـدة ، فأجابته الملائكة بالتلبية ورجت الأرض وقالت : لبيك لبيك يا رسول رب العالمين فبقي نوح مرعوباً ، فقال له جبريل عليه السلام : أنا صاحب أبويك آدم وادريس والرحمن يقرؤك السلام ، وقد أتيتك بالبشارة. وهـذا ثوب الصبر وثوب اليقين وثوب النصرة وثوب الرسالة والنبوة وآمرك ان تتزوج بعمارة بنت ضمران بن اخنوخ فإنها أول من تؤمن بك، فمضى نوح عليه السلام يوم عاشوراء الى قومه وفي يـده عصاً بيضاء ، وكانت العصا تخبره بما يكن به قومه ، وكان رؤساؤهم سبعين الف جبار عند اصنامهم في يوم عيدهم ، فنادى : لا إله إلا الله ، فارتجت الأصنام وخمدت النيران وأخذهم الخوف ، وقـال الجبارون : من هذا ؟ فقال نوح : أنا عبد الله وابن عبديه ، بعثني اليكم رسولاً ، فسمعت عمورة كلام نوح فآمنت به فعاتبها أبوها أيؤثر فيك قول نوح في يوم واحد وأخاف ان يعرف الملك بك فيقتلك ، فقالت عمورة : يا أبت اين عقلك وحلمك ، نوح رجل وحيد ضعيف يصيح فيكم تلك الصيحة فيجري عليكم ما يجري ، فتوعدها فلم ينفع ، فأشاروا عليه بحبسها ومنعها الطعام ، فحبسها فبقيت في الحبس سنة وهم يسمعون كلامها ، فأخرجها بعد سنة ، وقد صار عليها نور عظيم وهي في أحسن حال فتعجبوا من حياتها بغير طعام ، فسألوها فقالت : انها استغاثت برب نوح وان نوحاً عليه السلام كان يحضر عندها بما تحتاج اليه ، ثم ذكر تزويجه بها وانها ولدت له سام بن نوح ، وذكروا

انه كان لنوح امرأتان ، احداهما رايعة ، وهي الكافرة فهلكت ، وحمل نوح معه في السفينة امرأته المسلمة .

وعن الصادق عليه السلام قال : يوم النيروز هو اليوم الذي استوت فيه سفينه نوح عليه السلام على الجودي .

(دعوات الراوندي) قال : لما ركب نوح في السفينة أبى ان يحمل العقرب معه فقالت: عاهدتك ان لا السع احداً يقول: سلام على محمد وآل محمد وعلى نوح في العالمين.
وقال علي عليه السلام : صلى نبي الله نوح عليه السلام ومن معه ستة أشهر قعوداً ، لأن السفينة كانت تتكفىء بهم .

الباب الرابع

في قصص هود النبي (ع) وقومه وعاد

قال الله تعالى : (والى عاد اخاهم هوداً . قال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون) وقد ذكر الله سبحانه قصته في كثير من السور والآيات .

(وعاد) هو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح ، اخاهم في النسب ، لأن هود ابن شالخ بن ارفخشد بن نوح . وقيل هو ابن عبد الله بن رباح بن حلوت بن عاد بن علوص ابن آدم بن سام بن نوح . كذا في كتاب النبوة : وقد جعلهم الله سكان الأرض من بعد قوم نوح وزادهم بسطة في الخلق، كان اطولهم مائة ذراع واقصرهم سبعين ذراعاً .

وقال ابو جعفر الباقر عليه السلام : كانوا كأنهم النخل الطوال فكان الرجل منهم يضرب الجبل بيده فيهدم منه قطعة وكانوا يعبدون اصناماً سموها آلهة ، ولذا قال لهم هود عليه السلام : (اتجادلونني في اسماء سميتموها) . وقيل معناه تسميتهم لبعضها انه يسقيهم المطر والأرض وانه يأتيهم بالرزق والآخر انه يشفي المرضى والآخر انه يصحبهم في السفر ، وهؤلاء الذين اهلكهم الله بالريح، خرج على قدر الخاتم وكانوا يقولون لنبيهم هود ولا نقول فيك إلا انه اصابك بعض آلهتنا بسوء فخبل عقلك لسبك إياه، وكانوا يبنون البنيان بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة فيسخروا بهم ويعبثوا منهم . وقيل ان معنى قوله : (اتبنون بكل ريع) هو اتخاذهم بروجاً للحمام عبثاً ولما دعاهم ولم ينفع بهم حبس الله سبحانه عنهم المطر فساق اليهم سحابة سوداء فاستبشروا وقالوا : هذا عارض ممطرنا ، فقال هود : بل هو العذاب الذي طلبتموه فأرسل الله عليهم ريحاً اهلكت كل شيء واعتزل هود ومن معه في حضيرة لم يصبهم من تلك الريح الا ما تلين على الجلود وتلتذ به الأنفس وانها لتمر على عاد بالظعن ما بين السماء والأرض حتى ترى الظعينة كأنها جرادة وقد سخر تلك الريح عليهم سبع ليال وثمانية ايام ، قال وهب:

هي التي تسميها العرب ايام العجوز ذات برود ورياح شديدة ، وإنما نسبت الى العجوز، لأن عجوزاً دخلت سرباً فتبعتها الريح فقتلتها في اليوم الثامن .

(وفي تفسير علي بن ابراهيم) ان عاداً كانت بلادهم في البادية وكانت لهم زرع ونخل كثير ولهم اعمار طويلة واجسام طويلة فعبدوا الأصنام فبعث الله اليهم هوداً يدعوهم الى الاسلام فأبوا ولم يؤمنوا بهود وآذوه فكفت السماء عنهم سبع سنين حتى قحطوا وكان هود زارعاً وكان يسقي الزرع ، فجاء قوم الى بابه يريدونه ، فخرجت عليهم امرأته شمطاء عوراء ، فقالت ومن انتم ؟ فقالوا نحن من بلاد كذا وكذا اجدبت بلادنا، فجئنا الى هود نسأله ان يدعو الله حتى تمطر وتخصب بلادنا، فقالت : لو استجيب لهود لدعا لنفسه احترق زرعه لقلة الماء ، قالوا : فأين هو ؟ قالت : هو في موضع كذا وكذا فجاؤوا اليه ، فقالوا : يا نبي الله قد اجدبت بلادنا فاسأل الله ان يمطر بلادنا ، فصلى ودعا لهم فقال : ارجعوا فقد امطرتم ، فقالوا : يا نبي الله لقد رأينا في بيتك عجباً ، امرأة شمطاء عوراء ، وحكوا له كلامها ، فقال هود: تلك امرأتي ، وانا ادعو الله لها بطول البقاء ! فقالوا : وكيف ذلك ؟ قال : لأنه ما خلق الله مؤمناً إلا وله عدو يؤذيه وهي عدوتي فلان يكون عدوي ممن املكه ، خير من ان يكون عدوي ممن يملكني، فبقي هود في قومه يدعوهم الى الله وينهاهم عن عبادة الأصنام حتى تخصب بلادهم وهو قوله عز وجل : (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه . يرسل السماء عليكم مدراراً . ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين) . (فقالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين) فلما لم يؤمنوا ارسل الله عليهم الريح الصرصر ، يعني الباردة ، وهو قوله في سورة القمر : (كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر . إنا ارسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر) . وحكى في سورة الحاقة فقال : (واما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية . سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوماً) . قال كان القمر منحوساً بزحل سبع ليال وثمانية ايام .

وعن أبي جعفر عليه السلام : الريح العقيم تخرج من تحت الأرضين السبع ، وما خرج منها شيء قط إلا على قوم عاد ، حين غضب الله عليهم، فأمر الخزان ان يخرجوا منها مثل سعة الخاتم ، فعصفت على الخزنة فخرج منها مثل مقدار منخر الثور تغيظاً منها على قوم عاد ، فضج الخزنة الى الله من ذلك. وقالوا : يا ربنا انها قد عتت علينا ونحن نخاف ان نهلك ، ممن لم يعصك من خلقك وعمار بلادك ، فبعث الله جبرئيل عليه السلام

فردها بجناحه ، وقال لها اخرجي على ما امرت به ، فرجعت وخرجت على ما امرت به فأهلكت قوم عاد ومن كان بحضرتهم .

(علي بن ابراهيم) قال حدثني ابي قال : امر المعتصم ان يحفر بالبطانية بئر ، فحفروا ثلاثمائة قامة فلم يظهر الماء فتركه ولم يحفره ، فلما ولي المتوكل امر ان يحفر ذلك البئر أبداً حتى يبلغ الماء ، فحفروا حتى وضعوا في كل مائة قامة بكرة حتى انتهوا الى صخرة فضربوها بالمعول فانكسرت فخرجت عليهم منها ريح باردة فمات من كان بقربها ، فأخبروه بذلك فلم يعلم ما ذاك فقالوا : سل ابن الرضا عن ذلك وهو ابو الحسن علي بن محمد العسكري عليه السلام ، فكتب اليه يسأله عن ذلك، فقال عليه السلام : تلك بلاد الاحقاف – أي الرمل – وهم قوم عاد الذين اهلكهم الله بالريح الصرصر وكان نبيهم هود وكانت بلادهم كثيرة الخير ، فحبس الله عنهم المطر سبع سنين ، حتى اجدبوا وذهب خيرهم وكان هود يدعوهم فلم يؤمنوا . فأوحى الله الى هود عليه السلام : ان يأتيهم العذاب في وقت كذا و كذا ريح فيها عذاب اليم ، فلما كان ذلك الوقت نظروا الى سحاب قد اقبلت ففرحوا بالمطر ، فقال هود عليه السلام : بل هو عذاب استعجلتم بطلبه ، ريح فيها عذاب اليم ، فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ، وكل هذه الأخبار من هلاك الامم تخويف وتحذير لأمة محمد صلى الله عليه وآله .

(وقال عليه السلام) : الرياح خمسة منها العقيم فنعوذ بالله من شرها .

(وقال رسول الله صلى الله عليه وآله) : ما خرجت ريح قط إلا بمكيال إلا زمن عاد فانها عتت على خزانها ، فخرجت في مثل خرق الابر فأهلكت قوم عاد .

(الكافي) عن ابي جعفر عليه السلام قال : ان لله جنوداً من رياح يعذب بها من يشاء ممن عصاه ، ولكل ريح منها ملك موكل بها ، فاذا اراد الله ان يعذب قوماً بنوع من العذاب ، اوحى الله الى الملك الموكل بذلك النوع من الريح التي يريد ان يعذبهم بها ، قال : فيأمرها الملك فتهيج كما يهيج الأسد المغضب ، قال : ولكل ريح منهن اسم ، اما تسمع قوله تعالى في عاد : (إذا ارسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر) وقال تعالى الريح العقيم وقال : (ريح فيها عذاب اليم) . وقال : (فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت) وما ذكر من الرياح التي يعذب الله بها من عصاه .

(علل الشرايع) بالاسناد عن وهب قال : ان الريح تحت هذه الأرض التي نحن عليها قد زمت بسبعين الف زمام من حديد ، قد وكل بكل زمام سبعون الف ملك ،

سلطها الله عز وجل على عاد ، استأذنت خزنة الريح ربها عز وجل ان يخرج منها في مثل منخري الثور ، ولو أذن الله عز وجل لها ما تركت شيئاً على وجه الأرض الا احرقته ، فأوحى الله عز وجل الى خزنة الريح ان اخرجوا منها مثل ثقب الخاتم ، فأهلكوا بها ، وبها ينسف الله عز وجل الجبال نسفاً والتلال والاكام والمدائن والقصور يوم القيامة .

وذلك قوله عز وجل : (يسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً. فيذرها قاعاً صفصفاً . لا ترى فيها عوجاً ولا امتاً) والقاع الذي لا نبات فيها ، والصفصف الذي لا عوج فيه ، والأمت المرتفع ، وإنما سميت العقيم لأنها تلقحت بالعذاب وتعقمت عن الرحمة كتعقم الرجل ، اذا كان عقيماً لا يولد له ، وطحنت تلك القصور والحصون والمدائن حتى صاروا رملاً ، وإنما كثر الرمل في تلك البلاد لأن الريح طحنت تلك البلاد وعصفت عليهم (سبع ليال وثمانية ايام حسوماً . فترى القوم فيها صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية) وكانت ترفع الرجال والنساء فتهب بهم صعداً ثم ترمي بهم من الجو فيقعون على رؤوسهم منكبين ، تقلع الرجال والنساء من تحت ارجلهم ثم ترفعهم وكانت الريح نقضت الجبال كما نقضت المساكن فتطحنها ، ثم تعود رملاً دقيقاً ، إنما سميت عاد ارم ذات العماد ، من اجل انهم كانوا يسلخون العمد من الجبال فيجعلون طول العمد مثل طول الجبال الذي يسلخونه من اسفله الى اعلاه ، ثم ينقلون تلك العمد فينصبونها ، ثم يبنون القصور عليها ، فسميت ذات العماد لذلك .

(كتاب الاحتجاج) عن علي بن يقطين قال : امر أبو جعفر الدانيفي يقطين ان يحفر بئراً بقصر العبادي ، فلم يزل يقطين في حفرها حتى مات أبو جعفر ، ولم يستنبط منها الماء فأخبر المهدي بذلك ، فقال له : احفر أبداً حتى يستنبط الماء ولو أنفقت جميع ما في بيت المال ، فوجه يقطين اخاه ابا موسى في حفرها ، فلم يزل يحفر حتى ثقبوا ثقباً في أسفل الارض فخرجت منه الريح فهالهم ذلك فأخبروا به ابا موسى فقال : انزلوني وكان رأس البئر أربعين ذراعاً في أربعين ذراع ، فأجلس في شق محمل ودلي في البئر فلما صار في قعرها نظر الى هولها وسمع دوي الريح في أسفل ذلك ، فأمرهم أن يوسعوا الخرق فجعلوه شبه الباب العظيم ، ثم دلي فيه رجلان في شق محمل ، فقال ايتوني بخبر هذا فنزلا ومكثا ملياً ثم حركا الحبل ، فأصعدا ، فقال لهما : ما رأيتما ؟ قالا : أمراً عظيماً نساء ورجالاً وبيوتاً وآنية ومتاعاً كلهم مسوخ من حجارة ، فأما الرجال والنساء فعليهم ثيابهم . فمن بين قاعد ومضطجع ومتكىء ، فلما

مسناهم إذا ثيابهم تنقشاً مثل الهباء ، ومنازلهم قائمة ، فكتب بذلك ابو موسى الى المهدي ، فكتب الى المدينة الى موسى بن جعفر عليهما السلام يسأله أن يقدم عليه ، فقدم عليه ، فأخبره فبكى بكاء شديداً ، وقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء بقية أصحاب عاد غضب الله عليهم فساخت بهم منازلهم ، هؤلاء أصحاب الأحقاف ـ أي الرمل ـ.

أقول : قال المبرد المراد من الاحقاف الرمل الكثير ، وهي رمال بين عمان الى حضرموت . وقيل هي باليمن مشرفة على البحر .

(إكمال الدين) مسنداً الى أبي وائل قال : ان رجلاً يقال له عبد الله بن قلابة خرج في طلب إبل له قد شردت ، فبينما هو في صحاري عدن في الفلوات إذ هو قد وقع على مدينة عليها حصن حول ذلك الحصن قصور كثيرة واعلام طوال فلما دنا منها ظن ان فيها من يسأله عن إبله فلم ير داخلاً ولا خارجاً ، فنزل عن ناقته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب الحصن فاذا هو ببابين عظيمين لم ير في الدنيا أعظم منها ولا أطول، وإذا خشبها من أطيب عود وعليها نجوم من ياقوت اصفر وياقوت أحمر ضوؤها قد ملأ المكان ، فلما رأى ذلك المكان أعجبه ففتح احد البابين ودخل فاذا هو بمدينة لم ير الراؤون مثلها قط ، واذا هو بقصور وكل قصر منها معلق تحته اعمدة من زبرجد وياقوت فوق كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد ، وعلى كل باب من ابواب تلك القصور مصاريع مثل مصاريع باب المدينة من عود طيب قد نضدت عليه اليواقيت وقد فرشت تلك القصور باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران ، فلما رأى ذلك ولم ير احداً افزعه ذلك ، ونظر الى الأزقة واذا في كل زقاق منها اشجار قد اثمرت تحتها انهار تجري ، فقال هذه الجنة التي وعد الله عز وجل لعباده في الدنيا فالحمد لله الذي ادخلني الجنة ، فحمل من لؤلؤها وبنادق المسك والزعفران ولم يستطع ان يقلع من زبرجدها ولا من ياقوتها لأنه كان مثبتاً في أبوابها وجدرانها ، وكان اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران بمنزلة الرمل في تلك القصور والغرف كلها ، فأخذ منها ما أراد وخرج ، حتى أتى ناقته ركبها ثم سار يقفو اثره حتى رجع الى اليمن وأظهر ما كان معه وأعلم الناس أمره وباع بعض ذلك اللؤلؤ ، وكان قد اصفر وتغير من طول ما مر عليه من الليالي والأيام ، فشاع خبره وبلغ معاوية ابن ابي سفيان ، فأرسل رسولاً الى صاحب صنعاء وكتب باشخاصه ، فشخص حتى قدم على معاوية . فخلا به وسأله عما عاين ، فقص عليه أمر المدينة وما رأى فيها وعرض عليه ما حمله منها من اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران ، فقال والله ما اعطي سليمان بن

داود مثل هذه المدينة . فبعث معاوية الى كعب الأحبار فقال له : يا أبا اسحاق هل بلغك ان في الدنيا مدينة مبنية بالذهب والفضة وعمدها زبرجد وياقوت وحصا قصورها وغرفها اللؤلؤ وأنهار في الأزقة تجري من تحت الأشجار .

قال كعب : أما هذه المدينة صاحبها شداد بن عاد الذي بناها ، وأما المدينة فهي ارم ذات العماد وهي التي وصفها الله عزوجل في كتابه المنزل على نبيه محمد ﷺ وذكر انه لم يخلق مثلها في البلاد .

قال معاوية حدثنا بحديثها فقال : ان عاد الاولى وليس بعاد قوم هود كان له ابنان سمى احدهما شديداً والآخر شداداً ، فهلك عاد وبقيا وملكا وتجبرا وأطاعهما الناس في الشرق والغرب فمات شديد وبقي شداد ، فملك وحده لم ينازعه احد، وكان مولعاً بقراءة الكتب ، وكان كلما سمع بذكر الجنة ومـا فيها من البنيان والياقوت والزبرجد رغب ان يفعل مثل ذلك في الدنيا،عتواً على الله عزوجل فجعل على صنعتها مائة رجل ، تحت كل واحد الف من الاعوان، فقال انطلقوا الى اطيب فلاة في الأرض وأوسعها واعملوا لي فيها مدينة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ واصنعوا تحت تلك المدينة أعمدة من زبرجـد وعلى المدينة قصوراً وعلى القصور غرفاً وفوق الغرف غرف ، واغرسوا تحت القصور وفي أزقتها اصناف الثمار كلها وأجروا فيها الانهار ، حتى تكون تحت أشجارها ، فاني ارى في الكتب صفة الجنة وانا أحب ان اجعل مثلها في الدنيا ، قالوا له : كيف نقدر على ما وصفت لنا من الجواهر والذهب والفضة حتى يمكننا ان نبني مدينة كما وصفت ؟ قال شداد : ألا تعلمون ان ملك الدنيا بيدي؟ قالوا : بلى ، قال : انطلقوا الى كل معدن من معادن الجواهر والذهب والفضة فوكلوا بها حتى تجمعون ما تحتاجون اليه وخذوا جميع ما تجدونـه في أيدي الناس من الذهب والفضة ، فكتبوا الى ملك الشرق والغرب فجعلوا يجمعون الجواهر عشر سنين فبنوا له هذه المدينة في مدة ثلاثمائة سنة، وعمر شداد تسعمائة سنة، فلما أتوه وأخبروه بفراغهم منها ، قال : فانطلقوا فاجعلوا عليها حصناً واجعلوا حول الحصن الف قصر عند كل قصر الف علم يكون في كل قصر من القصور وزير من وزرائي ، فرجعوا وعملوا ذلك كـله . ثم أتوه فأخبروه بالفراغ منها كما أمرهم . فأمر الناس بالتجهيز الى ارم ذات العماد فأقاموا في تجهيزهم اليها عشر سنين ، ثم سار الملك يريد ارم ، فلما كان من المدينة على مسيرة يوم وليلة ، بعث الله عز وجل عليه وعلى جميع من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم ، ولا دخـل ارم ولا أحد ممن كان معه فهذه صفة ارم ذات العماد ،

واني لأجد في الكتب ان رجلاً يدخلها ويرى ما فيها ثم يخرج فيحدث الناس بما رأى، فلا يصدق ، وسيدخلها اهل الدين في آخر الزمان .

وفي (مجمع البيان) في آخره : وسيدخلها في زمانك رجل من المسلمين احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال ، يخرج من تلك الصحاري في طلب إبـل له (والرجل عند معاوية) فالتفت اليه كعب وقال : هذا والله ذلك الرجل .

الباب الخامس

في قصص نبي الله صالح صلوات الله عليه

وفيه بيان حال قومه

قال الله تبارك وتعالى : (وإلى ثمود اخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم . واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون من الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين . قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون ان صالحاً مرسل من ربه قالوا إنا بما ارسل به مؤمنون . قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون . فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح إئتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين. فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين. فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) . وقد ذكر الله سبحانه قصتهم في كتابه المجيد تعظيماً لمواقعتهم الشنيعة وتخويفاً لهذه الأمة من أن يرتكبوا مثلها ، وقد ارتكبوا ما هو اشنع وأفظع منها .

ولهذا صح عنه صلى الله عليه وآله انه قال لعلي عليه السلام : اشقى الأولين والآخرين من عقر ناقة صالح ومن ضربك يا علي على قرنك حتى تخضب من دم رأسك لحيتك .

وتواتر عنه صلى الله عليه وآله تشبيه قاتله عليه السلام بعاقر الناقة . وقد صنف بعض المتأخرين رسالة في وجه هذا التشبيه وأطال في بيان وجوه المناسبة ومن امعن النظر فيه يظهر له شدة انطباقه عليه وذلك ان علياً عليه السلام كان آية لله تعالى اظهرها على يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ، كما قال عليه السلام : وأي آية اعظم مني .

وذكر الفاضل المعتزلي ابن ابي الحديد في الشرح: ان تأريخ الدنيا وأحوالها مضبوط من بعد الطوفان الى يومنا هذا ، وما بلغنا في هـذه المدة الطويلة ان رجلاً من العرب والعجم والترك والهند والروم يدانيه في الشجاعة مع تكثرهم في طوايف الناس بل ولم يقاربه احد في خصلة من خصال الكمال .

(وروى) صاحب كتاب القدسيات من علماء الجمهور انـه قال جبرئيل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله : ان الله بعث علياً مع الأنبياء باطناً وبعثه معك ظاهراً .

وأما ولادته فكانت في الكعبة التي هي صخرة بيت الله ، كما خرجت الناقـة من الصخرة ، ولم يتفق ذلك لنبي او وصي نبي . وكان عليه السلام : يمير الناس العلوم والحكم، كما كانت الناقة تميرهم السقيا .

وأمـا سبب شهادته عليه السلام فكانت قطامة عليها لعنة الله ، كما كان السبب في عقر الناقة الملعونة الزرقاء، وبعد ان استشهد عليه السلام عمدوا الى ولده الحسين عليه السلام وقتلوه، كما قتل اولئك فصيل الناقة ، الى غـير ذلك من وجوه المناسبة بين قران قاتله عليه السلام مع عاقر الناقة والمشابهة بينهما .

وقوله سبحانه : (تتخذون من سهولها) السهل خلاف الجبل ، وهو ما ليس فيه مشقة للناس أي تبنون في سهولها الدور والقصور ، وإنما اتخذوها في السهول ليصيفوا فيها. (وتنحتون من الجبال بيوتاً) قال ابن عباس : كانوا يبنون القصور بكل موضع وينحتون من الجبال بيوتاً ليكون مساكنهم في الشتاء احسن وادفأ . وكانت ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام وكانت عاد باليمن وكانت اعمار ثمود من الف سنة الى ثلاثمائة.

وأما صالح عليه السلام: فهو صالح بن ثمود بن عاثر بن ارم بن سام بن نوح عليهم السلام.

(العياشي) عن ابيه عن ابي حمزة الثمالي عن ابي جعفر عليه السلام قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله سأل جبرئيل عليه السلام كيف كان مهلك قوم صالح ؟ فقال: يا محمد ان صالحاً بعث الى قومه وهو ابن ست عشرة سنة فلبث فيهم حتى بلغ عشرين ومائة سنة، لا يجيبونه الى خير وكان لهم سبعون صنماً يعبدونها من دون الله فلما رأى ذلك منهم ، قال : يا قوم اني قـد بعثت اليكم وأنا ابن ست عشرة سنة وقد بلغت عشرين ومائة سنة ، وأنا اعرض عليكم امرين إن شئتم فاسألوني حتى اسأل إلهي فيجيبكم فيما تسألوني ، وإن شئتم سألت آلهتكم فإن اجابتني بالذي اسألها خرجت عنكم فقد شنئتم وشنئتموني ؟ فقالوا قد

انصفت ، فاتعدوا ليوم يخرجون فيه ، فخرجوا بأصنامهم الى ظهرهم ثم قربوا طعامهم وشرابهم فأكلوا وشربوا ، فلما فرغوا دعوه فقالوا يا صالح سل ، فدعا صالح كبير اصنامهم ، فقال ما اسم هذا ؟ فأخبروه باسمه فناداه باسمه فلم يجب فقالوا ادع غيره فدعا كلها بأسمائهم ، فلم يجبه واحد منهم ، فقال يا قوم قد ترون دعوت اصنامكم فلم يجبني واحد منهم ، فاسألوني حتى ادعو إلهي فيجبكم الساعة ، فأقبلوا على اصنامهم فقالوا لها ما بالكن لا تجبن صالحاً ، فلم تجب ، فقالوا يا صالح تنح عنا ودعنا وأصنامنا قال فرموا بتلك البسط التي بسطوها وبتلك الآنية وتمرغوا في التراب وقالوا لها لئن لم تجبن صالحاً اليوم لتفضحن ، ثم دعوه فقالوا يا صالح تعال فسلها ، فعاد فسألها فلم تجبه ، فقال يا قوم قد ذهب النهار ولا أرى آلهتكم تجيبني ، فاسألوني حتى ادعو إلهي فيجيبكم الساعة ، فانتدب له سبعون رجلاً من كبرائهم فقالوا يا صالح نحن نسألك ، فقال اكل هؤلاء يرضون بكم ؟ قالوا نعم، فإن اجابك هؤلاء اجبناك قالوا يا صالح نحن نسألك فإن اجابك ربك اتبعناك وتابعك جميع قريتنا. فقال لهم صالح سلوني ما شئتم فقالوا انطلق بنا الى هذا الجبل فانطلق معهم ، فقالوا سل ربك ان يخرج لنا الساعة من هذا الجبل ناقة حمراء شديدة الحمرة وبراء عشراء – يعني حاملاً – بين جنبيها ميل، فقال سألتموني شيئاً يعظم عليّ ويهون على ربي ، فسأل الله ذلك . فانصدع الجبل صدعاً كادت تطير منه العقول لما سمعوا صوته واضطرب الجبل كما تضطرب المرأة عند المخاض ، ثم لم يفجأهم إلا ورأسها قد طلع عليهم من ذلك الصدع فما استتمت رقبتها حتى اجترت ثم خرج ساير جسدها ، فاستوت على الارض قائمة فلما رأوا ذلك ، قالوا يا صالح ما اسرع ما اجابك ربك ، فاسأله ان يخرج لنا فصيلها فسأل الله ذلك ، فرمت به فدبّ حولها، فقال يا قوم ابقي شيء ؟ قالوا لا فانطلق بنا الى قومنا نخبرهم ما رأيناه ويؤمنوا بك ، فرجعوا فلم يبلغ السبعون الرجل اليهم حتى ارتد منهم اربعة وستون رجلا وقالوا سحر ، وثبت الستة وقالوا الحق ما رأيناه ، ثم ارتاب من الستة واحد فكان فيمن عقرها . وزاد محمد بن ابي نصر في حديثه : قال سعيد بن يزيد فاخبرني انه رأى الجبل الذي خرجت منه بالشام ، فرأى جنبها قد حك الجبل فأثر جنبها فيه وجبل آخر بينه وبين هذا ميل .

وفي (التهذيب) عن امير المؤمنين عليه السلام قال: ادفنوني في هذا الظهر في قبر اخوي هود وصالح عليهما السلام .

(وعن ابن عباس) قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم وهو آخذ بيد علي

عليه السلام وهو يقول : يا معاشر الأنصار انا محمد رسول الله إلا إني خلقت من طينة مرحومة في اربعة من اهل بيتي : انا وعلي وحمزة وجعفر . فقال قائل هؤلاء معك ركبان يوم القيامة ؟ فقال كذلك انه لن يركب يومئذ إلا اربعة : انا وعلي وفاطمة وصالح ، فأما انا فعلى البراق ، وأما فاطمة ابنتي فعلى العضباء ، وأما صالح فعلى ناقة الله التي عقرت ، وأما علي فعلى ناقة من نوق الجنة ، زمامها من ياقوت عليه حلتان خضراوان ، فيقف بين الجنة والنار وقد الجم الناس العرق يومئذ فتهب ريح من قبل العرش فتنشف عنهم عرقهم ، فيقول الأنبياء والملائكة والصديقون ما هذا إلا ملك مقرب او نبي مرسل ، فينادي مناد : ما هذا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولكنه علي بن ابي طالب اخو رسول الله (صلوات الله عليهما في الدنيا والآخرة) .

(وفي تفسير علي بن ابراهيم) صالح قال لهم : لهذه الناقة شراب – أي تشرب ماءكم يوماً – وتدر لبنها عليكم يوماً ، فكانت تشرب ماءهم يوماً وإذا كان من الغد وقفت وسط قريتهم ، فلا يبقى في القرية احد إلا حلب منها حاجته ، وكان فيهم تسعة من رؤسائهم يفسدون في الارض ، فعقروا الناقة وقتلوها وقتلوا فصيلها ، فلما عقروا الناقة قالوا لصالح إئتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين . قال صالح : (تمتعوا في داركم ثلاثة ايام) وعلامة هلاككم انه تصفر وجوهكم غداً وتحمر بعد غد وتسود يوم الثالث ، فلما كان من الغد نظروا الى وجوههم قد اصفرت فلما كان اليوم الثاني احمرت مثل الدم فلما كان الثالث اسودت وجوههم ، فبعث الله عليهم صيحة جبرئيل عليه السلام صاح بهم صيحة تقطعت بها قلوبهم وخرقت منها اسماعهم فماتوا اجمعين في طرفة عين ، ثم ارسل الله عليهم ناراً من السماء فأحرقتهم .

(قال) الحسن بن محبوب : حدثني رجل من اصحابنا يقال له سعيد بن زيد في حديث طويل قال فيه : وكانت مواشيهم تنفر منها لعظمها ، فهموا بقتلها ، قالوا وكانت امرأة جميلة يقال لها صدوب ذات مال وبقر وغنم ، وكانت اشد الناس عداوة لصالح ، فدعت رجلاً من ثمود يقال له مصدع ، وجعلت له على نفسها على ان يعقر الناقة ، وامرأة اخرى يقال لها عنيزة ، دعت قدار بن سالف وكان احمر ازرق قصيراً وكان ولد زنا ولم يكن لأبيه ، ولكنه ولد على فراشه ، قالت اعطيك أي بناتي شئت على ان تعقر الناقة ، فانطلق قدار ومصدع فاستغويا غواة ثمود فاتبعها سبعة نفر واجمعوا على عقر الناقة . ولما ولد قدار وكبر وجلس مع اناس يصيبون من الشراب فأرادوا ماء يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة ، فوجدوا الماء قد شربته

الناقة ، فاشتد ذلك عليهم فقال قدار هل لكم في ان اعقرها لكم ؟ قالوا نعم .

(وقال كعب) كان سبب عقرهم الناقة ان امرأة يقال لها ملكا كانت قد ملكت ثموداً فلما اقبلت الناس على صالح وصارت الرياسة اليه حسدته ، فقالت لامرأة يقال لها قطام وكانت معشوقة قدار بن سالف ولامرأة اخرى يقال لها قبال كانت معشوقة مصدع وكان قدار ومصدع يجتمعان معها كل ليلة ويشربون الخمر فقالت لهما ملكا إن اتا كا الليلة قدار ومصدع فلا تطيعاهما وقولا لهما ان الملكة حزينة لأجل الناقة ولأجل صالح فنحن لا نطيعكما حتى تعقرا الناقة ، فلما اتياهما قالتا لهما هذه المقالة فقالا نحن نكون من وراء عقرها ، فانطلق قدار ومصدع وأصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في اصل صخرة في طريقها وكمن لها مصدع في اصل اخرى ، فمرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من احسن الناس فأسفرت لقدار ثم زمرته فشد على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرجت ورغت رغاء واحدة ثم طعنها في لبتها فنحرها ، وخرج أهل البلدة واقتسموا لحمها وطبخوه ، فلما رأى الفصيل ما فُعل بأمه ولى هارباً ثم صعد جبلا ، ثم رغا رغاء تقطع منه قلوب القوم ، وأقبل صالح فخرجوا يعتذرون اليه ، إنما عقرها فلان ولا ذنب لنا ، فقال صالح : انظروا هل تدركون فصيلها فإن ادركتموه فعسى ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه في الجبل فلم يجدوه .

وكانوا عقروا الناقة ليلة الأربعاء ، ، فقال لهم صالح تمتعوا داركم ثلاثة ايام ، فإن العذاب نازل بكم ، فصاح بهم جبرئيل عليه السلام تلك الصيحة ، وكانوا قد تحنطوا وتكفنوا وعلموا ان العذاب نازل بهم ، فماتوا اجمعين في طرفة عين ، وكان ذلك في يوم الأربعاء .

الباب السادس

في قصص إبراهيم عليه السلام وفيه فصول

الفصل الاول

في علة تسميته وفضائله وسننه ونقش خاتمه

على نبينا وآله وعليه السلام

قد ذكر الله سبحانه قصته وبين احواله في كثير من الآيات والسور ، لأنه ابو الأنبياء ، وثاني اولي العزم ، وخليل الرحمن ، وكانت الأنبياء ينسبون الى دينه .

ولذا قال عليه السلام : ما على دين ابراهيم غيرنا وغير شيعتنا .

قال الله سبحانه : (ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين . ان اولي الناس بإبراهيم الذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) .

(علل الشرايع) مسنداً الى الرضا عليه السلام قال : إنما اتخذ الله ابراهيم خليلا لأنه لم يرد احداً قط ، ولم يسأل احداً غير الله عز وجل .

(وعن) علي عليه السلام قال كان ابراهيم اول من اضاف الضيف وأول من شاب فقال ما هذا ؟ فقيل وقار في الدنيا ونور في الآخرة .

(وقال) الصدوق رحمه الله : سمعت بعض المشايخ من أهل العلم يقول : انه سمي

ابراهيم : ابراهيم ، لأنه همّ فبر . وقيل : انه هم بالآخرة فبرئ من الدنيا .

(وسئل) عن ابي عبدالله عليه السلام : لم اتخذ الله ابراهيم خليلاً ؟ قال لكثرة سجوده على الأرض . (وعن) محمد بن العسكري عليه السلام قال : إنما اتخذ الله عز وجل ابراهيم خليلاً لكثرة صلواته على محمد وآل محمد صلوات الله عليهم .

(وعنه) عليه السلام : ما اتخذ الله ابراهيم خليلاً إلا لإطعامه الطعام ، وصلواته بالليل والناس نيام .

(وعن) ابي جعفر عليه السلام قال : لما اتخذ الله ابراهيم خليلاً اتاه ملك الموت ببشارة الخلة في صورة شاب ابيض ، فدخل ابراهيم الدار ، فاستقبله خارجاً من الدار ، وكان ابراهيم رجلاً غيوراً ، وكان إذا خرج في حاجة اغلق بابه وأخذ مفتاحه ، فقال : يا عبدالله ما ادخلك داري؟ فقال ربها ادخلنيها ، فقال ابراهيم ربها احق بها مني، فمن انت ؟ قال ملك الموت . ففزع ابراهيم ، فقال جئتني لتسلبني روحي ؟ فقال لا ، ولكن اتخذ الله عز وجل خليلاً فجئت ببشارته ، فقال ابراهيم فمن هذا لعلي اخدمه حتى اموت ، قال انت هو ، فدخل على سارة ، فقال ان الله اتخذني خليلاً .

(وعن) ابي عبدالله عليه السلام قال: لما جاء المرسلون الى ابراهيم عليه السلام، جاءهم بالعجل فقال كلوا ، فقال لا نأكل حتى تخبرنا مأمنه ، فقال اذا اكلتم فقولوا بسم الله ، وإذا فرغتم فقولوا الحمدلله ، فالتفت جبرئيل عليه السلام الى اصحابه وكانوا اربعة ، فقال حق الله ان يتخذ هذا خليلاً . ولما ألقي في النار تلقاه جبرئيل في الهواء وهو يهوي ، فقال يا ابراهيم ألك حاجة ؟ فقال أما اليك فلا .

(تفسير علي بن ابراهيم) عن ابي عبدالله عليه السلام ان ابراهيم عليه السلام اول من حول له الرمل دقيقاً، وذلك انه قصد صديقاً له بمصر في قرض طعام فلم يجده في منزله، فكره ان يرجع بالجمل خالياً ، فملأ جرابه رملاً، فلما دخل منزله، خلى بين الجمل وبين سارة، استحياء منها ، ودخل البيت ونام، ففتحت سارة عن دقيق اجود ما يكون ، فخبزت وقدمت اليه طعاماً طيباً ، فقال ابراهيم من أين لك هذا ؟ فقالت من الدقيق الذي حملته من خليلك المصري ، فقال أما انه من خليلي ، وليس بمصري ، فلذلك اعطى الخلة فشكر الله وحمده وأكل .

اقول : هذه أسباب لكونه عليه السلام خليلاً ، ولا تكون الخلة إلا مع اجتماع تلك الخصال كلها .

(وعن) ابي عبدالله عليه السلام قال : إذا كان يوم القيامة دعي محمد صلى الله عليه وآله فيكسى حلة وردية ، ثم يقام عن يمين العرش ثم يدعي بإبراهيم عليه السلام فيكسى حلة بيضاء فيقام عن يسار العرش ، ثم يدعي بعلي عليه السلام فيكسى حلة وردية فيقام عن يمين النبي صلى الله عليه وآله ، ثم يدعي باسماعيل فيكسى حلة بيضاء فيقام عن يسار ابراهيم عليه السلام ، ثم يدعي بالحسن عليه السلام فيكسى حلة وردية فيقام عن يمين امير المؤمنين عليه السلام ، ثم يدعي بالحسين فيكسى حلة وردية فيقام عن يمين الحسن عليه السلام ، ثم يدعي بالأئمة عليهم السلام فيكسون حللاً وردية فيقام كل واحد عن يمين صاحبه ، ثم يدعي بالشيعة فيقومون امامهم ، ثم يدعي بفاطمة عليها السلام ونسائها من ذريتها وشيعتها ، فيدخلون الجنة بغير حساب ، ثم ينادي مناد من بطنان العرش من قبل رب العزة : فنعم الأب ابوك يا محمد وهو ابراهيم ونعم الأخ اخوك وهو علي بن ابي طالب ، ونعم السبطان سبطاك وهما الحسن والحسين ، ونعم الجنين جنينك وهو محسن ، ونعم الأئمة الراشدون ذريتك وهم فلان وفلان ، ونعم الشيعة شيعتك . ثم يؤمر بهم الى الجنة .

(وعن) علي عليه السلام قال : كان الرجل يموت وقد بلغ الهرم ولا يشيب ، فكان الرجل يأتي النادي فيه الرجل وبنوه فلا يعرف الأب من الابن ، فيقول ايكم ابوكم ؟ فلما كان زمن ابراهيم عليه السلام قال اللهم اجعل لي شيئاً اعرف به ، فشاب وابيض رأسه ولحيته .

(قصص الأنبياء) للراوندي من علماء الامامية قال : كان في عهد ابراهيم عليه السلام رجل يقال له ماريا ابن اوى قد اتت عليه ستمائة وستون سنة وكان يكون في غيضة له بينه وبين الناس خليج من ماء غمر ، وكان يخرج الى الناس في كل ثلاث سنين، فيقيم في الصحراء في محراب يصلي فيه ، فخرج ذات يوم فإذا هو بغنم كان عليها الدهن فاعجب بها وفيها شاب كأن وجهه شقة قمر طالع ، فقال يا فتى لمن هذه الغنم ؟ قال لإبراهيم خليل الرحمن ، قال فمن انت ؟ قال انا ابنه اسحاق ، فقال ماريا في نفسه : اللهم ارني عبدك وخليلك حتى اراه قبل الموت ، ثم رجع الى مكانه ورفع اسحاق خبره الى ابيه ، فكان ابراهيم يتعاهد ذلك المكان ويصلي فيه ، فسأله ابراهيم عن اسمه وما اتى عليه من السنين فخبره ، فقال أين تسكن ؟ قال في غيضة . قال ابراهيم اني احب ان آتي موضعك فأنظر اليه وكيف عيشك فيها، فقال اني ايبس من الثمار الرطب

ما يكفيني الى قابل لا تقدر ان تصل الى ذلك الموضع فإنه خليج وماء غمر . فقال له ابراهيم فما لك — معبر ؟ قال لا . قال كيف تعبر ؟ قال امشي على الماء . قال ابراهيم لعل الذي سخر لك الماء يسخره لي للعبور . فانطلقا وبدأ ماريا فوضع رجله على الماء وقال : بسم الله . وقال ابراهيم : بسم الله . فالتفت ماريا وإذا ابراهيم يمشي كما يمشي هو ، فتعجب من ذلك ، فدخل الغيضة وأقام معه ابراهيم عليه السلام ثلاثة ايام لا يعلمه من هو ، ثم قال له ماريا ما احسن موضعك ، هل لك ان تدعو الله ان يجمع بيننا في هذا الموضع ، فقال ما كنت لأفعل . قال ولم ؟ قال لأني دعوته بدعوة منذ ثلاث سنين فلم يجبني فيها . قال وما الذي دعوته ؟ فقصّ عليه خبر الغنم واسحاق فقال ابراهيم قد استجاب لك ، انا ابراهيم . فقام وعانقه فكانت اول معانقة .

(نوادر الراوندي) باسناده عن الكاظم عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله اول من قاتل في سبيل الله ابراهيم الخليل عليه السلام حيث اسرت الروم لوطاً عليه السلام فنفر ابراهيم عليه السلام واستنقذه من ايديهم . وأول من اختتن ابراهيم عليه السلام اختتن بالقدوم على رأس ثمانين سنة .

اقول : يحمل هذا الاختتان وما روي بمعناه من الاخبار على التقية ، كما ورد في حديث آخر والوارد في اكثر الأخبار ان الأنبياء عليهم السلام يولدون مختونين . وفي بعضها : ان غلفهم وسررهم تسقط يوم السابع ، ويمكن التوفيق بحمل الأول على اولي العزم منهم ، والثاني على غيرهم. وقيل: بامكان ما يبقى من الغلف شيء يسقط يوم السابع.

(تفسير العياشي) عن الصادق عليه السلام قال : اذا سافر احدكم فليأت اهله بما تيسر ولو بحجر ، فإن ابراهيم عليه السلام ضاف ضيفاً فأتى قومه فوافق منهم قحطاً شديداً ، فرجع كما ذهب ، فلما قرب من منزله نزل عن حماره ، فملأ خرجه رملاً أراد أن يسكن به روع زوجته سارة ، فلما دخل منزله حط الخرج عن الحمار وافتتح الصلاة ، فجاءت سارة ففتحت الخرج فوجدته مملوءاً دقيقاً ، فاختبزت منه وقالت لابراهيم انفتل من صلاتك وكل ، فقال لها من أين لك هذا ؟ قالت من الدقيق الذي في الخرج ، فرفع رأسه الى السماء فقال اشهد انك الخليل .

(وعنه) عليه السلام قال : لقد كانت الدنيا وما كان فيها إلا واحداً يعبد الله ولو كان معه غيره إذاً لأضافه اليه ، حيث يقول (ان ابراهيم كان امة قانتاً لله حنيفاً ولم يكن من المشركين) ، فصبر بذلك ما شاء الله ، ثم ان الله تبارك وتعالى آنسه باسماعيل واسحاق ، فصاروا ثلاثة .

(وعنه) عليه السلام : إن الله تبارك وتعالى اتخذ ابراهيم عليه السلام عبداً قبل ان يتخذه نبياً ، وإن الله تعالى اتخذه نبياً قبل ان يتخذه رسولاً ، وإن الله تعالى اتخذه رسولاً قبل ان يتخذه خليلاً ، وإن الله تعالى اتخذه خليلاً قبل ان يجعله إماماً فلما جمع له الاشياء قال : (إني جاعلك للناس إماماً) . قال فمن عظمها في عين ابراهيم قال ومن ذريتي ؟ قال لا ينال عهدي الظالمين ، قال لا يكون السفيه إمام التقى .

(وعنه) عليه السلام : اول من اتخذ النعلين ابراهيم عليه السلام .

(وعن) ابي جعفر عليه السلام قال : كان الناس يموتون فجأة ، فلما كان زمن ابراهيم عليه السلام قال يا رب اجعل الموت علة يؤجر بها الميت ويسلى بها عن المصائب فأنزل الله عز وجل البرسام ثم انزل بعده الداء .

(نوادر الراوندي) عن الكاظم عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ان الولدان تحت عرش الرحمن يستغفرون لآبائهم يحضنهم ابراهيم عليه السلام وتربيهم سارة في جبل من مسك وعنبر وزعفران .

أقول : اولاد المؤمنين الذين يموتون اطفالاً ورد في بعض الاخبار ان الزهراء «ع» تربيهم في الجنة حتى يأتي ابواهم او واحد من اقاربهم فتدفعه اليهم .

وفي بعضها : ان بعض شجر الجنة له اخلاف كأخلاف البقر يرتضع منه اطفال المؤمنين الذين يموتون رضعاناً حتى يكبروا ، فيدفعوا الى آبائهم ، والتوفيق بين الاخبار تارة بأن بعضهم تربيهم الزهراء عليها السلام ، والآخر يحضنهم ابراهيم وسارة وأخرى بأن اطفال العلويين من اولادها عليهم السلام هي التي تربيهم وأطفال باقي المؤمنين يوكل الى غيرها . وأما نقش خاتمه عليه السلام فقد تقدم .

الفصل الثاني

في بيان ولادته عليه السلام وكسر الاصنام

وحال ابيه وما جرى له مع فرعون

قال الله سبحانه : (ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان آتاه الله الملك إذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي وأميت قال ابراهيم فإن الله يأتي بالشمس

من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين) . أي لم ينته علمك الذي حاج ابراهيم – أي خاصمه وهو نمرود بن كنعان وهو اول من تجبر وادعى الربوبية وهذه المحاجة .

(روي) عن الصادق عليه السلام : انها بعد إلقائه في النار ، وقوله : (ان اتاه الله الملك) أي محاجته ومخاصمته مع ابراهيم طغياناً وبغياً ، باعتبار الملك الذي اتاه الله والملك هنا عبارة عن نعيم الدنيا وهو بهذا المعنى يجوز ان يعطيه الله الكافر والمؤمن . وأما الملك بمعنى تمليك الأمر والنهي وتدبير امور الناس وايجاب الطاعة على الخلق ، فلا يجوز ان يؤتيه الله إلا من يعلم انه يدعو الى الصلاح والسداد والرشاد ولا يكون إلا للنبي وأهل بيته الطاهرين العالمين بما تحتاج اليه الأمة من اول امرها الى آخرها .

وقد ذكرت في بعض مؤلفاتي مباحثة مع بعض علماء العامة قلت له : الشيطان يأمر بكل منكر وينهى عن كل معروف، قال نعم قلت الامام يجب ان يكون نقيضاً للشيطان يأمر بما ينهى عنه الشيطان وينهى عما يأمر به الشيطان ، فقال نوافق على هذا القول ، فقلت وهذا لا يكون إلا اذا كان الامام عالماً بجميع الأوامر والنواهي الإلهية وإلا كان الشيطان اعلم منه ، ولم يكن على طرف النقيض مع الشيطان ومن ادعيتم لهم الامامة ليسوا على هذه الصفة بالإجماع على ما تواتر من قول الثاني: كل الناس افقه مني، حتى المخدرات في الحجاب وقول الأول عند اغاليطه: ان لي شيطاناً يعتريني، اذا زغت فقوموني وإذا ملت فسددوني . وأما الثالث : فحاله في الجهل اوضح من ان يذكر ، فعلى هذا الملك الذي وثبوا عليه وتقمصوه لم يكن ملك اتاهم الله، حتى اوجب على الناس طاعتهم ، مع انه لو كان الأمر كذلك يلزم الحرج على المكلفين ، لأن الاول في زمن خلافه ذهب الى مذاهب وفتاوى في الأحكام لم يذهب اليها الثاني وعمل بضدها: فكيف يجب متابعة الرجلين مع ما بينهما من التضاد والخلاف في الأقوال والأفعال .

(وروي) في تفسير قوله تعالى : (تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) انه قال رجل للصادق عليه السلام : ملك بني امية اهو من الله تعالى ؟ فقال عليه السلام : انه ملك لنا من الله ولكن بنو امية وثبوا عليه وغصبوه منا ، كمن كان له ثوب فجاء رجل فغصبه منه ولبسه ، فبلبسه له لم يصر ملكاً له ولا ثوبه ، والمراد بالملك هنا هو معناه الثاني ، وأما الملك بمعناه الأول فلا مانع من تمكين الله سبحانه لهم منه كما اعطى ملوك الكفار والسلاطين الظالمين وكانوا من الفريقين .

وقوله : (والذي يحيي ويميت) المراد بالأماتة هنا اخراج الروح من بدن الحي من غير جرح ولا نقص بنية ولا احداث فعل يتصل بالبدن من جهته ، وهذا خارج عن قدرة البشر .

وقوله : (انا احيي) بالتخلية من الحبس ، (واميت) بالقتل ، وهذا جهل منه لأنه اعتمد في المعارضة على العبارة فقط دون المعنى عادلاً عن وجه الحجة بفعل الحياة للميت او الموت للحي على سبيل الاختراع الذي ينفرد سبحانه به ولا يقدر عليه سواه فبهت الذي كفر – أي تحير عن الانقطاع بما بان له من ظهور الحجة . فان قيل : فهلا قال له نمرود فلتأت بها ربك من المغرب .

قيل : انه لما رأى الآيات علم انه لو اقترح ذلك لأتى به تصديقاً لأبراهيم ، فكان يزداد بذلك فضيحة ، على ان الله سبحانه خذله ، ولطف لابراهيم (والله لا يهدي القوم الظالمين) بالمعونة على بلوغ البغية من الفساد .

(عن ابن عباس) ان الله سبحانه سلط على نمرود بعوضة فعضت شفته ، فأهوى اليها ليأخذها فطارت في منخره ، فذهب ليستخرجها ، فطارت في دماغه ، فعذبه الله بها اربعين ليلة ، ثم اهلكه .

(تفسير علي بن ابراهيم) باسناده الى الباقر عليه السلام انه قال : ليهنئكم الاسم ، قيل ما هو ؟ قال (وانه من شيعته لابراهيم) . وقوله : فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ليهنئكم الاسم .

(اقول) الشيعة اسم تسمى الشيعة به ولقبوا به انفسهم. واما الرافضة فاسم سمانا به المخالفون ، وجاء في الحديث انه اسم للمؤمنين من قوم موسى سموا به لانفسهم رفضوا فرعون وقومه فذخر الله سبحانه هذا الاسم لنا معاشر الشيعة .

(وفيه) عن ابي عبد الله عليه السلام : ان آزر ابا ابراهيم عليه السلام كان منجماً لنمرود ابن كنعان ، فقال له اني ارى في حساب النجوم ان هذا الزمان يحدث رجلاً فينسخ هذا الدين ويدعو الى دين ، فقال له نمرود : في اي بلاد يكون ؟ قال : في هذه البلاد ، ولم يخرج بعد الى الدنيا قال : ينبغي ان نفرق بين الرجال والنساء ففرق ، وحملت ام ابراهيم بابراهيم ولم يظهر حملها . فلما حانت ولادتها ، قالت يا آزر اني قد اعتللت واريد ان اعتزل عنك ، وكانت في ذلك الزمان المرأة اذا اعتلت اعتزلت عن زوجها ، فاعتزلت في غار ، ووضعت ابراهيم وقمطته ، ورجعت الى منزلها وسدت

باب الغار بالحجارة ، فأجرى الله لابراهيم لبناً من ابهامـه ، وكانت تأتيه امه ، ووكل نمرود بكل امرأة حامل ، فكان يذبح كل ولد ذكر ، فهربت ام ابراهيم بابراهيم من الذبح ، وكان يشب ابراهيم في الغار يوماً كما يشب غيره في الشهر ، حتى اتى له في الغار ثلاث عشرة سنة ، فلما كان بعد ذلك زارته امه ، فلما ارادت ان تفارقه تشبث بها ، فقال : يا امي اخرجيني ، فقالت : يا بني ان الملك ان علم انك ولدت في هذا الزمان قتلك . فلما خرجت امه من الغار وقد غابت الشمس ، نظر الى الزهرة في السماء فقال : هذا ربي فلما غابت الزهرة فقال : لو كان ربي ، ما زال ولا برح ، ثم قال : لا احب الآفلين ، ـ الآفل الغائب ـ فلما نظر الى المشرق وقد طلع القمر ، قال : هذا ربي هذا اكبر واحسن ، فلما تحرك وزال قـال : (لئن لم يهدني ربي لأكونن من القـوم الضالين) فلما اصبح وطلعت الشمس ورأى ضوءها في الدنيا ، قال : هذا اكبر واحسن ، فلما تحركت وزالت ، كشف الله عن السماوات حتى رأى العرش وأراه الله ملكوت السماوات والأرض . فعند ذلك (قال يا قوم اني بريء ممـا تشركون . اني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما انا من المشركين) فجاء الى امه وادخلته دارها وجعلته بين اولادها . فنظر اليـه آزر فقـال من هذا الذي بقي في سلطان الملك والملك يقتل اولاد الناس ؟ قالت : هذا ابنك ولدتـه وقت كذا وكذا حين اعتزلت . فقال : ويحك إن علم الملك هذا نزلت منزلتنـا عنده . وكان آزر صاحب امر نمرود ووزيره وكان يتخذ الأصنام له وللناس ، ويدفعها الى ولده فيبيعونها ، فقالت ام ابراهيم : لا عليك إن لم يشعر الملك به بقي لنا ، وإن شعر بـه كفيتك الاحتجاج عنه . وكان آزر كلما نظر الى ابراهيم احبه حباً شديداً ، وكان يدفع اليه الاصنام ليبيعها كما يبيع اخوته ، فكان يعلق في اعناقها الخيوط ويجرها على الأرض ، ويقول : من يشتري ما لا يضره ولا ينفعه ، ويغرقها في الماء والحمأ ويقول لها تكلمي ، فذكر اخوته ذلك لأبيه فنهاه ، فلم ينته ، فحبسه ولم يدعه يخرج ، (فحاجه قومـه فقال ابراهيم : اتحاجوني في الله وقد هدان ...) .

وقال عليه السلام : في أول يوم من ذي الحجة ولد ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام .

(وفيه) انه خرج نمرود وجميع أهـل مملكتهم الى عيد لهم . وكره ان يخرج ابراهيم عليه السلام معهم ، فوكله ببيت الاصنام ، فلما ذهبوا عمد ابراهيم الى طعام فأدخله بيت اصنامهم ، فكان يدني صنم من صنم فيقول له كل وتكلم ، فاذا لم يجبه اتخذ القدوم فكسر يده ورجله ، حتى فعل ذلك بجميع الأصنام ، ثم علق القدوم في عنق الكبير

منهم الذي كان في الصدر ، فلما رجـع الملك ومن معه من العبيد نظروا الى الأصنام متكسرة ، فقالوا : من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين فقالوا : ها هنا فتى يذكرهم ، يقال له ابراهيم وهو ابن آزر ، فجاؤوا بـه الى نمرود ، فقال نمرود لآزر : خنتني وكتمت هذا الولد عني ؟ فقال ايها الملك هذا عمل أمه ، وذكرت انها تقوم بحجته . فدعا نمرود ام ابراهيم ، فقال لها : ما حملك على ان كتمتيني أمر هذا الغلام حتى فعل بآلهتنا ما فعل ؟ فقالت : ايها الملك نظراً مني لرعيتك . فقال : وكيف ذلك؟ قالت: لأني رأيتك تقتل أولاد رعيتك،فكان يذهب النسل، فقلت ان كان هذا الذي يطلبه دفعته ليقتله ، ويكف عن اولاد الناس ، وإن لم يكن ذلك فبقي لنا ولدنا ، وقد ظفرت به ، فشأنك . فكف عن اولاد الناس بصواب رأيها ، ثم قال لابراهيم : من فعل هذا بآلهتنا ؟ قال : (فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون) .

فقال الصادق عليه السلام : ما فعله كبيرهم وما كذب ابراهيم : لأنـه إنما قال فعله كبيرهم هذا ، إن نطق وإن لم ينطق فلم يفعل كبيرهم هذا شيئاً ، فاستشار نمرود قومه في ابراهيم فقالوا له : احرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين .

فقال الصادق عليه السلام : كان فرعون ابراهيم واصحابـه لغير رشدة فانهم قالوا لنمرود احرقوه ، وكان فرعون موسى واصحابه لرشدة فانه لما استشار اصحابه في موسى ، (قالوا : إرجـه وأخاه وارسل في المدائن حاشرين . يأتوك بكل ساحر عليم) . فحبس ابراهيم وجمع له الحطب ، حتى اذا كان اليوم الذي القى فيه نمرود ابراهيم في النار برز نمرود وجنوده وكان بنى لنمرود بناء ينظر منه الى ابراهيم كيف تأخذه النار ، فجاء ابليس واتخذ لهم المنجنيق لانه لم يقدر احد ان يتقارب منها ، وكان الطائر من مسيرة فرسخ يحترق فوضع ابراهيم في المنجنيق ، وجاء ابوه فلطمه لطمة وقال ارجع عما انت عليه ، ولم يبق شيء إلا طلب الى ربه ، وقالت الارض : يا رب ليس على ظهري احد يعبدك غيره فيحرق؟وقالت الملائكة:يا رب خليلك ابراهيم يحرق . فقال الله عز وجل : اما انه ان دعاني كفيته . وقال جبرئيل : يا رب خليلك ليس في الارض احد يعبدك غيره سلطت عليه عدوه يحرقه بالنار ؟ فقال اسكت ، انما يقول هذا عبد مثلك يخاف الفوت هو عبدي آخذه اذا شئت ، فان دعاني اجبته. فدعا ابراهيم عليه السلام ربه بسورة الاخلاص : يا الله يا واحد يا احد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد نجني من النار برحمتك . قال : فالتقى معه جبرئيل في الهواء ، وقد وضع في المنجنيق، فقال: يا ابراهيم هل لك الي من حاجة؟ فقال ابراهيم

اما اليك فلا ، واما الى رب العالمين فنعم . فدفع اليه خاتماً عليه مكتوب : لا إله إلا محمد رسول الله ألجأت ظهري الى الله واسندت أمري الى الله وفوضت امري الى الله ، فأوحى الله الى النار (كوني برداً وسلاماً) فاضطربت اسنان ابراهيم من البرد حتى قال : (سلاماً على ابراهيم) فانحط جبرئيل وجلس معه يحدثه في النار وهو في روضة خضراء ، ونظر اليه نمرود فقال من اتخذ إلهاً فليتخذ إلهاً مثل إله ابراهيم فقال عظيم من عظماء اصحاب نمرود اني عزمت على النار ان تحرقه فخرج عمود من النار نحو الرجل فأحرقه ونظر نمرود الى ابراهيم في روضة خضراء في النار مع شيخه يحدثه ، فقال لآزر : ما أكرم ابنك على ربه ، قال : وكان الوزغ ينفخ في نار ابراهيم وكان الضفدع يذهب بالماء ليطفيء به النار .

قال ولما قال الله تبارك وتعالى للنار : (كوني برداً وسلاماً) لم يعمل النار في الدنيا ثلاثة ايام (ونجيناه ولوطاً الى الأرض التي باركنا حولها للعالمين) الى الشام وسواد الكوفة .

اقول : قال الرازي اختلفوا في ان النار كيف بردت على ثلاثة أوجه :

أحدها — ان الله تعالى أزال منها ما فيها من الحر والاحراق وأبقى ما فيها من الاضاءة والاشراق . وثانيها — الله سبحانه خلق في جسم ابراهيم كيفية مانعة من وصول أذى النار اليه كما يفعل بخزنة جهنم في الآخرة، كما انه ركب بنية النعامة بحيث لا يضرها ابتلاع الحديدة المحماة بدن السمندر وبحيث لا يضره المكث في النار. وثالثها — انه خلق بينه وبين النار حائلاً يمنع من وصول النار اليه .

قال المحققون : والأول أولى لان ظاهر قوله (يا نار كوني برداً) ان نفس النار صارت باردة .

(وعنه) صلى الله عليه وآله : انه لما القي ابراهيم في النار نزل جبرئيل عليه السلام بقميص من الجنة وطنفسة من الجنة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه .

(وفي التفسير): انه لما ألقى نمرود ابراهيم عليه السلام في النار وجعلها الله برداً وسلاماً قال نمرود : يا ابراهيم من ربك ؟ قال : ربي الذي يحيي ويميت قال له نمرود : انا احيي واميت ، قال ابراهيم : كيف تحيي وتميت ؟ قال اعمد الى رجلين ممن قد وجب عليهما القتل ، فأطلق عن واحد وأقتل واحداً فكنت أمت وأحييت ، فقال: ابراهيم إن كنت صادقاً فأحي الذي قتلته ، ثم قال : دع هذا فان ربي يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر .

(وعن) أبي عبد الله عليه السلام قال : ملك الارض كلها أربعة : مؤمنان وكافران ، فأما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين عليهما السلام،والكافران نمرود وبخت نصر، واسم ذي القرنين عبد الله بن ضحاك بن معد . وأول منجنيق عمل في الدنيا منجنيق عمل لابراهيم عليه السلام بسور الكوفة في نهر يقال له كوفى وفي قرية يقال لها قنطانا .

(علـل الشرايـع) سأل الشامي أمير المؤمنين عليه السلام عن قول الله عز وجـل : (يوم يفر المرء من اخيه * وامه وابيه * وصاحبته وبنيه) من هم فقال عليه السلام : قابيل يفر من هابيل . والذي يفر من امه موسى . والذي يفر من ابيه ابراهيم . والذي يفر من صاحبته لوط . والذي يفر من ابنه نوح ، يفر من ابنه كنعان .

أقول : قال الصدوق طاب ثراه: ان موسى عليه السلام يفر من امه خوفاً أن لا يعرفها حق تربيتها له وقيل : انها كانت مرضعة ترضعه في بيت فرعون قبل وقوعهم على امه وكانت كافرة . واما ابو ابراهيم فالمراد عمه ، وإلا فأبوه تارخ كان من المسلمين .

(وعن) ابي عبد الله عليه السلام : انه لما اضرمت النار على ابراهيم عليه السلام شكت هوام الارض الى الله عز وجل واستأذنته ان تصب عليها الماء. فلم يأذن الله عز وجل لشيء منها الا الضفدع ، فاحترق منه الثلثان وبقي منه ثلث .

(وعن) اسحاق بن عمار عن ابي الحسن موسى عليه السلام قال : يا أبا اسحاق ان في النار لوادياً يقال له سقر ، لم يتنفس منذ خلقه الله ، وإن أهل النار ليتعوذون من حر ذلك الوادي ونتنه وقذره ، وما أعد الله فيه لأهله ، وان لذلك الوادي لجبـلا يتعوذ جميع أهل ذلك الوادي من حر ذلك الجبل ونتنه وقذره وما أعد الله فيه لأهله، وان في الجبل لشعباً يتعوذ جميع أهل ذلك الجبل من حر ذلك الشعب ونتنه وقذره ومـا أعد الله فيه ، وان في ذلك الشعب لقليباً يتعوذ أهل ذلك الشعب من حر ذلك الشعب ونتنه وقذره وما أعد الله فيـه لأهله ، وان في ذلك القليب لحيـة يتعوذ أهل ذلك القليب من خبث تلك الحية ونتنها وقذرها وما اعد الله في انيابها من السم لأهلهـا ، وان في جوف تلك الحية لسبع صناديق فيها خمسة من الامم السالفة ، واثنان من هذه الامة. قال:قلت جعلت فداك من الخمسة ومن الاثنين ؟ قال:فأما الخمسة فقابيل الذي قتل هابيل ، ونمرود الذي حاج ابراهيم في ربـه ، وفرعون الذي قال انا ربكم الأعلى ، ويهودا الذي هوّد اليهود ، وبولس الذي نصر النصارى ومن هذه الامة اعرابيان .

أقول : يعني به : الأول والثاني ، وسماهما اعرابيان لما فيهما من الجفاء .

وعن الرضا عليه السلام قال : لما رمي ابراهيم في النار دعا الله بحقنا ، فجعل الله النار عليه برداً وسلاماً . وقال عليه السلام : لمـا ألقاه الله في النـار انبت الله في حواليه من الاشجار الخضرة النضرة النزهة وانبت حوله من أنواع الأشجار ما لا يوجد في الفصول الأربعة من السنة .

(كتاب المحاسن) رفعه الى علي بن الحسين عليه السلام : ان هاتفاً هتف به فقال يا علي ابن الحسين أي شيء كانت العلامة بين يعقوب ويوسف ؟ فقال : لما قذف ابراهيم في النار ، هبط جبرئيل عليه السلام بقميص فضة فألبسه إياه . ففرت عنه النار ونبت حوله النرجس ، فأخذ ابراهيم عليه السلام القميص فجعله في عنق اسحاق في قصبـة من فضة وعلقها اسحاق في عنق يعقوب وعلقها يعقوب في عنق يوسف عليه السلام فقال له: ان نزع هذا القميص من بدنك علمت انك ميت او قد قتلت . فلما دخل عليـه اخوته أعطاهم القصبة وأخرجوا القميص فاحتملت الريح رائحته فألقته على وجـه يعقوب بالأردن ، فقال : (إني لأجد ريح يوسف لولا ان تفندون) .

(العياشي) عن الحرث عن علي بن ابي طالب عليه السلام قـال : ان نمرود أراد ان ينظر الى ملك السماء ، فأخذ نسوراً اربعة فرباهن ، وجعل تابوتـاً من خشب وادخل فيه رجلاً ثم شد قوائم النسور بقوائم التابوت ثم جعل في وسط التابوت عموداً وجعل في رأس العمود لحماً، فلما رأت النسور اللحم طارت بالتابوت والرجل فارتفعت فمكث ما شاء الله ، ثم ان الرجل أخرج من التابوت رأسه فنظر الى السماء فاذا هي على حالها ونظر الى الأرض فاذا هو لا يرى الجبال إلا كالذر ، ثم مكث ساعـة فنظر الى السماء فاذا هي على حالها ونظر الى الأرض فاذا هو لا يرى إلا الماء ، ثم مكث ساعة فنظر إلى السماء فاذا هي على حالها ونظر إلى الأرض فاذا هو لا يرى شيئاً ، ثم وقع في ظلمة لم ير ما فوقه وما تحته ، ففزع فألقى اللحم فاتبعته النسور منقضة ، فلمـا نظرت الجبال اليها وقد اقبلت منقضة وسمعت حفيفها فزعت وكادت ان تزول مخافة أمر السماء وهو قول الله : (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) .

(الكافي) باسناده إلى ابي عبد الله عليه السلام قـال : ان ابراهيم عليه السلام كان مولده بكوثا – يعني قرية من قرى الكوفة – وكان أبوه من أهلهـا وكانت ام ابراهيم وام لوط اختين وهمـا ابنتان للآحج ، وكان الآحج نبيـاً منذراً ولم يكن رسولاً وان ابراهيم لزوج سارة وهي ابنة خالته ، وكانت سارة صاحبـة ماشية كثيرة وأرض

واسعة وحال حسنة فملكته ابراهيم عليه السلام ، فقام فيه واصلحه . ولما كسر اصنام نمرود ، وأمر باحراقه ولم يحترق ، أمرهم ان ينفوه من بلاده وان يمنعوه من الخروج بما يشتهيه وماله فحاجهم ابراهيم فقال : إن اخذتم ماشيتي ومالي فان حقي عليكم ان تردوا علي ما ذهب من عمري في بلادكم ، واختصموا إلى قاضي نمرود . فقضى ان الحق لابراهيم فخلوا سبيله وسبيل ماشيته وماله فأخرجوا ابراهيم ولوطاً معه من بلادهم الى الشام إلى بيت المقدس ، فعمل تابوتاً وجعل فيه سارة وشد عليه الاغلاق ، غيرة منه عليها ومضى حتى خرج من سلطان نمرود . ودخل في سلطان رجل من القبط يقال له عرارة ، فمر بعاشر له فاعترضه العاشر ليعشر ما معه . فقال العاشر لابراهيم : افتح هذا التابوت حتى نعشر ما فيه . فقال ابراهيم : قل ما شئت فيه من ذهب او فضة حتى نعطيك عشره ولا تفتحه . فأبى العاشر إلا فتحه ، وغضب ابراهيم عليه السلام . فلما بدت له سارة وكانت موصوفة بالحسن والجمال ، قال له العاشر : ما هذه منك ؟ قال ابراهيم : هي حرمتي وابنة خالتي . فقال له العاشر : لست أدعك تبرح حتى اعلم الملك حالها وحالك ، فبعث رسولاً الى الملك فأعلمه ، فبعث الملك رسولاً من قبله ليأتوه بالتابوت . فقال ابراهيم عليه السلام : لا افارق التابوت . فحملوه مع التابوت الى الملك فقال له : افتح التابوت . فقال ابراهيم : ان فيها حرمتي وابنة خالتي وانا مفتد لا افتحه بجميع ما معي. فغضب الملك على ابراهيم لعدم فتحه فلما رأى سارة لم يملك حلمه ان مد يده اليها . فأعرض ابراهيم وجهه عنه وعنها غيرة وقال : اللهم احبس يده عن حرمتي وابنة خالتي . فلم تصل يده اليها ولم ترجع اليه . فقال له الملك : إن إلهك هو الذي فعل بي هذا ؟ فقال : نعم ان إلهي غيور يكره الحرام فقال له الملك: فادع إلهك ان يرد علي يدى فان اجابك فلم اتعرض لها فقال ابراهيم : إلهي رد عليه يده ليكف عن حرمتي . فرد الله عز وجل عليه يده ، فأقبل الملك عليها ببصره ثم عاد بيده نحوها فأعرض ابراهيم غيرة وقال : الهم احبس يده عنها فيبست يده ولم تصل اليها . فقال الملك لابراهيم : ان إلهك لغيور وانك لغيور ، فادع إلهك يرد علي يدي فانه إن فعل لم اعد افعل . فقال ابراهيم اسأله ذلك على انك إن عدت لم تسألني ان اسأله . فقال له الملك : نعم فقال ابراهيم . اللهم إن كان صادقاً فرد عليه يده ، فرجعت اليه . فلما رأى الملك ذلك عظم ابراهيم عنده واكرمه واتقاه ، وقال له انطلق حيث شئت ولكن لي اليك حاجة وهو ان تأذن لي ان اقدمها قبطية عندي جميلة عاقلة تكون لها خادماً . فأذن له ابراهيم فوهبها لسارة وهي هاجر ام

اسماعيل . فسار ابراهيم بجميع ما معه وخرج الملك معه يمشي خلف ابراهيم إعظاماً له وهيبة ، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى ابراهيم ان قف ولا تمش قدام الجبار ولكن اجعله امامك وعظمه فانه مسلط ولا بد من آمر في الأرض بر أو فاجر . فوقف ابراهيم عليه السلام وقال للملك : امض فان إلهي أوحى إلي الساعة: ان اعظمك واهابك وان اقدمك أمامي وأمشي خلفك . فقال له الملك : أشهد ان إلهك لرقيق حليم كريم وانت ترغبني في دينك فودعه الملك . وسار ابراهيم حتى نزل بأعلى الشامات وخلف لوطاً عليه السلام في ادنى الشامات . ثم ان ابراهيم عليه السلام لما ابطأ عليه الولد قال لسارة : لو شئت لبعتيني هاجر لعل الله يرزقنا منها ولداً فيكون لنا خلفاً ؟ فابتاع ابراهيم هاجر من سارة عليها السلام فوقع عليها فولدت اسماعيل عليه السلام .

أقول : بقي في هذا المقام امور لا بد من التنبيه عليها :

الأمر الأول : اختلف علماء الاسلام في أب ابراهيم عليه السلام قال الرازي في تفسير قوله تعالى (وإذ قال ابراهيم لأبيه آزر) ظاهر هذه الآية تدل على ان اسم والد ابراهيم عليه السلام هو آزر . ومنهم من قال : اسمه تارخ . قال الزجاج الاختلاف بين النسابين ان اسمه تارخ ومن الملحدة من جعل هذا طعناً في القرآن وذكر له وجوهاً :

منها ـ ان والد ابراهيم عليه السلام كان تارخ وآزر كان عماً له . والعم قد يطلق عليه لفظ الأب كما حكى الله عن أولاد يعقوب انهم قالوا : (نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق) . ومعلوم ان اسماعيل كان عماً ليعقوب وقد أطلقوا عليه لفظ الأب فكذا ها هنا .

ثم قال : قالت الشيعة : ان أحداً من آباء رسول الله صلى الله عليه وآله ما كان كافراً . وذكروا ان آزر كان عمه واحتجوا على قولهم بوجوه الحجة الاولى ان آباء نبينا ما كانوا كفاراً لوجوه :

منها ـ قوله تعالى : (الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين) .

يعني انه كان ينقل روحه من ساجد الى ساجد ، ويدل عليه أيضاً قوله صلى الله عليه وآله : لم أزل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات .

وقوله تعالى : (إنما المشركون نجس) فلا يكون احد اجداده منهم .

وأيضاً أجمع الامامية رضوان الله عليهم على إسلام والد ابراهيم عليه السلام . وحينئذ فالأخبار الدالة على انه كان مشركاً أباه حقيقة محمولة على التقية .

الأمر الثاني ـ في قول ابراهيم اني سقيم ، واختلف في معناه على أقوال :

أحدها ـ انه نظر في النجوم ، فاستدل بها على وجه حمى كانت تعتوره فقال : اني سقيم ـ أي حضر وقت ذلك المرض ـ فكأنه قال : اني سأسقم .

وثانيها ـ انه نظر في النجوم كنظرهم ، لأنهم يتعاطون علم النجوم فأوهمهم انه يقول بمثل قولهم ، فقال عند ذلك اني سقيم ، فتركوه ظناً منهم أن نجمه يدل على سقمه .

وثالثها ـ ان يكون الله أعلمه بالوحي انه سيسقمه في وقت مستقبل وجعل العلامة على ذلك ، أما طلوع نجم على وجه مخصوص أو اتصاله بآخر على وجه مخصوص .
فلما رأى ابراهيم عليه السلام تلك الامارة . قال اني سقيم . تصديقاً لما أخبره الله تعالى سبحانه .

ورابعها ـ ان معنى قوله : اني سقيم ـ أي سقيم القلب ـ أو الرأي حزناً من إصرار القوم على عبادة الأصنام ، ويكون على ذلك معنى نظره في النجوم فكرته في انها محدثة مخلوقة ، فكيف ذهب على العقلاء حتى عبدوها . والذي ورد في الأخبار هو انه عليه السلام أوهمهم بالنظر في النجوم لموافقتهم وقال : اني سقيم تورية . وجاء في الأخبار تجويز الكذب والتورية لاجل التقية .

(وفي) حديث صحيح انه قال : اني سقيم ، يعني بما يفعل بالحسين عليه السلام ، لانه عرفه من علم النجوم ، يعني من نجم الحسين عليه السلام ،لأن الأنبياء والأئمة عليهم السلام كل واحد له نجم في السماء ينسب اليه ، كما ورد في الحديث : ان زحل نجم أمير المؤمنين عليه السلام ، فلا يقال انه نحس ، كما يقوله الناس .

الامر الثالث ـ قوله عليه السلام : (هذا ربي) . وقيل في تأويله وجوه :

الاول ـ انه عليه السلام إنما قال عند كمال عقله في زمان مهلة النظر فانه تعالى لما أكمل عقله وحرك دواعيه على الفكر والتأمل ورأى الكوكب فأعظمه نوره وقد كان قومه يعبدون الكواكب ، فقال هذا ربي على سبيل الفكر ، فلما غاب علم ان الأفول لا يجوز على الإله . فاستدل بذلك على انه محدث مخلوق ، وكذلك كان حاله في رؤية القمر والشمس قال في آخر كلامه : يا قوم اني بريء مما تشركون . وكان هذا القول منه عقيب معرفته بالله تعالى وعلمه بأن صفات المحدثين لا تجوز عليه . وفي بعض الأخبار ايماء اليه .

الثاني ـ انه كان عارفاً بعدم صلاحيتها للربوبية ولكن قال ذلك في مقام الاحتجاج على عبدة الكواكب على سبيل الفرض الشايع عند المناضرة فكأنه أعاد كلام الخصم ليلزم عليه المحال . ويؤيده بعد ذلك (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم) .

الثالث ـ ان يكون المراد : هذا ربي في زعمكم واعتقادكم ونظيره ان يقول الموحد للمجسم إن إلهه جسم محدود ـ أي في زعمه واعتقاده ـ . وقوله تعالى : (وانظر الى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً) .

الرابع ـ ان يكون المراد منه الاستفهام على سبيل الانكار .

الخامس ـ ان يكون القول مضمراً أي يقولون هذا ربي .

السادس ـ ان يكون قوله ذلك على سبيل الاستهزاء كما يقال الدليل ساد قوماً هذا سيدكم على وجه الهزء .

السابع ـ انه صلوات الله عليه اراد ان يبطل قولهم بربوبية الكواكب إلا انه كان قد عرف من تقليدهم لأسلافهم وبعد طباعهم عن قبول الدلائل انه لو صرح بالدعوة الى الله لم يقبلوه ولم يلتفتوا اليه فمال الى طريق يستدرجهم به الى استماع الحجة . وذلك بأنه ذكر كلاماً يوهم كونه مساعداً لهم على مذهبهم مع ان قلبه كان مطمئناً بالايمان فكأنه بمنزلة المكره على إجراء كلمة الكفر على اللسان على وجـــه المصلحة لاحياء الخلق بالايمان .

الامر الرابع : وجه الاستدلال بالأفول على عدم صلاحيتها للربوبية .

(قال الرازي) : الافول عبارة عن غيبوبة الشيء بعد ظهوره .

واذا عرفت هذا فلسائل ان يقول الافول انما يدل على الحدوث من حيث انه حركة وعلى هذا يكون الطلوع أيضاً دليلاً على الحدوث فلم ترك ابراهيم عليه السلام الاستدلال على حدوثها بالطلوع وعول في اثبات هذا المطلوب على الافول .

(والجواب) : انه لا شك ان الطلوع والغروب يشتركان في الدلالة على الحدوث وإلا ان الدليل الذي يحتج به الانبياء في معروض دعوة الخلق كلهم الى الإله لا بـــد وأن يكون ظاهراً جلياً بحيث يشترك في فهمه الذكي والغبي والعاقل ودلالة الحركة على الحدوث وان كانت يقينية إلا انها دقيقة لا يعرفها إلا الأفاضل من الخلق . وأما دلالة الافول فكانت على هذ المقصود،وأيضاً قال بعض المحققين : الهوى في حظيرة الإمكان.

أقول : وأحسن الكلام مـــا يحصل فيه حصة الخواص وحصة الأوساط وحصة العوام ، فإن الخواص يفهمون من الافول الامكان وكل ممكن محتاج ، والمحتاج لا يكون مقطعاً للحاجة . فلا بدّ من الانتهاء الى ما يكون منزهاً عن الامكان حتى تنقطع الحاجات بسبب وجوده كما قال (وإن الى المنتهى) . وأما الأوساط فإنهم يفهمون من الأقوال مطلق الحركة فكل متحرك محدث وكل محدث محتاج الى القديم القادر فــلا يكون الأقل إلهاً بل الإله هو الذي احتاج اليه هذا الأقل . واما العوام فإنما يفهمون من الافول الغروب وهم يشاهدون ان كل كوكب يقرب من الافول فإنه يزول فوراً ضوؤه ويذهب سلطانه ويصير كالمعدوم ومن كان كذلك فإنــه لا يصلح للالهية ، فهذه الكلمة الواحــدة أعني قوله (لا احب الآفلين) مشتملة على نصيب المقربين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال ، فكانت اكمل الدلائل وأفضل البراهين ، وفيه دقيقة اخرى وهي انه عليه السلام كان بناظرهم وهم كانوا منجمين ومذهب اهل النجوم اذا كان في الربع الشرقي ويكون شاهداً الى وسط السماء كان قوياً عظيم التأثر . وأمــا اذا كان غربياً وقريباً من الافول ، فانــه يكون ضعيف الأثر قليل القوة . فنبه بهذه الدقيقة على ان الإله هو الذي لا تتغير قدرته الى العجز وكماله الى النقص ، ومذهبكم ان الكوكب حال كونه في الربع الغربي يكون ضعيف القوة ناقص التأثير ، عاجزاً عن التدبير ، وذلك يدل على القدح في إلهيته . فظهر ان على قول المنجمين للأفول مزيد اختصاص في كونه موجباً للقدح في الإلهية ، انتهى .

الأمر الخامس – تأويل قوله عليه السلام (بل فعله كبيرهم) وقد ذكروا له وجوهاً :

الأولى – ما ذكره علم الهدى نور الله ضريحه : وهو ان الخبر مشروط غير مطلق لأنه قال (... إن كانوا ينطقون) . ومعلوم ان الاصنام لا تنطق ، فمـــا علق على المستحيل فهو مستحيل فأراد ابراهيم توبيخهم بعبادة من لا ينطق ولا يقدر ان يخبر عن نفسه بشيء ، فإذا علم استحالة النطق علم استحالة الفعل، وعلم باستحالة الأمرين انه لا يجوز ان تكون آلهة معبودة ، وان من عبدها ضال مضل . ولا فرق بين قوله انهم فعلوا ذلك ان كانوا ينطقون وبين قوله انهم مـــا فعلوا ذلك ولا غيره ، لأنهم لا ينطقون ولا يقدرون .

وأما قوله : (فاسألوهم) فإنما هو امر بسؤالهم ايضاً على شرط والنطق منهم شرط في الأمرين ، فكأنه قال (إن كانوا ينطقون) فاسألوهم فإنه لا يمتنع ان يكونوا فعلوه ،

وهذا يجري مجرى قول احدنا لغيره من فعل هذا الفعل؟ فيقول : زيد فعل كذا و كذا ويشير الى فعل يضيفه السائل الى زيد ، وليس في الحقيقة من فعله ويكون غرض المسؤول نفي الأمرين عن زيد وتنبيه السائل على خطأه في اضافته الى زيد .

الثاني ـ انه لم يكن قصد ابراهيم عليه السلام الى ان ينسب الأمر الى الصادر عنه الى الصنم وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على وجه تعريضي ، وهذا كما لو قال صاحبك وقد كتبت كتاباً بخط رشيق وأنت تحسن الخط انت كتبت هذا وصاحبك لا يحسن الخط ، فقلت له بل كنت انت ، كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء لا نفيه عنك .

الثالث ـ ان ابراهيم عليه السلام غاظته تلك الاصنام حيث ابصرها مصفقة مرتبة فكان غيظه من كبيرها اشد ، لما رأى من زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل اليه لأنه هو السبب في استهانته وحطمه لها ، والفعل كما يسند الى مباشرته يسند الى الحامل عليه .

الرابع ـ انه قال على وجه التورية لما فيه من الاصلاح .

(روي في الكافي) باسناده الى ابي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا كذب على مصلح ، ثم تلى : (ايتها العير انكم لسارقون) ثم قال : والله ما سرقوا وما كذب ، ثم تلى : (بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون) فقال : والله ما فعلوا وما كذب ، وهذا ارادة الاصلاح ودلالة على انهم لا يعقلون ، وبقيت وجوه اخر ، لا نطول الكتاب بذكرها .

الفصل الثالث

في إراءته ملكوت السماوات والأرض وسؤاله إحياء الموتى

وجملة من حكمه ومناقبه عليه السلام وفيه وفاته عليه السلام

قال الله سبحانه : (وإذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى ؟ قال : او لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم ان الله عزيز حكيم) .

(الاحتجاج) عن ابي محمد العسكري عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ان ابراهيم عليه السلام لما رفع في الملكوت، وذلك قول ربي : (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين) قوّى الله بصره لما رفعه دون السماء حتى ابصر الارض ومن عليها ظاهرين ومستترين فرأى رجلاً وامرأة على فاحشة فدعا الله عليهما بالهلاك فهلكا ، ثم رأى آخرين فدعا عليهما بالهلاك . فأوحى الله اليه : يا ابراهيم اكفف دعوتك عن عبادي وإمائي، فإني انا الغفور الرحيم الجبار الحليم لا تضرني ذنوب عبادي كما لا ينفعني طاعتهم ، ولست اسوسهم بشفاء الغيظ كسياستك فاكفف دعوتك عن عبادي ، فإنما انت عبد نذير ، لا شريك في المملكة ولا مهيمن ولا على عبادي ، وعبادي معي بين خلال ثلاث اما تابوا اليّ فتبت عليهم وغفرت ذنوبهم وسترت عيوبهم، وأما كففت عنهم عذابي لعلمي بأنه سيخرج من اصلابهم ذريات مؤمنون ، فأرفق بالآباء الكافرين وأتاني بالأمهات الكافرات وارفع عنهم عذابي ليخرج اولئك المؤمنون من اصلابهم ، فإذا تزايلوا حق بهم عذابي ، وإن لم يكن هذا ولا هذا ، فإن الذي اعددته لهم من عذابي اعظم مما تريد لهم فإن عذابي لعبادي على حسب جلالي وكبريائي يا ابراهيم وخل بيني وبين عبادي ، فإني انا الجبار الحليم العلام الحكيم ادبرهم بعلمي وأنفذ فيهم قضائي وقدري . ثم التفت ابراهيم عليه السلام فرأى جيفة على ساحل البحر بعضها في الماء وبعضها في البر ، تجيء سباع الماء فتأكل ما في الماء ، ثم ترجع فيشتمل بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً وتجيء سباع البر فتأكل منها فيشتمل (فيشتد) بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً .

فعند ذلك تعجب ابراهيم عليه السلام مما رأى ، وقال : يا رب (ارني كيف تحيي الموتى) هذه امم تأكل بعضها بعضاً ؟ (قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) يعني حتى أرى هذا كما رأيت الاشياء كلها (قال خذ اربعة من الطير) واخلطهن كما اختلطت هذه الجيفة في هذه السباع (ثم ادعهن يأتينك سعياً) .

اقول : الظاهر من الأحاديث ان رؤية الملكوت كانت بالعين، وجوز بعضهم الرؤية القلبية ، بأن انار قلبه حتى احاط بها علماً .

وفي (علل الشرايع) سمعت محمد بن عبد الله بن طيفور يقول : في قول ابراهيم (رب ارني كيف تحيي الموتى) ان الله عز وجل امر ابراهيم ان يزور عبداً من عباده

الصالحين . فزاره، فلما كلمه قال له ان الله تبارك وتعالى خلق في الدنيا عبداً يقال له: ابراهيم ، اتخذه خليلا . قال وما علامة ذلك العبد ؟ قال يحيي الموتى فوقع لابراهيم انـه هو ، فسأله ان يحيي الموتى ، قال اولم تؤمن ؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي على الخلة . ويقال انه اراد ان تكون له في ذلك معجزة ، كما كانت للرسل ، وان ابراهيم سأل ربه ان يحيي له الميت ، فأمره الله عز وجل الى ان يميت لأجله الحي سواء بسواء وهو لما امره بذبح ابنه اسماعيل، وان الله عز وجل امر ابراهيم بذبح اربعة من الطير: طاووس ونسر وديك وبط .

فالطاووس يريد به زينة الدنيا . والنسر يريد به الأمل الطويل . والبط يريد بـه الحرص . والديك يريد بـه الشهوة . يقول الله عز وجل : ان احببت ان تحيي قلبك وتطمئن معي ، فاخرج عن هذه الاشياء الاربعة ، فإذا كانت هـذه الاشياء في قلب فإنه لا يطمئن معي ، وسألته كيف قال (اولم تؤمن) مع علمه بسره وحاله ، فقال: انه لما قال : (رب ارني كيف تحيي الموتى) كان ظاهر هذه اللفظة توهم انه لم يكن بيقين فقرره الله بسؤاله عنه اسقاطاً للتهمة عنه وتنزيهاً له من الشك .

وفي (الكافي) عن الحصين بن الحكم قال : كتبت الى العبد الصالح اخبره اني شاك، وقـد قال ابراهيم (رب ارني كيف تحيي الموتى) وإني احب ان تريني شيئاً فكتب إليّ : ان ابراهيم كان مؤمناً وأحب ان يزداد ايماناً، وأنت شاك والشاك لا خير فيه.

(وعن) ابي عبدالله عليه السلام : قول الله عز وجل : (فخذ من الطير) قال : اخـذ الهدهد والصرد والطاووس والغراب، فذبحهن وعزل رؤوسهن ودق لحمهن في الهاون مع عظامهن وريشهن حـتى اختلطن ، ثم جزأهن عشرة اجزاء على عشرة جبال ثم وضع عنده حباً وماء ، ثم جعل مناقيرهن بين اصابعه ، قال إئتين معي بإذن الله . فتطاير بعضها الى بعض اللحوم والريش والعظام، حتى استوت الابدان كما كانت وجاء كل بدن حتى التزق برقبته التي فيها رأسه والمنقار ، فخلى ابراهيم عن مناقيرهن فوقعن فشربن من ذلك المـاء والتقطن من ذلك الحب ، ثم قلن : يا نبي الله احييتنا احياك الله فقال ابراهيم عليه السلام : بـل الله يحيي ويميت . فهذا تفسيره الظاهر ، وتفسيره في الباطن : خذ اربعة ممن يحتمل الكلام فاستودعهم علمك ، ثم ابعثهم في اطراف الارضين حججاً لك على الناس ، وإذا اردت ان يأتوك دعوتهم بالاسم الاكبر يأتينك سعياً بإذن الله عز وجل ، قال الصدوق الذي عندي في هذا انه امر بالأمرين جميعاً .

(وروي) ان الطيور التي أمر بأخذها : الطاووس والنسر والديك والبط .

أقول : يجوز أن يحمل تغاير الطيور على تعدد المرات .

(عيون اخبار الرضا) عن ابن الجهم قال : سأل المأمون الرضا عليه‌السلام عن قول ابراهيم عليه‌السلام (رب ارني كيف تحيي الموتى ...) قال الرضا عليه‌السلام : ان الله تبارك وتعالى كان اوحى الى ابراهيم عليه‌السلام : (إني متخذ من عبادي خليلاً إن سألني إحياء الموتى أجبته) فوقع في نفس ابراهيم عليه‌السلام انه ذلك الخليل ، فقال : (رب أرني كيف تحيي الموتى قال : أولم تؤمن قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي) على الخلة ، قال : (فخذ أربعة من الطير ...) الحديث .

أقول : ذكر المفسرون لتأويل هذه الآية وجوهاً :

الاول ـ ما تضمنه هذا الحديث .

الثاني ـ انه احب ان يعلم ذلك عيان بعد ما كان عالماً به من جهة الدليل والبرهان لتزول الخواطر والوساوس . وفي الاخبار دلالة عليه .

الثالث ـ ان سبب السؤال منازعة نمرود إياه في الاحياء ، فقال أحيي وأميت : أطلق محبوساً وأقتل إنساناً .

فقال ابراهيم عليه‌السلام : ليس هذا باحياء ، وقـال : (يا رب ارني كيف تحيي الموتى) ليعلم نمرود ذلك ، وذلك ان نمرود توعده بالقتل إن لم يحي الله له الميت بحيث يشاهده ولذلك قال (ليطمئن قلبي) أي بأن لا يقتلني الجبار .

(وعن المفضل بن عمر) عن الصادق عليه‌السلام قال : سألته عن قول الله عز وجـل (وإذ ابتلى ربه بكلمات) ما هذه الكلمات ؟ قال : هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه ، وهو انه قـال : يا رب أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي . فتاب الله عليه . فقلت : فما يعني بقوله : (فأتمهن) قال : فأتمهن الى القائم عليه‌السلام اثني عشر إماماً .

(قال المفضل) فقلت يا بن رسول الله فاخبرني عن قول الله عز وجل : (وجعلها كلمة باقية في عقبه) ؟ قال: يعني بذلك الامامة ، وجعلها الله في عقب الحسين عليه‌السلام الى يوم القيامة

(معاني الاخبار) مسنداً عن النبي صلى الله عليه وآله قال : أنزل الله على ابراهيم عليه السلام عشرين صحيفة ، قلت : ما كانت صحيفة ابراهيم ، قال كانت أمثالاً كلها وكان فيها: أيها الملك المبتلى المغرور ، اني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فاني لا أردهـا وان كانت من كافر وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً ـ أي مريضاً وصاحب علة ـ ان يكون له ثلاث ساعات ، ساعة يناجي فيها ربه عز وجل ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكر فيها صنع الله عز وجل ، وساعة يخلو فيها بحظ نفسه من الحلال ، فإن هذه الساعة عون لتلك الساعات على العاقل ان يكون طالباً لثلاث مرمة لمعاش أو تزود لمعاد أو تلذذ في غير محرم . قلت: يا رسول الله فما كانت صحف موسى ؟ قال : كانت عبراً كلها . وفيها عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح ، ولمن أيقن بالنار كيف يضحك ، ولمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها ـ لمَ يطمئن اليها ، ومن لم يؤمن بالقدر كيف ينصب ـ أي يتعب نفسه ـ في طلب الرزق ، ولمن أيقن بالحساب لم لا يعمل . » .

(وعن) ابي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى : (وكذلك نري ابراهيم ملكوت السماوات والارض) .

قال : أعطى بصره من القوة ما يعدو السماوات ، فرأى ما فيها ورأى العرش وما فوقه ورأى الارض وما تحتها ، وفعل محمد صلى الله عليه وآله مثـل ذلك ، وأنا لا أرى صاحبكم والأئمة من بعده قد فعل بهم مثل ذلك .

(العياشي) عن عبد الصمد بن بشير قال:جمع لأبي جعفر الدوانيقي جميع القضاة، فقال لهم : رجل اوصى بجزء من ماله فكم الجزء ؟ فلم يعلموا كم الجزء ، فأبرد بريد الى صاحب المدينة ان يسأل جعفر بن محمد عليهما السلام رجل اوصى بجزء من ماله ، فكم الجزء ، فقد اشكل ذلك على القضاة ، فلم يعلموا كم الجزء ، فأتى صاحب المدينـة الى الصادق عليه السلام وسأله عن الجزء ، فقال عليه السلام : هذا في كتاب الله بين ان الله يقول ، لما قال ابراهيم : (رب ارني كيف تحيي الموتى ...) على كل جبـل جزء وكانت الطيور والجبال عشرة ، الحديث .

(العياشي) عن احدهمـا عليهما السلام : إنه كان يقرأ هذه الآية (رب اغفر لي ولوالدي) يعني اسماعيل واسحاق .

وفي رواية اخرى عنه عليه السلام : انه قرأ (ربنا اغفر لي ولوالدي) قال : هذه كلمة

صحفها الكتاب ، إنما كان استغفار ابراهيم لأبيه عن موعدة وعدها إياه ، وإنما قال : (رب اغفر لي ولوالدي) يعني اسماعيل وإسحاق ، والحسن والحسين ابناء رسول الله صلى الله عليه وآله .

(غوالي اللئالي) في الحديث ان ابراهيم عليه السلام لقي ملكاً ، فقال له : من انت؟ قال انا ملك الموت ، قال : تستطيع ان تريني الصورة التي تقبض بها روح المؤمن ؟ قال : نعم ، اعرض عني ، فأعرض عنه ، فاذا هو شاب حسن الصورة حسن الثياب حسن الشمائل طيب الرائحة، فقال : يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن إلا حسن صورتك لكان حسبه ، ثم قال : هل تستطيع ان تريني الصورة التي تقبض بها روح الفاجر ؟ فقال : لا تطيق ، فقال : بلى ، قال : فاعرض عني ، فأعرض عنه ، ثم التفت اليه ، فاذا هو رجل اسود قائم الشعر منتن الرائحة اسود الثياب يخرج من فيه ومن مناخيره النيران والدخان . فغشي على ابراهيم ، ثم افاق ، وقد عاد ملك الموت الى حالته الاولى ، فقاله : يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر الا صورتك هذه لكفته .

(علل الشرايع) عن علي عليه السلام قال : إن ابراهيم صلى الله عليه مرّ ببانقيا ، وكان يزلزل بها ، فبات بها فأصبح القوم ولم يزلزل بهم .

فقالوا : ما هذا وليس حدث ؟ قالوا : هاهنا شيخ ومعه غلام له قال : فأتوه فقالوا له : يا هذا انه كان يزلزل بنا كل ليلة ، ولم تزلزل بنا هذه الليلة ، فبت عندنا ، فبات ، فلم يزلزل بهم ، فقالوا : اقم عندنا ونحن نجري عليك ما احببت ؟ قال : لا، ولكن تبيعوني هذا الظهر ، ولم يزلزل بكم . قالوا : فهو لك . قال : لا آخذه ، إلا بالشراء . قالوا : فخذه بما شئت ، فاشتراه بسبع نعاج واربع احمرة ، فلذلك سمي بانقيا لأن النعاج بالنبطية نقيا ، فقال له غلامه : يا خليل الرحمن ما تصنع بهذا الظهر وليس فيه زرع ولا ضرع ؟ فقال له : اسكت ، فان الله عز وجل يحشر من هذا الظهر سبعين الف يدخلون الجنة بغير حساب ، يشفع منهم لكذا وكذا .

أقول : بانقيا على ما في القاموس قرية بالكوفة ، والمراد هنا ظهر الكوفة هي النجف . وفيه أيضاً مسنداً الى الصادق عليه السلام قال: اوحى الله عز وجل الى ابراهيم عليه السلام : ان الأرض قد شكت إلي الحياء من رؤية عورتك ، فاجعل بينك وبينها حجاباً ، فجعل شيئاً هو اكبر من الثياب ومن دون السراويل ، فلبسه ، فكان الى ركبتيه .

أقول : المراد من قوله : ومن دون السراويل ، انه انقص طولاً من هذه السراويل المتعارفة ، وهو السروال لابراهيم عليه السلام ، إلا انـه كان قاصراً أن يدل على ان اول من اتخذ لبس السراويل هو ابراهيم عليه السلام .

(وعنه) صلى الله عليه وآله وسلم في حديث المعراج: انه مرّ على شيخ قاعد تحت الشجرة حوله أطفال فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من هذا الشيخ ياجبرئيل ؟ قال : هذا أبوك ابراهيم . فقال: فما هؤلاء الاطفال حوله ؟ قال : هؤلاء الاطفال اطفال المؤمنين حوله يغذيهم .

(الأمالي) عن الصادق عليه السلام عن امير المؤمنين عليه السلام قال : لما اراد الله تبارك وتعالى قبض روح آدم عليه السلام اهبط الله ملك الموت ، فقال السلام عليك يا ابراهيم . قال : وعليك السلام يا ملك الموت اداع ام ناع ؟ فقال : بل ناع يا ابراهيم فأجب ، قال : يا ملك الموت فهل رأيت خليلاً يميت خليله ؟ قـال : فرجع ملك الموت حتى وقف بـين يدي الله جل جلاله ، فقال : إلهي قد سمعت بمـا قال خليلك ابراهيم ؟ فقـال الله جل جلاله : يا ملك الموت اذهب اليه وقل له : هل رأيت حبيبـاً يكره لقاء حبيبه ؟.

أقول : المراد بالداعي هنا الطالب على سبيل التخيير والرضا ، كمن يدعو أحداً الى ضيافة ، وبالناعي الطالب على سبيل القهر والجزم ، فلما علم ابراهيم عليه السلام ان الامر موسع عليه طلب الحياة ليكثر من الطاعة والعبادة .

(العلل) عن الصادق عليه السلام قال : ان ابراهيم عليه السلام لما قضى مناسكه رجع الى الشام فهلك . وكان سبب هلاكه ان ملك الموت أتاه ليقبضه ، فكره ابراهيم الموت، فرجع ملك الموت الى ربه عز وجل ، فقال : إن ابراهيم كره الموت . فقال : دع ابراهيم فانه يحب أن يعبدني حتى رأى ابراهيم شيخاً كبيراً ، يأكل ويخرج منه مـا يأكله ، فكره الحياة وأحب الموت ، فبلغنا ان ابراهيم أتى داره ، فاذا فيها رجـلاً حسن الصورة ما رآها قط،قال : من أنت؟ قال : أنا ملك الموت . قال : سبحان الله من الذي يكره قربك وزيارتك وأنت بهذه الصورة ؟ فقال : يا خليل الرحمن ان الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيراً بعثني اليه في هذه الصورة ، واذا أراد بعبد شراً بعثني اليـه في غير هذه الصورة فقبض عليه السلام بالشام وتوفي اسماعيل بعده وهـو ابن ثلاثين ومائة سنة ، فدفن في الحجر مع امه .

(وفيه) أيضاً عنه عليه السلام قال : ان سارة قالت لابراهيم عليه السلام يا ابراهيم قـد

كبرت فلو دعوت الله ان يرزقك ولداً تقر أعيننا به ، فان الله اتخذك خليلاً ، وهـو مجيب لدعوتك فسأل ابراهيم عليه السلام ربه ان يرزقه غلاماً عليماً . فأوحى الله اليه : اني واهب لك غلاماً عليماً ، ثم ابلوك بالطاعة . فمكث ابراهيم عليه السلام بعد البشارة ثلاث سنين ، وإن سارة قالت لابراهيم عليه السلام : انك قد كبرت وقرب أجلك فلو دعوت الله عز وجل ان يمد لك في العمر فتعيش معنا ؟ فسأل ابراهيم عليه السلام ربه ذلك فأوحى الله اليه : سل من زيادة العمر ما أحببت . فقالت سارة : سل أن لا يميتك حتى تكون أنت الذي تسأله الموت . فأوحى الله تعالى اليه : في ذلك . فقالت سارة: اشكر الله واعمل طعاماً ، وادع عليه الفقراء وأهل الحاجة ، ففعل ودعا الناس فكان فيمن أتى رجل كبير ضعيف مكفوف ، معه قائد له ، فأجلسه على مائدته فمد الاعمى يده ، فتناول اللقمة وأقبل بها نحو فيه ، فجعلت تذهب يميناً وشمالاً ، ثم اهوى بيده الى جبهته ، فتناول قائده يده فجاء بها الى فمه ، ثم تناول المكفوف لقمة ، ثم ضرب بها عنقه ، قال: وابراهيم ينظر الى المكفوف والى ما يصنع ، فتعجب ابراهيم عليه السلام من ذلك .

وسأل قائده ؟ فقال : هذا الذي ترى من الضعف ، فقال ابراهيم عليه السلام في نفسه أليس اذا كبرت أصير مثل هذا .

ثم ان ابراهيم (ع) سأل الله عز وجل حيث رأى من الشيخ ما رأى : اللهم توفني في الاجل الذي كتبت لي ، فلا حاجة لي في الزيادة في العمر بعد الذي رأيت .

(وعنه) عليه السلام قال : ان ابراهيم عليه السلام ناجى ربه فقال : يا رب كيف تميت ذا العيال من قبل ان تجعل له من ولده خلفاً يقوم بعده في عياله ؟ فأوحى الله تعالى اليه : يا ابراهيم أو تريد لها خلفاً منك يقوم مقامك من بعدك خيراً مني ؟ قال ابراهيم : اللهم لا ، الآن طابت نفسي .

الفصل الرابع

في أحوال اولاده وأزوجه صلوات الله عليه

وبناء البيت الحرام

قال الله تعالى: (واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً * واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى* وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) .

(الطبرسي طاب ثراه) روي عن الباقر (ع) انه قال : نزلت ثلاثة احجار من الجنة ، حجر مقام ابراهيم (ع) وحجر بني إسرائيل ، والحجر الاسود، واستودعه الله ابراهيم (ع) حجر الابيض ، وكان أشد بياضاً من القراطيس فاسود من خطايا بني آدم .

أقول : الحجر الاسود تقدم ان آدم عليه السلام حمله من الجنة . وحدثني بعض الشيوخ من العلماء ان الكعبة لما هدمها السيل ، انهم شاهدوا الحجر من الطرف الذي يلي البيت ، وكان أبيض .

(قال ابن عباس) وروي في كثير من اخبارنا انه لما اتى ابراهيم باسماعيل وهاجر فوضعها بمكة،واتت على ذلك مدة ، ونزلها الجرهميون ، وتزوج اسماعيل منهم وماتت هاجر ، استأذن ابراهيم سارة ان يأتي هاجر فأذنت له ، وشرطت عليه ان لا ينزل، فقدم ابراهيم عليه السلام وقد ماتت هاجر ، فذهب الى بيت اسماعيل ، فقال لامرأته اين صاحبك؟فقالت ذهب يتصيد وكان اسماعيل عليه السلام يخرج من الحرم فيتصيد ثم يرجع . فقال لها ابراهيم هل عندك ضيافة؟ قالت ما عندي شيء فقال لها ابراهيم عليه السلام اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام ، وقولي له فليغير عتبة بابة . وذهب ابراهيم عليه السلام فلما جاء اسماعيل عليه السلام ووجد ريح ابيه فقال لامرته : هل جاءك احد ؟ قالت جاءني شيخ صفته كذا و كذا ، كالمستخفة بشأنه ، قال : فما قال لك قالت: قال لي أقرإي زوجك السلام ، وقولي فليغير عتبة بابه . فطلقها وتزوج باخرى . فلبث ابراهيم ما شاء الله ، ثم استأذن سارة ان يزور اسماعيل . فأذنت له واشترطت عليه ان ينزل . فجاء حتى انتهى الى باب اسماعيل، فقال لامرأته اين صاحبك ؟ فقالت : ذهب يتصيد وهو يجيء الآن إن شاء الله فانزل يرحمك الله قال لها هل عندك ضيافة ؟ قالت نعم ، فجاءت باللبن واللحم ، ودعا لها بالبركة ، فلو جاءت يومئذ بخبز بر أو شعير أو تمر ، لكان اكثر أرض الله براً أو تمراً أو شعيراً فقالت له : انزل حتى اغسل رأسك فلم ينزل ، فجاءت بالمقام فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه فبقي اثر قدمه عليه ، فغسلت شق رأسه الايمن ثم حولت المقام الى شقه الايسر ، فبقي اثر قدميه عليه ، فغسلت شق رأسه الايسر ، فقال لها اذا جاء زوجك فاقرأيه السلام وقولي له لقد استقامت عتبة بابك ، فلما جاء اسماعيل ، وجد رائحة ابيه ، فقال لامرأته هل جاءك احد ! قالت نعم ، شيخ من احسن الناس وجهاً واطيبهم ريحاً وقال لي كذا و كذا ، وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه على المقام قال لها اسماعيل ذلك ابراهيم عليه السلام .

(وعن) النبي ﷺ : الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة،طمس الله نورهما، ولولا أن نورهما طمس لاضاء ما بين المشرق والمغرب .

(العياشي) عن الصادق عليه السلام قال : انزل الحجر الأسود من الجنة لآدم وكان في البيت ،درة بيضاء، فرفعه الله تعالى إلى السماء وبقي أساسه فهو حيال هذا البيت يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يرجعون اليه أبداً ، فأمر الله ابراهيم واسماعيل ان يبنيا البيت على القواعد .

(وعن ابن عباس) قال : قدم ابراهيم في المقام ، فنادى ايها الناس ان الله دعاكم إلى الحج . فأجابوا لبيك اللهم لبيك ، اجابه من في أصلاب الرجال وأول من أجابه أهل اليمن .

(تفسير علي بن ابراهيم) في قوله تعالى (طهرا بيتي)عن الصادق (ع) يعني نح عنه المشركين .

وقال لما بنى ابراهيم (ع) البيت وحج الناس شكت الكعبة إلى الله تبارك وتعالى ما تلقى من انفاس المشركين ؟ فأوحى الله اليها قري يا كعبة ، فـاني ابعث في آخر الزمان قوماً يتنظفون بقضبان الشجر ويتخللون .

أقول : قضبان الشجر شامل للادراك وغيره، وربما توجد في موضع آخر تخصيصه بالادراك ، وإرادة العموم جائزة ، فان السواك بمطلق قضبان الشجر مستحب وإن كان الأفضل هو الاراك ، بل ورد إستحباب السواك بالأصابع ، وهو منزّل مراتب الفضل والاستحباب .

وفيه في قوله تعالى : (ووهبنا لهم من رحمتنا) يعني لابراهيم واسحاق ويعقوب (من رحمتنا) يعني برسول الله ﷺ (وجعلنا لهم لسان صدق) يعني امير المؤمنين (ع) حدثني بذلك أبي عن الامام الحسن العسكري (ع) .

(علل الشرايع) باسناده الى الصادق عليه السلام في حديث طويل يقول فيه : لما بنى ابراهيم واسماعيل عليهما السلام البيت ، قالت امرأة اسماعيل وكانت عاقلة فهلا تعلق على هذين البابين ستراً من ها هنا ؟ قال نعم . فعملا له سترين طولهما اثني عشر ذراعاً فعلقها على البابين ، فأعجبها ذلك ، فقالت : فهلا احوك للكعبة ثياباً ونسترها كلها فإن هذه الاحجار سمجة . فقال اسماعيل : بلى ، فأسرعت في ذلك وبعثت الى قومها بصوف كثير تستغزل بهن .

(قال) أبو عبد الله عليه السلام : وإنما وقع استغزال بعضهن مع بعض ، لذلك فأسرعت واستعانت في ذلك ، فلما فرغت من شقة علقتها ، فجاء الموسم وقد بقي وجه من وجوه الكعبة . فقالت لاسماعيل كيف نصنع بهذا الوجه الذي لم ندركه بكسوة فكسوه خصفاً ، فجاء الموسم فجاءته العرب ، فنظروا الى أمر فأعجبهم فقالوا : ينبغي لعامر هذا البيت أن يهدى اليه . فمن ثم وقع الهدي فأتى كل فخذ من العرب بشيء يحمله من ورق ومن أشياء وغير ذلك ، فنزعوا ذلك الخطف وأتموا كسوة البيت وعلقوا عليها بابين ، وكانت غير مسقفة فسقفها اسماعيل بالجرائد ، فجاءت العرب فرأوا عمارتها فزادوا في الهدى فأوحى الله اليه ان انحره وأطعم الحاج، وشكا اسماعيل الى ابراهيم قلة الماء . فأوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام احتفر بئراً يكون منها شرب الماء فاحتفر زمزم وضرب ابراهيم عليه السلام في أربع زوايا البئر فانفجرت من كل زاوية عين فقال جبرئيل عليه السلام : اشرب يا ابراهيم وادع لولدك فيها بالبركة ، ثم تزوج اسماعيل الحميرية وولد منها ولد ثم تزوج بعدها اربع نسوة فولد له من كل واحدة أربع غلمان ، ثم قضى الله على ابراهيم بالموت فلم يره اسماعيل ولم يخبر بموته حتى كان ايام الموسم فنزل جبرئيل « ع » وأخبره بموت أبيه وكان لاسماعيل ابن صغير يحبه ، وكان هوى اسماعيل فيه ، فأبى الله عليه ذلك فقال : يا اسماعيل هو فلان، فلما قضى الموت على اسماعيل دعا وصيه ، فقال يا بني اذا حضرك الموت فافعل كما فعلت . فمن ذلك لا يموت إمام إلا اخبره الله الى من يوصي .

(تفسير علي بن ابراهيم) مسنداً الى الصادق « ع » قال : ان ابراهيم عليه السلام كان نازلاً في بادية الشام ، فلما ولد من هاجر اسماعيل اغتمت سارة من ذلك غماً شديداً لأنه لم يكن له منها ولد وقد كانت تؤذي ابراهيم في هاجر فتغمه ، فشكا ذلك الى الله تعالى. فأوحى الله تعالى اليه: إنما مثل المرأة مثل الضلع المعوج إن تركت استمتعت بها وإن اقمتها كسرتها ، ثم امره ان يخرج اسماعيل وامه عنها فقال : يا رب إلى أي مكان ؟ فقال : الى حرمي . فأنزل عليه جبرئيل عليه السلام بالبراق ، فحمل هاجر واسماعيل عليه السلام ، وكان ابراهيم عليه السلام لا يمر بموضع حسن فيه شجر ونخل وزرع ، إلا وقال يا جبرئيل إلى هاهنا ؟ فقال : لا ، امض . حتى وافى مكة ، فوضعه موضع البيت ، وقد كان عاهد سارة ألا ينزل حتى يرجع اليها ، فلما نزلوا في ذلك المكان كان فيه شجر ، فألقت هاجر على ذلك الشجر كساء كان معها، فاستظلوا تحته فلما وضعهم واراد الانصراف الى سارة قالت له هاجر : يا ابراهيم تدعنا في موضع ليس فيه أنيس ولا ماء ولا زرع ؟ فقال ابراهيم عليه السلام : الذي امرني ان

اضعكم في هذا المكان هو يكفيكم . ثم انصرف عنهم ، فالتفت اليهم ، فقال : (ربنا إني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) فبقيت هاجر ، فلما ارتفع النهار عطش اسماعيل وطلب الماء ، فقامت هاجر في الوادي في موضع المسعى ، فنادت هل في الوادي من انيس ؟ فغاب اسماعيل عنها ، فصعدت على الصفا ، ولمع لها السراب في الوادي وظنت انه ماء ، فنزلت في بطن الوادي وسعت ، فلما بلغت المسعى غاب عنها اسماعيل ، ثم لمع لها السراب في موضع الصفا ، فهبطت الى الوادي تطلب الماء ، فلما غاب عنها اسماعيل عادت حتى بلغت الصفا فنظرت حتى فعلت ذلك سبع مرات ، فلما كان في الشوط السابع ، وهي على المرة نظرت الى اسماعيل وقد ظهر الماء من تحت رجليه ، فجمعت حوله رملاً ، فانه كان سائلاً فزمته بما جعلت حوله ، فلذلك سمي زمزم ، وكان جرهم نازلة بعرفات ، فلما ظهر الماء بمكة ، وعكفت الطير والوحوش عليه ، اتبعوها حتى نظروا الى امرأة وصبي نازلين في ذلك الموضع قد استظلا بشجرة ، قد ظهر الماء لهما ، قال لهاجر : من انت وما شأنك وشأن هذا الصبي ؟ قالت انا ام ولد ابراهيم خليل الرحمان ، وهذا ابنه . فقالوا لها : فتأذنين لنا ان نكون بالقرب منكم ، ثم انها استأذنت ابراهيم ؟ فأذن لهم ، فنزلوا بالقرب منهم ، فأنست هاجر واسماعيل بهم فلما رآهم ابراهيم عليه السلام في المرة الثالثة نظر الى كثرة الناس حولهم ، فسر بذلك سروراً شديداً فلما ترعرع اسماعيل عليه السلام وكانت جرهم قد وهبوا لاسماعيل كل واحد منهم شاة وشاتين ، وكانت هاجر واسماعيل يعيشان بها ، فلما بلغ مبلغ الرجال ، أمر الله عز وجل ابراهيم : ان يبني البيت ، فقال : يا رب في أية بقعة انا ؟ قال : في البقعة التي انزلت على آدم القبة فأضاء لها الحرم ، فلم تزل القبة التي انزلها على آدم قائمة حتى كانت ايام الطوفان ايام نوح عليه السلام ، فلما غرقت الدنيا ، رفع الله تلك القبة وغرقت الدنيا ، فسميت البيت العتيق ، لأنه اعتق من الغرق ، فلما امر الله عز وجل ابراهيم ان يتخذ البيت . فلم يدر في أي مكان : فبعث الله عز وجل جبرئيل عليه السلام ، فخط له موضع البيت ، فأنزل الله عليه القواعد من الجنة ، وكان الحجر الذي انزله الله على آدم اشد بياضاً من الثلج فلما مسته ايدي الكفار اسود . فبنى ابراهيم البيت ونقل اسماعيل الحجر من ذي طوى فرفعه في السماء تسعة اذرع ، ثم دله على موضع الحجر فاستخرجه ابراهيم ووضعه في موضعه الذي هو فيه الآن ، وجعل له بابين باباً الى المشرق وباباً الى

المغرب، يسمى المستجار ثم القى عليه الشجر والأذخر، وعلقت على بابه كساء، فلما بناه وفرغ منه حج ابراهيم واسماعيل ونزل عليهما جبرئيل «ع» يوم التروية، فقال جبرئيل «ع»: قم فارتو من الماء. لأنه لم يكن بمنى وعرفات ماء، فسميت التروية لذلك. ثم قال ابراهيم «ع» لما فرغ من بناء البيت: (رب اجعل هذا بلداً آمنـــاً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر).

قال: من ثمرات القلوب، ـ أي حببه الى الناس ليعودوا اليه.

(علل الشرايع) باسناده الى محمد بن عرفة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن من قبلنا يقولون ان ابراهيم خليل الرحمن ختن نفسه بقدوم على دن، فقـــال: سبحان الله، ليس كما يقولون كذبوا على ابراهيم، قلت له: صف لي ذلك؟ فقال: ان الأنبياء عليهم السلام كان يسقط غلفهم مع سررهم يوم السابع، فلما ولد اسماعيل سقط عنه غلفته مع سرته وعيرت بعد ذلك سارة هاجر، بما تعير به الاماء، فبكت هاجر واشتد عليها. وبكى لبكائها اسماعيل. فأخبر ابراهيم فقام الى مصلاه وناجى ربـــه وسأله ان يلقي ذلك عن هاجر. فألقاه الله عز وجل عنها. فلما ولدت سارة اسحـــاق وكان يوم السابع لم تسقط غلفته. فجزعت من ذلك سارة وقالت لابراهيم ما هذا الحادث الذي حدث في اولاد الأنبياء؟ هذا ابنك اسحاق سقطت سرته ولم تسقط غلفته. فقام ابراهيم الى مصلاه وناجى ربه فقال: يا رب ما هذا الحادث الذي حدث في آل ابراهيم هذا اسحاق ابني سقطت سرته ولم تسقط غلفته؟ فأوحى الله عز وجل اليه هذا لما عيرت سارة هاجر، فآليت ان لا أسقط ذلك عن أحـــد من أولاد الانبياء بعد تعييرها لهاجر. فاختتن اسحاق بالحديد وأذاقه حر الحديد. فقال فاختتن ابراهيم اسحاق بحديد فجرت السنة في الناس بعد ذلك.

أقول: القدوم المراد منه قـدوم النجار. وقول الجزي انه قرية بالشام او موضع على ستة اميال من المدينة غير مناسب هنا.

والدن الراقود العظيم او اطول من الحب أو أصغر، وفيه دلالة على اختتان ابراهيم محمول على التقية.

(مناقب ابن شهر أشوب) عن علي «ع» ان الجمار إنما رميت بسبع حصيات، لأن جبرئيل «ع» حين أري ابراهيم «ع» المشاعر، برز له ابليس فأمره جبرئيل ان يرميه فرماه بسبع حصيات. فدخل عند الجمرة الاولى تحت الارض فأمسك ثم انه

برز عند الثانية فرماه بسبع حصيات أخر. فدخل تحت الأرض في موضع الثانية. ثم برز له في موضع الثالثة فرماه بسبع حصيات فدخل موضعها .

(وفيه) عن ابي الحسن (ع) قال : السكينة ريح تخرج من الجنة لها صورة كصورة الانسان ورائحة طيبة . وهي التي انزلت على ابراهيم « ع » ، فأقبلت تدور حول أركان البيت وهو يضع الاساطين .

(علل الشرايع) عن ابن عباس قال : كانت الخيل العراب وحوشاً بأرض العرب فلما رفع ابراهيم واسماعيل القواعد من البيت ، قال الله : إني أعطيتك كنزاً لم أعطه أحداً كان قبلك ، فخرج ابراهيم واسماعيل حتى صعدا جياداً — يعني جبلاً بمكة — فقال : ألا هلا ألا هلم ، فلم يبق في أرض العرب فرس إلا اتاه وتذلل له ، وأعطت بنواصيها ، وإنما سميت جياداً : لهذا ، فما زال الخيل بعد تدعو الله ان يحببها الى أربابها ، فلم تزل حتى اتخذها سليمان ، فلما آلمته أمر بها ان يمسح رقابها وسوقها حتى بقي أربعون فرساً .

أقول : هذا زجر للخيل ـ أي إقربي ـ قاله الجوهري .

(وفيه) عن أبي عبد الله « ع » قال : لما أمر الله عز وجل ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ببنيان البيت ، وتم بناؤه ، أمره أن يصعد ركناً ، ثم ينادي في الناس : ألا هلم الى الحج ، فلو نادى : هلموا الى الحج ، لم يحج إلا من كان إنسياً مخلوقاً ، ولكن نادى : هلم الى الحج ، فلبى الناس في أصلاب الرجال : لبيك داعي الله فمن لبى عشراً حج عشراً ومن لبى خمساً حج خمساً ومن لبى أكثر فبعدد ذلك ومن لبى واحداً حج واحداً ، ومن لم يلب لم يحج . ورواه في الكافي مثله .

أقول : ذكروا في وجه الفرق ان الأصل في الخطاب ان يكون متوجهاً الى الموجودين ، أما شمول الحكم للمعدودين فيستفاد من دليل آخر ، لا من نفس الخطاب إلا أن يكون المراد بالخطاب ، الخطاب العام المتوجه إلى كل من يصلح للخطاب ، فانه شامل للواحد والكثير والموجود والمعدوم والشايع في مثل هذا الخطاب ان يكون بلفظ المفرد ، بل صرح بعض أهل العربية : بأنه لا يتأتى إلا بالمفرد ، وفي الكافي : اسقط لفظ الى في المفرد وأثبتها في الجمع ، وجعله بعضهم : هو وجه الفرق بأن يكون في المفرد، المخاطب هو الحج مجازاً لبيان كونه مطلوباً من غير خصوصية شخص أي هلم ايها الناس الحج .

(وفي الفقيه) كلمة الي موجودة في المواضع ، وفيه عند ذكر المفرد في الموضعين: نادى ، وعند ذكر الجمع ناداهم . ومن ثم قال بعض المحققين ليس مناط الفرق بين افراد الصيغة وجمعها بل ما في الحديث بيان للواقعة .

والمراد ان ابراهيم « ع » نادى : هـلم الى الحج بلا قصد الى مناد معين — أي الموجودين — لكان الحج مخصوصاً بالموجودين ؛ فلذا يعم الموجودين والمعدومين فلو ناداهم الى الموجودين وقال : هلموا الى الحج ، قاصداً الى الموجودين ، لكان الحج مخصوصاً بالموجودين ، فضميرهم في : ناداهم ، راجع الى الناس الموجودين . فالمناط قصد المنادي المعين المشعر اليه بلفظهم في إحدى العبارتين وعدم القصد في الاخرى المشعر اليه بذكر نادى مطلقاً ، لا الافراد والجمع .

أقول : وجه التحقيق فيه ان الموجودين وقت الخطاب كانوا جماعة من الأحياء فلو خاطبهم باللفظ الصالح لهم لكان متوجهاً اليهم ، لأن الأصل في الخطاب أن يكون متوجاً الى من يقبل صيغة الخطاب ، ولما عدل عنه الى الافراد مع عدم القرينة على تعيين المخاطب كان شاملاً لكل من يقبل أن يكون مخاطباً ولو بعد الوجود وإلا لكان الخطاب عبثاً خالياً عن الحكمة والفائدة .

(وفيه) عن أبي جعفر « ع » قال : ان الله جل جلاله لما امر ابراهيم « ع » ينادي في الناس بالحج ، قام على المقام ، فارتفع به حتى صار بأزاء ابي قبيس فنادى في الناس : بالحج ، فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء الى ان تقوم الساعة.

(وفيه) عنه « ع » : ان الله عز وجل أوحى الى ابراهيم وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً . فنادى فأجيب من كل فج عميق .

وقال : إنما سميت الخيل العراب ، لأن أول من ركبها اسماعيل . وقال « ع » : ان بنات الأنبياء لا يطمثن انما جعل الطمث عقوبة . وأول من طمثت سارة .

(وعنه عليه السلام) صار السعي بين الصفا والمروة : لأن ابراهيم عليه السلام عرض له ابليس ، فأمره جبرئيل عليه السلام فشد عليه فهرب منه ، فجرت به السنة يعني به الهرولة .

(وفيه عن الرضا عليه السلام) إنما سميت منى : بمنى ، لأن جبرئيل « ع » قال : هناك يا ابراهيم تمن على ربك ما شئت ؟ فتمنى ابراهيم في نفسه ان يجعل الله مكان ابنه اسماعيل كبشاً يأمره الله بذبحه فداء له ؟ فأعطاه الله .

(وفيه) عن أبي عبد الله عليه السلام: ان جبرئيل «ع» خرج بابراهيم عليه السلام يوم عرفة ، فلما زالت الشمس قال له جبرئيل عليه السلام : يا ابراهيم اعترف بذنبك واعرف مناسكك ، فسميت عرفات لقول جبرئيل «ع» : اعرف واعترف وقال ان جبرئيل عليه السلام انتهى الى الموقف ، فأقام به حتى غربت الشمس ، ثم أفاض به ، فقال يا ابراهيم ازدلف الى المشعر الحرام .

(وفيه) عن أبي عن علي عن ابيه عن ابن أبي عمير عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام في قول سارة : اللهم لا تؤاخذني بما صنعت بهاجر انها كانت خفضتها فجرت السنة بذلك .

أقول : فيه بيان ما تقدم من ان الذي عيرت سارة بهاجر ، هو هذا نعم الموجود هناك هو ان الله سبحانه القاها عنه وهاهنا ان سارة خفضتها ولم تقصد سارة من ذلك الخفض التطهير والسنة ، بل قصدت به الايذاء والاضرار بها كما تقطع الفروج اضراراً بأهلها .

(وفيه) عن ابي الحسن «ع» : ان ابراهيم دعا ربه : ان يرزق أهله من كل الثمرات . فقطع له قطعة من الشام ، فأقبلت بثمارها ، حتى طافت بالبيت سبعاً ، ثم أقرها الله عز وجل في موضعها . فانما سميت ، الطائف للطواف بالبيت .

(قصص الأنبياء) باسناده الى علي عليه السلام قال : شب اسماعيل واسحاق فتسابقا فسبق اسماعيل ، فأخذه ابراهيم فأجلسه في حجره ، واجلس اسحاق الى جنبه ، فغضبت سارة وقالت : اما انك قد جعلت ان لا تساوي بينهما ، فأعزلها عني ، فانطلق ابراهيم عليه السلام باسماعيل وامه الى مكة ... الحديث .

الفصل الخامس

في قصة الذبح وتعيين المذبوح

قال الله تعالى : (وقال إني ذاهب الى ربي سيهدين ، رب هب لي من الصالحين ، فبشرناه بغلام حليم، فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في المنام أني اذبحك فانظر

ماذا ترى قال يا ابة افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين . فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين . إنه من عبادنا المؤمنين . وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين . وباركنا عليه وعلى اسحاق وعلى ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) .

(فلما بلغ معه السعي) أي شب حتى صار يتصرف مع ابراهيم ويعينه على اموره، وكان يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة . وقيل: يعني بالسعي العمل لله والعبادة (فلما اسلما) أي استسلما لأمر الله ورضيا به .

(وتله للجبين) قيل وضع جبينه على الأرض، لئلا يرى وجهه فتلحقه رقة الآباء.

(وروي) انه قال : اذبحني وانا ساجد، لا تنظر الى وجهي ، فعسى ان يرحمني. لهو البلاء المبين — أي الامتنان الظاهر والاختبار الشديد أو النعمة الظاهرة (بذبح عظيم) قيل : كان كبشاً من الغنم .

(قال ابن عباس) هو الكبش الذي تقبل من هابيل حين قربه ، وكونه عظيماً لأنه رعى في الجنة اربعين خريفاً . (وبشرناه باسحاق) من قال ان الذبيح اسحاق قال يعني بشرناه بنبوة إسحاق وبصبره .

(وباركنا عليه وعلى اسحاق) أي وجعلناه فيما أعطيناهما من الخير والبركة، والمراد كثرة ولدهما وبقائهم قرناً بعد قرن الى أن تقوم الساعة . (ومن ذريتهما) أي من أولاد ابراهيم واسحاق (محسن) بالايمان والطاعة ، (وظالم لنفسه) بالكفر والمعاصي.

(عيون أخبار الرضا) باسناده الى الرضى عليه السلام وقد سئل عن معنى قول النبي صلى الله عليه وآله : انا ابن الذبيحين . قال يعني اسماعيل بن ابراهيم وعبد الله بن عبد المطلب ، اما اسماعيل فهو الغلام الذي قال الله فيه : (إني ارى في المنام اني اذبحك) فلما عزم على ذبحه، فداه الله بكبش أملح يأكل في سواد وينظر في سواد ويبول في سواد ويبعر في سواد وكان يرتع قبل ذلك في رياض الجنة أربعين عاماً، وما خرج من انثى. فكلما يذبح بمنى فهو فدية لاسماعيل الى يوم القيامة . ثم ذكر قصة عبد الله . ثم قال:الصدوق (ره) وقد اختلفت الروايات في الذبيح .

فمنها ما ورد بأنه اسماعيل . ومنها ما ورد بأنه اسحاق . ولا سبيل الى رد الأخبار متى صح طرقها وكان الذبيح اسماعيل ، لكن اسحاق لما ولد بعد ذلك تمنى

انه هو الذي أمر أبوه بذبحه ، فكان يصبر لأمر الله ويسلم له كصبر اخيه وتسليمه فينال بذلك درجته في الثواب ، فعلم الله عز وجل من قلبه فسماه بين ملائكته ذبيحاً لتمنيه ذلك .

ثم روى في ذلك حديثاً من الصادق عليه السلام وقال : قول النبي صلى الله عليه وآله : انا ابن الذبيحين . ويؤيد ذلك لأن العم قد سماه الله ابا في قوله تعالى : (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق) وكان اسماعيل عم يعقوب ، فسماه الله أباً .

(وقول) النبي صلى الله عليه وآله : العم والد . فعلى هذا الأصل أيضاً يطرد قول النبي صلى الله عليه وآله : انا ابن الذبيحين ، احدهما ذبيح بالحقيقة ، والآخر ذبيح بالمجاز واستحقاق الثواب على النية والتمني ، فالنبي صلى الله عليه وآله هو ابن الذبيحين من وجهين على ما ذكرناه . وللذبح العظيم وجه آخر .

حدثنا ابن عبدوس عن ابن قتيبة عن الفضل قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : لما أمر الله عز وجل ابراهيم عليه السلام ان يذبح مكان ابنه اسماعيل الكبش الذي انزله عليه، تمنى ابراهيم عليه السلام ان يكون قد ذبح ابنه اسماعيل وانه لم يؤمر بذبح ذلك الكبش مكانه ، ليرجع الى قلبه ما يرجع الى قلب الوالد الذي يذبح أعز ولده بيده عليه ، فيستحق بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب ، فأوحى الله عز وجل اليه : يا ابراهيم من احب خلقي اليك؟قال : يا رب ما خلقت خلقاً هو أحب إلي من حبيبك محمد صلى الله عليه وآله ، فأوحى الله اليه : فهو أحب اليك أم نفسك ؟ قال : بل هو أحب إلي من نفسي ، قال : فولده احب اليك ام ولدك ؟ قال : بل ولده ، قال : فذبح ولده ظلماً على أيدي اعدائه ، اوجع لقلبك ام ذبح ولدك بيدك في طاعتي ؟ قال : يا رب بل ذبحه على ايدي اعدائه اوجع لقلبي؟ قال : يا ابراهيم فان طائفة تزعم إنها من شيعة محمد ، ستقتل الحسين من بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكبش ويستوجبون بذلك سخطي، فجزع ابراهيم عليه السلام لذلك ، وتوجع قلبه واقبل يبكي ، فأوحى الله عز وجل الى ابراهيم عليه السلام : قد فديت جزعك على ابنك اسماعيل لو ذبحته بيدك ، بجزعك على الحسين وقتله ، وأوجبت لك ارفع درجات اهل الثواب على المصائب ، وذلك قول الله عز وجل : (وفديناه بذبح عظيم) .

أقول : هذا الحديث يرفع الاشكال الذي ربما يورد على ان المراد بالفداء الحسين عليه السلام بأن يقال انــه افضل من اسماعيل ، فكيف يكون فداء له لأن الفداء انفس درجة من المفدى .

وحاصل رفع الاشكال ، ان المراد من قوله : (وفديناه بذبح عظيم) عوضناه لأن الفداء يكون عوضاً عن المفدي ، والمعنى حينئذ إنا جعلنا مصيبة ابراهيم عليه السلام وحزنه عليه بدلاً من مصيبته بذبح ابنه ، فيكون الله سبحانه قد رقاه في درجات التكليف ومصائب الحزن .

وربما رفع جماعة من الأعلام هذا الإشكال بوجه آخر ، وهو ان اسماعيل اب للنبي وأهل بيته والأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم ، فلو ذبح اسماعيل عليه السلام فقد بذبحه جميع أهل هذه الشجرة المباركة، ولا ريب ان مجموع هذه السلسلة العليا أفضل واشرف من الحسين عليه السلام وحده . وما في الحديث هو الاولى .

(وفي تفسير علي بن ابراهيم) في حديث طويل عن الصادق عليه السلام وفيه : انه لما أسلم اسماعيل امره الى الله في حكاية الذبح وأراد ابراهيم عليه السلام ذبحه اقبل شيخ وقال : يا ابراهيم ما تريد من الغلام ؟ قال : اريد أن اذبحه ، فقال : سبحان الله تذبح غلاماً لم يعص الله طرفة عين ؟ فقال ابراهيم : ان الله امرني بذلك . فقــال ربك ينهاك عن ذلك ، وإنما أمرك بهذا الشيطان فقال له ابراهيم : ويلك ان الذي بلغني هذا المبلغ هو الذي أمرني به . ثم قال : يا ابراهيم انك امام يقتدى بك وانك إن ذبحته ذبح الناس اولادهم . فلم يكلمه . واقبل على الغلام فاستشاره في الذبح فلما اسلما جميعاً لأمر الله . قال الغلام : يا ابتاه خمر وجهي وشد وثاقي فقـــال ابراهيم عليه السلام : يا بني الوثاق مع الذبح ، لا والله لا أجمعها عليك . فأضجعه واخذ المدية فوضعها على حلقه ورفع رأسه الى السماء . ثم جر عليه المدية . وقلب جبرئيل المدية على قفاها . واجتر الكبش واثار الغلام من تحتـــه ووضع الكبش مكان الغلام . ونودي من ميسرة مسجد الخيف : ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا .

(وفيه) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأل ملك الروم الحسن بن علي عليهما السلام عن سبعة أشياء خلقها الله لا تركضن في رحم ؟ فقال عليه السلام : أول هذا آدم ثم كبش ابراهيم ثم ناقة الله ثم ابليس الملعون ثم الحية ثم الغراب التي ذكرها الله في القرآن .

وفي (عيون الأخبار) قال سأل الشامي أمير المؤمنين عليه السلام عن ستة لم يركضوا

في رحم ، فقال : آدم وحوا و كبش ابراهيم وعصى موسى وناقة صالح والخفاش الذي عمله عيسى عليه السلام فطار باذن الله عز وجل .

(علل الشرايع) مسنداً الى ابان بن عثمان قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام كيف صار الطحال حراماً وهو من الذبيحة ؟ فقال : ان ابراهيم عليه السلام هبط عليه الكبش من ثبير وهو جبل بمكة ليذبحه ، اتاه ابليس فقال له : إعطني نصيبي من هذا الكبش؟ قال : وأي نصيب لك وهو قربان لربي وفداء لابني . فأوحى الله عز وجل اليه ان له فيه نصيباً وهو الطحال. لأنه مجمع الدم وحرم الخصيتين لأنهما موضع النكاح ومجرى النطفة . فأعطاه الله الطحال والانثيين وهما الخصيتان : قال : فقلت فكيف حرم النخاع ؟ قال : لأنه موضع الماء الدافق من كل ذكر وانثى وهو المخ الطويل الذي يكون في فقار الظهر .

وفي (الكافي) عن الرضا عليه السلام : لو علم الله شيئاً اكرم من الضأن لفدى به اسماعيل عليه السلام .

أقول : اختلف علماء الاسلام في تعيين الذبيح هل هو اسماعيل أو اسحاق عليهما السلام فذهبت الطائفة المحقة من أصحابنا وجماعة من العامة الى انه اسماعيل عليه السلام والأخبار الصحيحة دالة عليه عليه السلام دلالة غيرهما من الآيات ودلائل العقل . وذهب طائفة من الجمهور الى انه اسحاق عليه السلام . وبه اخبار واردة من الطرفين . وطريق تأويلها اما تحمل على التقية ، واما حملها على ما قاله الصدوق طاب ثراه من ان اسحاق عليه السلام صار ذبيحاً بالنية والتمني .

(وروى) شيخنا امين الاسلام الطبرسي رحمه الله . ان ابراهيم عليه السلام لما خلا بابنه اسماعيل اخبره بما قد ذكر الله عنه في المنام فقال يا ابت اشدد رباطي حتى لا اضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح من دمي شيء فتراه امي واشحذ شفرتك واسرع من السكين على حلقي ليكون اهون علي ، فان الموت شديد فقال له ابراهيم نعم العون انت على أمر الله .

الباب السابع

في قصص لوط (ع) وقومه

قال الله تعالى : (ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ، إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون ، وما كان جواب قومه إلا أن قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون ، فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين ، وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين).

هو ابن هاران بن تارخ بن اخي ابراهيم الخليل عليه السلام .

وقيل : انه كان ابن خالة ابراهيم عليه السلام ، وكانت سارة زوجة ابراهيم عليه السلام أخت لوط .

والفاحشة اتيان الرجال في ادبارهم . قال الحسن : وكانوا يفعلون ذلك .

وقوله تعالى : (وتقطعون السبيل) أي سبيل الولد باختياركم الرجال وتقطعون الناس عن الأسفار باتيان هذه الفاحشة ، فانهم كانوا يفعلونه بالمجتازين في ديارهم وكانوا يرمون ابن السبيل بالحجارة بالخزف فان اصابه كان اولى به ويأخذون ماله فينكحونه ويغرمونه ثلاثة دراهم ، وكان لهم قاض يفتي بذلك . وقوله تعالى : (وتأتون في ناديكم المنكر) .

قيل : كانوا يتضارطون في مجالسهم من غير حشمة ولا حياء . وروي ذلك عن الرضا عليه السلام .

وقيل : انهم كانوا يأتون الرجال في مجالسهم يرى بعضها بعضاً ، فأنزل الله عليهم الرجز - اي العذاب - وهي الحجارة التي امطرت عليهم . وقيل : هو الماء الأسود على وجه الارض .

اقول : خرج الماء الاسود على وجه الارض من علامات الغضب ، وفي هذه الاعصار خرج الماء الأسود من بلاد « قم » وبه خربت محال كثيرة وهو الى وقت رقم هذه الكلمات على حاله واقفاً بين محالها يخرج من المنازل فيخربها وكل محلة خربت منازلها وقع بأهلها الموت حتى انه لم يبق منهم إلا القليل ، وقد حفروا لها أنهاراً من تحت الارض وهو يجري منه الماء الى خارج البلد .

ورأيت حديثاً عن الصادق عليه السلام : من علامات الفرج لأهل قم أن يجري الماء على وجه الأرض . يعني ان يكون الفرج ويخرج القائم عليه السلام . وقد خرج من غيرها أيضاً مثل شيراز وجرفايقان وخرب المنازل ووقع الموت بأهلها ، لكنه سكن وفرغ منه .

(علل الشرايع) باسناده الى أبي بصير قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتعوذ من البخل ؟ قال نعم في كل صباح ومساء، ونحن نتعوذ بالله من البخل، انه يقول : (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) وسأخبرك عن عاقبة البخل : ان قوم لوط كانوا اهل قرية اشحاء على الطعام ، فأعقبهم البخل داء لا دواء له في فروجهم . فقلت : وما أعقبهم ؟ فقال : ان قرية قوم لوط كانت على طريق السيارة تنزل بهم فيضيفونهم ، فلما اكثر ذلك عليهم ضاقوا بذلك ذرعاً بخلا ولؤماً ، فدعاهم البخل الى ان كانوا اذا نزل بهم الضيف فضحوه من غير شهوة بهم ، وانما كانوا يفعلون ذلك بالضيف حتى ينكل النازل عنهم ، فشاع أمرهم في القرى ، فأورثهم البخل بلاء لا يستطيعون دفعه عن أنفسهم من غير شهوة الى ذلك حتى صاروا يطلبونه من الرجال في البلاد ويعطونهم عليه الجعل. فقلت له: جعلت فداك فهل كان أهل قرية لوط كلهم يفعلون؟ فقال : نعم إلا اهل بيت منهم من المسلمين ، اما تسمع لقوله تعالى : (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) ، وان لوطاً لبث في قومه ثلاثين سنة يدعوهم الى الله عز وجل وكانوا لا يتنظفون من الغائط ولا يتطهرون من الجنابة .

وكان لوط رجلا سخياً كريماً يقري الضيف اذا نزل به ويحذرهم قومه ، فلما رأى قومه ذلك قالوا : إننا ننهاك عن العالمين إن فعلت فضحناك في ضيفك ، فكان لوط إذا نزل به الضيف كتم امره مخافة ان يفضحه قومه لانه لم يكن للوط عشيرة ولم يزل لوط وابراهيم عليهما السلام يتوقعان نزول العذاب على قومه ، وان الله كان اذا اراد عذاب قوم لوط ادركته مودة ابراهيم وخلته ومحبة لوط ، فيؤخر عذابهم ، فلما اشتد

عليهم غضب الله واراد عذابهم وقضى ان يعوض ابراهيم من عـــذاب قوم لوط بغلام عليم فيسلي به مصابه بهلاك قوم لوط ، فبعث الله رسلاً الى ابراهيم يبشرونه باسماعيل فدخلوا عليه ليلاً ، ففزع وخاف ان يكونوا سراً .

فلما رأته الرسل مذعوراً قالوا : سلاماً (قال : سلام إنا منكم وجلون ، قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم) وهو اسماعيل .

قال : (فما خطبكم بعد البشارة ؟ قالوا إنا ارسلنا الى قوم لوط لننذرهم عذاب رب العالمين . فقال ابراهيم للرسل : ان فيها لوطاً قالوا : نحن اعلم بمن فيها لننجيه واهله اجمعين ، إلا امرأته ...) الحديث .

(وروي) عن الاصبغ قال : سمعت علياً عليه السلام يقول : ستة في هذه الامة من اخلاق قوم لوط : الجلاهق ـ وهو البندق ـ والجذف ومضغ العلك وإرخاء الازار في الخلاء وحل الإزار من القباء والقميص .

(وفيه) عن الباقر عليه السلام في حديث طويل يقول : انه لما انتصف الليـــل سار لوط ببناته وتولت امرأته مدبرة فانقطعت الى قومها تسعى بلوط وتخبرهم ان لوطـاً قد سار ببناته ، قال جبرئيل عليه السلام السلام : واني نوديت من تلقاء العرش لمـا طلع الفجر يا جبرئيل حق القول من الله بحتم عذاب قوم لوط ، فاقلعها من تحت سبع أرضين ثم عرج بها الى السماء فأوقفها حتى يأتيك امر الجبار في قلبها ودع منها آية من منزل لوط عبرة للسيارة فهبطت على اهل القرية فضربت بجناحي الأيمن على مـا حوى عليه شرقيها وضربت بجناحي الأيسر على ما حوى عليه غربيها فاقتطعتها من تحت سبع ارضين إلا منزل آل لوط ، ثم عرجت بها في خوافي جناحي حتى اوقفتها حيث يسمع اهل السماء صياح ديوكها ونباح كلابها ، فلما طلعت الشمس نوديت من تلقاء العرش يا جبرئيل اقلب القرية على القوم فقلبتها عليهم حتى صار اسفلها اعلاهـا وأمطر الله عليهم حجارة من سجيل ، وكان موضع قريتهم بنواحي الشام ، وقلبت بــلادهم ، فوقعت فيها بين بحر الشام الى مصر فصارت تلولا في البحر .

(علي بن ابراهيم) في كلام طويل: ان ابراهيم عليه السلام لما رمي بنار نمرود ، وجعلت عليه برداً وسلامـــاً خرج من بلاد نمرود الى البادية فنزل على ممر الطريق الى اليمن والشام ، فكان يمر به الناس فيدعوهم الى الاسلام ، وقد كان خبره في الدنيا ان الملك القاه في النار ولم يحترق ، وكان ابراهيم كل من مرّ به يضيفه وكان على سبعة فراسخ

منه بلاد عامرة كثيرة الشجر، وكان الطريق عليها وكان كل من مرّ بتلك البلاد تناول من ثمورهم وزروعهم فجزعوا من ذلك وجاءهم ابليس في صورة شيخ فقال لهم : هل أدلكم على ما إن فعلتموه لم يمر بكم أحد ؟ فقالوا : ما هو ؟ قال : من مرّ بكم فانكحوه في دبره واسلبوا ثيابه ، ثم تصور لهم ابليس في صورة أمرد حسن الوجه فجاءهم فوثبوا عليه ففجروا به كما أمرهم فاستطابوه وكانوا يفعلونه بالرجال فاستغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء ، فشكا الناس في ذلك الى ابراهيم عليه السلام فبعث اليهم لوطاً يحذرهم وقال لهم لوط: انا ابن خالة ابراهيم الذي جعل الله عليه النار برداً وسلاماً، وهو بالمقرب منكم فاتقوا الله ولا تفعلوا ، فان الله يهلككم وكان لوط كلما مر به رجل يريدونه بسوء خلصه من ايديهم وتزوج لوط فيهم وولد بنات ، فلما طال ذلك على لوط ولم يقبلوا منه قالوا : لئن لم تنته لنرجمنك بالحجارة فدعا عليهم لوط . فبينما ابراهيم عليه السلام قاعد في الموضع الذي كان فيه وقد كان اضاف قوماً وخرجوا ، فنظر الى أربعة نفر وقد وقفوا عليه لا يشبهون الناس ، فقالوا سلاماً . فقال ابراهيم سلام ، فجاء ابراهيم عليه السلام الى سارة فقال لها : قد جاءتني أضياف لا يشبهون الناس ؟ فقالت ما عندنا إلا هذا العجل . فذبحه وشواه وحمله اليهم وذلك قول الله عز وجل : (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى ، قالوا : سلاماً قال : سلام) فما لبث ان جاء بعجل حنيذ مشوي فلما رأى ايديهم لا تصل اليه ولا يأكلون منه ، خاف منهم ، فقالت لهم سارة: ما لكم تمتنعون من طعام خليل الله ؟ فقالوا : لا تخف إنا ارسلنا الى قوم لوط، ففزعت سارة وضحكت ـ أي حاضت ـ وقد كان ارتفع حيضها ، فبشروها باسحاق ومن ورائه يعقوب . فوضعت يدها على وجهها فقالت يا ويلتي أألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخ . فقال لها جبرئيل عليه السلام أتعجبين من امر الله ؟ فلما ذهب عن ابراهيم الروع اقبل يجادل الملائكة في قوم لوط فقال ابراهيم لجبرئيل عليه السلام : بماذا أرسلت ؟ قال : بهلاك قوم لوط ، قال : ان فيها لوطاً قال جبرئيل عليه السلام : (نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله إلا امرأته) قال ابراهيم : يا جبرئيل إن كان في المدينة مائة رجل من المؤمنين تهلكهم ؟ قال : لا ، قال : فان كان فيهم خمسون ؟ قال : لا ، قال : فان كان فيهم عشرة ؟ قال : لا ، قال : وإن كان فيهم واحد ؟ قال : لا ، وهو قوله : (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) فقال ابراهيم : يا جبرئيل راجع ربك فيهم فأوحى الله الى ابراهيم : يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم اتاهم عذاب غير مردود ، فخرجوا من عند ابراهيم ، فوقفوا على لوط وهو يسقي

زرعه ، فقال لهم لوط : من انتم ؟ قالوا : نحن ابناء السبيل أضفنا الليلة. فقال لهم : يا قوم ان اهل هذه القرية قوم سوء لعنهم الله واهلكهم ، ينكحون الرجال ويأخذون الأموال ، فقالوا : قد أبطأنا فأضفنا ، فجاء لوط الى اهله و كانت منهم ، فقال لها : انه قد أتانا أضياف في هذه الليلة فاكتمي عليهم حتى أعفو عنك جميع ما كان الى هذا الوقت ؟ فقالت : افعل . وكانت العلامة بينها وبين قومها اذا كان عند لوط أضياف بالنهار تدخن فوق السطح واذا كان بالليل توقد النار ، فلما دخل جبرئيل والملائكة معه بيت لوط عليه السلام أوقدت امرأته ناراً فوق السطح ، فعلم اهل القرية واقبلوا اليه من كل ناحية يهرعون ، فلما صاروا الى باب البيت قالوا : يا لوط أو لم ننهك عن العالمين ؟ فقال لهم : هؤلاء بناتي هن اطهر لكم ،قال يعني به ـ ازواجهم ـ وذلك ان النبي هو ابو امته ، فدعاهم الى الحلال،ولم يكن يدعوهم الى الحرام ، فقال: ازواجكم هن اطهر لكم، قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد؟ فقال لوط لما ايس : لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد ، وما بعث الله نبياً بعد لوط إلا في عز من قومه ، وقوله عليه السلام : القوة القائم والركن الشديد ثلاثمائة وثلاثة عشر يعني الذين يخرجون مع القائم عليه السلام .

(قال علي بن ابراهيم) فقال جبرئيل للملائكة : لو علم ما له من القوة فقال لوط: من انتم فقال له جبرئيل عليه السلام : انا جبرئيل . فقال لوط : بماذا امرت قال بهلاكهم ، قال الساعة ؟ فقال جبرئيل : (ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب) قال:فكسروا الباب ودخلوا البيت ، فضرب جبرئيل بجناحه على وجوههم فطمسها ، وهو قول الله عز وجل : (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابي ونذر) فلما رأوا ذلك علموا انه قد جاءهم العذاب ، فقال جبرئيل للوط : فأسر بأهلك بقطع من الليل واخرج من بينهم انت وولدك ولا يلتفت منكم احد إلا امرأتك فانه مصيبها ما اصابهم ، وكان في قوم لوط رجل عالم فقال لهم : يا قوم لقد جاءكم العذاب الذي كان يعدكم لوط ، فاحرسوه ولا تدعوه يخرج من بينكم فانه ما دام فيكم لا يأتيكم العذاب ، فاجتمعوا حول داره يحرسونه ، فقال جبرئيل : يا لوط اخرج من بينهم ، فقال كيف اخرج وقد اجتمعوا حول داري ؟ فوضع بين يديه عموداً من نور ، فقال له : اتبع هذا العمود ، فخرجوا من القرية من تحت الأرض ، فالتفتت امرأته، فأرسل الله عليها صخرة فقتلتها. فلما طلع الفجر صارت الملائكة الأربعة كل واحد في طرف من قريتهم فقلعوها من سبع ارضين الى تخوم الارض ، ثم رفعوها في السماء ، حتى سمع أهل السماء

نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبوها عليهم، وامطر الله عليهم حجارة من سجيل .

(وعن أبي عبد الله عليه السلام) : ما من عبد يخرج من الدنيا يستحل عمل قوم لوط إلا رماه الله بحجر من تلك الحجارة ليكون فيه منيته ولكن الخلق لا يرونه .

(قال الطبرسي « رحمه الله ») اختلف في ذلك — يعني عرض البنات — فقيل : اراد بناته لصلبه .

عن قتادة وبه رواية : وقيل اراد النساء من امته ، لأنهن كالبنات له . واختلف أيضاً في كيفية عرضهن ؟ فقيل بالتزويج ، وكان يجوز في شرعه تزويج بنته المؤمنة من الكافر .

وكذا كان يجوز أيضاً في مبتدإ الاسلام ، وقد زوج النبي صلى الله عليه وآله من ابي العاص بن الربيع ، قبل ان يسلم . ثم نسخ ذلك . وقيل : اراد التزويج بشرط الايمان ، وكانوا يخطبون بناته فلا يزوجهن منهم لكفرهم . وقيل : انه كان لهم سيدان مطاعان ، فأراد ان يزوجها بنته ذعورا وريثا .

(علل الشرايع) عن الصادق عليه السلام قال : في المنكوح من الرجال هم بقية سدوم ، أما اني لست اعني بقيتهم انه ولدهم ، ولكن من طينتهم .

(قلت) : سدوم الذي قلبت عليهم ؟ قال : هي أربعة مدائن : سدوم وصديم ولدنا وعميراء .

(وقال المسعودي) ارسل الله لوطاً الى المدائن الخمسة وهي سدوم وعمورا ودوما وصاعورا وصابورا .

(وعنه عليه السلام) وقد سئل وكيف كان يعلم قوم لوط انه قد جاء لوطاً رجل ؟ قال : كانت امرأته تخرج فتصفر فاذا سمعوا الصفير جاؤوا ، فلذلك كره التصفير .

(وعنه عليه السلام) انه لما جاء الملائكة الى لوط وهو لم يعرفهم واخذهم الى منزله التفت اليهم فقال انكم تأتون شرار خلق الله ، وكان جبرئيل عليه السلام قال الله له : لا يعذبهم حتى يشهد عليهم ثلاث شهادات ، فقال : هذه واحدة، ثم مشى ساعة فقال: انكم تأتون شرار خلق الله . فقال جبرئيل عليه السلام هذه ثنتان ، فلما بلغ باب المدينة ، التفت اليهم وقال : انكم تأتون شرار خلق الله فقال جبرئيل هذه ثلاث ، ثم دخلوا منزله ، الحديث .

(ثواب الأعمال) مسنداً إلى ابي جعفر عليه السلام قال : كان قوم لوط افضل قوم خلقهم الله عز وجل فطلبهم ابليس لعنه الله طلباً شديداً ، وكان من فضلهم وخيرهم انهم اذا خرجوا الى العمل خرجوا بأجمعهم وتبقى النساء خلفهم ، فحسدهم ابليس على عبادتهم ، وكانوا اذا رجعوا خرب ابليس ما يعملون، فقال بعضهم لبعض تعالوا نرصد هذا الذي يخرب متاعنا ، فرصدوه فاذا هو غلام كأحسن ما يكون من الغلمان ، فقالوا انت الذي تخرب متاعنا ؟ فقال نعم مرة بعد مرة ، واجتمع رأيهم على ان يقتلوه فبيتوه عند رجل ، فلما كان الليل صاح . فقال ما لك ؟ فقال كان أبي ينومني على بطنه . فقال نعم فنم على بطني ، فلم يزل بذلك الرجل حتى علمه ان يعمل بنفسه ، فأولا علمه ابليس والثانية علمه هو ، يعني لغيره . ثم انسل ففر منهم فأصبحوا فجعل الرجل يخبر بما فعل بالغلام ويعجبهم منه شيء لا يعرفونه ، فوضعوا ايديهم فيه حتى اكتفى الرجال بعضهم ببعض . ثم جعلوا يرصدون مار الطريق فيفعلون بهم حتى ترك مدينتهم الناس ، ثم تركوا نساءهم ، فأقبلوا على الغلمان ، فلما رأى ابليس لعنه الله انه قد احكم امره في الرجال دار الى النساء ، فصير نفسه امرأة ، ثم قال: ان رجالكم يفعلون بعضهم ببعض قلن نعم قد رأينا ذلك ، وعلى ذلك يعظهم لوط . وما زال يوصيهن حتى استكفت النساء بالنساء فلما كملت عليهم الحجة ، بعث الله عز وجل جبرئيل وميكائيل واسرافيل في زي غلمان عليهم اقبية ، فمروا بلوط وهو يحرث فقال : اين تريدون ؟ فما رأيت أجمل منكم قط ، قالوا : ارسلنا سيدنا إلى رب هذه المدينة قال ولم يبلغ سيدكم ما يفعل أهل هذه القرية؟ يا بني انهم والله يأخذون الرجال فيفعلون بهم حتى يخرج الدم ؟ فقالوا له امرنا سيدنا ان نمر في وسطها ، قال فلي اليكم حاجة ؟ قالوا : وما هي ؟ قال : تصبرون هاهنا الى اختلاط الظلام ؟ فجلسوا ، فبعث ابنته فقال : هاتي لهم خبزاً وماء وعباءة يتغطون بها من البرد . فلما ان ذهبت الى البيت اقبل المطر وامتلأ الوادي ، فقال لوط الساعة تذهب بالصبيان الوادي ، قال : قوموا حتى نمضي ، فجعل لوط يمشي في اصل الحائط وجعل الملائكة يمشون وسط الطريق،فقال : يا بني هاهنا قالوا امرنا سيدنا ان نمر وسطها. وكان لوط عليه السلام يستغل الظلام ومر ابليس لعنه الله فأخذ من حجر امرأته صبياً ، فطرحه في البئر ، فتصايح اهل المدينة على باب لوط عليه السلام ، فلما نظروا إلى الغلمان في منزل لوط عليه السلام قالوا : يا لوط قد دخلت في عملنا ؟ قال : هؤلاء ضيفي فلا تفضحون ، قالوا : هم ثلاثة خذ واحداً واعطنا اثنين ، قال : وادخلهم الحجرة وقال لوط عليه السلام لو ان لي

أهل بيت يمنعونني منكم ، وقد تدافعوا بالباب فكسروا باب لوط وطرحوا لوطاً فقال جبرئيل عليه السلام إنا رسل ربك لن يصلوا اليك ، فأخذ كفاً من بطحاء الرمل فضرب بها وجوههم وقال : شاهت الوجوه . فعمي أهل المدينة كلهم ، فقال لوط : يا رسل ربي بماذا أمركم فيهم ؟ قالوا امرنا ان نأخذهم بالسحر ، قال تأخذونهم الساعة ؟ قالوا يا لوط ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب ؟ فخذ انت بناتك وامض .

(وقال) ابو جعفر : رحم الله لوطاً لو يدري من معه في الحجرة لعلم انه منصور حين يقول لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد ، اي ركن اشد من جبرئيل معه في الحجرة ؟

وقال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وآله : (وما هي للظالمين ببعيد) أي من ظالمي أمتك إن عملوا عمل قوم لوط .

(ثواب الاعمال) باسناده الى الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لما عمل قوم لوط ما عملوا ، بكت الأرض الى ربها حتى بلغت دموعها السماء ، وبكت السماء حتى بلغت دموعها العرش ، فأوحى الله عز وجل الى السماء : إحصبيهم — أي ارميهم — بالحصباء — وهي الحجارة ، وأوحى الله الى الأرض : ان اخسفي بهم .

(العياشي) عن زيد بن ثابت قال : سأل رجل امير المؤمنين عليه السلام أتؤتى النساء في ادبارهن ؟ فقال : سفلت سفل الله بك ، أما سمعت الله يقول : (اتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين) .

وعن عبد الرحمن بن الحجاج قال : سمعت ابا عبد الله عليه السلام ذكر عنده إتيان النساء في أدبارهن ، فقال : ما أعلم آية في القرآن احلت ذلك إلا واحدة (إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) .

الباب الثامن

في قصص ذي القرنين (ع)

وكان اسمه عياشياً وكان اول الملوك بعد نوح عليه السلام ملك ما بين المشرق والمغرب، قال الله تعالى: (ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً . إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً . فاتبع سبباً . حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسناً . قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذاباً نكراً. واما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسراً ...) الآيات .

قال أمين الاسلام الطبرسي في قوله تعالى: (إنا مكنا له في الأرض) أي بسطنا يده في الأرض وملكناه حتى استولى عليها .

وروي عن علي عليه السلام انه قال : سخر الله له السحاب فحمله عليها ومد له في الأسباب وبسط له النور، فكان الليل والنهار عليه سواء، فهذا معنى تمكينه في الأرض.

(وآتيناه من كل شيء سبباً) اي واعطيناه من كل شي علماً وقدرة وآلة يتسبب بها الى إرادته .

(فاتبع سبباً) اي فاتبع طريقاً واخذ في سلوكه .

(حتى اذا بلغ مغرب الشمس) أي آخر العمارة من جانب المغرب ، وبلغ قوماً يكن وراءهم احد الى موضع غروب الشمس .

(وجدها تغرب) أي كأنها تغرب .

(في عين حمئة) وإن كانت تغرب وراءها لأن الشمس لا تزايل الفلك فلا تدخل

في عين الماء ، ولكن لما بلغ ذلك الموضع تراءى له كأن الشمس تغرب في عين كما ان من كان في البحر يراها كأنها تغرب في الماء من كان في البر يراها كأنها تغرب في الأرض الملساء .

والعين الحمئة ذات الحمأة وهي الطين الأسود المنتن والحامية الحارة .

وعن كعب قال : اجدها في التوراة تغرب في ماء وطين .

(علل الشرايع والأمالي) مسنداً الى وهب قال : وجدت في بعض كتب الله تعالى ان ذا القرنين لما فرغ من عمل السد انطلق على وجهه ، فبينما هو يسير وجنوده إذ مر على شيخ يصلي فوقف عليه بجنوده حتى انصرف من صلاته فقال له ذو القرنين: كيف لم يرعك ما حضرك من جنودي؟ قال: كنت اناجي من هو اكثر جنوداً منك وأعز سلطاناً واشد قوة ، ولو صرفت وجهي اليك لم ابلغ حاجتي قبله؛ فقال ذو القرنين هل لك في ان تنطلق معي فاواسيك بنفسي واستعين بك على بعض امري ؟ قال نعم إن ضمنت لي أربعة خصال : نعيماً لا يزول وصحة لا سقم فيها وشباباً لا هرم فيه وحياة لا موت فيها ، فقال له ذو القرنين وأي مخلوق يقدر على هذه الخصال ؟ فقال له الشيخ فاني مع من يقدر عليها ويملكها وإياك. ثم مر برجل عالم فقال لذي القرنين اخبرني عن شيئين منذ خلقهما الله عز وجل قائمين ؟ وعن شيئين مختلفين ؟ وعن شيئين جاريين ؟ وعن شيئين متباغضين .

فقال له ذو القرنين: أما الشيئان الجاريان فالشمس والقمر ، واما الشيئان المختلفان فالليل والنهار ، واما الشيئان المتباغضان فالموت والحياة .

فقال : انطلق فانك عالم . فانطلق ذو القرنين يسير في البلاد حتى مر بشيخ يقلب جماجم الموتى فوقف عليه بجنوده فقال له : اخبرني ايها الشيخ لأي شيء تقلب هذه الجماجم ؟ فقال لأعرف الشريف من الوضيع والغني من الفقير فما عرفت واني لأقلبها منذ عشرين سنة فانطلق ذو القرنين وتركه ، فقال ما عنيت بهذا احداً غيري . فبينما هو يسير إذ وقع الى الامة العالمة من قوم موسى الذين يهدون بالحق وبه يعدلون فلما رآهم قال لهم ايها القوم اخبروني بخبركم ، فاني قد درت الأرض شرقها وغربها وبرها وبحرها فلم الق مثلكم فاخبروني ما بال قبور موتاكم على أبواب بيوتكم ؟ قالوا : لئلا ينسى الموت ولا يخرج ذكره من قلوبنا . قال : فما بال بيوتكم ليس عليها ابواب ؟ قالوا : ليس فينا لص ولا ظنين – أي متهم – وليس فينا إلا امين قال : فما بالكم

ليس عليكم امراء ؟ قالوا : لا نتظالم . قال : فما بالكم ليس بينكم حكام ؟ — يعني القضاة — قالوا : لا نختصم . قال : فما بالكم ليس فيكم ملوك ؟ قالوا : لا نتكاثر . قال : فما بالكم لا تتفاضلون ولا تتفاوتون ؟ قالوا : من قبل إنا متواسون متراحمون قال : فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون ؟ قالوا : من قبل إلفة قلوبنا ، وصلاح ذات بيننا . قال : فما بالكم لا تسبون ولا تقتلون؟ قالوا : من قبل إنا غلبنا طبايعنا — يعني بالعزم — ومسسنا انفسنا بالحكم . قال : فما بالكم كلمتكم واحدة وطريقتكم مستقيمة ؟ قالوا : من قبل إنا لا نتكاذب ولا نتخادع ولا يغتاب بعضنا بعضاً قال : فاخبروني لم ليس فيكم مسكين ولا فقير ؟ قالوا : من قبل إنا نقسم بالسوية . قال : فما بالكم ليس فيكم فظ ولا غليظ ؟ قالوا : من قبل الذل والتواضع . قال : فلم جعلكم الله اطول الناس اعماراً ؟ قالوا : من قبل إنا نتعاطى الحق ونحكم بالعدل . قال : فما بالكم لا تقحطون ؟ قالوا : من قبل إنا لا نغفل عن الاستغفار . قال : فما بالكم لا تحزنون ؟ قالوا : من قبل إنا وطنا انفسنا على البلاء فعزينا انفسنا . قال : فما بالكم لا تصيبكم الآفات ؟ قالوا : من قبل إنا لا نتوكل على غير الله عز وجل ولا نستمطر بالانواء والنجوم . قال : فحدثوني ايها القوم هكذا وجدتم آباءكم يفعلون ؟ قالوا : وجدنا آباءنا يرحمون مسكينهم ويواسون فقيرهم ويعفون عمن ظلمهم ويحسنون الى من اساء اليهم ويستغفرون لمسيئهم ويصلون ارحامهم ويؤدون امانتهم ويصدقون ولا يكذبون فأصلح الله لهم بذلك امرهم . فأقام عندهم ذو القرنين حتى قبض وله خمسمائة عام .

(تفسير علي بن ابراهيم) باسناده الى الصادق عليه السلام قال : ان ذا القرنين بعثه الله الى قومه فضرب على قرنه الأيمن ، فأماته الله خمسمائة عام . ثم بعثه الله اليهم بعد ذلك . فضرب على قرنه الأيسر ، فأماته الله خمسمائة عام . ثم بعثه الله اليهم بعد ذلك فملكه مشارق الأرض ومغاربها .

وسئل امير المؤمنين عليه السلام عن ذي القرنين انبياً كان ام ملكاً ؟ فقال : لا ملكاً ولا نبياً بل عبداً احب الله فأحبه الله ، ونصح لله فنصح له ، فبعثه الى قومه فضربوه على قرنه الأيمن ، فغاب عنهم ، ثم بعثه الثانية فضربوه على قرنه الأيسر فغاب عنهم ، ثم بعثه الثالثة ، فمكن الله له في الأرض ، وفيكم مثله . يعني نفسه .

وكان ذو القرنين اذا مر بقرية زأر فيها كما يزأر الاسد المغضب ، فينبعث في القرية ظلمات ورعد وبرق وصواعق يهلك من خالفه .

وقيل له : ان لله في ارضه عين يقال لها عين الحياة لا يشرب منها ذو روح إلا لم

يمت حتى الصيحة ، فدعا ذو القرنين الخضر وكان افضل اصحابه عنده ودعا ثلاثمائة وستين رجلاً ودفع الى كل واحد منهم سمكة وقال لهم اذهبوا الى موضع كذا وكذا فان هناك ثلاثمائة وستين عيناً ، فيغسل كل واحد سمكته في عين غير عين صاحبه . فذهبوا يغسلون وقعد الخضر يغسل فانسابت منه السمكة في العين وبقي الخضر متعجباً مما رأى وقال في نفسه : ما اقول لذي القرنين؟ ثم نزع ثيابه يطلب السمكة ، فشرب من مائها واغتمس فيه ولم يقدر على السمكة ،فرجعوا الى ذي القرنين، فأمر ذو القرنين بقبض السمك من اصحابه . فلما انتهوا الى الخضر لم يجدوا معه ، فدعاه وقال له : ما حال السمكة ؟ فأخبره الخبر ، فقال : له ماذا صنعت ؟ قال : اغتمست فيها فجعلت اغوص واطلبها فلم اجدها ، قال : فشربت من مائها ؟ قال : نعم . قال : فطلب ذو القرنين العين فلم يجدها ، فقال للخضر : كنت انت صاحبها .

(الأمالي) عن الصادق عليه السلام قال : ان ذا القرنين لما انتهى الى السد جاوزه فدخل في الظلمات، فاذا هو بملك قائم على جبل طوله خمسمائة ذراع ، فقال له الملك : يا ذا القرنين اما كان خلفك مسلك؟ فقال له : ذو القرنين من انت ؟ قال : انا ملك من ملائكة الرحمان موكل بهذا الجبل فليس من جبل خلقه الله عز وجل إلا وله عرق الى هذا الجبل فاذا اراد الله عز وجل ان يزلزل مدينة اوحى إلي فزلزلتها .

وعن ابي جعفر عليه السلام قال : إن الله تبارك وتعالى لم يبعث انبياء ملوكاً في الأرض إلا أربعة بعد نوح عليه السلام : ذو القرنين واسمه عياش وداود وسليمان ويوسف ، وأما عياش فملك ما بين المشرق والمغرب ، وأما داود فملك ما بين الشامات الى بلاد الاصطخر ، وكذلك كان ملك سليمان ، واما يوسف فملك مصر وبراريها لم يجاوزها الى غيرها .

قال الصدوق طاب ثراه : جاء في الخبر هكذا ، والصحيح الذي اعتقده في ذي القرنين انه لم يكن نبياً صالحاً احب الله فأحبه الله .

قال امير المؤمنين عليه السلام : وفيكم مثله . وذو القرنين ملك مبعوث وليس برسول ولا نبي ، كما كان طالوت ملكاً .

قال الله عز وجل : (وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكاً) وقد يجوز ان يذكر في جملة الأنبياء من ليس بنبي ، كما يجوز ان يذكر من الملائكة من ليس بملك .

قال الله عز وجل : (وإذا قلنا للملائكة إسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس كان من الجن ...) .

وعن ابي عبد الله عليه السلام قال : ملك الارض كلها اربعة : مؤمنان وكافران؛ فأما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين عليهما السلام ، والكافران نمرود وبخت نصر ، واسم ذي القرنين عبد الله بن ضحاك بن معبد .

(علل الشرايع) باسناده الى الباقر عليه السلام قال : اول اثنين تصافحا على وجه الارض ذو القرنين وابراهيم الخليل عليه السلام استقبله ابراهيم فصافحه ، وأول شجرة نبتت على وجه الارض النخلة .

(بصائر الدرجات) عن ابي جعفر عليه السلام قال : ان ذا القرنين قد خير بين السحابين ، واختار الذلول ، وذخر لصاحبكم الصعب . قال : قلت وما الصعب ؟ قال كان من سحاب فيه رعد وصاعقة وبرق ، فصاحبكم يركبه ، اما انه سيركب السحاب ويرقى في الأسباب اسباب السماوات السبع والأرضين السبع خمس عوامر واثنتان خراب .

أقول : المراد بصاحبكم هو القائم عليه السلام .

(إكمال الدين) باسناده الى عبد الله بن سليمان وكان قارئاً للكتب قال : قرأت في بعض كتب الله عز وجل ان ذا القرنين كان رجلاً من أهل الاسكندرية وامه عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره يقال له اسكندر وكان له أدب وخلق وعفة من وقت ما كان فيه غلاماً الى أن بلغ رجلاً وكان رأى في المنام كأنه دنا من الشمس حتى اخذ بقرنيها وشرقها وغربها ، فلما قص رؤياه على قومه سموه ذا القرنين هذه الرؤيا بعدت همته وعلا صوته وعز في قومه وكان اول ما اجمع عليه امره ان اسلم لله ودعا قومه الى الاسلام ، فأسلموا هيبة له ، ثم أمرهم ان يبنوا له مسجداً ، فأجابوه الى ذلك ، فأمر ان يجعل طوله اربعمائة ذراع وعرض حائطه اثنين وعشرين ذراعاً وعلوه الى السماء مائة ذراع ، فقالوا له : يا ذا القرنين كيف لك بخشب يبلغ ما بين الحائطين قال : فاكبسوه بالتراب حتى يستوي الكبس مع حيطان المسجد فاذا فرغتم من ذلك فرضتم على كل رجل من المؤمنين على قدره من الذهب والفضة ثم قطعتموه مثل قلامة الظفر وخلطتموه مع ذلك الكبس وعملتم له خشباً من نحاس وصفائح تذيبون ذلك وأنتم متمكنون من العمل كيف شئتم على أرض مستوية فاذا فرغتم من ذلك دعوتم

المساكين لنقل ذلك التراب فيسارعون فيه من اجل ما فيه من الذهب والفضة . فبنوا المسجد وأخرج المساكين ذلك التراب وقد استقل السقف بما فيه واستغنى المساكين فجندهم اربعة اجناد في كل جند عشرة آلاف ثم نشرهم في البلاد وحدث نفسه بالسير فاجتمع اليه قومه فقالوا ننشدك بالله لا تؤثر علينا بنفسك غيرنا فنحن احق برؤيتك وفينا كان مسقط رأسك وهذه اموالنا وأنفسنا ، فأنت الحاكم فيها وهذه امك عجوز كبيرة وهي اعظم خلق الله عليك حقاً فلا تخالفها ، فقال ان القول لقولكم وإن الرأي لرأيكم ولكنني بمنزلة المأخوذ بقلبه وسمعه وبصره ويقاد ويدفع من خلفه لا يدري أين يؤخذ به ، ولكن هلموا معشر قومي فادخلوا هذا المسجد واسلموا على آخركم ولا تخالفوا عليّ فتهلكوا ، ثم دعا دهقان الاسكندرية فقال له : اعمر مسجدي وعزّ عني امي ، فلما رأى الدهقان جزع امه وطول بكائها احتال ليعزيها بما اصاب الناس قبلها وبعدها من المصائب والبلاء فيصنع عيداً عظيماً ، ثم أذن مؤذنه ايها الناس ان الدهقان يدعوكم ان تحضروا يوم كذا و كذا ، فلما كان ذلك اليوم أذن مؤذنه اسرعوا واحذروا ان يحضر هذا العيد إلا رجل قد عري من البلاء والمصائب فاحتبس الناس كلهم ، فقالوا ليس فينا احد عري من البلاء ما منا احد إلا وقد اصيب ببلاء او بموت حميم ، فسمعت ام ذي القرنين فأعجبها ، ولم تدر ما أراد الدهقان ، ثم ان الدهقان أمر منادياً ينادي فقال : يا أيها الناس ان الدهقان قد أمركم أن تحضروا يوم كذا و كذا ولا يحضر إلا رجل قد ابتلى وأصيب وفجع ولا يحضره احد عري من البلاء فإنه لا خير فيمن لا يصيبه البلاء ، فلما فعل ذلك قال الناس هذا رجل قد بخل ، ثم ندم واستحيى فتدارك أمره ومحا عيبه .

فلما اجتمعوا خطبهم ، ثم قال : اني لم أجمعكم لما دعوتكم له ولكني جمعتكم لأكلمكم في ذي القرنين وفيما فجعنا به من فقده وفراقه فذكروا آدم إن الله خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته ثم ابتلاه بأن عظم بليته وهو الخروج من الجنة ، ثم ابتلى ابراهيم بالحريق وابتلى ابنه بالذبح ، ويعقوب بالحزن والبكاء ويوسف بالرق وأيوب بالسقم ويحيى بالذبح وزكريا بالقتل وعيسى بالأمر ، وخلقاً من خلق الله كثيراً لا يحصيهم إلا الله عز وجل فلما فرغ من هذا الكلام قال لهم : انطلقوا فعزوا ام الاسكندر لننظر كيف صبرها فإنها أعظم مصيبة في ابنها ، فلما دخلوا عليها قالوا لها : هل حضرت الجمع اليوم وسمعت الكلام ؟ قالت لهم : ما غاب عليّ من أمركم

شيء وما كان فيكم احد أعظم مصيبة بالاسكندر مني ولقد صبرني الله وأرضاني وربط على قلبي ، فلما رأوا حسن عزائها انصرفوا عنها . وانطلق ذو القرنين يسير على وجهه حتى أمعن في البلاد يؤم المغرب وجنوده يومئذ المساكين ، فأوحى الله جل جلاله اليه: يا ذا القرنين انك حجتي على جميع الخلائق ما بين الخافقين من مطلع الشمس الى مغربها، وهذا تأويل رؤياك . فقال ذو القرنين : إلهي انك ندبتني لأمر عظيم لا يقدر قدره غيرك فاخبرني عن هذه الأمة بأي قوم أكاثرهم وبأي عدد أغلبهم وبأية حيلة أكيدهم وبأي لسان أكلمهم وكيف لي بأن اعرف لغاتهم ؟ فأوحى الله تعالى اليه : إشرح لك صدرك فتسمع كل شيء واشرح لك فهمك فتفقه كل شيء ، واحفظ عليك فلا يعزب منك شيء وأشد ظهرك فلا يهولك شيء واسخر لك النور والظلمة اجعلها جندين من جنودك النور يهديك والظلمة تحوطك وتحوش عليك الأمم من ورائك فانطلق ذو القرنين برسالة ربه عز وجل ، فمرّ بمغرب الشمس فلا يمرّ بأمة من الأمم إلا دعاهم الى الله عز وجل فإن أجابوه قبل منهم وإن لم يجيبوه أغشاهم الظلمة ، فأظلمت مدنهم وقراهم وحصونهم وبيوتهم وأغشت أبصارهم ودخلت على أفواههم وآنافهم، فلا يزالون فيها متحيرين حتى يستجيبوا لله عز وجل .

(حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجد عندها ...) الآية التي ذكرها الله عز وجل في كتابه ، ففعل بهم مع غيرهم حتى فرغ مما بينه وبين المغرب .

ثم مشى على الظلمة ثمانية ايام وثمان ليال وأصحابه ينظرونه حتى انتهى الى الجبل الذي هو محيط بالأرض كلها ، فإذا بملك من الملائكة قابض على الجبل وهو يسبح الله ، فخر ذو القرنين ساجداً ، فلما رفع رأسه ، قال له الملك : كيف قويت يابن آدم على أن تبلغ هذا الموضع ولم يبلغه احد من ولد آدم قبلك ؟ قال ذو القرنين : قواني على ذلك الذي قواك على قبض هذا الجبل وهو محيط بالأرض كلها قال له الملك صدقت ، لولا هذا الجبل لانكفأت الارض بأهلها وليس على وجه الارض جبل أعظم منه وهو اول جبل اسسه الله عز وجل ، فرأسه ملصق بالسماء الدنيا وأسفله بالارض السابعة السفلى وهو محيط به كالحلقة ، وليس على وجه الارض مدينة إلا ولها عرق الى هذا الجبل ، فإذا أراد الله عز وجل أن يزلزل مدينة فأوحى الله إليّ فحركت العرق الذي يليها فزلزلتها .

ثم رجع ذو القرنين الى اصحابه ، ثم عطف بهم نحو المشرق يستقري ما بينه وبين

المشرق من الامم ، فيفعل بهم ما فعل بأمم المغرب ، حتى اذا فرق مـــا بين المشرق والمغرب عطف نحو الروم الذي ذكره الله عز وجل في كتابه ، فإذا هو بأمـة (لا يكادون يفقهون قولاً) وإذا ما بينه وبين الروم مشحون منامة يقال لها ياجوج وماجوج اشباه البهائم يأكلون ويشربون ويتوالدون وهم ذكور وإناث وفيهم مشابهة من الناس الوجوه والاجساد والخلقة ولكنهم قـد نقصوا في الأبدان نقصاً شديداً وهم في طول الغلمان لا يتجاوزون خمسة أشبار وهم على مقدار واحـد في الخلق والصور عراة حفاة لا يغزلون ولا يلبسون ولا يحتذون ، عليهم وبر كوبر الإبل يواريهم ويسترهم من الحر والبرد ولكل واحد منهم اذنان احداهما ذات شعر والأخرى ذات وبر ظاهرهما وباطنهما ولهم مخالب في موضع الاظفار وأضراس وأنياب كالسباع ، وإذا نام احـدهم افترش احدى اذنيه والتحف الاخرى فتسعه لحافاً ، وهم يرزقون نون البحر كل عام يقذفه عليهم السحاب ، فيعيشون به ويستمطرون في ايامه كما يستمطر الناس المطر في ايامه ، فإذا قذفوا بـــه اخصبوا وسمنوا وتوالدوا وأكثروا فأكلوا منه الى الحول المقبل ولا يأكلون منه شيئاً غيره وإذا اخطأهم النون جاعوا وساحوا في البلاد فـلا يدعون شيئاً اتوا عليه إلا افسدوه وأكلوه وهم اشد فساداً من الجراد والآفات وإذا اقبلوا من ارض الى ارض جـــلا اهلها عنها وليس يغلبون ولا يدفعون حتى لا يجد احد من خلق الله موضعاً لقدمه ولا يستطيع احد ان يدنو منهم لنجاستهم وقذارتهم فبذلك غلبوا وإذا اقبلوا الى الارض يسمع حسهم من مسيرة مائة فرسخ لكثرتهم ، كما يسمع حس الريح البعيدة ولهم همهمة اذا وقعوا في البلاد كهمهمة النحل ، إلا انه اشد وأعلى وإذا اقبلوا الى الارض حاشوا وحوشها وسباعها حتى لا يبقى فيها شيء، لأنهم يملأون ما بين اقطارها ولا يتخلف وراءهم من ساكن الأرض شيء فيه روح إلا اجتلبوه وليس فيهم احـد إلا وعرف متى يموت وذلك من قبل انه لا يموت منهم ذكر حتى يولد له الف ولد ولا تموت انثى حتى تلد الف ولد ، فإذا ولدوا الالف ، برزوا للموت وتركوا طلب المعيشة .

ثم انهم اجفلوا في زمان ذي القرنين يدورون ارضاً ارضاً وأمة امـة وإذا توجهوا لوجه لم يعدلوا عنه ابداً .

فلمـــا احست تلك الامم بهم وسمعوا همهمتهم استغاثوا بذي القرنين وهو نازل في ناحيتهم ، قالوا له فقد بلغنا ما آتاك الله من الملك والسلطان وما ايدك بـه من الجنود ومن النور والظلمة ، وإنا جيران ياجوج وماجوج وليس بيننا وبينهم سوى هذه الجبال وليس لهم الينا طريق إلا من هـــذين الجبلين لو مالوا علينا اجلونا من بلادنا ويأكلون

ويفرسون الدواب والوحوش كما يفرسها السباع ويأكلون حشرات الارض كلها من الحيات والعقارب وكل ذي روح ولا نشك انهم يملأون الارض ويجلون اهلها منها، ونحن نخشى كل حين ان يطلع علينا اوايلهم من هذين الجبلين، وقد اتاك الحيلة والقوة (.. فاجعل بيننا وبينهم سداً ، قال آتوني زبر الحديد) .

ثم انه دلهم على معدن الحديد والنحاس فضرب لهم في جبلين حتى فتقهما واستخرج منهما معدنين من الحديد والنحاس ، قالوا : فبأي قوة نقطع هذا الحديد والنحاس ؟ فاستخرج لهم من تحت الارض معدناً آخر يقال له السامور وهو اشد شيء بياضاً وليس شيء منه يوضع على شيء إلا ذاب تحته ، فصنع لهم منه أداة يعملون بها .

وبه قطع سليمان بن داود اساطين بيت المقدس ، وصخوره جاءت بها الشياطين من تلك المعادن ، فجمعوا من ذلك ما اكتفوا به . فأوقدوا على الحديد النار، حتى صنعوا منه زبراً مثل الصخور فجعل حجارته من حديد ثم اذاب النحاس فجعله كالطين لتلك الحجارة ثم بنى وقاس ما بين الجبلين فوجده ثلاثة اميال ، فحفروا له اساساً حتى كاد يبلغ الماء وجعل عرضه ميلاً وجعل حشوه زبر الحديد وأذاب النحاس فجعله خلال الحديد فجعل طبقة من نحاس وأخرى من حديد ثم ساوى الردم بطول الصدفين فصار كأنه برد حبرة من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد .

فيأجوج يأتونه في كل سنة مرة وذلك انهم يسيحون في بلادهم ، حتى اذا وقعوا الى الردم حبسهم، فرجعوا يسيحون في بلادهم ، فلا يزالون كذلك حتى تقرب الساعة. فإذا جاء إشراطها ، وهو قيام القائم عجل الله فرجه فتحه الله عز وجل لهم .

فلما فرغ ذو القرنين من عمل السد انطلق على وجهه ، فبينا هو يسير إذ وقع على الأمة العالمة الذين منهم قوم موسى (الذين يهدون بالحق وبه يعدلون) فأقام عندهم حتى قبض ولم يكن له فيهم عمر وكان قد بلغ السن فأدركه الكبر وكان عدة ما سار في البلاد من يوم بعثه الله عز وجل الى يوم قبض خمسمائة عام .

(قصص الأنبياء) للراوندي باسناده الى ابي جعفر عليه‌السلام قال : حج ذو القرنين في ستمائة الف فارس ، فلما دخل الحرم شيعه بعض اصحابه الى البيت ، فلما انصرف قال : رأيت رجلاً ما رأيت اكثر نوراً منه ، قالوا : ذاك خليل الرحمن صلوات الله عليه ، قال : اسرجوا فأسرجوا ستمائة الف دابة في مقدار ما يسرج دابة واحدة ، ثم قال : لا ، بل نمشي الى خليل الرحمن . فمشى ومشى معه اصحابه حتى التقيا . قال

ابراهيم عليه السلام : بم قطعت الدهر ؟ قال : بإحدى عشرة كلمة : سبحان من هو باق لا يفنى ، سبحان من هو عالم لا ينسى ، سبحان من هو حافظ لا يسقط ، سبحان من هو بصير لا يرتاب ، سبحان من هو قيوم لا ينام ، سبحان من هو ملك لا يرام ، سبحان من هو عزيز لا يضام ، سبحان من هو محتجب لا يرى ، سبحان من هو واسع لا يتكلف سبحان من هو قائم لا يلهو ، سبحان من هو دائم لا يسهو .

(العياشي) عن الأصبغ بن نباتة عن امير المؤمنين عليه السلام قال : سئل عن ذي القرنين ؟ قال : كان عبداً صالحاً واسمه عياش اختاره الله وابتعثه الى قرن من القرون الاولى في ناحية المغرب وذلك بعد طوفان نوح عليه السلام فضربوه على قرنه الايمن فمات منها . ثم احياه الله تعالى بعد مائة عام ثم بعثه الى قرن من القرون الاولى في ناحية المشرق فضربوه ضربة على قرنه الايسر فمات منها . ثم احياه الله تعالى بعد مائة عام وعوضه من الضربتين اللتين على رأسه قرنين في موضع الضربتين اجوفين ، وجعل عز ملكه وآية نبوته في قرنه ، ثم رفعه الله الى السماء الدنيا فكشط الارض كلها حتى ابصره ما بين المشرق والمغرب وآتاه الله من كل شيء علماً وأيده في قرنيه بكسف من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ثم هبط الى الارض وأوحى اليه : ان سر في ناحية غرب الارض وشرقها فقد طويت لك البلاد وذللت لك العباد فأرهبتهم منك فسار ذو القرنين الى ناحية المغرب ، فكان اذا مرّ بقرية زأر فيها كما يزأر الاسد المغضب ، فبعث من قرنيه ظلمات ورعداً وبرقاً وصواعق تهلك من يخالفه ، فدان له أهل المشرق والمغرب ، فانتهى مع الشمس الى العين الحامية فوجدها تغرب فيها ومعها سبعون الف ملك يجرونها بسلاسل الحديد والكلاليب يجرونها من البحر في قطر الارض الأيمن كما تجر السفينة على ظهر الماء .

فلما ملك ما بين المشرق والمغرب كان له خليل من الملائكة يقال له : رفائيل ينزل اليه فيحدثه ويناجيه ، فقال له ذو القرنين أين عبادة أهل السماء من أهل الأرض ؟ فقال ما في السماوات موضع قدم إلا وعليه ملك قائم لا يقعد أبداً او راكع لا يسجد أبداً او ساجد لا يرفع رأسه أبداً . فبكى ذو القرنين وقال : أحب أن أعيش حتى أبلغ من عبادة ربي ما هو أهله ؟ قال رفائيل : يا ذا القرنين إن لله في الأرض عيناً تدعى عين الحياة ، من شرب منها لم يمت حتى يكون هو يسأل الموت ، فإن ظفرت بها تعش ما شئت ، قال : وأين تلك العين وهل تعرفها ؟ قال : لا ، غير إنا نتحدث في السماء : إن لله في الأرض ظلمة لم يطأها إنس ولا جان . فقال ذو القرنين : وأين

تلك الظلمة ؟ قال : ما أدري ، ثم صعد رفائيل ، فدخل ذا القرنين حزن طويل من قول رفائيل ومما اخبره عن العين والظلمة ولم يخبره بعلم ينتفع بــه منهما ، فجمع ذو القرنين فقهاء أدل مملكته وعلماءهم .

فلماء اجتمعوا عنده قال لهم: هل وجدتم فيما قرأتم من كتب الله إن لله عيناً تدعى عين الحياة من شرب منها لم يمت ؟ قالوا : لا ، قال فهل وجدتم ان لله في الأرض ظلمة لم يطأها إنس ولا جان ؟ قالوا : لا . فحزن ذو القرنين وبكى إذ لم يخبر عن العين والظلمة بمـا يحب وكان فيمن حضره غلام من الغلمان من اولاد الأنبياء ، فقال له : إن علم ما تريد عندي ، ففرح ذو القرنين ، فقال الغلام : إني وجدت في كتاب آدم الذي كتب يوم سمي مـا في الأرض من عين او شجر فوجدت فيه : إن لله عيناً تدعى عين الحياة بظلمة لم يطأها إنس ولا جان ، ففرح ذو القرنين وقال له الغلام : إنها على قرن الشمس – يعني مطلعها – ففرح ذو القرنين وبعث الى أهــل مملكته فجمع اشرافهم وعلماءهم فاجتمع اليه الف حكيم وعالم .

فلما اجتمعوا تهيأوا للمسير، فسار يريد مطلع الشمس يخوض البحار ويقطع الجبال، فسار اثنتي عشرة سنة حتى انتهى الى طرف الظلمة فإذا هي ليست بظلمة ليل ولا دخان، فنزل بطرفها وعسكر عليها وجمع أهل الفضل من عسكره فقال : إني أريد أن أسلك هذه الظلمة ؛ فقالوا : انك تطلب أمراً ما طلبه احد قبلك من الأنبياء والمرسلين ولا من الملوك ، قال : انـــه لا بدّ لي من طلبها . قالوا إنا نعلم انك إن سلكتها ظفرت بحاجتك ولكنا نخاف هلاكك . قال : ولا بـدّ من أن أسلكها ، ثم قال : اخبروني بأبصر الدواب ، قالوا الخيل الإناث البكارة . فأصاب ستة آلاف فرس في عسكره ، فانتخب من أهل العلم ستة آلاف رجل ، فدفع الى كل رجل فرساً ، وكان الخضر على مقدمته في الفي فارس ، فأمرهم ان يدخلوا الظلمة ، وسار ذو القرنين في اربعة آلاف وأمر أهل عسكره ان يلزموا معسكره اثنتي عشرة سنة فإن رجع هو اليهم وإلا لحقوا ببلادهم ، فقال الخضر : أيها الملك إنا نسلك في الظلمة لا يرى بعضنا بعضاً كيف نصنع بالضلال إذا أصابنا ؟ فأعطاه ذو القرنين خرزة حمراء كأنها مشعلة لها ضوء ، فقال : خذ هذه الخرزة فإذا أصابكم الضلال فارم بها الى الارض فإنها تصيح فإذا صاحت رجع أهــل الضلال الى صوتها ، فأخذها الخضر ومضى في الليلة وكان الخضر يرتحل وينزل ذو القرنين ، فبينا الخضر يسير ذات يوم إذ عرض له واد في الظلمة فقال لأصحابه : قفوا في هذا الموضع ونزل عن فرسه فتناول الخرزة ورمى بها ، فأبطأت عنه بالإجابة

حتى خاف ان لا تجيبه ، ثم اجابته، فخرج الى صوتها فاذا هي العين واذا ماؤها أشد بياضاً من اللبن واصفى من الياقوت واحلى من العسل ، فشرب منها ، ثم خلع ثيابه فاغتسل فيها ولبس ثيابه ، ثم رمى بالخرزة نحو اصحابه فأجابه ، فخرج الى اصحابه وركب وامرهم بالمسير فساروا ، ومرّ ذو القرنين بعده فأخطأ الوادي ، فسلك تلك الظلمة أربعين يوماً ، ثم خرجوا بضوء ليس بضوء نهار ولا شمس ولا قمر ولكنه نور، فخرجوا الى أرض حمراء رملة ، كانت حصاها اللؤلؤ ، فاذا هو بقصر مبني على طول فرسخ ، فجاء ذو القرنين الى الباب فعسكر عليه ، ثم توجه (بوجهه — نسخة —) وحده الى القصر ، فاذا طائر واذا حديدة طويلة ، قد وضع طرفاها على جانب القصر والطير اسود معلق في تلك الحديدة بين السماء والأرض كأنه الخطاف ، فلما سمع خشخشة ذي القرنين قال : من هذا ؟ قال : انا ذو القرنين . فقال يا ذا القرنين لا تخف واخبرني . قال : سل . قال : هل كثر في الأرض بنيان الآجر والجص ؟ قال : نعم . فانتفض الطير وامتلأ حتى ملأ الحديد ثلثها ، فخاف منه ذو القرنين ، فقال : لا تخف واخبرني . قال : سل . قال : هل كثرت المعارف ؟ قال : نعم . قال : فانتفض الطير وامتلأ حتى ملأ الحديدة ثلثيها ، فخاف منه ذو القرنين ، فقال : لا تخف واخبرني . قال : هل ارتكب الناس شهادة الزور في الأرض ؟ قال : نعم . فانتفض انتفاضة وانتفخ ، فسد ما بين جداري القصر ، فامتلأ ذو القرنين منه خوفاً فقال : لا تخف واخبرني. قال : سل . قال : هل ترك الناس شهادة : لا إله إلا الله ؟ قال : لا فانضم ثلثه ، ثم قال يا ذا القرنين لا تخف واخبرني . قال : سل . قال : هل ترك الناس الصلاة ؟ قال : لا . فانضم ثلث آخر ، ثم قال : يا ذا القرنين لا تخف واخبرني هل ترك الناس الغسل من الجنابة ؟ قال : لا . فانضم حتى عاد الى الحالة الاولى فاذا هو بدرجة مدرجة الى اعلى القصر ، فقال الطير : اسلك هذه الدرجة ، فسلكها وهو خائف حتى استوى على ظهرها فاذا هو بسطح ممدود مد البصر واذا رجل شاب ابيض (مضيء) الوجه عليه ثياب بيض واذا هو رافع رأسه الى السماء ينظر اليها ، واضع يده على فيه ، فلما سمع خشخشة ذي القرنين قال : من هذا ؟ قال : انا ذو القرنين قال يا ذا القرنين ما كفاك ما وراك حتى وصلت إلي ؟ قال ذو القرنين ما لي اراك واضعاً يدك على فيك ؟ قال انا صاحب الصور وان الساعة قد اقتربت وانا انتظر ان اؤمر بالنفخ فأنفخ ، ثم ضرب بيده فتناول حجراً فرمى به الى ذي القرنين فقال خذها ، فان جاع جعت وإن شبع شبعت فارجع .

فرجع ذو القرنين بذلك الحجر حتى خرج الى اصحابه ، فأخبرهم بالطير وما سأله عنه وما قاله له واخبرهم بصاحب السطح ، ثم قال اعطاني هذا الحجر ، فأخبروني بأمره ، فوضع في احدى الكفتين ووضع حجراً مثله في الكفة الاخرى ، رفع الميزان فاذا الحجر الذي جاء به ارجح بمثل الآخر ، فوضعوا آخر فمال به حتى وضعوا الف حجرة كلها مثله ثم رفع الميزان فمال بها ولم يشتمل به الألف حجر ، فقالوا ايها الملك لا علم لنا بهذا الحجر، فقال له الخضر : اني اوتيت علم هذا الحجر ، فقال ذو القرنين: اخبرنا به ؟ فتناول الخضر الميزان فوضع الحجر الذي جاء به ذو القرنين في كفة الميزان ثم وضع حجراً آخر في كفة اخرى ثم وضع كف تراب على حجر ذي القرنين يزيده ثقلاً ثم رفع الميزان فاعتدل ، فقالوا : ايها الملك هذا امر لم يبلغه علمنا وإنا لنعلم ان الخضر ليس بساحر فكيف هذا وقد وضعنا الف حجر كلها مثله فمال بها وهذا قد اعتدل به وزاده تراباً ؟ قال ذو القرنين : بين يا خضر لنا ؟ قال الخضر ايها الملك ان امر الله نافذ في عباده وسلطانه وان الله ابتلى العالم بالعالم وانه ابتلاني بك وابتلاك بي. فقال ذو القرنين : يرحمك الله يا خضر انما ابتلاني بك حين جعلت اعلم مني وجعلت تحت يدي اخبرني عن أمر هذا الحجر ؟ فقال الخضر : ان أمر هذا الحجر مثل ضربه لك صاحب الصور يقول : ان مثل بني آدم مثل هذا الحجر الذي وضع ، فوضع معه الف فمال بها ثم إذا وضع عليه التراب شبع وعاد حجراً مثله . فيقول كذلك مثلك اعطاك من الملك ما اعطاك فلم ترض حتى طلبت أمراً لم يطلبه أبداً من كان قبلك ودخلت مدخلاً لم يدخله إنس ولا جان ، يقول كذلك ابن آدم لا يشبع حتى يحثى عليه التراب . فبكى ذو القرنين وقال : صدقت يا خضر لا جرم اني لا اطلب أثراً في البلاد بعد مسلكي هذا .

ثم انصرف راجعاً في الظلمة . فبينا هم يسيرون إذ سمعوا خشخشة ـ أي صوتاً ـ تحت سنابك خيلهم فقالوا : أيها الملك ما هذا ؟ فقال خذوا منه فمن أخذ منه ندم ومن تركه ندم . فأخذ بعض وترك بعض . فلما خرجوا من الظلمة اذا هم بالزبرجد . فندم الآخذ والتارك . ورجع ذو القرنين الى دومة الجندل وكان بها منزله . فلم يزل بها حتى قبضه الله اليه .

وكان ﷺ اذا حدث بهذا الحديث قال : رحم الله اخي ذا القرنين ما كان مخطئاً إذ سلك وطلب ما طلب ولو ظفر بوادي الزبرجد في ذهابه لما ترك فيه شيئاً إلا أخرجه للناس ، لأنه كان راغباً ولكنه ظفر به بعد ما رجع فقد زهد .

وفيه عن ابي عبد الله عليه السلام قال : ان ذا القرنين عمل صندوقاً من قوارير ثم حمل في مسيره ما شاء الله ، ثم ركب البحر ، فلما انتهى الى موضع قال لأصحابه : ادلوني، فاذا حركت الحبل فأخرجوني فان لم احرك الحبل فأرسلوني الى آخره فأرسلوه في البحر وأرسلوا الحبل مسيرة أربعين يوماً فاذا ضارب يضرب جنب الصندوق ويقول يا ذا القرنين اين تريد ؟ قال اريد ان انظر الى ملك ربي في البحر كما رأيته في البر ؟ فقال يا ذا القرنين ان هذا الموضع الذي انت فيه مرّ فيه نوح زمان الطوفان ، فسقط منه قدوم فهو يهوي في قعر البحر الى الساعة لم يبلغ قعره ، فلما سمع ذلك ذو القرنين حرك الحبل وخرج .

(العياشي) عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : تغرب الشمس في عين حمئة في بحر ، دون المدينة التي مما يلي المغرب يعني جابلقا .

قال الرازي : اختلف الناس في ان ذا القرنين من هو ؟ وذكروا أقوالاً :

الاول ـ انه الاسكندر بن فليقوس اليوناني قالوا : والدليل عليه ان القرآن دلّ على ان الرجل المسمى بذي القرنين بلغ ملكه المشرق والمغرب ومثل ذلك الملك البسيط لا شك انه على خلاف العادة وما كان كذلك وجب ان يبقى ذكره مخلداً على وجه الأرض وان لا يبقى خفياً مستتراً والملك الذي اشتهر في كتب التواريخ : انه بلغ ملكه الى هذا القدر ليس إلا الاسكندر وذلك انه لما مات أبوه ، جمع ملك الروم بعد ان كانت طوائف ، ثم حصد ملوك المغرب وقهرهم وامعن حتى انتهى الى البحر الأخضر ، ثم عاد الى مصر وبنى الاسكندرية باسم نفسه ، ثم دخل الشام وقهر بني اسرائيل ، ثم انعطف الى العراق ودان له أهلها ، ثم توجه الى دارا وهزمه مرات الى ان قتله واستولى الاسكندر على ملوك الفرس وقصد الهند والصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى المدن الكثيرة ورجع الى العراق ومرض بسهرورد (شهرزور ـ خ ل) ومات بها .

فلما ثبت بالقرآن ان ذا القرنين ملك الأرض كلها وثبت بعلم التواريخ ان الذي هذا شأنه ما كان إلا الاسكندر وجب القطع بأن المراد بذي القرنين هو الاسكندر ابن فليقوس اليوناني .

ثم ذكروا في تسمية ذي القرنين بهذا الاسم وجوهاً :

الأول ـ انه لقب به لأنه بلغ قرني الشمس يعني مشرقها ومغربها .

والثاني ـ ان الفرس قالوا : ان دارا الاكبر كان تزوج بنت فيلقوس ، فلما قرب منها وجد رائحة منكرة فردها على ابيها وكانت قد حملت منه بالاسكندر فولدت الاسكندر بعد عودها الى أبيها (فيلقس ـ خ ل) فبقي الاسكندر عند فيلقس وأظهر انه ابنه .و هو في الحقيقة ابن دارا الأكبر ، قالوا : والدليل على ذلك ان الاسكندر لما أدرك دارا ابن دارا وبه رمق ، وضع رأسه في حجره وقال لدارا : يا اخي اخبرني عمن فعل هـذا لأنتقم منه لك ؟ . فهذا ما قالته الفرس . قالوا : فعلى هذا التقدير فالاسكندر دارا الاكبر وأمه بنت فيلقس ، فهذا إنما تولد من أصلين مختلفين الفرس والروم وهذا ما قاله الفرس وإنما ذكروه لأنهم ارادوا ان يجعلوه من نسل ملوك العجم، وهو في الحقيقة كذلك ، وإنما قال الاسكندر يا أخي . على سبيل التواضع وإكرام دارا بذلك الخطاب .

والقول الثاني ـ قول ابي الريحان البيروني المنجم في كتابه الذي سماه:بالآثار الباقية من القرون الخالية .

قيل : ان ذا القرنين هو ابو كرب شمر بن عمير بن افريقش الحميري وهو الذي بلغ ملكه مشارق الأرض ومغاربها وهو الذي افتخر بـه الشعراء من حمير ، ثم قال ابو الريحان : ويشبه ان يكون هذا القول اقرب ، لأن الأذواء كانوا من اليمن وهم الذين لا تخلوا اساميهم من ذي ، كذي المنار وذي قواس وذي النون .

والثالث ـ انه كان عبداً صالحاً ملكه الله الأرض واعطـاه العلم والحكمة والبسه الهيبة ، وإن كنا لا نعرف من هو ؟

ثم ذكروا في تسميته بذي القرنين وجوهاً .

الأول ـ ما روي ان ابن الكوا سأل علياً عليه السلام عن ذي القرنين وقـال : املك هو أو نبي ؟ قال لا ملكا ولا نبياً ، كان عبداً صالحاً ضرب على قرنه الأيمن فمات، ثم بعثه الله تعالى فضرب على قرنه الأيسر فمات ، فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله.

الثاني ـ سمي بذي القرنين لأنه انقرض في وقته قرنان من الناس .

الثالث ـ قيل : كان صفحة رأسه من نحاس .

الرابع ـ كان على رأسه ما يشبه القرنين .

الخامس – كان لتاجه قرنان .

السادس – عن النبي ﷺ : انــه سمي ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيـا شرقها وغربها .

السابع – كان له قرنان – أي ضفيرتان – .

الثامن – ان الله تعالى سخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتمتد الظلمة من ورائه .

التاسع – يجوز ان يلقب بذلك لشجاعته، كما يسمى الشجاع بالقرن لأنه يقطع اقرانه .

العاشر – انه رأى في المنام : كأنه صعد الفلك وتعلق بطرفي الشمس وقرنيها ، – أي جانبيها – فسمي لهذا السبب بذي القرنين .

الحادي عشر – سمي بذلك لأنه دخل النور والظلمة .

والقول الرابع – ان ذا القرنين ملك من الملائكة .

والقول الأول اظهر، للدليل الذي ذكرناه وهو: ان مثل هذا الملك العظيم يجب ان يكون معلوم الحال وهذا الملك العظيم هو الاسكندر فوجب ان يكون المراد بذي القرنين هو إلا أن فيـه إشكالاً قويـاً وهو : انه كان تلميذاً لارسطاطاليس الحكيم وكان على مذهبه ، فتعظيم الله إياه يوجب الحكم بـأن مذهب ارسطاطاليس حق وصدق وذلك مما لا سبيل اليه .

المسألة الثالثـة – اختلفوا في ان ذا القرنين هل كان من الانبيـاء ام لا ؟ منهم من قال انه كان من الأنبياء . واحتجوا عليه بوجوه :

الأول – قوله تعـالى : (إنا مكنا له في الأرض) والاولى حمـله على التمكين في الدين ، والتمكين الكامل في الدين هو النبوة .

الثاني – قوله تعالى : (وآتيناه من كل شيء سبباً) وهـذا يدل على ان الله تعالى آتاه من النبوة سبباً .

والثالث – قوله تعالى : (يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسناً) والذي يتكلم الله معه لا بد وان يكون نبياً . ومنهم من قال : انه كان عبداً صالحاً وما كان نبياً .

أقول : المستفاد من الاخبار كما قال شيخنا المحدث : انه غير الاسكندر وانه كان في زمن ابراهيم عليه السلام وانه اول الملوك بعد نوح عليه السلام .

وأما استدلاله فلا يخفى ضعفه بعد ما عرفت من ان الملوك المتقدمة لم تضبط احوالهم بحيث لا يشذ عنهم احد ، وايضاً الظاهر من كلام أهل الكتاب الذين يعولون عليهم في التواريخ عدم الاتحاد ، والظاهر من الأخبار أيضاً انه لم يكن نبياً ولكن كان عبداً صالحاً مؤيداً من عند الله تعالى .

وروى حذيفة قال : سألت النبي صلى الله عليه وآله عن يأجوج ومأجوج فقال : يأجوج امة ومأجوج امـة كل امة اربعمائة امـة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه ، كل قد حمل السلاح . قلت يا رسول الله صفهم لنـا ؟ قال : هم ثلاثة اصناف صنف منهم امثال الارز ، ـ وهي شجر بالشام وصنف منهم طولهم وعرضهم سواء وهؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد ، وصنف منهم يفترش إحدى اذنيه ويلتحف بالأخرى ، ولا يمرون بشيء إلا أكلوه ، مقدمتهم بالشام ومؤخرتهم بخراسان ، يشربون أنهار المشرق والمغرب .

وقال وهب ومقاتل : انهم من ولد يافث بن نوح اب الترك .

وقال السدي : الترك سرية من ياجوج وماجوج ، خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب السد فبقيت خارجة .

وقال كعب : هم نادرة من ولد آدم ، وذلك ان آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب ، فخلق الله من ذلك الماء والتراب ياجوج وماجوج ، فهم متصلون بنا من طرف الأب دون الأم . انتهى وهو بعيد .

واما سد ذي القرنين فقال امين الاسلام الطبرسي : قيل : ان هذا السد وراء بحر الروم بين جبلين هناك يلي مؤخرها البحر المحيط .

وقيل : انه من وراء دربند وخزر من ناحية ارمينية وأذربيجان .

وجاء في الحديث : انهم يدأبون في حفر السد نهارهم حتى اذا امسوا وكادوا يبصرون شعاع الشمس قالوا : نرجع غداً ونفتحه ولا يستثنون فيعودون من الغد وقد استوى كما كان ، حتى اذا جاء وعد الله ـ يعني خروج القائم عليه السلام ـ قالوا : غـداً نفتح ونخرج إن شاء الله فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه بالامس ، فيخرقونه فيخرجون

على الناس فينشفون المياه ، فتحصن الناس في حصونهم فراراً منهم فيرمون سهامهم الى السماء ، فترجع وفيها كهيئة الدماء ، فيقولون قد قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، فيبعث الله عليهم بقعاً في اقفائهم ، فتدخل في آذانهم فيهلكون بها ودواب الأرض تسمن من لحومهم .

وفي تفسير الكليني : ان الخضر والإلياس يجتمعان في كل ليلة على ذلك السد ، يحجبان ياجوج وماجوج عن الخروج .

هذا هو الكلام في قصص ذي القرنين عليه‌السلام .

الباب التاسع

في قصص يعقوب ويوسف عليهما السلام

تفسير علي بن ابراهيم مسنداً الى جابر بن عبد الله الأنصاري في قول الله عز وجل: (إني رأيت احد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) .

وهي : الطارق وحوبان والذيال وذو الكتفين ووثاب وقابس وعموران وفيلق ومصبح والصبوح والغروب والضياء والنور ، يعني الشمس والقمر ، وكل هذه محيطة بالسماء .

وعن ابي جعفر عليه السلام في تأويل هذه الرؤيا : انه سيملك مصر ويدخل عليه ابواه وإخوته .

واما الشمس فام يوسف راحيل ، والقمر يعقوب والكواكب إخوته ، فلما دخلوا عليه سجدوا لله شكراً حين نظروا اليه ، وكان ذلك السجود لله .

وقال عليه السلام: انه كان من خبر يوسف عليه السلام: انه كان له احد عشر أخاً ، وكان له اخ من امه يسمى بنيامين وكان يعقوب اسرافيل الله ـ اي خالصه ـ فرأى يوسف هذه الرؤيا وله تسع سنين ، فقصها على ابيه فقال : (يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك ...) .

وكان يوسف من احسن الناس وجهاً . وكان يعقوب يحبه ويؤثره على الأولاد ، فحسد إخوته على ذلك وقالوا ما بينهم ، ما حكى الله عنهم : (إذا قالوا : ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ، وعمدوا على قتل يوسف حتى يخلو لهم وجه ابيهم ...) الى آخر الآيات .

وأما اسماؤهم : فزوتيل وهو اكبرهم ، وشمعون ولاوي ويهودا وريالون ويشجر

وامهم أليا ابنة خالة يعقوب ، ثم توفت أليا فتزوج يعقوب اختهـا راحيل فولدت له يوسف وبنيـــامين وولد له من السرية بجماع او مطلق لهم الشيء من سريتين ، له اسم احديهما زلفة والاخرى بلهة اربع ... [١] ويقيناً لي واحاد واشر .

واكثر المفسرين : على ان إخوة يوسف كانوا انبياء .

وقال بعضهم : لم يكونوا أنبياء ، الانبياء لا تقع منهم القبائح .

وعن أبي جعفر عليه السلام : انهم لم يكونوا انبياء .

وقوله (اني أخاف ان يأكله الذئب) .

قيل : كانت ارضهم مذأبة وكانت السباع ضارية في ذلك الوقت .

وقيل : ان يعقوب رأى في منامـــه : كأن يوسف قد شد عليـه عشرة أذؤب ليقتلوه ، واذا ذئب منها يحمي عنه، فكأن الأرض انشقت فدخل فيها يوسف عليه السلام فلم يخرج إلا بعد ثلاثة ايام .

فمن ثم قال : هذا فلقنهم العلة وكانوا لا يدرون .

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله قال : لا تلقنوا الكذب فتكذبوا،فان بني يعقوب لم يعلموا ان الذئب يأكل الانسان حتى لقنهم ابوهم .

وقيل : كان يوم القي في الجب عمره عشر سنين . وقيل : اثنتا عشرة . وقيل : سبع . وقيل : تسع .

وجمع بينه وبين ابيه وهو ابن اربعين سنة .

ولما القوه في غيابة الجب قالوا له انزع قميصك . فبكى فقـال يا إخوتي تجردوني فسل واحد منهم السكين عليه وقال : لئن لم تنزعه لأقتلنك ؟ فنزعه، فدلوه في الجب وتنحوا عنـــه ، فقال عليه السلام في الجب: يا إله ابراهيم واسحاق ويعقوب إرحم ضعفي وقلة حيلتي وصغري ، فنزلت سيارة من أهل مصر فبعثوا رجلاً ليستقي لهم المـاء من الجب ، فلما ادلى الدلو على يوسف تشبث بالدلو فجروه فنظروا الى غـلام من احسن الناس وجهاً فعدوا الى صاحبهم ، فقالوا يا بشرى هذا غلام فنخرجه ونبيعـه ونجعله

---

(١) بياض في الأصل فراجع .

بضاعة لنا ، فبلغ إخوته فجاؤوا فقالوا : هذا عبد لنا آبق ، ثم قالوا ليوسف لئن لم تقر لنا بالعبودية لنقتلنك ؟ فقالت السيارة ليوسف ما تقول ؟ فقال انا عبدهم فقالت السياره فتبيعوه منا ؟ قالوا نعم ، فباعوه على ان يحملوه الى مصر وشروه بثمن بخس دراهم معدودة كانت ثمانية عشر درهماً .

عن الرضا عليه السلام : كانت عشرين درهما ، وهي قيمة كلب الصيد اذا قتل .

أقول : المشهور بين الأصحاب رضوان الله عليهم ان في كلب الغنم عشرين درهماً وفي كلب الصيد اربعين أو القيمة فيها ، أما البائعون فهم إخوته .

وقيل : باعه الواجدون بمصر . وقيل : ان الذين اخرجوه من الجب باعوه من السيارة . والأصح الاول .

وقال النبي صلى الله عليه وآله : أعطي يوسف شطر الحسن ، والنصف الآخر لباقي الناس .

وفيه أيضاً عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : (وجاؤوا على قميصه بدم كذب) قالوا انهم ذبحوا جدياً على قميصه قالوا نعمد الى قميصه فنلطخه بالدم ونقول لأبينا ان الذئب اكله ، فلما فعلوا ذلك قال لهم لاوي يا قوم اتظنون ان الله يكتم هذا الخبر عن نبيه يعقوب فقالوا وما الحيلة؟ قال نقوم ونغتسل ونصلي جماعة ونتضرع الى الله تعالى ان يكتم ذلك عن انبيائه انه جواد كريم ، فاغتسلوا وكان في سنة ابراهيم واسحاق ويعقوب انهم لا يصلون جماعة حتى يبلغوا احد عشر رجلاً فيكون واحد منهم إماماً وعشرة يصلون خلفه، قالوا كيف نصنع وليس لنا إمام؟ فقال لاوي نجعل الله إمامنا ، فصلوا وبكوا وتضرعوا ، وقالوا يا رب اكتم علينا هذا ، ثم جاؤوا الى ابيهم عشاء يبكون ومعهم القميص قد لطخوه بالدم (فقالوا يا ابانا إنا ذهبنا نستبق) – أي نعدو – (وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب ...) الآية .

فقال يعقوب: ما كان اشد غضب ذلك الذئب على يوسف واشفقه على قميصه حيث اكل يوسف ولم يمزق قميصه؟ فحملوا يوسف الى مصر وباعوه من عزيز مصر، (فقال العزيز لامرأته أكرمي مثواه) أي مكانه – (عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً) ولم يكن لهم ولد ، فأكرموه وربوه ، فلما بلغ أشده هوته إمرأة العزيز وكانت لا تنظر الى يوسف امرأة إلا هوته ولا رجل إلا احبه وكان وجهه مثل القمر ليلة البدر فراودته امرأة العزيز كما قال تعالى : (وراودته التي هو في بيتها ...) الآية .

فما زالت تخدعه حتى كان كما قال الله تعالى : (ولقد همّت به وهمّ بها لولا ان رأى برهان ربه) فقامت امرأة العزيز وغلقت الابواب ، فلما رأى يوسف صورة يعقوب في ناحيـــة البيت عاضاً على اصبعه يقول : يا يوسف أنت في السماء مكتوب في النبيين وتريد أن تكتب في الارض من الزناة ؟ فعلم انه قد اخطأ وتعدى .

وعن ابي عبدالله عليه السلام : لما همّت به وهمّ بها قامت الى صنم في بيتها فألقت عليه ثوباً وقالت لا يرانا فإني استحي منه، فقال يوسف أفأنت تستحين من صنم لا يسمع ولا يبصر ، وأنا لا استحي من ربي ؟ فوثب وعـدا وعدت من خلفه وأدركهما العزيز على هذه الحالة ، وهو قوله عز وجل : (واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدى الباب) فبادرت امرأة العزيز فقالت له (ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن او عذاب أليم) فقال يوسف للعزيز (هي راودتني عن نفسي) فألهم الله يوسف إن قال للملك سل هذا الصبي في المهد فإنه يشهد انهـا راودتني عن نفسي فقال العزيز للصبي فأنطق الله الصبي في المهد ليوسف حتى قال : (إن كان قميصه قـــدّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين) .

فلمـا رأى العزيز قميص يوسف قد تخرق من دبر ، قال لامرأته (إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم) ثم قال ليوسف إعرض عن هـذا ، واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين .

فشاع الخبر بمصر وجعلن النساء يتحدثن بحديثها ويعذلنها وهو قوله تعالى: (وقالت نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها) فبلغ ذلـك امرأة العزيز ، فبلغت الى كل امرأة رئيسة ، فجمعن في منزلهـــا وهيأت لهن مجلساً ودفعت الى كل امرأة أترجة وسكيناً فقالت اقطعن ، ثم قالت ليوسف اخرج عليهن ، فلمـــا نظرن اليه أقبلن (يقطعن ايديهن وقلن إن هذا إلا ملك كريم) فقالت امرأة العزيز (فذلكن الذي لمتنني فيه ، ولقد راودته عن نفسه فاستعصم — أي امتنع — ولئن لم يفعل مـا آمره ليسجنن) فما أمسى يوسف في ذلـك اليوم حتى بعثت اليه كل امرأة رأته تدعوه الى نفسها فضجر يوسف فقال (رب السجن احبّ إليّ ممـا يدعونني اليه وإلا تصرف عني كيدهن ، اصب اليهن وأكن من الجاهلين . فاستجاب له ربـه فصرف عنه كيدهن) وأمرت امرأة العزيز بحبسه فحبس .

أقول : الصبي الذي كان في المهد هو ابن اخت زليخا وكان ابن ثلاثة أشهر ولما قطعن ايديهن لم يجدن وجع ، وهذا حال العشق إذا غلب على القلب ، كما في حكاية اليهودي الذي كان يصلح طعاماً لجاريته في مرضها فلما سمع انينها سقطت المغرفة التي كان يخوط القدر بها من يده، فعاد يخوط القدر بيده حتى تناثر لحم يده وما شعر به ، وقد وقع مثله لكثير عزة ولغيره من العشاق السبعة ، وقد شاهدت أنا في شيراز رجلا يمشي والناس وراءه وفي يديه في كل واحدة سكيناً يضرب بها على صدره واللحم يتناثر من بدنه وهو لا يحس به ، فسألت عنه فقيل : إنه كان له محبوب فغيبوه عن نظره .

وتحقيق هذه المقالة في كتابنا « مقامات النجاة »[١] و « زهر الربيع »[٢] بما لا مزيد عليه .

وعن ابي جعفر عليه السلام في قوله : (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين) فالآيات هي شهادة الصبي والقميص المخرق من دبر واستباقهما الباب حتى سمع مجاذبتها إياه على الباب فلما عصاها لم تزل مولعة لزوجها حتى حبسه ودخل معه السجن فتيان ، يقول عبدان للملك احدهما خباز والآخر صاحب الشراب ، والذي كذب ولم يرَ المنام هو الخباز . وسبب حبسهما انه سعى بهما الى الملك انهما أرادا أن يسماه .

وقال علي بن ابراهيم : ووكل الملك بيوسف رجلين يحفظانه ، فلما دخل السجن قالوا له ما صناعتك ؟ قال اعبر الرؤيا، فرأى احد الموكلين في نومه كما قال اعصر خمراً قال يوسف تخرج من السجن وتصير على شراب الملك وترتفع منزلتك عنده ، وقال الآخر : إني أرى في المنام أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل منه الطير ، ولم يكن رأى ذلك فقال له يوسف : أنت يقتلك الملك ويصلبك وتأكل الطير من دماغك ، فجحد الرجل وقال إني لم أرَ ذلك ، فقال له يوسف قضى الأمر الذي فيه تستفتيان .

فلما أراد من رأى في نومه انه يعصر خمراً الخروج من الحبس قال له يوسف : اذكرني عند ربك ، فكان كما قال الله عز وجل : (فأنساه الشيطان ذكر ربه) .
أقول : قال امين الاسلام الطبرسي : القول في ذلك ان الاستغاثة بالعباد في دفع

---

(١) طبع في ايران .

(٢) طبع في النجف الاشرف في المطبعة الحيدرية .

المضار والتخلص من المكاره جائز غير منكر ولا قبيح، بل ربما يجب وكان نبينا ﷺ يستعين فيما ينوبه بالمهاجرين والأنصار وغيرهم . ولو كان قبيحاً لم يفعله فلو صحت هذه الرواية فإنما عوتب عليه السلام على ترك عادته الجميلة في الصبر والتوكل على الله سبحانه في كل اموره دون غيره وقت ابتلائه ، وإنما كان يكون قبيحاً لترك التوكل على الله واقتصر على غيره .

وعن ابي عبدالله عليه السلام قال : لما مضت مدة يوسف عليه السلام في السجن وأذن له في دعاء الفرج وضع خده على الارض ثم قال : اللهم إن كانت ذنوبي قد اخلقت وجهي عندك فإني اتوجه اليك بوجه آبائي الصالحين ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب . ففرج الله عنه ، قلت : جعلت فداك أندعو نحن بهذا الدعاء ؟ فقال: إدع بمثله : اللهم إنه كانت ذنوبي قد اخلقت وجهي عندك فإني أتوجه اليك بنبيك نبي الرحمة ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام .

وقال علي بن ابراهيم : إن الملك رأى رؤيا . فقال لوزرائه : اني رأيت في نومي سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف – أي مهازيل – ، ورأيت سبع سنبلات خضر وآخر يابسات فلم يعرفوا تأويل ذلك ، فذكر الذي كان على رأس الملك رؤياه التي رآها ، وذكر يوسف بعد سبع سنين ، فأرسلوا اليه ، فقال (أيها الصديق إفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات) فقال يوسف : (تزرعون سبع سنين متواليات ، فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون) . ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن – أي سبع سنين – مجاعة شديدة يأكلن ما قدمتم لهن في السبع السنين الماضية .

فرجع الرجل الى الملك فأخبره بما قال يوسف ، « فقال الملك إئتوني به فلما جاء الرسول قال ارجع الى ربك – يعني الملك – فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم » فجمع الملك النسوة فـ « قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت إمرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وأنه لمن الصادقين . ذلك ليعلم إني لم اخنه بالعيب وإن الله لا يهدي الخائنين » – أي لا اكذب عليه الآن كما كذبت عليه من قبل – ثم قالت « وما ابريء نفسي ان النفس لأمارة بالسوء ... » ، « فقال الملك إئتوني به استخلصه لنفسي . . . » فلما نظر الى يوسف « قال انك لدينا مكين امين » سل حاجتك ؟

«قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم» يعني الكناديج والانابير، فجعله عليها.

أقول : قوله : « ومـــا ابريء نفسي . . . » من كلام يوسف عليه السلام على قول اكثر المفسرين .

وقيل : هو من كلام امرأة العزيز كما قاله علي بن ابراهيم .

والأول أشهر وأظهر . والكندوج شبه المخزن معرب كندود .

وقال علي بن ابراهيم : وكان بينه وبين ابيه ثمانية عشر يوماً ، وكان في بادية وكان الناس من الآفـاق يخرجون الى مصر ليمتاروا طعاماً ، وكان يعقوب وولده نزولاً في بادية فيه مقل ، فأخذوا اخوه يوسف من ذلك المقل وحملوا الى مصر ليمتاروا به .

وقيل : كان بضاعتهم بيع النعل ، وكان يوسف يتولى البيع بنفسه ، فلمـا دخل اخوته عليه عرفهم ولم يعرفوه ، فلما جهزهم احسن جهازهم، قال لهم : من أنتم ؟ قالوا نحن بنوا يعقوب . قال فما فعل ابوكم ؟ قالوا شيخ ضعيف . قال : فلكم أخ غيركم ؟ قالوا : لنا أخ من ابينا لا من امنا . قال : فإذا رجعتم اليّ فأتوني به ، فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي قالوا سنراود عنه اباه . قال يوسف لقومه : هـــذه البضاعة التي حملوها الينا ، اجعلوها بين رحالهم ، حتى إذا رأوها رجعوا الينا ، يعني لا احتمل ان يكون عندهم بضاعة اخرى يرجعون بها الينا .

فلما رجعوا الى ابيهم ، قالوا : يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخـانا بنيامين نكفل وإنا له لحافظون . قال يعقوب هل آمنكم عليه إلا كما آمنتكم على اخيه من قبل . فلمـا فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم في رحالهم التي حملوها الى مصر ، قالوا : يا أبانا ما نبغي - أي ما نريد - هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ أخانا قال يعقوب لن أرسله معكم حتى تحلفوا لي أن تأتوني بـه إلا أن تغلبوا في شأنه . فخرجوا وقال لهم يعقوب : (لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما اغنى عنكم من الله من شيء ان الحكم إلا لله عليه توكلت . فلما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه .

أقول : إن اخوة يوسف عليه السلام لم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه في سن الحداثة وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التي رأوه عليها من حين فارقوه .

وقوله : (لا تدخلوا من باب واحد) المشهور بين المفسرين انه إنما قال ذلك لما خاف عليهم من العين .

وقيل: لما اشتهروا بمصر بالحسن والجمال وإكرام الملك لهم خاف عليهم حسد الناس.

ثم إن العبد مأمور بملاحظة الأسباب وعدم الاعتماد عليها والتوكل على الله قال اولاً ما يلزمه من الحزم والتدبير ، ثم تبرأ من الاعتماد على الاسباب بقوله : « وما اغنى عنكم من الله من شيء » .

فخرجوا وخرج معهم بنيامين وكان لا يواكلهم ولا يجالسهم ولا يكلمهم .

فلما دخلوا على يوسف وسلموا ، نظر يوسف الى اخيه فعرفه، فجلس منهم بالبعيد، فقال يوسف : أنت اخوهم ؟ قال نعم . قال فلم لا تجلس معهم ؟ قال لأنهم اخرجوا اخي عن ابي وأمي، ثم رجعوا وزعموا ان الذئب اكله فآليت على نفسي أن لا اجتمع معهم ما دمت حياً ، قال فهل تزوجت وولد لك؟ قال نعم، ثلاث بنين سميت واحداً منهم الذئب وواحداً منهم القميص وواحداً الدم ، قال وكيف إخترت هذه الاسماء ؟ قال لئلا أنسى اخي ، كلما دعوت واحداً من ولدي ذكرت اخي ، قال يوسف لهم : اخرجوا وحبس بنيامين ، فلما خرجوا من عنده، قال يوسف لأخيه : أنا اخوك يوسف فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ، ثم قال له : أنا احب ان تكون عندي ؟ فقال لا يدعوني اخوتي ، فإن ابي قد اخذ عليهم ميثاق الله ان يردوني اليه ، قال : أنا احتال بحيلة فلا تخبرهم بشيء . فقال لا فلما جهزهم بجهازهم وأحسن اليهم ، قال لبعض قوامه : اجعلوا هذا الصاع في رحل هذا ، وكان الصاع الذي يكيلون به من ذهب ، فجعلوه في رحله من حيث لم يقف عليه اخوته ، فلما ارتحلوا بعث اليهم يوسف وحبسهم، ثم امر منادياً ينادي أيتها العير انكم لسارقون ، فقال اخوة يوسف ماذا تفقدون ؟ قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم – أي كفيل – فقال اخوة يوسف تالله لقد علمتم ، ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين . قال يوسف : فما جزاؤه إن كنتم كاذبين ؟ قالوا : جزاؤه من وجد في رحله حبسه فهو جزاؤه ، فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء اخيه ، ثم استخرجها من وعاء اخيه ، فحبسوا اخاه وهو قوله تعالى : « وكذلك مكنا ليوسف – أي احتلنا له – ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك إلا ان يشاء الله » .

وسئل الصادق عليه‌السلام في قوله تعالى : (أيتها العير انكم لسارقون) قال : ما

سرقوا وما كذب ، إنما عنى سرقتم يوسف من ابيه . فلما اخرج ليوسف الصاع من رحل اخيه، قال اخوته ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل ـ يعنون يوسف ـ فتغافل يوسف عليه السلام وهو قوله : (فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم وقال انتم شر مكاناً والله اعلم بما تصفون) فاجتمعوا الى يوسف وجلودهم تقطر دماً اصفر وكانوا يجادلونه في حبسه ، وكان ولد يعقوب إذا غضبوا خرج من ثيابهم شعر ويقطر من رؤوسها دم اصفر وهم يقولون له أيها العزيز (ان له اباً شيخاً كبيراً فخذ احدنا مكانه إنا نراك من المحسنين) فأطلق عن هذا فقال يوسف : (معاذ الله ان نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده) ولم يقل إلا من سرق متاعنا (إنا إذاً لظالمون) فلما ايسوا وأرادوا الانصراف الى ابيهم ، قال لهم يهودا بن يعقوب ألم تعلمون ان اباكم قد اخذ عليكم موثقاً من الله في هذا ومن قبل ما فرطتم في يوسف فارجعوا انتم الى ابيكم ، أما انا فلا ارجع اليه حتى يأذن لي ابي او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ثم قال لهم : (ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين) فرجع اخوة يوسف الى ابيهم وتخلف يهوداً ، فدخل على يوسف وكلمه حتى ارتفع الكلام بينه وبين يوسف وغضب، وكانت على كتف يهودا شعرة فقامت الشعرة فأقبلت تقذف بالدم ، وكان لا يسكن حتى يمسه بعض ولد يعقوب وكان بين يدي يوسف ابن له في يده رمانة من ذهب يلعب بها ، فأخذ الرمانة من الصبي ثم دحرجها نحو يهودا وتبعها الصبي ليأخذها فوقعت يده على يهودا فذهب غيظه ، فارتاب يهودا ، ورجع الصبي بالرمانة الى يوسف ، حتى فعل ذلك ثلاثاً .

أقول : السقاية المشربة التي كان يشرب منها الملك ثم جعل صاعاً في السنين الشداد القحاط ، يكال بـه الطعام ، وقوله (انكم لسارقون) تورية على وجه المصلحة أي سرقتم يوسف .

ثم قال علي بن ابراهيم : فلما رجعوا الى ابيهم وأخبروه بخبر اخيهم قال يعقوب (بل سولت لكم أنفسكم امراً فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً .) يعني يوسف وبنيامين ويهودا الذي تخلف بمصر، ثم تولى عنهم وقال: (يا اسفي على يوسف وابيضت عيناه من الحزن) يعني عميت من البكاء (فهو كظيم) أي محزون الأسف أشد الحزن.

وسئل ابو عبد الله عليه السلام ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف؟ فقال: حزن سبعين ثكلى بأولادها ، وقال : ان يعقوب لم يعرف الاسترجاع ، فمنها قال : وا أسفا على يوسف .

أقول : جاء في الحديث : لم تعط امة من الامم : انا لله وأنا اليه راجعون ، عند المصيبة إلا امة محمد ﷺ ، ألا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصاب لم يسترجع ، وقال يا اسفا ، وذلك لما جاء في الحديث من ان المسترجع عند المصيبة يبنى له بيت في الجنة وكلما ذكر المصيبة واسترجع كان له مثل ثوابه عند الصدمة الاولى .

ثم اعلم : انه اختلف في قوله : (وابيضت عيناه من الحزن) كما ان الشيعة اختلفوا في انه هل يجوز على الأنبياء مثل هذا النقص في الخلقة .

قال امين الاسلام الطبرسي : لا يجوز لأن ذلك ينفـّر .

وقيل يجوز ان لا يكون فيه تنفير ويكون بمنزلة سائر العلل والأمراض انتهى فمن قال لا يجوز ذلك يقول انه ما عمى ، ولكنه صار بحيث يدرك ادراكاً ضعيفاً ، ويأول بأن المراد انه غلبة البكاء وعند غلبة البكاء يكثر الماء في العين ، فتصير العين كأنها ابيضت من بياض ذلك الماء ، ومن يجوز ذلك يحملها على ظاهرها .

والحق انه لم يقم دليل على امتناع ذلك ، حتى يحتاج الى تأويل الآيات والأخبار الدالة على حصوله على انه يحتمل ، كما قيل ان يكون على وجه لا يكون فيه نقص ولا عيب في ظاهر الخلقة والأنبياء عليهم السلام يبصرون بقلوبهم ما يبصر غيرهم بعينيه .

وفيه أيضاً عن ابي جعفر عليه السلام قال سدير اخبرني عن يعقوب حين قال لولده : (اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه) كان علم انه حي وقد فارقه منذ عشرين سنة وذهبت عينه عليه من البكاء ؟ قال : نعم ، علم انه حي ، دعا ربه في السحر ان يهبط عليه ملك الموت فهبط عليه ملك الموت بأطيب رائحة وأحسن صورة فقال له : من انت ؟ فقال انا ملك الموت ، أليس سألت الله ان ينزلني عليك ، ما حاجتك يا يعقوب؟ قال له : اخبرني عن الأرواح تقبضها جملة او متفرقة قال : تقبضها اعواني متفرقة وتعرض عليّ مجتمعة ، قال يعقوب : فأسألك باله ابراهيم واسحاق ويعقوب هل عرض عليك في الأرواح روح يوسف ؟ فقال : لا فمنذ ذلك علم انه حي ، فقال لولده : (اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله) وكتب عزيز مصر الى يعقوب :

أما بعد : فهذا ابنك اشتريته بثمن بخس وهو يوسف واتخذته عبداً وهذا ابنك بنيامين اخذته وقد وجدت متاعي عنده واتخذته عبداً ، فما ورد على يعقوب شيء اشد من ذلك الكتاب ، فقال للرسول : مكانك اجيبه ، فكتب اليه يعقوب :

بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحاق بن ابراهيم خليل الله أما بعد : فقد فهمت كتابك تذكر فيه انك اشتريت ابني واتخذته عبداً وان البلاء موكل ببني آدم، وان جدي ابراهيم ألقاه نمرود في النار فلم يحترق وجعلها الله له برداً وسلاماً، وان ابي اسحاق امر الله جدي ان يذبحه بيده ، فلما أراد ذبحه فداه بكبش عظيم ، وإن كان لي ولد ولم يكن في الدنيا احد احب إليّ منه فأخرجوه اخوته ، ثم رجعوا إليّ وزعموا ان الذئب اكله ، فاحدودب لذلك ظهري وذهب من كثرة البكاء عليه بصري ، وكان له اخ من امه كنت آنس به فخرج مع إخوته الى ما قبلك ليمتاروا لنا طعاماً ، فرجعوا إليّ وذكروا انه سرق صواع الملك وقد حبسته ، وإنا اهل بيت لا يليق بنا السرقة ولا الفاحشة ، وانا اسألك بالله ابراهيم واسحاق ويعقوب إلا مننت عليّ به وتقربت الى الله ورددته إليّ فلما ورد الكتاب الى يوسف اخذه ووضعه على وجهه وبكى بكاءاً شديداً ، ثم نظر الى اخوته فقال لهم : هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون ؟ فقالوا انك لأنت يوسف . قال انا يوسف وهذا اخي قد منّ الله علينا . فقالوا : (لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين . قال لا تثريب عليكم اليوم — أي لا توبيخ ولا تعنيف — يغفر الله لكم) فلما ولى الرسول الى الملك بكتاب يعقوب، رفع يعقوب يده الى السماء فقال : يا حسن الصحبة يا كريم المعونة وخير إله، ائتني بروح منك وفرج من عندك . فهبط جبرئيل عليه السلام فقال له يا يعقوب ألا أعلمك دعوات يرد الله عليك بصرك وابنيك ؟ قال : نعم . قال قل يا من لم يعلم احد كيف هو إلا هو يا من سد الهواء وكبس الارض على الماء واختار لنفسه احسن الأسماء ائتني بروح منك وفرج من عندك. قال فما انفجر عمود الصبح حتى اتي بالقميص فطرح عليه، فردّ الله عليه بصره وولده .

اقول : ورد في سبب معرفتهم له انه تبسم ، فلما ابصروا ثناياه كانت كاللؤلؤ المنظوم شبهوه بيوسف .

وقيل : رفع التاج عن رأسه ، فعرفوه .

وفي قوله: (إذ انتم جاهلون) — أي شبان او صبيان — تعليم لهم كيف يعتذرون.

روي عن الصادق عليه السلام : كل ذنب عمله العبد وإن كان عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه معصية ربه ، فقد حكى الله قول يوسف لاخوته : (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون) فنسبهم الى الجهل لمخاطرتهم في أنفسهم في معصية الله.

وذكر بعض المحققين من أهل التفسير، وورد في الأخبار أيضاً في تفسير قوله تعالى: (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة) ان كل مذنب فهو جاهل، لأنه خاطر بنفسه وفعل فعل الجاهل .

ثم قال علي بن ابراهيم قدس الله ضريحه : ولما امر الملك بحبس يوسف في السجن ألهمه الله تعبير الرؤيا، فكان يعبر لأهل السجن فلما سألاه الفتيان الرؤيا عبر لهما (وقال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك) ولم يفزع في تلك الحال الى الله تعالى فأوحى الله اليه من اراك الرؤيا ؟ ومن حببك الى ابيك ؟ ومن وجه اليك السيارة ؟ ومن علمك الدعاء الذي دعوت به حتى جعلت لك من الجب فرجاً ؟ ومن انطق لسان الصبي بعذرك ؟ ومن ألهمك تأويل الرؤيا ؟ قال : انت يا رب . قال فكيف استعنت بغيري ولم تستعن بي ؟ وأملت عبداً من عبيدي ليذكرك الى مخلوق من خلقي لبث في السجن بضع سنين ؟ فقال يوسف: اسألك بحق آبائي عليك إلا فرجت عني. فأوحى الله اليه: يا يوسف وأي حق لآبائك عليّ. إن كان ابوك آدم خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي وأسكنته جنتي وأمرته أن لا يقرب شجرة منها فعصاني وسألني فتبت عليه، وإن كان ابوك نوح انتجبته من بين خلقي وجعلته رسولاً اليهم ، فلما عصوا دعاني إستجبت له وغرقتهم وانجيته ومن معه في الفلك ، وإن كان ابوك ابراهيم اتخذته خليلا وانجيته من النار وجعلتها عليه برداً وسلاماً ، وإن كان ابوك يعقوب وهبت له اثني عشر ولداً فغيبت عنه واحداً فما زال يبكي حتى ذهب بصره وقعد على الطريق يشكوني ، فأي حق لآبائك عليّ ؟ قال له جبرئيل : قل يا يوسف : اسألك بمنك العظيم وإحسانك القديم . فقالها ، فرأى الملك الرؤيا ، فكان فرجه فيها .

وعن ابي الحسن الرضا عليه السلام انه قال : قال السجان ليوسف اني لأحبك ، فقال يوسف : ما اصابني إلا من الحب ، كانت عمتي احبتني فسرقتني – أي نسبتني الى السرقة – وإن كان ابي احبني حسدوني اخوتي ، وإن كانت امرأة العزيز احبتني فحبستني ، وشكا يوسف في السجن الى الله تعالى ، فقال : يا رب بماذا استحققت السجن ؟ فأوحى الله اليه : انت اخترته حين قلت : (رب السجن احب إليّ مما يدعونني اليه) هلا قلت العافية احب إليّ مما يدعونني اليه .

وعن ابي عبدالله عليه السلام قال : لما طرح اخوة يوسف ، يوسف في الجب دخل عليه جبرئيل عليه السلام وهو في الجب ، فقال : يا غلام من طرحك في هذا الجب ؟ قال اخوتي لمنزلتي من ابي حسدوني ولذلك في الجب طرحوني . قال : أفتحب ان تخرج ؟ قال :

ذاك الى إله ابراهيم واسحاق ويعقوب . قال فإن إله ابراهيم يقول لك قل : اللهم اني اسألك بـأن لك الحمد كله لا إله إلا انت الحنان المنان بديع السماوات والارض ذو الجلال والإكرام صل على محمد وآل محمد واجعل لي من امري فرجاً ومخرجاً وارزقني من حيث لا احتسب . فدعا ربه . فجعل له من الجب فرجاً ومن كيد المرأة مخرجاً وآتاه ملك مصر من حيث لم يحتسب .

وعن المفضل الجعفي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: اخبرني ما كان قميص يوسف؟ قال : ان ابراهيم عليه السلام لما اوقدت له النار أتاه جبرئيل عليه السلام بثوب من ثياب الجنة فألبسه إياه ، فلم يضره معه حر ولا برد، فلما حضر ابراهيم الموت جعله في تميمة وعلقه على اسحاق وعلق اسحاق على يعقوب ، فلما ولد ليعقوب يوسف علقه عليه ، فكان في عنقه ، حتى كان من امره ما كان ، فلما اخرج يوسف من التميمة وجد يعقوب ريحه ، وهو قوله : (اني لأجد ريح يوسف لولا ان تفندون) قلت جعلت فداك فإلى من صار ذلك القميص ؟ فقال الى اهله ، ثم قال : كل نبي ورث علماً او غيره فقد انتهى الى محمد صلى الله عليه وآله .

وكان يعقوب بفلسطين وفصلت العير من مصر ، فوجد ريح يوسف وهو من ذلك القميص الذي اخرج من الجنة ، ونحن ورثته .

اقول : قال امين الاسلام الطبرسي رحمه الله : قيل : ان يوسف عليه السلام قال إنما يذهب بقميصي من ذهب به اولاً فقال يهودا أنا أذهب به وهو ملطخ بالدم ، قال فاذهب به أيضاً واخبره انه حي وافرحه كما انه احزنه. فحمل القميص وخرج حافياً حاسراً ، حتى اتاه ، وكان معه سبعة ارغفة وكانت المسافة ثمانين فرسخاً ، فلم يستوف الأرغفة في الطريق .

وقال ابن عباس : هاجت ريح فحملت قميص يوسف الى يعقوب .

وذكر في القصة ان الصبا استأذنت ربي في ان تـأتي يعقوب ريح يوسف قبل أن يأتيه البشير بالقميص ، فأذن لها ، فأتت بها ، ولذلك يستروح كل محزون ريح الصبا وقد اكثر الشعراء من ذكرها .

وعن ابي الحسن عليه السلام : كانت الحكومة في بني إسرائيل اذا سرق واحد شيئاً استرق به وكان يوسف عند عمته وهو صغير وكانت تحبه . وكانت لاسحاق منطقة لبسها يعقوب وكانت عند اخته وان يعقوب طلب يوسف ليأخذه من عمته ، فاغتمت

لذلك وقالت دعه حتى ارسله اليك وأخذت المنطقة وشدت بها وسطه تحت الثياب ، فلما اتى يوسف اباه جاءت وقالت قد سرقت المنطقة ، ففتشته فوجدتها في وسطه ، فلذلك قال اخوته (إن يسرق) يعني بنيامين (صواع الملك فقد سرق اخ له من قبل) يعني يوسف المنطقة من عمته .

قال علي بن ابراهيم : ثم رحل يعقوب وأهله من البادية بعد ما رجع اليه بنوه بالقميص فارتد بصيراً ، فقالوا يا ابانا استغفر لنا ، قال : اخرهم الى السحر ، لأن الدعاء والاستغفار مستجاب فيه .

فلما وافى يعقوب وأهله مصر ، قعد يوسف على سريره ووضع التاج على رأسه فأراد أن يراه ابوه على تلك الحالة ، فلما دخل ابوه لم يقم له فخروا له كلهم ساجدين فقال يوسف: يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل .

وعن ابي الحسن عليه السلام : اما سجود يعقوب وولده فإنه لم يكن ليوسف وإنما كان ذلك طاعة لله وتحية ليوسف ، كما كان السجود من الملائكة لآدم ولم يكن لآدم وإنما كان ذلك منهم طاعة لله وتحية لآدم عليه السلام ، فسجد يعقوب وولده ويوسف معهم شكراً لله لاجتماع شملهم ، ألم ترَ انه يقول في شكره ذلك الوقت : رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض انت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً والحقني بالصالحين .

وقال امين الاسلام الطبرسي : قيل : ان يوسف عليه السلام بعث مع البشير مائتي راحلة مع ما يحتاج اليه في السفر وسألهم ان يأتوه بأهلهم أجمعين ، ولما دنا كل واحد منهما من صاحبه بدأ يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الأحزان .

وقال وهب : انهم دخلوا مصر وهم ثلاثة وسبعون إنساناً وخرجوا مع موسى عليه السلام وهم ستمائة الف وخمسمائة وبضع وسبعون رجلاً . وكان بين يوسف وموسى اربعمائة سنة .

وقال علي بن ابراهيم : فنزل جبرئيل عليه السلام فقال : يوسف اخرج يدك ، فأخرجها من بين اصابعه نور . فقال يوسف ما هذا يا جبرئيل ؟ فقال هذه النبوة اخرجها الله من صلبك لأنك لم تقم الى ابيك . فحط الله نوره ومحى النبوة من صلبه وجعلها في ولد لاوى اخي يوسف . وذلك لأنهم لما ارادوا قتل يوسف قال لا تقتلوه والقوه في غيابة الجب . فشكر الله له ذلك . ولما ان ارادوا أن يرجعوا الى ابيهم من مصر وقد

حبس يوسف اخاه قال لن ابرح الأرض حتى يأذن لي ابي . فشكر الله له ذلك .

فكان أنبياء بني اسرائيل من ولد لاوى بن يعقوب . وكان موسى من ولده .

قال يعقوب : يا بني اخبرني بما فعل بك إخوتك حين اخرجوك من عندي قال يا ابت إعفني من ذاك . قال فاخبرني ببعضه ؟ قال يا ابت انهم لما ادنوني من الجب قالوا انزع القميص فقلت لهم يا اخوتي إتقوا الله ولا تجردوني ، فسلوا عليّ السكين وقالوا لئن لم تنزع لنذبحنك ؟ فنزعت القميص والقوني في الجب عرياناً . فشهق يعقوب شهقة وأغمي عليه . فلما افاق قال يا بني حدثني قال يا ابت اسألك بإله ابراهيم واسحاق ويعقوب إلا اعفيتني فأعفاه .

قال : ولما مات العزيز وذلك في السنين الجدبة . افتقرت إمرأة العزيز واحتاجت حتى سألت ، فقالوا لها لو قعدت للعزيز . وكان يوسف . فقالت استحي منه فلم يزالوا بها حتى قعدت له . فأقبل يوسف في موكبه . فقامت اليه وقالت : الحمدلله الذي جعل الملوك بالمعصية عبيداً وجعل العبيد بالطاعة ملوكاً . فقال لها يوسف وهي هرمة الست فعلت بي كذا وكذا ؟ فقالت يا نبي الله لا تلمني فإني بليت بثلاثة لم يبل بها احد . قال : وما هي ؟ قالت : بليت بحبك ولم يخلق الله لك نظيراً وبليت بحسنى بأنه لم تكن بمصر إمرأة أجمل مني ولا اكثر مالاً وبليت بأن زوجي كان محصوراً بفقد الحركة — يعني عنيناً — فقال لها يوسف ما حاجتك ؟ قالت تسأل الله أن يرد عليّ شبابي فسأل الله فردّ عليها . فتزوجها وهي بكر .

وعن ابي جعفر عليه السلام في قوله : (قد شغفها حباً) يقول قد حجبها حبه عن الناس فلا يعقل غيره . والحجاب هو الشغاف والشغاف هو حجاب القلب .

أقول : المشهور بين المفسرين واللغويين ان المراد شهق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها (وحباً) نصباً على التمييز . وكان ما في الحديث بيان لحاصل المعنى .

قال الطبرسي رحمه الله : وروي عن علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد (عليهما السلام) وغيرهم : قد شعفها بالعين — أي ذهب بها كل مذهب .

(الأمالي) عن ابي بصير عن الصادق عليه السلام : ان يوسف لما صار في الجب وايس من الحياة ، كان دعاؤه : اللهم إن كانت الخطايا والذنوب قد اخلقت وجهي عندك فلن ترفع اليك صوتي ولن تستجيب لي دعوة فإني أسألك بحق الشيخ يعقوب فارحم ضعفه واجمع بيني وبينه فقد علمت رقته عليّ وشوقي ثم بكى ابو عبد الله عليه السلام ثم قال :

وأنا أقول : اللهم إن كانت الخطايا والذنوب قد اخلقت وجهي عندك فلن ترفع اليك صوتاً ولم تستجب لي دعوة فإني أسألك بك فليس كمثلك شيء وأتوجه اليك بنبيك نبي الرحمة يا الله يا الله يا الله يا الله يا الله ، ثم قال عليه السلام : قولوا هكذا واكثروا منه عند الكرب العظام .

وفيه بالاسناد اليّ ابن عباس قال : لما اصاب يعقوب ، ما اصاب الناس من ضيق الطعام ، جمع يعقوب بنيه فقال لهم : يا بني انه بلغني انه يباع بمصر طعام طيب وإن صاحبه رجل صالح فاذهبوا اليه واشتروا منه طعاماً ، فساروا حتى وردوا فادخلوا على يوسف (فعرفهم وهم له منكرون) فسألهم فقالوا نحن اولاد يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم ، قال ولدكم إذاً ثلاثة انبياء ، وما انتم بحلماء ولا فيكم وقار ولا خشوع فلعلكم جواسيس لبعض الملوك، جئتم الى بلادي؟ فقالوا أيها الملك لسنا بجواسيس ولا اصحاب حرب ولو تعلم بأبينا إذاً لكرمنا عليك ، فإنه نبي الله وابن انبيائه وانه لمحزون ، قال لهم يوسف : فما حزنه وهو نبي الله وابن أنبيائه والجنة مأواه وهو ينظر اليكم في مثل عددكم وقوتكم فلعل حزنه إنما هو من قبل سفهكم وجهلكم ؟ قالوا : أيها الملك لسنا بجهال ولا سفهاء ولا أتاه الحزن من قبلنا ، ولكن كان له ابن كان اصغرنا سناً ، يقال له : يوسف ، فخرج معنا الى الصيد فأكله الذئب ، فلم يزل بعده حزيناً . فقال لهم يوسف كلكم من أب واحد ؟ قالوا أبونا واحد وامهاتنا شتى . قال فما حمل أباكم على أن سرحكم كلكم وحبس منكم واحداً يأنس به ويستريح اليه ؟ قالوا : قد فعل ، قد حبس منا واحداً هو اصغرنا سناً . قال ولم إختاره من بينكم ؟ قالوا لأنه احب اولاده اليه بعد يوسف . فقال لهم يوسف إني أحبس منكم واحداً ، يكون عندي وارجعوا الى أبيكم واقرؤه مني السلام وقولوا له : يرسل إليّ بابنه الذي زعمتم انه حبسه عنده ليخبرني عن حزنه وعن سرعة الشيب اليه قبل أوان مشيبه وعن بكائه وذهاب بصره؟ فلما قال هذا ، إقترعوا بينهم ، فخرجت القرعة على شمعون ، فأمر به فحبس . فلما ودعوا شمعون قال لهم يا إخوتاه انظروا ماذا وقعت فيه واقرؤا والدي مني السلام . فودعوه وساروا حتى وردوا الشام ودخلوا على يعقوب عليه السلام وسلموا عليه سلاماً ضعيفاً فقال لهم : يا بني ما لكم تسلمون سلاماً ضعيفاً ؟ وما لي لا اسمع فيكم صوت خليلي شمعون ؟ قالوا : يا أبانا انا جئناك من أعظم الناس ملكاً لم يرَ الناس مثله حكماً وعلماً وإن كان لك شبيه ، فإنه لشبيهك، ولكنا أهل بيت خلقنا للبلاء ، إتهمنا الملك وزعم انه لا يصدقنا حتى ترسل معنا بنيامين برسالة منك ، يخبره عن حزنك وعن

سرعة الشيب اليك وعن بكائك وذهـاب بصرك . فظن يعقوب عليه السلام ان ذلك مكر منهم ، فقال لهم : يا بني بئس العادة عادتكم ، كلما خرجتم في وجه نقص منكم واحد ، لا ارسله معكم ، (فلما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم) من غير علم منهم، فأقبلوا الى ابيهم فرحين ، فقالوا يا ابانا ان هذه بضاعتنا ردت الينا .

قال يعقوب : قد علمتم ان بنيامين أحبكم إلي بعد أخيكم يوسف وبه انسي ، فلن أرسله معكم حتى تؤتوني موثقاً من الله لتأتيني بـه إلا ان يحاط بكم ، فضمنه يهودا فخرجوا ، حتى وردوا مصر ، فدخلوا على يوسف ، فقال لهم : هل بلغتم رسالتي ؟ قالوا : نعم وقد جئناك بجوابها مع هذا الغلام، فاسأله عما بدا لك ، فقال له يوسف: بما أرسلك أبوك إلي يا غلام ؟ قال : أرسلني اليك يقرؤك السلام ويقول : انك ارسلت إلي تسألني عن حزني وعن سرعة الشيب إلي قبل أوان المشيب وعن بكائي وذهاب بصري فان اشد الناس حزناً وخوفاً أذكرهم للمعاد وانما أسرع المشيب إلي : لذكرى يوم القيامة . وان بكائي وابيضاض عيوني : على حبيبي يوسف وقـد بلغني حزنك بحزني واهتمامك بأمري ، فكان الله لك جازياً ومثيباً ، وانك لن تصلني بشيء أشد فرحاً به من أن تعجل على ولدي ابني بنيامين فانه أحب اولادي بعد يوسف ، وعجل علي بما استعين به على عيالي . فلما قال هذا خنقت يوسف العبرة ، ولم يصبر حتى قام فدخل البيت وبكى ساعة ، ثم خرج اليهم وأمر لهم بطعام ، وقال : ليجلس كل بني أم على مائدة فجلسوا ، وبقي بنيامين قائماً ، فقال له يوسف : مالك لم تجلس ؟ فقال: ليس لي فيهم ابن ام ، فقال له يوسف فما كان لك ابن ام ؟ فقال بنيامين بلى ، ولكن زعم هؤلاء ان الذئب أكله ، قال فما بلغ من حزنك عليه ؟ قال : ولد لي اثنا عشر إبنا ، كلهم اشتق لهم إسماً من اسمه، قال يوسف أراك قد عانقت النساء وشممت الولد من بعده ؟ فقال له بنيامين ان لي أباً صالحاً وانه قال لي تزوج لعل الله عز وجل يخرج منك ذرية تثقل الأرض بالتسبيح . فقال له يوسف فاجلس على مائدتي ، فقال أخوته قد فضل الله يوسف وأخاه ، حتى ان الملك قد أجلسه معه على مائدته ، فأمر يوسف ان يجعل صواع الملك في رحل بنيامين .

وعن جابر بن عبد الله قال : اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجل من اليهود يقال له بستان اليهودي فقال يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رآهـا يوسف عليه السلام انها ساجدة له ما اسماؤها ؟ فقال : انت تسلم إن أخبرتـك بأسمائها ؟ فقـال : نعم فقال : حرمان والطارق والذيال وذو الكتفان وقابس ووثاب وعمودان والفيلق

والمصبح والضروح وذو القرع وللضياء والنور في أفق السماء ، ساجدة له ، فلما قصها يوسف على يعقوب عليه السلام ، قال يعقوب : هذا امر متشتت يجمعه الله بعد . فقال اليهودي : والله ان هذه لأسماءها .

وعن ابي عبد الله عليه السلام ، قال : البكاؤن خمسة : آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وعلي بن الحسين عليه السلام .

فأما آدم فبكى على الجنة حتى صار خديه امثال الأودية .

وأما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره .

وأما يوسف فبكى على يعقوب حتى تأذى به اهل السجن ، فقالوا له : إما أن تبكي بالليل وتسكت بالنهار ، واما ان تبكي بالنهار وتسكت بالليل . فصالحهم على واحدة منها .

وأما فاطمة عليها السلام فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله ، حتى تأذى به أهل المدينة، فقالوا لها قد آذيتينا بكثرة بكائك ، فكانت تخرج الى مقابر الشهداء ، فتبكي ، حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف .

وأما علي بن الحسين عليهما السلام فبكى على الحسين عشرين سنة أو أربعين سنة ما وضع بين يديه طعام إلا بكى : حتى قال له مولى له : جعلت فداك اني اخاف ان تكون من الهالكين ؟ قال : انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم ما لا تعلمون ، اني ما ذكرت مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة .

(علل الشرايع) عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان يعقوب وعيص توأمين فولد عيص ثم يعقوب ، فسمي يعقوب لانه خرج بعقب أخيه عيص ، ويعقوب هو اسرائيل الله ، ومعناه هو عبد الله ، لأن اسرا هو عبد وأيل هو الله . وفي خبر آخر ان اسرا هو القوة وأيل هو الله ، يعني قوة الله .

وعن (كعب الأحبار) في حديث طويل : إنما سمي اسرائيل لأن يعقوب كان يخدم بيت المقدس ، وكان أول من يدخل وآخر من يخرج وكان يسرج القناديل وإذا كان بالغداة رآها مطفأة ، فبات ليلة في بيت المقدس ، واذا بجني يطفيها فأسره الى سارية في المسجد، فلما أصبحوا رأوا أسيراً وكان اسم الجني ايل ، فسمي اسرائيل لذلك.

وعن علي بن الحسين عليهما السلام قال : اخذ الناس من ثلاثة ، اخذوا الصبر عن ايوب والشكر عن نوح عليهما السلام والحسد عن بني يعقوب .

وعن الرضا عليه السلام انه قال له رجل : اصلحك الله كيف صرت الى ما صرت اليه من المأمون وكأنه انكر ذلك عليه ؟ فقال عليه السلام يا هذا ايهما افضل النبي أو الوصي ؟ قال لا بل النبي . قال فأيهما افضل المسلم أو المشرك ؟ قال لا بل المسلم . قال فان عزيز مصر كان مشركاً وكان يوسف مسلماً وان المأمون مسلم وانا وصي يوسف سأل العزيز ان يوليه ، حين قال (اجعلني على خزائن الأرض اني حفيظ عليم) قال حافظ لما في يدي ، عالم بكل لسان .

وعن ابي عبد الله عليه السلام قال : ان يوسف عليه السلام لما كان في السجن شكى الى ربه اكل الخبز وحده وسأل اداماً يأتدم به وقد كان كثر عنده قطع الخبز اليابس، فأمره: ان يأخذ الخبز ويجعله في إجانة ويصب عليه الماء والملح فصار مرياً وجعل يأتدم به عليه السلام .

وعن ابن عباس قال : مكث يوسف في منزل الملك وزليخا ثلاث سنين، ثم احبته فراودته ، فبلغنا والله اعلم : انها مكثت سبع سنين على قدميها ، وهو مطرق الى الارض لا يرفع طرفه اليها ، مخافة من ربه، فقالت يوماً ارفع طرفك وانظر الي قال: اخشى العمى على بصري قالت : ما احسن عينيك ؟ قال : هما اول ساقط على خدي في قبري . قالت : ما احسن طيب ريحك ؟ قال : لو شممت رائحتي بعد ثلاث من موتى لهربت مني ؟ قالت لم لا تقترب ؟ قال : ارجو بذلك القرب من ربي ، قالت فرشي الحرير فقم واقض حاجتي؟قال اخشى ان يذهب من الجنة نصيبي . قالت اسلمك الى المعذبين ؟ قال يكفيني ربي .

(علل الشرائع) باسناده الى الثمالى قال : صليت مع علي بن الحسين عليه السلام الفجر بالمدينة يوم الجمعة ، فنهض الى منزله وانا معه ، فدعا مولاة له تسمى سكينة فقال لها لا يعبر على بابي سائل إلا اطعمتموه ، فان اليوم يوم الجمعة ، قلت له : ليس كل من يسأل مستحقاً ؟ فقال يا ثابت اخاف ان يكون بعض من يسألنا مستحقاً فلا نطعمه ونرده ، فينزل بنا أهل البيت ما نزل بيعقوب وآله : ان يعقوب كان يذبح كل يوم كبشاً فيتصدق منه ويأكل هو وعياله منه ، وان سائلاً مؤمناً صواماً مستحقاً له عند الله منزلة،وكان مجتازاً غريباً مرّ على باب يعقوب عشية الجمعة عند اوان افطاره يهتف

على بابه : إطعموا السائل الغريب الجائع، من فضل طعامكم يهتف بذلك على بابه مراراً وهم يسمعونه ، قد جهلوا حقه ولم يصدقوا قوله ، فلما يئس ان يطعموه وغشيه الليل استرجع وشكا جوعه الى الله عز وجل وبات طاوياً ، واصبح جائعاً صابراً حامداً لله تعالى ، وبات يعقوب وآل يعقوب شباعاً بطاناً ، وعندهم فضلة من طعامهم ، فأوحى الله عز وجل الى يعقوب في صبيحة تلك الليلة : لقد اذللت يا يعقوب عبدي ذلة استوجبت بها ادبي عليك وعلى ولدك ، يا يعقوب ان احب انبيائي إلي من رحم مساكين عبادي واطعمهم وكان لهم مأوى ، يا يعقوب ما رحمت عبدي ذميال العابد لما مر ببابك عند افطاره وهتف بكم إطعموا السائل الغريب ، فلم تطعموه ، فشكا ما به إلي وبات طاوياً حامداً لي واصبح صائماً،وانت يا يعقوب وولدك شباع واصبحت عندكم فضلة من طعامكم ، او علمت يا يعقوب ان العقوبة والبلوى الى اوليائي اسرع منها الى اعدائي ، وذلك حسن النظر مني لأوليائي واستدراج مني لأعدائي ، اما وعزتي لأنزل بك بلواي ولأجعلنك وولدك عرضاً لمصائبي فاستعد لبلواي ، فقلت لعلي ابن الحسين جعلت فداك : متى رأى يوسف الرؤيا ؟ فقال في تلك الليلة التي بات فيها يعقوب وآل يعقوب شباعاً وبات فيها ذميال طاوياً جائعاً ، فلما رأى يوسف الرؤيا واصبح يقصها على ابيه يعقوب؟فاغتم يعقوب لما سمع من يوسف ما اوحى الله عز وجل اليه ان استعد للبلاء ، فقال يعقوب ليوسف : (لا تقصص رؤياك هذه على إخوتك فاني اخاف ان يكيدوا لك كيداً) فلم يكتم يوسف رؤياه وقصها على اخوته، وكانت اول بلوى نزلت بيعقوب وآل يعقوب ، الحسد ليوسف ، لما سمعوا منه الرؤيا ، فاشتدت رقة يعقوب على يوسف وخاف ان يكون ما اوحى الله اليه من استعداد للبلاء ، هو في يوسف خاصة . فاشتدت رقته عليه من بين إخوته ، فلما رأى اخوة يوسف ما يصنع بيوسف وتكرمته إياه وإيثاره إياه عليهم ، اشتد ذلك عليهم . فتآمروا بينهم ، فقالوا (ان يوسف واخاه احب الى ابينا منا ، اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضاً يخل لكم وجه ابيكم، فجاؤوا اباهم وقالوا ما لك لا تأمنا على يوسف ؟ فقال يعقوب اخاف ان يأكله الذئب) فانتزعه حذراً عليه من ان تكون البلوى من الله فيه ، فغلبت قدرة الله وقضاؤه في يعقوب ويوسف واخوته فلم يقدر يعقوب على دفع البلاء ، فدفعه الى اخوته ولما خرجوا لحقهم مسرعاً فانتزعه من ايديهم وضمه اليه واعتنقه وبكى ودفعه اليهم فانطلقوا به مسرعين مخافة ان يأخذه منهم ، فلما امنوا به،

اتوا غيضة اشجار فقالوا نذبحه ونلقيه تحت هذه الشجرة فيأكله الذئب الليلة فقال كبيرهم : لا تقتلوا يوسف ولكن القوه في غيابة الجب ، فالقوه في الجب وهم يظنون انه يغرق فيه،فلما صار في قعر الجب ناداهم: يا ولد رومين اقرئوا يعقوب مني السلام. فلما سمعوا كلامه قال بعضهم لبعض لا تزالوا من هاهنا حتى تعلموا انه قد مات ، فلم يزالوا حتى ايسوا (ورجعوا الى ابيهم عشاء يبكون * قالوا يا ابانا اكله الذئب) فاسترجع وذكر ما اوحى الله عز وجل اليه من الاستعداد للبلاء،فصبر واذعن للبلاء ، وقال : (بل سولت لكم انفسكم امر ...) وما كان الله ليطعم لحم يوسف الذئب من قبل ان رأى تأويل رؤياه الصادقة .

فلما اصبحوا قالوا : انطلقوا بنا حتى ننظر ما حال يوسف امات ام هو حي ؟ فلما انتهوا الى الجب وجدوا عنده سيارة قد ارسلوا واردهم فأدلى دلوه ، فلما جذب دلوه إذا هو بغلام متعلق بدلوه ، فقال لأصحابه يا بشرى هذا غلام ، فلما اخرجوه اقبل اليهم إخوة يوسف قالوا هذا عبدنا سقط منا امس في هذا الجب وجئنا اليوم لنخرجه فانتزعوه من ايديهم وتنحوا به ناحية ، فقالوا اما ان تقر لنا انك عبدنا فنبيعك بعض هذه السيارة او نقتلك ؟ فقال لهم يوسف : لا تقتلوني واصنعوا بي ماشئتم ، فأقبلوا به الى السيارة ، فقالوا : من يشتري هذا العبد ؟ فاشتراه رجل منهم بعشرين درهماً وسار به الذي اشتراه من البدو الى مصر فباعه من ملك مصر .

فلما راهق يوسف راودته امرأة الملك عن نفسه . فقال لها معاذ الله انا من اهل بيت لا يزنون ، فغلقت الأبواب عليها وعليه وقالت لا تخف والقت نفسها عليه فأفلت منها هارباً الى الباب ففتحته فلحقت به فجذبت قميصه من خلفه فأفلت منها ثيابه (والفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد بأهلك سوءاً إلا ان يسجن او عذاب اليم) فهمّ الملك بيوسف ليعذبه . فقال له يوسف : ما اردت بأهلك سوءاً بل هي راودتني عن نفسي ، فاسأل هذا الصبي اينا راود صاحبه عن نفسه ، فأنطق الله الصبي لفصل القضاء فقال : يا ايها الملك انظر الى قميص يوسف فان كان مقدوداً من قدامه فهو الذي راودها ، وإن كان مقدوداً من خلفه فهي التي راودته ؟ فنظر الى القميص فرآه مقدوداً من خلفه ، فقال (انه من كيدكن) وقال ليوسف اعرض عن هذا ولا يسمعه احد منك واكتمه ، فلم يكتمه يوسف واذاعه في المدينة حتى قلن نسوة : (امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) فبلغها ذلك ، فأرسلت اليهن وهيأت لهن طعاماً ثم اتتهن باترج (وأتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت أخرج

عليهن ، فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن ... * فقالت هذا الذي لمتنني فيه ...) فخرجت النسوة من عندها ، فأرسلت كل واحدة منهن الى يوسف سراً من صاحبها تسأله الزيارة فأبى عليهن .

ولما شاع أمر يوسف وامرأة العزيز والنسوة في مصر ، بدا للملك بعد ما سمع قول الصبي ، ليسجنن يوسف فسجنه في السجن .

أقول : قال أمين الاسلام الطبرسي رحمه الله : قيل : ان النسوة قلن ليوسف أطع مولاتك واقض حاجتها فانها المظلومة وأنت الظالم .

وقال السدي : سبب السجن : ان المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد فضحني بين الناس ولست أطيق ان اعتذر بعذري فأما أن تأذن لي فأخرج واعتذر بعذري وأما أن تحبسه كما حبستني ، فحبسه بعد علمه ببراءته .

وفي الرواية : ان اخوة يوسف لما انطلقوا به الى الجب جعلوا يدلونه في البئر وهو يتعلق بشفيرها ثم نزعوا قميصه عنه وهو يقول : لا تفعلوا ، ردوا علي القميص اتوارى به ؟ فيقولون : ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً تؤنسك . فدلوه الى البئر حتى إذا بلغ نصفها القوه،إرادة ان يموت. وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم آوى الى صخرة فقام عليها وكان يهودا يأتيه بالطعام والشراب .

وقيل : ان الجب اضاء له وعذب ماؤه حتى أغناه عن الطعام .

(علل الشرايع) سمعت محمد بن عبد الله بن طيفور يقول في قول يوسف عليه السلام : (رب السجن أحب إلي مما يدعونني اليه) ان يوسف رجع الى اختيار نفسه فاختار السجن فوكل الى اختياره والتجأ نبي الله محمد صلى الله عليه وآله الى الاختيار ، فتبرأ من الاختيار ودعا دعاء الافتقار فقال على رؤية الاضطرار: يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على طاعتك فعوفي من العلة وعصم فاستجاب الله له واحسن اجابته . وهو ان الله عصمه ظاهراً وباطناً .

وسمعته يقول في قول يعقوب:(هل آمنكم عليه إلا كما آمنتكم على أخيه من قبل):

ان هذا مثل قول النبي صلى الله عليه وآله : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وذلك انه سلم يوسف اليهم . فغشوه حين اعتمد على حفظهم له وانقطع في رعايته اليهم . فألقوه في غيابة الجب وباعوه .

ولما انقطع الى الله في الابن الثاني وسلمه واعتمد في حفظه وقال:فالله خير حافظاً)

اقعده على سرير المملكة ورد يوسف اليه وأخرج القوم من المحنة واستقامت أسبابهم .

وسمعته يقول في قول يعقوب (يا أسفي على يوسف) انـه عرض في التأسف بيوسف وقد رأى في مفارقته فراقاً آخر . وفي قطيعته قطيعة أخرى فتلهف عليها وتأسف من أجلها .

كقول الصادق عليه السلام في معنى قوله عز وجل (ولنذيقنهم من العذاب الأليم دون العذاب الأكبر) ان هذا فراق الأحبة في دار الدنيا حتى يستدلوا به على فراق المولى.

فلذلك يعقوب تأسف على يوسف من خوف فراق غيره فذكر يوسف لذلك .

أقول : فراق الأحبة ووصال الأحبة نار وجنة مخلوقتان وفي الدنيا يستدل بها على نعيم الآخرة وجحيمها .

وقال امير المؤمنين عليه السلام : لولا هول المطلع وفراق الأحبة لطلبنا الموت .

وفي تفسير قوله تعالى : (على سرر متقابلين) انـه أعظم لذات الجنة : يجلس الاحبة في المكان الواحد ، كل واحد على سرير من سرر الجنة . وقال المتنبي :

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت لهـا المنايا الى أرواحنا سبلا

وفيه أيضاً عن اسماعيل بن الفضل الهاشمي قـال : قلت لجعفر بن محمد أخبرني عن يعقوب لما قال له بنوه : (يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين * قال سوف استغفر لكم ربي) فأخر الاستغفار لهم . ويوسف عليه السلام لما قالوا له : (تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا خاطئين * قال لا تثريب عليكم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين).

قال : لأن قلب الشاب أرق من قلب الشيخ ، وكانت جناية ولد يعقوب على يوسف وجنايتهم على يعقوب انما كان بجنايتهم على يوسف ، فبادر يوسف الى العفو عن حقه ، وأخر يعقوب العفو لأن عفوه إنما كان على حق غيره فأخرهم الى السحر ليلة الجمعة .

وعنه عليه السلام قال : استأذنت زليخا على يوسف ، فقيل لها : يا زليخا إنا نكره ان نقدم بك عليه لما كان منك اليه ؟ قالت : اني لا أخاف ممن يخاف الله ، فلما دخلت، قال لها : يا زليخا ما لي أراك قد تغير لونك ؟ قالت الحمد لله الذي جعـل الملوك بمعصيتهم عبيداً وجعل العبيد بطاعتهم ملوكاً . قال لهـا : يا زليخا ما الذي دعاك الى ما كان منك ؟ قالت حسن وجهك يا يوسف ، فقال : كيف لو رأيتي نبياً

يقال له محمد يكون في آخر الزمان ، احسن مني خلقاً واسمح مني كفاً ؟ قالت علمت اني صدقت ؟ قالت لأنك حين ذكرته وقع حبه في قلبي . فأوحى الله عز وجل الى يوسف : انها قد صدقت ، واني احببتها ، لحبها محمد ﷺ فأمر الله تبارك وتعالى : ان يتزوجها .

(معاني الأخبار) معنى يوسف مـأخوذ من أسف يوسف ، أي غضب يغضب اخوته ، قال الله عز وجل : (فلما اسفونا انتقمنا منهم) والمراد بتسميته يوسف انه يغضب اخوته ما يظهر من فضله عليهم .

وعن ابي عبد الله عليه السلام قـال : قـدم اعرابي على يوسف ليشتري منه طعامـاً فباعه ، فلما فرغ قال له يوسف اين منزلك ؟ قال بموضع كذا و كذا،فقال : اذا مررت بوادي كذا و كذا ، فقف ونادي : يا يعقوب يا يعقوب، فانه سيخرج اليك رجل عظيم جميل حسن فقل له : لقيت رجلاً بمصر وهو يقرئك السلام ويقول لك : ان وديعتك عند الله عز وجل لن تضيع ، فلما انتهى الى الموضع نـادى : يا يعقوب يا يعقوب ؟ فخرج اليه رجل اعمى طويل جميل يتقي الحائط بيده ، فأبلغه مـا قال له يوسف ، فسقط مغشياً عليه ، ثم افاق فقال : يا اعرابي ألك حاجة الى الله تعالى ؟ فقال نعم ، اني كثير المال ولي ابنة عم لم يولد لي منها واني احب ان تدعو الله ان يرزقني ولداً ؟ فدعا الله . فرزقه اربعة بطون ، في كل بطن اثنان .

وكان يعقوب يعلم ان يوسف حي لم يمت ، وان الله سيظهره له بعد غيبته ، وكان يقول لبنيه : (اني اعلم من الله ما لا تعلمون) .

وروي ان اخوة يوسف لـما اتوا ابيهم عشاءاً يبكون ومعهم قميص يوسف ملطخ بالدم،تولى عنهم يعقوب تلك الليلة واقبل يرثي يوسف وهو يقول : حبيبي يوسف الذي كنت اؤثره على جميع اولادي فاختلس مني ، حبيبي يوسف الذي كنت ارجوه من بين اولادي فاختلس مني ، حبيبي يوسف الذي كنت اوسده يميني وادثره شمالي فاختلس مني ، حبيبي يوسف الذي كنت اؤنس به وحشتي وأصل بـه وحدتي فاختلس مني ، حبيبي يوسف ليت شعري في اي الجبال طرحوك ام في أي البحار غرقوك ، حبيبي يوسف ليتني كنت معك فيصيبني ما أصابك .

الثعلبي في (كتاب العرائس) قال : لما خلا يوسف بأخيه قال له : مـا اسمك ؟ قال : بنيامين . قال : وما بنيامين؟ قال ابن المثكل . وذلك انه لما ولد هلكت امه،

قال وما اسم امك ؟ قال : راحيل بنت لبان بن ناحور . قال : فهل لك من ولد ؟ قال : نعم عشرة بنين . قال : ما اسماؤهم ؟ فعدّ له اسماءهم ، وكلها مشتقة او فيها دلالة على يوسف ، فقال يوسف : أحب أن اكون أخاك بدل اخيك الهالك ؟ فقال بنيامين أيها الملك ومن يجد أخاً مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل . فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال إني اخوك فلا تعلمهم بشي من هذا . فقال بنيامين إني لا أفارقك . ثم احتالا في وضع الصاع في رحل بنيامين .

أقول : وعلى هذا فالمراد بأبويه اللذين دخلا مصر ابوه وخالته . كما قال الأكثر فإن الخالة يقال لها : أم ، في إطلاق العرف .

وقال صلى الله عليه وآله لما تخاصم امير المؤمنين عليه السلام في حضانة ابنة حمزة رضي الله عنه مع خالته : الخالة ام .

وذلك لما ورد من ان امه (أي أم يوسف) قد كانت ماتت في نفاسها بنيامين فتزوج يعقوب اختها .

وقيل : يريد أباه وأمه وكانا حيين . عن ابن اسحاق والجبائي .

وقيل : ان راحيل أمه نشرت من قبرها حتى سجدت له ، تحقيقاً للرؤيا . عن الحسن .

(قصص الأنبياء) عن سليمان الطلحي قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : ما حال بني يعقوب هل خرجوا من الايمان ؟ قال : نعم. فما تقول في آدم عليه السلام؟ قال : دع آدم.

أقول : للإيمان درجات ومراتب ، كما جاء في صحيح الأخبار ، فيكون المراد انهم خرجوا من درجاته العالية . ثم عادوا اليها وإلى ما فوقها بتوبتهم واستغفار يعقوب ويوسف لهم .

(قصص الراوندي) بالاسناد عن الصدوق عن ابيه عن الصفار عن ايوب بن نوح عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما بلغ من حزن يعقوب ؟ قال حزن سبعين ثكلى ، ولما كان يوسف في السجن دخل عليه جبرئيل عليه السلام فقال ان الله ابتلاك وابتلى أباك وإن الله ينجيك من هذا السجن ، فاسأل الله بحق محمد وأهل بيته أن يخلصك مما أنت فيه . فقال يوسف اللهم اني اسألك بحق محمد وأهل بيته إلا عجلت فرجي وأرحتني مما أنا فيه . قال جبرئيل : فابشر أيها الصديق

فإن الله يخرجك من السجن الى ثلاثة أيام ويملكك مصر وأهلها ، فلم يلبث يوسف إلا تلك الليلة حتى رأى الملك رؤيا افزعته ، فقصها على أعوانه ، فلم يدروا ما تأويلها ، فذكر الغلام الذي نجا من السجن يوسف فقال أيها الملك ارسلني الى السجن فإن فيه رجلاً حليماً عليماً وقد كنت أنا وفلان اغتضبت علينا وأمرت بحبسنا ، رأينا رؤيا فعبرها لنا وكان كما قال ، ففلان صلب وأما أنا فنجيت فقال له الملك انطلق اليه ، فدخل وقال : يوسف إفتنا في سبع بقرات ... فلما بلغ رسالة يوسف الملك قال (إئتوني به استخلصه لنفسي) . فلما بلغ يوسف رسالة الملك قال كيف ارجو كرامته وقد عرف براءتي وحبسني سنين . فلما سمع الملك أرسل الى النسوة فقال ما خطبكن؟ قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء . فأرسل اليه وأخرجه من السجن . فلما كلمه أعجبه كلامه وعقله . فقال أقصص رؤياي فإني أريد أن أسمعها منك ؟ فذكره يوسف كما رأى وفسره . قال الملك صدقت فمن لي بجمع ذلك وحفظه ؟ فقال يوسف ان الله أوحى إليّ اني مدبره والقيم فيتلك السنين السبع الخصيبة يكبسه في الخزائن في سنبله.

ثم أقبلت السنون الجدبة ، أقبل يوسف على جميع الطعام فباعهم بالسنة الأولى بالدراهم والدنانير حتىلم يبقَ بمصر وما حولها درهم ولا دينار إلا صار فيمملكة يوسف، وباعهم في السنة الثانية بالحلى والجواهر ، وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي ، وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والاماء ، وباعهم في السنة الخامسة بالدور والعقار ، وباعهم في السنة السادسة بالمزارع والأنهار، وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا حر إلا صار في مملكة يوسف عليه السلام وصاروا عبيداً له . فقال يوسف للملك : ما ترى فيما خولني ربي ؟ قال الرأي رأيك قال : إني أشهد الله وأشهدك أيها الملك اني اعتقت أهلمصر كلهم ورددت عليهم أموالهم وعبيدهم ورددت عليك خاتمك وسريرك وتاجك . على أن لا تسير إلا بسيرتي ولا تحكم إلا بحكمي ، فقال له الملك : ان ذلك لديني وفخري ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وانك رسوله ... الحديث .

وقال في (العرائس) : فلما تبين للملك عذر يوسف وعرف أمانته وكفايته وعقله (قال إئتوني به استخلصه لنفسي فلما جاءه الرسول) قال أجب الملك الآن فخرج يوسف ودعا لأهل السجن بدعاء يعرف الى اليوم ، وذلك انه قال: اللهم إعطف عليهم قلوب الأخيار ولا تعم عليهم الأخبار ، فهم أعلم الناس بالأخبار الى اليوم في كل بلدة ، فلما خرج من السجن كتب على بابه : (**هذا قبر الأحياء وبيت الأحزان وتجربة**

الاصدقاء وشماتة الأعداء) ثم اغتسل وتنظف وقصد الملك فلما ان نظر الى الملك سلم عليه يوسف بالعربية ، فقال له الملك : ما هذا اللسان ؟ قال : لسان عمي اسماعيل ، ثم دعا بالعبرانية ، فقال له الملك ما هذا اللسان ؟ قال لسان آبائي ، وكان الملك يتكلم بسبعين لساناً ، فلما كلمه الملك يوسف بلسان أجابه يوسف بذلك اللسان ، فأعجب الملك بما رأى منه ، وكان يوسف عليه السلام ابن ثلاثين سنة ، فلما رأى الملك حداثة سنه وغزارة علمه، قال لمن عنده : إن هذا علم تأويل رؤياي، ولم تعلمه السحرة والكهنة، ثم قال له : إني احب أن أسمع رؤياي منك شفاهاً ؟ فقال يوسف نعم ، أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب حسان غر كشف لك عنهن النيل فطلعن لك من شاطئه تشخب اخلافهن لبناً ، فبينا أنت تنظر اليهن ويعجبك حسنهن إذ نضب النيل وغار ماؤه وبدا قعره وخرج من حمأته ووحله سبع بقرات عجاف شعث ليس لهن ضروع ولا خلاف ولهن أنياب وأضراس وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع، فاختلطن بالسمان فافترسهن افتراس السبع وأكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ، فبينا أنت تتعجب إذا سبع سنابل خضر وسبع سنابل اخر سود في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء ، فبينا أنت تقول : إني هذا وهؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد وأصولهن في الماء ، إذ هبّت ريح فذرت الارفات من السود اليابسات على الخضر المثمرات فأشعلت فيهن النار فأحرقتهن فصرن سوداً متغيرات ، فهذا آخر ما رأيت من الرؤيا .

وعن محمد بن مسلم قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : اخبرني عن يعقوب كم عاش مع يوسف بمصر ؟ قال : عاش حولين ، وكان يعقوب هو الحجة ، وكان الملك ليوسف ، فلما مات يعقوب حمله يوسف في تابوت الى أرض الشام فدفنه في بيت المقدس ، فكان يوسف بعده هو الحجة .

(الخرائج) عن ابي محمد عليه السلام في قوله تعالى: (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) قال عليه السلام : ما سرق يوسف ، إنما كان ليوسف منطقة ورثها من ابراهيم ، وكانت تلك المنطقة لا يسرقها احد إلا استعبد فكان إذا سرقها إنسان نزل عليه جبرئيل عليه السلام فأخبره بذلك ، فأخذ منه وأخذ عبداً ، وإن المنطقة كانت عند سارة بنت اسحاق بن ابراهيم ، وكانت سميت ام اسحاق ، وإن سارة أحبت يوسف وأرادت أن تتخذه ولداً لها ، وإنما أخذت المنطقة فربطتها على وسطه ثم سدلت عليه سرباله ، وقالت : يعقوب ان المنطقة سرقت ، فأتاه جبرئيل فقال : يا يعقوب ان المنطقة مع

يوسف، ولم يخبره بخبر ما صنعت سارة، لما أراد الله، فقام يعقوب الى يوسف واستخرج المنطقة ، فقالت سارة بنت اسحاق مني سرقها يوسف فأنا احق به ، فقال لها يعقوب: فإنه عبدك على أن لا تبيعيه ولا تهبيه. قالت فأنا اقبله على أن لا تأخذه مني وأنا اعتقه الساعة ، فأعتقته ... الحديث .

وروي انه لما قال للفتى : (اذكرني عند ربك) أتاه جبرئيل عليه‌السلام فضرب برجله حتى كشط له عن الأرض السابعة ، فقال له : يا يوسف انظر ماذا ترى ؟ فقال أرى حجراً صغيراً ففلق الحجر، فقال : ماذا ترى؟ قال دودة صغيرة . قال : فمن رازقها؟ قال الله . قال فإن ربك يقول : لم انس هذه الدودة في ذلك الحجر في قعر الارض السابعة، أظننت اني أنساك حتى تقول للفتى « اذكرني عند ربك » ؟ لتلبثن في السجن بمقالتك هذه بضع سنين . قال فبكى يوسف عند ذلك حتى بكت لبكائه الحيطان ، فتأذى به أهل السجن ، فصالحهم على أن يبكي يوماً ويسكت يوماً فكان اليوم الذي يسكت اسوء حالاً .

(العياشي) عن هشام بن صالح عن ابي عبد الله عليه‌السلام قال : ما بكى احد بكاء ثلاثة : آدم ويوسف وداود .

أما آدم فبكى حين أخرج من الجنة وكان رأسه في باب من أبواب السماء فبكى حتى تأذى به أهل السماء ، فشكوا ذلك الى الله ، فحط من قامته .

وأما داود فإنه بكى حتى هاج العشب من دموعه وإن كان ليزفر الزفرة فيحرق ما نبت من دموعه .

وأما يوسف فإنه كان يبكي على أبيه يعقوب وهو في السجن ، فتأذى به أهل السجن ، فصالحهم على أن يبكي يوماً ويسكت يوماً .

وفيه عن حفص بن غياث عن ابي عبد الله عليه‌السلام قال : كان سبق يوسف الغلاء الذي أصاب الناس ولم يتمن الغلاء لأحد قط ، قال : فأتاه التجار فقالوا : بعنا ؟ فقال إشتروا ، فقالوا نأخذ كذا بكذا ؟ قال خذوا ، وأمر فكالوهم فحملوا ومضوا حتى دخلوا المدينة فلقيهم قوم من التجار فقالوا لهم : كيف اخذتم ؟ قالوا كذا بكذا وضاعفوا الثمن . قال وقدم اولئك على يوسف ، فقالوا بعنا ؟ فقال إشتروا كيف تأخذون؟ قالوا بعنا كما بعت كذا بكذا؟ فقال ما هو كما يقولون ولكن خذوا فأخذوا

ثم مضوا حتى دخلوا المدينة فلقيهم آخرون فقالوا كيف اخذتم ؟ فقالوا كذا بكذا ، وضاعفوا الثمن ، قال : فعظم الناس ذلك البلاء وقالوا إذهبوا بنا حتى نشتري قال : فذهبوا الى يوسف فقالوا بعنا ؟ فقال اشتروا . فقالوا بعنا كما بعت ؟ فقال وكيف بعت ؟ قالوا كذا بكذا . فقال ما هو كذلك، ولكن خذوا . قال فأخذوا ورجعوا الى المدينة ، فأخبروا الناس ، فقالوا فيما بينهم تعالوا نكذب في الرخص كما كذبنا في الغلاء . قال فذهبوا الى يوسف فقالوا له بعنا ؟ فقال اشتروا . فقالوا بعنا كما بعت ؟ قال كيف بعت ؟ قالوا كذا بكذا . بالحط من السعر الأول . فقال ما هو كذا ، ولكن خذوا . قال فأخذوا وذهبوا الى المدينة . فلقيهم الناس فسألوهم بكم اشتريتم ؟ فقالوا كذا بكذا بنصف الاول . فقال آخرون اذهبوا بنا حتى نشتري . فذهبوا الى يوسف فقالوا بعنا ؟ فقال اشتروا . فقالوا بعنا كما بعت ؟ قال كيف بعت ؟ فقالوا كذا بكذا ؟ بالحط من النصف . فقال ما هو كما تقولون ولكن خذوا ، فلم يزالوا يتكاذبون حتى رجع السعر الى الأخير كما كان الأول . كما أراد الله تعالى .

وعن ابن عباس عن رسول الله ﷺ انه قال : رحم الله اخي يوسف لو لم يقل (إجعلني على خزائن الأرض) لولاه عن ساعته ولكن اخر ذلك سنة

وروى العياشي عن جابر عن ابي عبدالله عليه السلام قال : ان يعقوب ذهب الى عابد من العباد في حاجة ، فقال له الراهب فما بلغ بك مما أرى من الكبر ؟ قال : الهم والحزن . فما جاوز الباب حتى اوحى الله اليه ان يا يعقوب شكوتني الى العباد ؟ فخر ساجداً عند عتبة الباب يقول لا اعود . فأوحى الله اليه اني قد غفرتها لك فلا تعودن الى مثلها . فما شكا شيئاً مما أصابه من نوائب الدنيا إلا انه قال يوماً (إنما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم ما لا تعلمون) .

وروي عن محمد بن اسماعيل رفعه باسناده له قال : أن يعقوب وجد ريح قميص يوسف من مسيرة عشرة ليال وكان يعقوب ببيت المقدس ويوسف بمصر . وهو القميص الذي نزل على ابراهيم من الجنة . فدفعه الى اسحاق وإسحاق الى يعقوب ودفعه يعقوب الى يوسف عليه السلام .

وروي ان يوسف عليه السلام لما مات بمصر دفنوه في النيل في صندوق من رخام . وذلك انه لما مات تشاح الناس عليه ، كل يحب أن يدفن في محلته ، لما كانوا يرجون من بركته ، فأرادوا أن يدفنوه في النيل ، فيمر الماء عليه ثم يصل الى جميع مصر ،

فيكون كلهم فيه شركاء وفي بركته شرعاً سواء ، فكان قبره في النيل الى ان حمله موسى عليه السلام حين خرج من مصر .

(خاتمة) في تأويل قوله تعالى : (ولقد همّت به وهمّ بها لولا ان رأى برهان ربه): فقد اختلف فيه علماء الاسلام ، ونسب بعضهم نبي الله الصديق الى الفاحشة التي نزهوا أنفسهم عنها .

فقال فخر الدين الرازي : إعلم ان هذه الآية من المهمات التي يجب الاعتناء بالبحث عنها ، وفي هذه الآية مسائل :

المسألة الاولى — في انه عليه السلام هل صدر عنه ذنب ؟ أم لا . وفي المسألة قولان :

أحدهما — انه عليه السلام همّ بالفاحشة .

قال الواحدي في (كتاب البسيط : قال المفسرون والموثوق بعلمهم المرجوع الى روايتهم : همّ يوسف أيضاً بهذه المرأة همّا صحيحاً وجلس منها مجلس الرجل من المرأة فلما رأى البرهان من ربه ، زالت كل شهوة عنه .

قال ابو جعفر الباقر عليه السلام باسناده عن علي عليه السلام انه قال : طمعت وطمع فيها ، وكان طمعه فيها أنه هم أن يحل التكة .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : حل الهميان وجلس منها مجلس الخائن .

وعنه أيضاً : أنها استقلت له وقعد لها بين رجليها ينزع ثيابه .

ثم ان الواحدي طول في كلمات عديمة الفائدة في هذا الباب ، وما ذكر آية يحتج بها او حديثاً صحيحاً يعول عليه في تصحيح هذه المقالة ، ولما أمعن في الكلمات العارية عن الفائدة .

روي ان يوسف لما قال: (ليعلم ذلك أنه لم أخنه بالغيب) قال له جبرئيل عليه السلام ولا حين هممت يا يوسف ؟ فقال يوسف عند ذلك : (وما ابرىء نفسي) ثم قال : والذين أثبتوا هذا العمل ليوسف كانوا اعرف بحقوق الأنبياء وارتفاع منازلهم عند الله من الذين نفوا الهم عنه . فهذا خلاصة كلامه في هذا الباب .

القول الثاني — ان يوسف صلوات الله عليه كان بريئاً من العمل الباطل والهم المحرم، وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول عنه ونذب .

واعلم إن الدلائل الدالة على وجود عصمة الأنبياء عليهم السلام كثيرة ذكرناها في سورة البقرة فلا نعيدها إلا انا نزيد هاهنا وجوهاً :

فالحجة الأولى : إن الزنا من منكرات الكبائر ، والخيانة من معرض الأمانة من منكرات الذنوب وأيضاً مقابلة الإحسان العظيم الدائم بالاساءة الموجبة للفضيحة الباقية ، والعار الشديد من منكرات الذنوب ، وأيضاً الصبي إذا تربى في حجر إنسان وبقي مكفي المؤونة مصون العرض من أول صباه الى زمان شبابه وكال قوته ، فاقدام هذا الصبي على إيصال أقبح أنواع الإساءة الى ذلك المنعم العظيم من منكرات الاعمال إذا ثبت هذا، فنقول : إن هذه المعصية التي نسبوها الى يوسف كانت موصوفة بجميع هذه الأربعة ، ومثل هذه المعصية لو نسبت الى أفسق خلق الله لاستنكف منه ، فكيف يجوز اسناده الى الرسول المؤيد بالمعجزات . ثم انه تعالى قال في عين هذه الواقعة : (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) وذلك يدل على إن ماهية الفحشاء مصروفة عنه . ولا شك أن المعصية التي نسبوها اليه أفحش أقسام الفحشاء ، فكيف يليق برب العالمين أن يشهد في عين هذه الوقعة بكونه بريئاً من السوء والفحشاء ، مع أنه كان قد أتى بأعظم أنواع السوء والفحشاء أيضاً .

فالآية تدل على قولنا من وجه آخر ، وذلك لأنا نقول هب إن هذه الآية لا تدل على نفي هذه المعصية عنه، إلا أنه لا شك أنها تفيد المدح العظيم والثناء البالغ ولا يليق بحكمة الله تعالى أن يحكي عن إنسان إقدامه على معصية عظيمة ، ثم إنه يمدحه ويثني عليه بأعظم المدائح، عقيب أن يحكي عنه ذلك الذنب العظيم ، فإن مثاله ما إذا حكى السلطان عن بعض عبيده أقبح الذنوب وأفحش الأعمال، ثم يذكره بالمدح العظيم والثناء البالغ عقيبه ، فإن ذلك يستنكر جداً ، فكذا هاهنا .

الثالث – ان الأنبياء متى صدرت عنهم زلة او هفوة استعظموا ذلك واتبعوها باظهار الندامة والتوبة ، ولو كان يوسف هاهنا على هذه الكبيرة المنكرة ، لكان من المحال أن لا يتبعها بالتوبة والاستغفار ، ولو أتي بالتوبة لحكى الله عنه إتيانه بها ، كما في سائر المواضع وحيث لم يوجد شيء ، من ذلك علمنا أنه ما صدر عنه في هذه الواقعة ذنب ولا معصية .

الرابع – إن كل من له تعلق بتلك الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام عن المعصية .

واعلم إن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة : يوسف وتلك المرأة وزوجها والنسوة والشهود، ورب العالمين شهد ببراءته عن الذنب، وإبليس أيضاً أقر ببراءته من المعصية. وإذا كان الأمر كذلك فحينئذ لم يبقَ للمرء المسلم توقف في هذا الباب .

أما بيان أن يوسف عليه السلام أدعى البراءة من الذنب فهو قوله عليه السلام : (هي راودتني عن نفسي) وقوله : (رب السجن أحب إليّ مما يدعونني اليه) .

وأما بيان ان المرأة اعترفت بذلك ، فلأنها قالت للنسوة (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) وأيضاً قالت : (الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) .

وأما بيان إن زوج المرأة أقر بذلك ، فهو قوله : (انه من كيدكن إن كيدكن عظيم * يوسف إعرض عن هذا واستغفري لذنبك) .

وأما الشهود : فقوله : (شهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قدّ من قبل ؛ . .) الى آخر الآية .

وأما شهادة الله فقوله : (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء أنه من عبادنا المخلصين) . فقد شهد الله في هذه الآية على طهارته سبع مرات :

اولها ـ قوله : (لنصرف عنه السوء) واللام للتأكيد والمبالغة .

والثاني ـ قوله : (والفحشاء) أي كذلك يصرف عنه الفحشاء .

والثالث ـ قوله : (من عبادنا المخلصين) مع انه قال تعالى : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) .

الرابع ـ قوله : (المخلصين) وفيه قراءتان، تارة باسم الفاعل وتارة باسم المفعول، فوروده باسم الفاعل دلّ على كونه إتياناً بالطاعات والقربات مع صفة الاخلاص ووروده باسم المفعول يدل على ان الله تعالى أخلصه لنفسه ، وعلى كلا الوجهين فإنه من أدل الالفاظ على كونه منزهاً مما أضافوه اليه .

وأما بيان ان إبليس أقر بطهارته فلأنه قال : (فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين) فأقر بأنه لا يمكنه إغواء المخلصين ، ويوسف من المخلصين لقوله تعالى : (انه من عبادنا المخلصين) وكان هذا إقرار من إبليس ، بأنه ما أغواه وما

أضله عن طريق الهدى. وعند هذا، فقول هؤلاء الجهال الذين نسبوا الى يوسف عليه السلام هذه الفضيحة إن كانوا من أتباع دين الله فليقبلوا شهادة الله على طهارته، وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده فليقبلوا شهادة إبليس على طهارته، ولعلهم يقولون كنا في ابتداء الأمر تلامذة إبليس إلا إنا زدنا عليه في السفاهة، كما قال الحروري:

وكنت فتى من جند إبليس فارتقى ... بي الأمر حتى صار إبليس من جندي
فلو مات قبلي كنت أحسن بعده ... طرائق فسق ليس يحسنها بعدي.

فثبت بهذه الدلائل أن يوسف عليه السلام بريء عما يقوله هؤلاء الجهال، وإذا عرفت هذا، فنقول: الكلام على ظاهر هذه الآية يقع في مقامين:

(المقام الاول) أن نقول لا نسلم أن يوسف عليه السلام (همّ بها) والدليل أنه تعالى قال: (وهم بها لولا ان رأى برهان ربه) وجواب (لولا) هاهنا مقدم، وهو كما يقال قد كنت من الهالكين، لولا اخلصك.

ثم ذكر للزجاج سؤالات وأجاب عنها، ثم قال:

(المقام الثاني) في الكلام على هذه الآية أن نقول: سلمنا ان الهم قد حصل إلا انا نقول: أن قوله (وهم بها) لا يمكن حمله على ظاهره، لأن تعليق الهم بذات المرأة محال، لأن الهم من جنس القصد، ولا يتعلق بالذوات الباقية، فثبت أنه لا بد من اظهار فعل مخصوص يجعل متعلق ذلك الهم، وذلك الفعل غير مذكور، فهم زعموا أن ذلك المضمر هو إيقاع الفاحشة، ونحن نضمر شيئاً يغاير ما ذكروه. وبيانه من وجوه:

(الوجه الاول) أنه عليه السلام: هم بدفعها عن نفسه ومنعها من ذلك القبيح لأن الهم هو القصد. فوجب أن يحمل في كل واحد على القصد الذي يليق به، فاللائق بالمرأة القصد الى تحصيل اللذة والتمتع، والقصد اللائق بالرسول المبعوث الى الخلق وإلى زجر العاصي عن معصيته، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هممت بفلان، أي بضربه ودفعه، فإن قالوا: فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله: (لولا ان رأى برهان ربه) فائدة.

قلنا: فيه أعظم الفوائد وهو أنه تعالى أعلم يوسف عليه السلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه فربما تعلقت به، فكان يتمزق ثوبه من قدام، وكان في علم الله تعالى: إن

الشاهد يشهد أن ثوبه لو تمزق من قدام ، لكان يوسف عليه السلام هو الجاني ، ولو كان ثوبه متمزقاً من خلفه ، لكانت المرأة هي الخائنة . فالله تعالى أعلمه هذا العلم ، فلا جرم لم يشتغل بدفعها عن نفسه ، بل ولى هارباً عنها حتى صارت شهادة الشاهد حجة على براءته عن المعصية .

(الوجه الثاني) في الجواب أن : نفسر الهم بالشهوة ، وهذا مستعمل في اللغة فمعنى الآية ولقد اشتهته واشتهاها (لولا ان رأى برهان ربه) لدخل ذلك العمل في الوجود .

(الوجه الثالث) أن نفسر الهم ، بحديث النفس . وذلك لأن المرأة الفائقة في الحسن والجمال إذا تزينت وتهيأت للرجل الشاب القوي ، فلا بد وأن يقع هناك بين الشهوة والحكمة وبين النفس والعقل مجاذبات ومنازعات ، فتارة تقوى داعية الطبيعة والشهوة ، وتارة تقوى داعية العقل والحكمة ، فالهم عبارة عن جواب الطبيعة ورؤية البرهان عبارة عن جواذب العبودية ، ومثاله الرجل الصالح القائم في الصيف الصائم إذا رأى الجلاب المبرد بالثلج ، فإن طبيعته تحمله على شربه ، إلا أن دينه يمنعه منه ، هذا لا يدل على حصول الذنب ، بل كلما كانت هذه الحالة أشد ، كانت القوة في القيام بلوازم العبودية أكمل ، فقد ظهر بحمد الله صحة القول الذي ذهبنا اليه ولم يبقَ في يد الواحدي إلا مجرد التصلف وتعديد أسماء المفسرين . واعلم أن بعض الحشوية روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما كذب ابراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات !! فقلت الاولى أن لا تقبل مثل هذه الاخبار فقال على طريق الاستنكار : فإن لم تقبله لزمنا تكذيب الرواة ؟ فقلت يا مسكين ان قبلنا لزمنا الحكم بتكذيب ابراهيم عليه السلام ، وإن رددنا لزمنا الحكم بتكذيب الرواة ، ولا شك ان صون ابراهيم عن الكذب أولى من صون طائفة من المجاهيل عن الكذب .

إذا عرفت هذا الأصل فنقول للواحدي : ومن الذي يضمن أن الذي نقلوا هذا القول عن هؤلاء المفسرين كانوا صادقين أم كاذبين .

المسألة الثالثة — في أن المراد بذلك البرهان ما هو ؟ أما المحققون المثبتون للعصمة فقد فسروا رؤية البرهان بوجوه :

(الأول) أنه حجة الله تعالى في تحريم الزنا والعلم بما على الزاني من العقاب .

(الثاني) ان الله تعالى طهر نفوس الأنبياء عن الاخلاق الذميمة ، بل نقول : ان الله تعالى طهر نفوس المتصلين بهم عنها ، كما قال : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) او المراد برؤية البرهان هو حصول تلك الاخلاق وتذكير الأحوال المردعة لهم عن الاقدام على المنكرات .

(الثالث) انه رأى مكتوباً في سقف البيت (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً) .

(الرابع) انه النبوة المانعة عن ارتكاب الفواحش ، والدليل عليه : إن الانبياء بعثوا لمنع الخلق عن القبائح والفضائح ، فلو أنهم منعوا الناس عنها ، ثم أقدموا على أقبح أنواعها وأفحش أقسامها لدخلوا تحت قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) .

وأيضاً ان الله عيَّر اليهود بقوله : (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) وما يكون عيباً في حق اليهود ، كيف ينسب الى الرسول المؤيد بالمعجزات .

وأما الذين نسبوا المعصية الى يوسف فقد ذكروا في تفسير ذلك البرهان أموراً :

(الأول) قالوا أن المرأة قامت الى صنم مكلل بالدر والياقوت في زاوية البيت ، فسترته بثوب وقالت استحي من إلهي هذا أن يراني على المعصية ، فقال يوسف : تستحين من صنم لا يعقل ولا يسمع ، ولا استحي من إلهي القائم على كل نفس بما كسبت ، فوالله لا أفعل أبداً .

(الثاني) نقلوا عن ابن عباس ، انه مثل له يعقوب عليه السلام فرآه عاضاً على أصابعه ويقول له : لتعمل عمل الفجار ، وأنت مكتوب في زمرة الأنبياء عليهم السلام ؟ فاستحى منه . وهو قول عكرمة ومجاهد وكثير من المفسرين .

قال سعيد بن جبير : تمثل له يعقوب عليه السلام فضرب في صدره فخرجت شهوته من أنامله .

(الثالث) قالوا انه سمع في الهواء قائلاً يقول : يا بن يعقوب لا تكن كالطير له ريش فإذا زنى ذهب ريشه .

(الرابع) نقلوا عن ابن عباس أن يوسف عليه السلام لم يزدجر برؤية يعقوب حتى ركضه جبرئيل عليه السلام فلم يبقَ فيه شيء من الشهوة إلا خرج .

ولما نقل الواحدي هذه الروايات تصلف وقال : هذا الذي ذكرناه قول أئمة المفسرين الذين اخذوا التأويل عمن شاهد التنزيل ؟ فيقال له : انك لا تأتينا البتة إلا بهذه التصلفات التي لا فائدة فيها فأين الحجة والدليل ، وأيضاً فإن ترادف الدلائل على الشيء الواحد جائز ، وإنه عليه السلام كان ممتنعاً عن الزنا بحسب الدلائل الأصلية . فلما انضاف اليها هذه الزواجر ، قوى الانزجار وكمل الاحتراز . والعجيب أنهم نقلوا ان جرواً دخل تحت حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وبقي هناك بغير علمه ، قالوا فامتنع جبرئيل عليه السلام من الدخول عليه اربعين يوماً وهاهنا زعموا أن يوسف عليه السلام حال اشتغاله بالفاحشة ذهب اليه جبرئيل عليه السلام .

والعجب أيضاً أنهم زعموا أنه لم يمتنع عن ذلك العمل بسبب حضور جبرئيل عليه السلام . ولو ان افسق الخلق كان مشغولاً بفاحشة ، فإذا دخل عليه رجل صالح على زي الصالحين استحى منه وفرّ ، وترك ذلك العمل ، وهاهنا رأى يعقوب عض على أنامله ولم يلتفت .

ثم ان جبرئيل عليه السلام على جلالة قدره ، دخل عليه فلم يمتنع عن ذلك القبيح بسبب حضوره ، حتى احتاج جبرئيل الى ركضه على ظهره !

فنسأل الله تعالى أن يصوننا عن العمى في الدين والخذلان في طلب اليقين .

فهذا هو الكلام الملخص في هذه المسألة ، انتهى كلامه ، وتسلطه على الواحدي فيما قمع به أساس كلامه ، هو مذهب أصحابنا قدس الله أرواحهم .

والوجهان اللذان اختارهما ، أومى الرضا عليه السلام الى احدهما في حديث ابي الصلت الهروي حيث قال : وأما قوله عز وجل في يوسف : (ولقد همّت به وهمّ بها) فإنها همّت بالمعصية ، وهمّ يوسف بقتلها إن أجبرته، لعظم ما داخله ، فصرف الله عنه قتلها والفاحشة وهو قوله (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) يعني الزنا وأشار اليهما معاً في خبر ابن الجهم حيث قال : (لقد همّت به ولولا إن رأى برهان ربه) لهم بها كما همّت به ، لكنه كان معصوماً ، والمعصوم لا يهم بذنب ولا يأتيه ولقد حدثني ابي عن ابيه الصادق عليهما السلام انه قال : همّت بأن تفعل وهم بما لا يفعل .

أقول : لا يتوهم خطأ في قصده القتل إذ الدفع عن الفرض والاحتراز عن المعصية

لازم ، وإن انجر الى القتل ، ولكنه تعالى نهاه عن ذلك ، لمصالح كثيرة ، وقد ظهر حقيقة الحال ، فما ورد في روايتنا مما يوافق العامة فأحمله على التقية .

ثم قال الرازح : وأمـــا قوله : (وخروا له سجداً) ففيه اشكال ، وذلك لأن يعقوب عليه السلام كان أبا يوسف ، وحق الابوة حق عظيم ، وأيضاً انـــه كان شيخاً ، والشاب يجب عليه تعظيم الشيخ .

والثالث — أنه كان من أكابر الأنبياء ، إلا أن يعقوب عليه السلام كان أعلى حالاً منه .

الرابع — ان جده واجتهاده في تحصيل الطاعات اكثر من جد يوسف .

ولمـــا اجتمعت هذه الجهات الكثيرة ، فهذا يوجب أن يبالغ يوسف في خدمة يعقوب ، فكيف استجاز يوسف أن يسجد له يعقوب هذا على تقرير السؤال ؟

والجواب عنه من وجوه :

الاول — هو قول ابن عباس : إن المراد بهذه الآية أنهم : (خروا له سجداً) أي لأجل وجدانه سجدوا لله : وحاصله أنه كان ذلك سجود الشكر ، فالمسجود له هو : الله ، إلا أن ذلك السجود إنما كان لأجله .

والدليل على صحة هذا التأويل ان قول ورفع أبويه على العرش (وخروا له سجداً) مشعر بأنهم صعدوا ذلـــك السرير ، ثم سجدوا ، ولو أنهم سجدوا ليوسف عليه السلام لسجدوا له قبل الصعود الى السرير ، لأن ذلـك أدخل في التواضع ، وحينئذ فيكون المراد من قوله : (اني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) أي رأيتهم ساجدين لأجلي ، أي انهـا سجدت لله ، لطلب مصلحتي والسعي في إعلاء منصبي . وعندي ان هذا التأويل متعين ، لأنه يبعد من عقل يوسف ودينه، أن يرضى بأن يسجد له أبوه مع سابقته في حقوق الولاة والشيخوخة والعلم والدين وكال النبوة .

الوجه الثاني — في الجواب أن يقال أنهم جعلوا يوسف كالقبلة وسجدوا لله شكراً لنعمة وجدانه ، كما يقال سجدت للكعبة . قال حسان :

ما كنت أعرف أن الأمر منصرف عن هاشم ثم منها عن ابي حسن
أليس أول من صلى لقبلتكم واعرف النـاس بالآثار والسنن

فقوله: (وخروا له سجداً) أي جعلوه كالقبلة، ثم سجدوا لله شكراً لنعمة وجدانه.

الوجه الثالث – في الجواب أن التواضع قد يسمى سجوداً . كقوله : (ترى الاكم فيها سجداً للحوافر) .

إلا أن هذا مشكل لأنه تعالى قال : (وخروا له سجداً) والخرور الى السجدة مشعرة بالاتيان بالسجدة على أكمل الوجوه . وأجيب عنه بان الخرور ، يعني بـه المرور فقط .

قال الله تعالى : (لم يخروا عليها صماً وعمياناً) يعني لم يمروا .

الوجه الرابع – في الجواب أن نقول : الضمير في قوله : (وخروا له) غير عايد الى الابوين لا محالة ، وإلا لقال : (وخروا له ساجدين) بـل الضمير عايد الى اخوته وإلى ساير من كان يدخل عليه ، لأجل التهنئة . فالتقدير : ورفع أبويـه على العرش مبالغة في تعظيمها .

وأمـا الاخوة وسائر الداخلين ، فخرو له ساجدين ، وإن قالوا : فهذا لا يلائم قوله : يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل .

قلنـا : أن تعبير الرؤيا لا يجب أن يكون مطابقاً للرؤيا ، حسب الصورة والصفة من كل الوجوه، فسجود الكواكب والشمس والقمر، تعبيره تعظيم الأكابر من الناس له.

ولا شك ان ذهاب يعقوب مع اولاده من كنعان الى مصر لأجل نهـاية التعظيم له فيكفي هذا القدر في صحة الرؤيا ، فأما أن يكون التعبير في الصفة والصورة فلم يقل بوجوبه أحد من العقلاء .

الوجه الخامس في الجواب – لعل الفعل الدال على التحية والإكرام في ذلك الوقت، هو السجود ، فكان مقصودهم من السجود تعظيمه ، وهو في غـاية البعد ، لأن المبالغة في التعظيم كان أليق بيوسف منها بيعقوب . فـلو كان الأمر كما قلتم لكان من الواجب أن يسجد يوسف ليعقوب .

الوجه السادس فيه – أن يقال لعـل إخوته حملتهم الانفة والاستعلاء على أن يسجدوا له ، على سبيل التواضع، وعلم يعقوب أنهم لو لم يفعلوا ذلك لصار ذلك سبباً لثوران الفتن وظهور الاحقاد القديمـة مع كونها ، فهو عليه‌السلام مـع جلالة قدره وعظيم حقه بسبب الابوة والتقدم في النبوة ، فعل ذلك السجود حتى تصير مشاهدتهم لذلك ، سبباً لزوال تلك الانفة والنفرة عن قلوبهم .

ألا ترى أن السلطان الكبير إذا نصب محتسباً ، فإذا أراد تربيته مكنه من إقامة الحسبة عليه ، ليصير ذلك سبباً في أن لا يبقى في قلب أحد منازعة ذلك المحتسب في إقامة الحسبة ، فكذلك هاهنا .

الوجه السابع — لعل الله تعالى أمر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية لا يعرفها إلا هو ، كما أمر الملائكة بسجودهم لآدم ، لحكمة لا يعرفها إلا هو ويوسف عليه السلام ما كان راضياً بذلك في قلبه ، إلا أنه لما علم أن الله امره بذلك سكت ، انتهى .

أقول : أفعال الأنبياء عليهم السلام غير محتاجة الى هذه التكلفات ، لأن النبي لا ينطق عن الهوى .

وهذا السجود الذي رآه يوسف عليه السلام في المنام ، ومنام الأنبياء نوع من الوحي . فما أوحى الى يوسف في المنام أوحاه الى يعقوب في اليقظة ، كما أن رؤيا ابراهيم ذبح ولده ، صار سبباً لوجوب ذلك الذبح عليه في اليقظة .

وسواء كان ذلك السجود ليوسف عليه السلام او لله تعالى شكراً على الوجدان او غير ذلك لا أشكال فيه ، لأن السجود ليوسف اذا كان بأمر الله تعالى فهو سجود لله ، لأنه وقع امتثالاً لأمره كالسجود الى القبلة دون باقي الجهات .

والله اعلم ورسوله وأهل بيته المعصومون سلام الله عليهم أجمعين .

الباب العاشر

في قصص أيوب عليه السلام

قال الله تعالى في سورة الأنبياء : (وأيوب إذ نادى ربه اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين . فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) .

وقال في سورة ص : (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب . اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب . ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب . وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابراً نعم العبد انه أواب) .

قال امين الإسلام الطبرسي طاب ثراه : أي (واذكر ايوب) حين دعا (ربه) لما اشتدت المحنة به : (اني مسني الضر) أي نالني وأصابني الجهد (وانت ارحم الراحمين) .

وهذا تعريض منه بالدعاء لازالة ما به من البلاء (بنصب وعذاب) اي متعب ومكروه ومشقة . وقيل : بوسوسة ، فيقول له طال من ضرك ولا يرحمك ربك .

وقيل : بأن يذكره ما كان فيه من نعم الله تعالى ، وكيف زال ذلك كله طمعاً ان يزله بذلك ، فوجده صابراً مسلماً لأمر الله .

وقيل : انه اشتد مرضه حتى تجنبه الناس فوسوس الشيطان الى الناس ان يستقذروه ويخرجوه من بينهم ولا يتركوا امرأته التي تخدمه ان تدخل عليهم ، فكان أيوب يتأذى بذلك ويتألم منه ولم يشك الالم الذي كان من أمر الله .

قال قتادة : دام ذلك سبع سنين . وروي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام .

(اركض برجلك) أي ادفع برجلك الأرض (هذا مغتسل بارد وشراب) وفي الكلام حذف ، أي فركض برجله فنبعت بركضته عين ماء .

(وخذ بيدك ضغثاً) وهو ملأ الكف من الشماريخ وما أشبه ذلك أي وقلنا له ذلك . وذلك انه حلف على امرأته لأمر أنكره من قولها إن عوفي : ليضربنها مائة جلدة . فقيل له : خذ ضغثاً بعدد ما حلفت فاضربها به دفعة واحدة . فانك اذا فعلت برت يمينك (ولا تحنث) أي يمينك .

(وروي) عن ابن عباس انه قال: كان السبب في ذلك ان ابليس لقيها في صورة طبيب فدعته الى مداواة أيوب. فقال اداويه على انه اذا برء يقول انت شفيتني ولا اريد جزاءاً سواه ؟ فقالت نعم ، فأشارت الى ايوب بذلك فحلف ليضربنها .

(انه اواب) اي رجاع الى الله منقطع اليه .

(روى العياشي) باسناده ان عباد الملكي قال : قال لي سفيان الثوري : اني أرى لك من أبي عبد الله منزلة فاسأله عن رجل زنى وهو مريض فان أقيم عليه الحد خافوا ان يموت ما يقول فيه . فسألته فقال لي : هذه المسألة من تلقاء نفسك أو أمرك بها انسان؟ فقلت ان سفيان الثوري أمرني ان اسألك عنها فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله اتى برجل احبن ـ يعني به الاستسقاء ـ قد استسقى وبدت عروقه وقد زنى بامرأة مريضة . فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله فاتي بعرجون فيه شمراخ . فضرب به ضربة وخلى سبيله . رواه الصدوق في (الفقيه) بسند صحيح .

(الكافي) عن ابي عبد عليه السلام قال : ان الله عز وجل يبتلي المؤمن بكل بلية ويميته بكل ميتة ولا يبتليه بذهاب عقله، أما ترى ايوب كيف تسلط ابليس على ماله وعلى ولده وعلى أهله وعلى كل شيء منه ولم يسلط على عقله ، ترك له ليوحد الله به .

(وعنه) عليه السلام قال : يؤتى بالمرأة الحساب يوم القيامة التي قد إفتتنت في حسنها فتقول يا رب حسنت وجهي حتى لقيت ما لقيت؟ فيجاء بمريم عليها السلام فيقال انت أحسن أو هذه؟ قد حسناها فلم تفتتن . ويجاء بالرجل الحسن الذي قد افتتن في حسنه ، فيقول يا رب قد حسنت خلقي حتى لقيت من النساء ما لقيت ؟ فيجاء بيوسف عليه السلام فيقال : انت احسن أو هذا قد حسناه فلم يفتتن ؟ ويجاء بصاحب البلاء الذي قد

أصابته الفتنة في بلائه فيقول : يا رب شددت علي البلاء حتى افتتنت ؟ فيؤتى بأيوب عليه السلام فيقال : ابليتك أشد أم بلية هذا فقد ابتلى ولم يفتتن .

(تفسير علي بن ابراهيم) باسناده الى الصادق عليه السلام قال أبو بصير : سألته عن بلية أيوب عليه السلام التي ابتلى بها في الدنيا لأي علة كانت ؟ قال : لنعمة انعم الله عليه بها في الدنيا ، وأدى شكرها .

وكان في ذلك الزمان لا يحجب ابليس من دون العرش ، فلما صعد ورأى شكر نعمة أيوب ، حسده ابليس ، فقال يا رب ان ايوب لم يؤد اليك شكر هذه النعمة إلا بما اعطيته من الدنيا ولو حرمته دنياه ما أدى اليك شكر نعمة أبداً فقيل له : قد سلطتك على ماله وولده ، قال : فانحدو مسرعاً خشية أن تدركه رحمة الله عز وجل فلم يبق له مالاً وولداً إلا أعطاه . فازداد ايوب لله شكراً وحمداً . قال فسلطني على زرعه ؟ قال : قد فعلت ، فجاء مع شياطينه فنفخ فيه فاحترق ، فازداد ايوب لله شكراً وحمداً . فقال يا رب سلطني على بدنه فسلطه على بدنه ما خلا عقله وعينيه ولسانه وسمعه . فنفخ فيه ابليس فصار قرحة واحدة من قرنه الى قدمه . فبقي في ذلك دهراً يحمد الله ويشكره حتى وقع في بدنه الدود . وكانت تخرج من بدنه فيردها ويقول لها : ارجعي الى موضعك الذي خلقك الله منه فنتن حتى أخرجه أهل القرية من القرية وألقوه في المزبلة خارج القرية،وكانت امرأته : رحمة بنت يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم صلوات الله عليهم وعليها تتصدق من الناس بما تجده .

فلما طال عليه البلاء ورأى إبليس صبره ، أتى اصحاباً له كانوا في الجبال رهباناً وقال لهم مروا بنا الى هذا العبد المبتلى فنسأله عن بليته ، فركبوا بغالاً شهباناً وجاءوا ، فلما دنو منه نفرت بغالهم من نتن ريحه فقرنوا بعضها الى بعض ثم مشوا اليه وكان فيهم شاب حدث السن فقعدوا اليه ، فقالوا : يا أيوب لو أخبرتنا بذنبك وما نرى ابتلاءك بهذا البلاء الذي لم يبتل به أحد إلا من أمر كنت تسره فقال أيوب : وعزة ربي انه ليعلم اني ما أكلت طعاماً إلا وعلى خواني يتيم أو ضعيف يأكل معي ، وما عرض لي امران كليهما طاعة إلا أخذت بأشدهما على بدني . فقال الشاب : سوأة لكم ، عمدتم الى نبي الله فعيرتموه حتى أظهر من عبادة ربه ما كان يسرها .

فقال ايوب : لو جلست مجلس الخصم منك لأدليت بحجتي فبعث الله اليه غمامة ، فنطق فيها ناطق بعشرة آلاف لسان او ستة آلاف لغة : يا ايوب إدل بحجتك فاني

منك قريب ولم ازل قريباً قال فشد عليه مئزره وجثى على ركبتيه وقال : ابتليتني بهذه البلية وانت تعلم انه لم يعرض لي امران قط إلا لزمت بأحسنهما على بدني ولم آكل اكلة من طعام إلا وعلى خواني يتيم قال : فقيل له : يا أيوب من حبب اليك الطاعة ؟ ومن صيرك تعبد الله والناس عنه غافلون ؟ وتحمده وتسبحه وتكبره والناس عنه غافلون ؟ اتمن على الله بما لله المن فيه عليك ؟ فأخذ التراب ووضعه في فيه ، ثم قال : انت يا رب فعلت ذلك بي فأنزل الله عليه ملكاً ، فركض برجله ، فخرج الماء فغسله بذلك الماء ، فعاد احسن ما كان ، فأنبت الله عليه روضة خضراء ، ورد عليه أهله وماله وولده وزرعه ، وقعد معه الملك يحدثه ، فأقبلت امرأته معها الخبز اليابس ، فلما انتهت الى الموضع ، إذا الموضع متغير وإذا رجلان جالسان ، فبكت وصاحت وقالت : يا ايوب ما دهاك ! فناداها ايوب فأقبلت ، فلما رأته وقد رد الله عليه بدنه ونعمته سجدت لله شكراً ، فرأى ذوابتها مقطوعة ،وذلك انها سألت قوماً ان يعطوها ما تحمله الى ايوب من طعام ، وكانت حسنة الذوابة ،فقالوا لها تبيعينا ذوابتك هذه حتى نعطيك ؟ فقطعتها ودفعتها اليهم واخذت منهم طعاماً لأيوب . فلما رآها مقطوعة الشعر غضب وحلف عليها ان يضربها مائة . فأخبرته : انه كان سببه كيت وكيت ، فاغتم ايوب من ذلك ، فأوحى الله اليه : (فخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث) فأخذ مائة شمراخ فضربها ضربة واحدة ، فخرج من يمينه .

ثم قال : (ووهبنا له اهله ومثلهم معهم) قال : فرد الله عليه اهله الذين ماتوا بعد ما اصابهم البلاء ، كلهم احياهم الله فعاشوا معه .

وسئل ايوب عليه السلام بعد ما عافاه الله اي شيء كان اشد عليك مما مرّ عليك ؟ قال : شماتة الأعداء .

قال : فأمطر الله عليه في داره فراش الذهب وكان يجمعه ، فاذا ذهب الريح بشيء عدا خلفه فرده ، فقال له جبرائيل : اما تشبع يا ايوب ؟ قال : ومن يشبع من رزق ربه ؟.

وعن ابن عباس : ان الله رد على المرأة شبابها حتى ولدت له ستة وعشرين ذكراً ، وكان له سبعة بنين وسبع بنات احياهم الله له بأعيانهم .

(وعن) أبي عبد الله عليه السلام قال : ابتلى ايوب سبع سنين بلا ذنب .

(وعنه) عليه السلام : ان الله تبارك وتعالى ابتلى ايوب عليه السلام بلا ذنب ، فصبر حتى

عير ، وان الأنبياء لا يصبرون على التعيير .

(الامالي) باسناده الى الصادق عليه السلام : ان ايوب عليه السلام مع جميع ما ابتلي به لم تنتن له رائحة ولا قبحت له صورة ولا خرجت منه مدة ولا دم ولا قيح ولا استقذره احد رآه ولا استوحش منه احد شاهده ولا تدود شيء من جسده ، وهكذا يصنع الله عز وجل من يبتليه من انبيائه واوليائه المكرمين عليه ، وانما اجتنبه الناس لفقره وضعفه في ظاهر امره ، لجهلهم بماله عند ربه تعالى ذكره ، من التأييد والفرج .

وقد قال النبي صلى الله عليه وآله : اعظم الناس بلاءاً : الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، وانما ابتلاه الله عز وجل بالبلاء العظيم الذي يهون معه على جميع الناس لكيلا يدعوا له الربوبية اذا شاهدوا ما اراد الله ان يوصله اليه من عظائم نعمه تعالى متى شاهدوه وليستدلوا بذلك على ان الثواب من الله تعالى ، على ضربين ، استحقاق واختصاص ، ولئلا يحتقروا ضعيفاً لضعفه ولا فقيراً لفقره ولا مريضاً لمرضه وليعلموا انه يسقم من يشاء ويشفي من يشاء كيف يشاء بأي سبب شاء ، ويجعل ذلك عبرة لمن شاء وشقاوة لمن شاء وسعادة لمن شاء ، وهو عز وجل في جميع ذلك عدل في قضائه وحكيم في افعاله ، لا يفعل بعباده إلا الاصلح لهم ولا قوة إلا به .

اقول : هذا الحديث كما قاله شيخنا المحدث ابقاه الله تعالى اوفق باصول متكلمي الامامية : من كونهم عليهم السلام منزهين عما يوجب تنفر الطبائع عنهم ، فتكون الأخبار الاخر محمولة على التقية ، لموافقتها روايات العامة ، لكن إقامة الدليل على نفي ذلك عنهم ، ولو بعد ثبوت نبوتهم وحجتهم ، لا يخلو من اشكال مع ان الاخبار الدالة على ثبوتها اكثر واصح ، وبالجملة للتوقف فيه مجال .

وقال السيد الاجل علم الهدى قدس الله ضريحه : فان قيل : افتصححون ما روي من ان الجذام اصابه حتى تساقطت اعضاؤه .

قلنا : اما العلل المستقذرة التي تنفر من رآها وتوحشه كالبرص والجذام ، فلا يجوز شيء منها على الأنبياء عليهم السلام لما تقدم ذكره ، لأن النفور ليس يوافق على الامور القبيحة بل قد يكون من الحسن والقبيح معاً وليس ينكر ان تكون امراض أيوب عليه السلام واوجاعه ومحنه في جسمه ثم في اهله وماله ، بلغت مبلغاً عظيماً تزيد في الغم والألم على ما ينال المجذوم وليس ينكر تزايد الألم فيه عليه السلام وانما ينكر ما اقتضى التنفير .

(الكافي) عن ابي عبد الله عليه السلام قال : ان الله عز وجل لما عافى ايوب نظر الى بني اسرائيل قد ازدرعوه . فرفع طرفه الى السماء فقال : إلهي وسيدي عبدك ايوب المبتلى عافيته ولم يزدرع شيئاً وهذا لبني اسرائيل زرع فأوحى الله عز وجل اليه : يا ايوب خذ سبحتك كفاً فأبذره . وكانت سبحته فيها ملح ، فأخذ ايوب كفاً فبذره فخرج هذا العدس ، وانتم تسمونه الحمص ونحن نسميه العدس .

(معاني الأخبار) معنى ايوب من آب يؤب وهو انه يرجع الى العافية والنعم والأهل والمال والولد بعد البلاء .

وقال الصادق عليه السلام : ما سأل ايوب العافية في شيء من بلائه .

اقول : رد السيد : الأخبار الواردة بأن الشيطان تسلط على ايوب واهلك ماله وغنمه واولاده ونفخ في بدنه وجعله قرحة واحدة . وقال : ان ابليس لا يقدر على ان يقرح الأجساد ولا يفعل الأمراض ، وإنما الله سبحانه هو الذي اوجد المرض في بدن ايوب عليه السلام إمتحاناً له وتعريضاً بالثواب من حيث الصبر على الأوجاع والأسقام.

ولا يخفي ما يرد على هذا الكلام ولا نرى فرقاً بين ما صدر من الاشقياء بالنسبة الى الانبياء والائمة عليهم السلام . حيث خلاهم الله تعالى وانفسهم نظراً الى مصلحة التكليف ففعلوا ما فعلوا من قتلهم وإيصال الاوجاع الى ابدانهم وبين ما اتاه الشيطان بالنسبة الى ايوب واولاده وامواله .

وأما التسلط المنفي في الآية فهو إنما يكون بالنسبة الى الاديان لا الابدان .

قال الثعلبي في (العرائس) : قال وهب وكعب وغيرهما من اهل الكتاب كان ايوب عليه السلام رجلاً من الروم وكان مكتوباً على جبهته المبتلى الصابر . وهو ايوب بن اموص بن دارح بن روم بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام وكانت امه من ولد لوط بن هاران عليه السلام وكانت له البثة بلدة من بلاد الشام . وكان له فيها من اصناف المال من الابل والبقر والخيل والغنم وكان براً تقياً رحيماً وكان يحترز من الشيطان وكيده وكان معه ثلاثة قد آمنوا به وصدقوه ، رجل من اهل اليمن يقال له اليفن ، رجلان من اهل بلاده بلدد وصافن .

قال وهب:ان لجبرائيل عليه السلام بين يدي الله مقاماً ليس لأحد من الملائكة في القربة والفضيلة وان جبرائيل عليه السلام هو الذي يتلقى الكلام ، فاذا ذكر الله تعالى عبداً بخير

تلقاه جبرائيل عليه السلام ثم لقاه ميكائيل وحوله الملائكة المقربون حافين من حول العرش، فاذا شاع ذلك في الملائكة المقربين شاعت الصلوات على ذلك العبد من اهل السماوات فاذا صلت عليه ملائكة السماوات هبطت عليه بالصلاه الى ملائكة الارض .

وكان ابليس لعنه الله ، لا يحجب عن شيء من السماوات وكان يقف فيهن حيث ما اراد ووصل الى آدم حين اخرجه من الجنـــة ، فلم يزل على ذلك يصعد ، حتى رفع الله تعالى عيسى ، فحجب من اربع وكان يصعد في ثلاث .

فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم ، حجب الثلاثة الباقية، فهو وجنوده محجوبون من جميع السماوات الى يوم القيامة (إلا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين) .

فلما سمع ابليس تجـــاوب الملائكة بالصلاة على ايوب عليه السلام وذلك حين ذكره الله تعالى واثنى عليه ، فأدركه البغي والحسد ، فصعد سريعـــاً حتى وقف من السماء موقفاً كان يقفه فقال يا إلهي نظرت في امر عبدك ايوب فوجدته عبداً انعمت عليه فشكرك فعافيته فحمدك ثم لم تجربه بشدة وبلاء وانا لك زعيم لئن ضربتـــه ببلاء ليكفرن بك ولينسينك ؟ فقال الله تعـــالى : انطلق فقد سلطتك على ماله ، فانقض عدو الله حتى وقع الى الارض ثم جمع عفاريت الشياطين وعظمائهم فقال ماذا عندكم من القوة والمعرفة فاني سلطت على مال ايوب وهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا يصبر عليهـــا الرجال فقال عفريت من الشياطين اعطيت من القوة اذا شئت تحولت اعصاراً من نار واحرقت كل شيء اتى عليه ، قال له ابليس فـــأت الابل ورعاتها . فانطلق يؤم الابل وذلك حتى وضعت رؤوسها في مراعيها ، فلم يشعر الناس حتى فار من تحت الارض اعصار من نار تنفخ منها ارواح السموم لايدنو منها شيء إلا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى اتى على آخرها فلما اتى على آخرهـــا تمثل ابليس براعيها ثم انطلق يؤم ايوب حتى وجده قائماً يصلي فقال يا ايوب قال : لبيك قال هل تدري ما الذي صنع ربك الذي إخترته وعبدته بابلك ورعاتها ؟ قال ايوب : انها ماله اعارنيه وهو اولى به اذا شاء تركه وإن شاء نزعه، وقديماً ما وطنت نفسي ومالي على الفناء . فقال ابليس وان ربك ارسل عليها ناراً من السماء فاحترقت كلها ، فترك الناس مبهوتون وقوفاً عليها متعجبون منها . منهم من يقول : ما كان ايوب يعبد شيئاً ومـــا كان إلا في غرور . ومنهم من يقول : لو كان إله ايوب يقدر على ان يصنع شيئاً ، لمنع وليه . ومنهم من يقول : بل هو الذي فعل ما فعل يشمت به عدوه ويفجع به صديقه .

قال ايوب : الحمد لله حين اعطاني وحين نزع مني ، عرياناً خرجت من بطن امي وعرياناً اعود في التراب وعرياناً احشر الى الله تعالى .

ليس ينبغي لك ان تفرح حين اعارك الله وتجزع حين قبض عاريته .

الله اولى بك وبما اعطاك ، ولو علم الله فيك ايها العبد خيراً لقبض روحك مع الارواح فآجرني فيك وصرت شهيد ولكنه علم منك شراً فخلصك من البلاء .

فرجع ابليس الى اصحابه خاسئاً ذليلاً فقال لهم ماذا عندكم من القوة فاني لم اكلم قلبه ؟ قال عفريت من عظمائهم عندي من القوة ما اذا شئت صحت صوتاً لا يسمعه ذو روح إلا خرجت نفسه . قال له ابليس فأت الغنم ورعاتها فانطلق حتى اذا توسطها صاح صوتاً فماتت من عند آخرها ومات رعاتها ، ثم خرج متمثلاً بقهرمان الرعاة حتى اذا جاء ايوب وهو قائم يصلي فقال له القول الاول ورد عليه ايوب الرد الاول .

ثم ان ابليس رجع الى اصحابه فقال لهم ماذا عندكم من القوة فاني لم اكلم قلب ايوب فقال عفريت من عظمائهم عندي من القوة ما اذا شئت تحولت ريحاً عاصفاً تنسف كل شيء فآتي عليه حتى لا ابقي شيئاً . قال له ابليس فأت الفدادين والحرث فانطلق يؤمهم وذلك حين قرنوا الفدادين وانشأوا في الحرث واولادها وقوع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف فنسفت كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن ،ثم خرج ابليس متمثلاً بقهرمان الحرث حتى جاء ايوب وهو قائم يصلي فقال له مثل القول الاول ورد عليه ايوب مثل رده الاول .

فجعل ابليس يصيب ما له مالا حتى مرّ على آخره بالهلاك ، وهو يحمد الله ويشكره على البلاء . فلما رأى ابليس انه لم ينجح منه بشيء ، صعد سريعاً الى موقفه فقال إلهي ان ايوب يرى انك ما متعته بنفسه وولده فأنت معطيه المال ، فهل انت مسلطي على ولده فانها الفتنة المضلة والمصيبة التي لا يقوى عليها صبر الرجال ! فقال انطلق فقد سلطتك على ولده . فانقض حتى جاء بني ايوب في قصرهم فلم يزل يزلزل بهم حتى تهدم قواعده ثم جعل يناطح جداره بعضها ببعض ويرميهم بالحجارة حتى اذا مثل بهم كل مثلة رفع بهم القصر وقلبه فصاروا منكبين ، وانطلق الى ايوب متمثلاً بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة ، وهو جريح يسيل دمه وقال يا ايوب لو رأيت بنيك كيف عذبوا و كيف قلبوا على رؤوسهم تسيل دماؤهم ودماغهم من انوفهم ولو رأيت كيف شقت بطونهم وتناثرت امعاؤهم لتقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ، حتى رق ايوب وأخذ

قبضة من التراب فوضعها على رأسه ، فاغتنم ابليس ذلك ، فصعد سريعاً بالذي كان من جزع ايوب مسروراً .

ثم لم يلبث به ايوب ان رجع الى ربه فتاب واستغفر ، وصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته ، فبدروا ابليس الى الله تعالى فوقف ابليس خاسئاً ذليلاً فقال يا إلهي انما هون على ايوب ما ذهب منه ، انك متعته بنفسه ، فهل انت مسلطه على جسده فانك ان ابتليته في جسده كفر بك فقال الله عز وجل : انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه ولا على عقله .

ولم يسلطه سبحانه عليه إلا ليعظم له الثواب وجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل ليأنسوا به بالصبر ورجاء الثواب .

فانقض عدو الله سريعاً فوجد أيوب عليه السلام ساجداً فأتاه في موضع في وجهه فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده وصار قرحة واحدة ووقعت فيه حكة لا يملكها، فحك بدنه بالفخار والحجارة، فلم يزل يحك بدنه حتى تقطع لحمه وتغير وانتن فأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشاً ورفضه خلق الله كلهم ، غير امرأته رحمة بنت افرائيم بن يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم صلوات الله على نبينا وآله وعليهم السلام وكانت تختلف اليه بما يصلحه ، وكان له اصحاب ثلاثة فاتهموه ورفضوه من غير ان يفارقوا دينه وأخذوا في لومه وتعنيفه وكان من بينهم شاب فلامهم على ما كان منهم وما عيروا به أيوب حتى قال لهم : انكم اشد علي من مصيبتي .

ثم اعرض عنهم وقال : يا رب لأي شيء خلقتني ؟ يا ليتني عرفت الذنب الذي أذنبت والعمل الذي عملت ؟ فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت امتني فألحقتني بآبائي ، فالموت كان أجمل بي ألماً للغريب داراً وللمسكين قراراً ولليتيم ولياً وللأرملة قيماً ، إلهي انا عبد ذليل إن احسنت فالمن لك وإن أسأت فبيدك عقوبتي ، جعلتني للبلاء غرضاً ولو وقع علي بلاء لو وقع على جبل ضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي ؟ إلهي تقطعت أصابعي فاني لأرفع اللقمة من الطعام بيدي معاً فما تبلغان فمي إلا على الجهد مني ؟ تساقطت لهواتي ولحم رأسي وان دماغي ليسيل من فمي ؟ تساقط شعر عيني فكأنما أحرق بالنار وجهي وحدقتاي متدليان على خدي وورم لساني حتى ملأ فمي فما ادخل منه طعاماً إلا غصني وورمت شفتاي حتى غطت العليا أنفي والسفلى ذقني ، وتقطعت امعائي في بطني فاني لأدخلها الطعام فيخرج كما ذهب المال ؟ فصرت

أسأل بكفي فيطعمني من كنت أعوله اللقمة الواحدة فيمنها علي ويعيرني؟ هلك أولادي فلو بقي أحد منهم أعانني على بلائي ؟ ملني أهلي وعقني أرحامي وتنكرت معارفي ؟ وان سلطانك هـو الذي اسقمني وأنحل جسمي ؟ ولو ان ربي نزع الهيبة من صدري وأطلق لساني حتى اتكلم بملأ فمي بمكان ينبغي للعبد ان يحاج عن نفسه لرجوت ان يعافيني عند ذلك ممـا بي ولكنه القاني وتعالى عني فهو يراني ولا أراه ولا نظر إلي فرحمني ولا دنا مني ولا أدناني فأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي .

فلمـا قال ذلك ايوب عليه السلام وأصحابه عنده اظلته غمام ، ثم نودي : يا ايوب ان الله عز وجل يقول لك : ها أنا قد دنوت منك ولم أزل منك قريباً، فقم فادل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم نفسك واشدد ازارك وقم مقام جبار فانه لا ينبغي ان يخاصمني إلا جبار مثلي ولا يمكن أن يخاصمني إلا من يجعل الزيار في فم الاسد والسخال في فم العنقا واللجام في فم التنين ويكيل مكيالاً من النور ويزن مثقالاً من الريح ويصر صرة من الشمس ويرد امس ، لقد منتك نفسك أمراً ما تبلغ بمثل قوتك اردت ان تخاصمني بعيك أم اردت ان تكابرني بضعفك، اين انت مني يوم خلقت الارض فوضعتها على أساسها ؟ هل علمت بأي مقدار قدرتها ؟ أم كنت معي ؟ أم كنت تمد بأطرافها؟ أم تعلم ما بعد زواياها ؟ أم على أي شيء وضعت اكنافها ؟ ابطاعتك حمل المـاء الأرض ؟ أم بحكمك كانت الأرض للماء غطاء ؟ اين كنت مني يوم رفعت السماء سقفاً في الهوى لا بعلائق ولا تحملها دعم من تحتها ؟ يبلغ من حكمك ان تجري نورها ؟ أو تسير نجومها ؟ أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها اين كنت مني يوم سجرت البحار ؟ وانبعت الأنهار ؟ اقدرتك حبست امواج البحار على حدودها ؟ ام أقدرتك فتحت الأرحام حين بلغت مدتها؟ اين انت مني يوم صببت الماء على التراب ؟ ونصبت شوامخ الجبال ؟ هل لك من ذراع تطيق حملها ام هل تدري كم مثقال فيها ؟ اين الماء الذي أنزل من السماء ؟ احكمتك أحصت القطر ؟ وقسمت الأرزاق ؟ أم قدرتك تثير السحاب وتجري الماء ؟ هل تدري ما اصوات الرعود ؟ أم من اي شيء لهب البرق؟ وهل رأيت عمق البحر؟ هل تدري ما بعد الهوا ؟ هل تدري اين خزانة الثلج ؟ واين خزانة البرد ؟ ام اين جبال البرد ؟ ام هل تدري اين خزانة الليل والنهار ؟ واين طريق النور وبأي لغة تتكلم الأحجار ؟ واين خزانة الريح ؟ وكيف نحبسه ؟ ومن جعـل العقول في اجواف الرجال ؟ ومن شق الاسماع والابصار .

فقال ايوب عليه السلام: قصرت عن هذا الامر الذي تعرض علي ، ليت الارض انشقت

لي فذهبت فيها ، ولم اتكلم بشيء يسخط ربي اجتمع علي البلاء .

إلهي قد جعلتني لك مثل العدو وقد كنت تكرمني وتعرف نصحي ، وقد علمت ان كل الذي ذكرت صنع يدك وتدبير حكمتك ، وانما تكلمت لتعذرني وسكت حين سكت لترحمني ، كلمة زلت عن لساني ، فلن أعـــود وقد وضعت يدي في فمي وعضضت لساني والصقت بالتراب خدي ،فاغفر لي ما قلت فلن اعود لشيء تكرهه مني.

فقال الله تعالى : يا ايوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي ، اذا اخطأت فقد غفرت لك ورددت عليك أهلك ومـــالك (ومثلهم معهم) لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لأهل البلاء وعزاً للصابرين (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) فركض برجله فانفجرت له عين ، فدخل فيها واغتسل ، فأذهب الله تعالى كل ما كان فيه من البلاء . ثم خرج وجلس ، فأقبلت امرأته فقامت تلمسه في مضجعه فلم تجده ، فقامت مترددة كالوالهة ، ثم قالت : يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان ها هنا ؟ فقال لها : هل تعرفينه اذا رأيتيه ؟ قالت : نعم وما لي لا أعرفه ، فتبسم وقال : انا هو ، فعرفته بضحكه فاعتنقته .

فذلك قوله : (وأيوب إذ نادى ربه اني مسني الضر ...) واختلف العلماء في وقت ندائه ومدة بلائه والسبب الذي قال من أجله : (اني مسني الضر ...) .

فعن انس بن مالك قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان ايوب نبي الله لبث به بلاؤه ثماني عشر سنة ، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من اخوانه ، وكان يخرج لحاجته ، فاذا قضى حاجته ، امسك امرأته بيده حتى يبلغ ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها ، واوحى الى ايوب في مكانه : (اركض برجلك) .

وقال الحسن : مكث ايوب عليه السلام مطروحاً على كناسة في مزبلة لبني اسرائيل سبع سنين واشهر ، تختلف فيه الدواب . ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق غير رحمة وهي زوجته ، صبرت معه ، وايوب لا يفتر من ذكر الله والثناء عليه .

فصرخ ابليس صرخة جمع فيها جنوده من اقطار الارض جزعاً من صبر ايوب عليه السلام فلما اجتمعوا اليه قالوا ما حزنك : قال اعياني هذا العبد الذي سألت الله ان يسلطني عليه وعلى ماله ، فلم يرد بذلك إلا صبراً وثنـــاءاً على الله تعالى فقد افتضحت بربي فاستغثت لتغيثوني عليه ؟ فقالوا له اين مكرك اين علمك الذي اهلكت به من مضى ؟

قال بطل ذلك كله في امر ايوب عليه السلام فأشيروا علي ؟ قالوا نشير عليك أرأيت آدام حين اخرجته من الجنة من اين اتيته ؟ قال من قبل امرأته ، قالوا فانه من قبل امرأته فانه لا يستطيع أن يعصيها وليس احد يقربه غيرها قال اصبتم فانطلق حتى اتى امرأته وهي تصدق ، فتمثل لها في صورة رجل فقال اين بعلك يا امة الله ؟ قالت هو ذلك يحك قروحه ويتردد الدواب في جسده ، فلما سمعها طمع ان تكون كلمة جزع ، فوسوس اليها فذكرها ما كانت فيه من النعيم والمال وذكرها جمال ايوب وشبابه وما هو فيه من الضر وان ذلك لا ينقطع عنهم أبداً .

قال الحسن : فصرخت ، فلما صرخت علم انها قد جزعت ، فأتاها بسخلة فقال لتذبح هذه الى ايوب ولا يذكر عليه إسم الله عز وجل فانه يبرأ .

قال : فجاءت تصرخ : يا ايوب حتى متى يعذبك ربك ألا يرحمك ؟ اين المال ؟ اين الولد ؟ اين لونك الحسن ؟ قد تغير وقد صار مثل الرماد ، اذبح هذه السخلة واسترح ٠ قال ايوب : اتاك عدو الله، فنفخ فيك واجبتيه ، ويلك أرأيت ما كنا فيه من المال والولد والصحة ؟ من اعطانيه ؟ قالت : الله . قال : فكم متعنا به ؟ قالت : ثمانون سنة . قال : فمذ كم ابتلاني الله تعالى بهذا البلاء؟ قالت : منذ سبع سنين واشهر قال : ويلك ما عدلت وما انصفت ربك ، ألا صبرت في البلاء الذي ابتلانا الله به ثمانين سنة ، كما كنا في الرخاء ثمانين سنة، والله لئن شفاني الله عز وجل لأجلدنك مائة جلدة ، حين امرتني ان اذبح لغير الله طعامك وشرابك الذي اتيتني به علي حرام ان اذوق مما تأتيني بعد إذ قلت لي هذا ، فاغربي عني ، فلا اراك ، فطردها فذهبت .

فلما نظر ايوب عليه السلام الى امرأته قد طردها وليس عنده طعام ولا شراب خرّ ساجداً وقال : (اني مسني الضر) ثم ردد ذلك الى ربه فقال : (وانت ارحم الراحمين) . فقيل له : ارفع رأسك فقد استجيب لك (اركض برجلك) فركض برجله ، فنبعت عين ، فاغتسل منها ، فأذهب الله تعالى عنه كل ألم ، وعاد اليه شبابه وجماله احسن ما كان ، ثم ضرب برجله فنبعت عين اخرى ، فشرب منها ، فلم يبق في جوفه داء إلا خرج ، فقام صحيحاً وكسي حلة ، فجعل يلتفت فلا يرى شيئاً مما كان له من اهل ومال ، إلا وقد اضعفه الله تعالى ، فجلس على مكان مشرف .

ثم ان امرأته قالت : أرأيت ان كان طردني الى من اكله ؟ ادعه يموت جزعاً ويضيع ، فتأكله السباع فرجعت فلا كناسة ترى ولا تلك الحالة التي كانت فجعلت

تبكي على ايوب ، وهابت صاحبة الحلة ان تأتيه فتسأله عنـــه ، فدعاها ايوب فقال : ما تريدين يا أمة الله؟ فبكت وقالت: أردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذاً على الكناسة، لا ادري أضاع ام ما فعل ؟ قال لها : فهل تعرفينه اذا رأيتيه ؟ فقالت : اما انه كان أشبه خلق الله بك اذا كان صحيحاً ، قال: فاني ايوب الذي أمرتني أن اذبح لإبليس، واني أطعت الله تعالى وعصيت الشيطان ، ودعوت الله تعالى فردّ عليّ مـا ترين . وقيل : ان ابليس تعرض لرحمة وقال : لو ان ايوب سجد لي سجدة واحدة لرددت عليه كلما اخذت منه ، وأنا إله الأرض وأنا الذي صنعت بأيوب ما صنعت . وأراها أولادها والمال في بطن الوادي .

وقال وهب : ان ابليس قال لرحمة لو ان صاحبك أكل طعاماً ولم يسم عليه لعوفي مما به من البلاء .

ورأيت في بعض الكتب : ان ابليس لعنه الله قال لرحمة: وان شئت فاسجدي لي سجدة واحدة ، حتى أردّ عليك المال والأولاد واعافي زوجك ، فرجعت الى ايوب فأخبرته بما قال لها ، قال : لقد أتاك عدو الله ليفتنك عن دينك ، ثم اقسم إن عافاه الله تعالى ليضربها مائة جلدة ، وقال عند ذلك (مسني الضر) في طمع ابليس في سجود رحمة له ودعائه إياها .

وقيل ، انما قال ذلك حين قصدت الدودة قلبه ولسانه ، فخشي ان يبقى خالياً من الذكر والفكر .

وقيل ، انما قال ذلك حين وقعت الدودة في فخذه ، فرفعها وردها الى موضعها فقال لها قد جعلني الله طعامك ، فعضته عضة زاد ألمها على جميع ما قاسى من عض الديدان . وقيل ، إنما قال ذلك عند شماتة الأعداء ، فقال (رب اني مسني الضر) يعني شماتة الأعداء .

ويدل عليه مـــا روي انه قيل له بعد ما عوفي : ما كان اشد عليك في بلائك ؟ قال : شماتة الأعداء .

أقول : شماتة الاعداء اعظم المصائب والمحن، لأنه عذاب روحاني ، وغيره عذاب جسماني ، والروح ألطف الأعضاء وأرقها .

وقد ورد في الحديث:ان اهل جهنم يكتمون عذاب النار حذراً من شماتة اهل الجنة.

الباب الحادي عشر

في قصص شعيب عليه السلام

قال الله تعالى : (والى مدين أخاهم شعيباً * قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم موقنين * ولا تقعدوا بكل صراط توعدون * وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ...) الآيات .

قال امين الاسلام الطبرسي في قوله تعالى (والى أهل مدين) أي أهل مدين أو هو اسم القبيلة . قيل ان مدين بن ابراهيم الخليل ، فنسب القبيلة اليه .

قال عطاء : هو شعيب بن نوبة بن مدين بن ابراهيم ، وكان خطيب الانبياء لحسن مراجعة قومه وهم اصحاب الأيكة .

وقال قتادة : أرسل شعيب مرتين ، الى اهل مدين مرة ، والى اصحاب الايكة مرة .

(وأوفوا الكيل والميزان) أي أدوا حقوق الناس على التمام في المعاملات .

(ولا تبخسوا الناس اشياءهم) أي لا تنقصوهم حقوقهم .

(ولا تفسدوا في الارض بعد إصلاحها) أي لا تعملوا في الارض بالمعاصي واستحلال المحرمات ، بعد ان اصلحها الله بالأمر والنهي وبعثة الأنبياء .

(ولا تقعدوا) فانهم كانوا يقعدون على طريق من قصد شعيباً للايمان بـه ، فيخوفونه بالقتل ، او انهم كانوا يقطعون الطريق فنهاهم عنه .

(وتبغونها عوجاً) بأن تقولوا هو باطل . (فكثركم) أي كثر عددكم .

قال ابن عباس : وذلك ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط ، فولدت ، حتى كثر اولادها .

(علل الشرايع) باسناده الى انس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : بكى شعيب من حب الله عز وجل حتى عمي ، فردّ الله عز وجل عليه بصره ، ثم بكى حتى عمي ، فردّ الله عليه بصره ، ثم بكى حتى عمي ، فردّ الله عليه بصره . فلما كانت الرابعة اوحى الله اليه : يا شعيب الى متى تكون هذا ابداً منك ان يكن هذا خوفاً من النار فقد اجرتك وإن يكن شوقاً الى الجنة فقد ابحتك ؟ فقال : إلهي وسيدي انت تعلم اني ما بكيت خوفاً من نارك ولا شوقاً الى جنتك ، ولكن عقد حبك في قلبي فلست اصبر او اراك فأوحى الله جل جلاله اليه : أما اذا كان هكذا فمن اجل هـذا ، سأخدمك كليمي موسى بن عمران .

قال الصدوق رحمه الله : يعني بذلك : لا ازال ابكي او اراك قد قبلتني حبيباً .

وقال شيخنا المحدث ابقاه الله تعالى : كلمة او بمعنى الى ان ، او إلا ان ، أي الى ان يحصل لي غاية العرفان والايقان المعبر عنها بالرؤية وهي رؤية القلب لا البصر .

والحاصل طلب كمال المعرفة بحسب الاستعداد والقابلية والوسع والطاقة انتهى .

والأظهر ان يقال المراد بقوله : او اراك . الى ان اراك بعد الموت ، يعني اني ابكي على حبك ولا افتر عن البكاء حتى ألقاك ، كمن غاب عن حبيبه فهو يبكي على حبيبه لأجل فراقه الى ان يلقاه .

فهذه معان ثلاثة والحديث حمال اوجه ، وما قاله نبي الله شعيب عليه السلام ، هو الذي قاله امير المؤمنين عليه السلام : ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك .

وعن علي بن الحسين عليه السلام قال : اول من عمل المكيال والميزان شعيب النبي عليه السلام عمله بيده ، فكانوا يكيلون ويوفون ، ثم انهم بعد ان طففوا في المكيال والميزان

وبخسوا في الميزان فأخذتهم الرجفة ، فعذبوا بها (فأصبحوا في ديارهم جاثمين) .

قال الطبرسي في قوله تعالى : (فأخذتهم الرجفة) أي الزلزلة .

وقيل : ارسل الله عليهم حراً شديداً فأخذ بأنفاسهم ، فدخلوا اجواف البيوت فدخل عليهم البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء وانضجهم البحر ، فبعث الله سحابة فيها ريح طيبة ، فوجدوا برد الريح وطيبها وظل السحابة فنادوا عليكم بها فخرجوا الى البرية فلما اجتمعوا تحت السحابة ، ألهبها الله عليهم ناراً ورجفت بهم الارض فاحترقوا كما يحترق الجراد وصاروا رماداً ، وهو عذاب يوم الظلة .

عن ابن عباس وغيره من المفسرين .

وقيل : بعث الله عليهم صيحة واحدة فماتوا بها . عن ابي عبد الله .

وقيل : انه كان لشعيب قومان ، قوم اهلكوا بالرجفة وقوم هم أصحاب الظلة .

(قصص الانبياء) للراوندي من علمائنا ، رواه باسناده الى سهل بن سعيد ، قال: بعثني هشام بن عبد الملك استخرج له بئراً في رصافة عبد الملك فحفرنا منها مائتي قامة، ثم بدت لنا جمجمة رجل طويل ، فحفرنا ما حولها ، فإذا رجل قائم على صخرة عليه ثياب بيض وإذا كفه اليمنى على رأسه على موضع ضربة برأسه ، فكنا إذا نحينا يده عن رأسه سالت الدماء وإذا تركناها عادة فسدت الجرح ، وإذا في ثوبه مكتوب : انا شعيب بن صالح رسول رسول الله شعيب النبي عليه السلام الى قومه، فضربوني وطرحوني في هذا الجب وهالوا عليّ التراب . فكتبنا الى هشام ما رأيناه ، فكتب اعيدوا عليه التراب كما كان واحتفروا في مكان آخر .

(كنز الفوائد) للكراجكي : عن عبد الرحمان بن زياد الافريقي قال : خرجت بأفريقية مع عم لي الى مزدرع لنا فحفرنا موضعاً فأصبنا تراباً هشاً فحفرنا عامة يومنا حتى انتهينا الى بيت كهيئة الاذج، فإذا فيه شيخ مسجى وإذا عند رأسه كتابة فقرأتها فاذا هي: انا حسان بن سنان الاوزاعي رسول شعيب النبي عليه السلام الى اهل هذه البلاد، دعوتهم الى الايمان بالله فكذبوني وحبسوني في هذا الحفر الى ان يبعثني الله وأخاصمهم يوم القيامة .

وذكروا ان سليمان بن عبد الملك مرّ بوادي القرا ، فأمر ببئر يحفر فيه ففعلوا فانتهى الى صخرة ، فاستخرجت فإذا تحتها رجل عليه قميصان واضع يده على رأسه ،

فجذبت يـــده ، فشج مكانها بدم ، ثم تركت فرجعت الى مكانها فرقا الدم فإذا معه كتاب فيه : انا الحارث بن شعيب الغساني رسول شعيب الى اهل مدين فكذبوني وقتلوني.

وقال وهب : بعث الله شعيباً الى اهل مدين ، ولم يكونوا قبيلة شعيب التي كان منها ولكنهم كانوا أمة من الامم بعث اليهم شعيب، وكان عليهم ملك جبار ولا يطيقه احد من ملوك عصره ، وكانوا ينقصون المكيال والميزان ويبخسون الناس اشياءهم مع كفرهم بالله وتكذيبهم لنبيه ، وكانوا يستوفون اذا اكتالوا لأنفسهم او وزنوا لهـــا ، وكانوا في سعة من العيش ، فأمرهم الملك باحتكار الطعام ونقص المكاييل والموازين ، ووعظهم شعيب ، فأرسل اليه الملك ، ما تقول ما صنعنا ، أراض انت ام ساخط ؟ فقال شعيب : اوحى الله تعالى إليَّ : ان الملك اذا صنع مثل مـا صنعت ، يقال له : ملك فاجر ، فكذبه الملك وأخرجه وقومه من المدينة .

قال الله تعالى حكاية عنهم : (لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معـك من قريتنا فزادهم شعيب في الوعظ فقالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء) فآذوه بالنفي من بلادهم، فسلط الله عليهم الحر والغيم، حتى انضجهم الله ، فلبثوا فيه تسعة ايام وصار ماؤهم حميماً لا يستطيعون شربه ، فانطلقوا الى غيضة لهم ، وهو قوله تعالى : (واصحاب الايكة) فرفع الله لهم سحابة سوداء، فاجتمعوا في ظلها ، فأرسل الله عليهم ناراً منها فأحرقتهم فلم ينج احد منهم ، وذلك قوله تعالى : (فأخذهم عذاب يوم الظلة) . فلما اصاب قومه ما اصابهم ، لحق شعيب والذين آمنوا معه بمكة ، فلم يزالوا بها حتى ماتوا .

والرواية الصحيحة : ان شعيباً عليه السلام صار منها الى مدين ، فأقام بها ، وبهـا لقيه موسى بن عمران صلوات الله عليهما .

وعن علي عليه السلام قال : قيل له : يا امير المؤمنين حدثنا ؟ قال : ان شعيب النبي عليه السلام دعـا قومه الى الله حتى كبر سنه ودق عظمه ، ثم غاب عنهم ما شاء الله ، ثم عاد اليهم شاباً ، فدعاهم الى الله عز وجل . فقالوا مـــا صدقناك شيخاً فكيف نصدقك شاباً ؟.

وعن ابي عبد الله عليه السلام قال : لم يبعث الله عز وجل من العرب إلا خمسة انبياء : هوداً وصالحاً واسماعيل وشعيباً ومحمد خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وعليهم، وكان شعيب بكاء .

(الكافي) عن ابي جعفر عليه السلام قال : اوحى الله الى شعيب : اني معذب من قومك مائـة الف ، اربعين الف من شرارهم وستين الف من خيارهم ، فقال عليه السلام : يا رب هؤلاء الاشرار ، فما بال الاخيار ؟ فأوحى الله عز وجل اليه : داهنوا اهـل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي .

وعن ابن عباس رضي الله عنه : عـاش شعيب صلوات الله عليه : مائتين واثنين وأربعين سنة .

وقال مجاهد : عذاب يوم الظلة هو : إظلال العذاب لقوم شعيب .

وقال بريد بن اسلم في قوله تعالى : (يا شعيب أصلاتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء) قال : مما كان نهاهم عنه قطع الدراهم ، انتهى.

الباب الثاني عشر

في قصص موسى وهارون

على نبينا وآله وعليهما السلام . وفيه فصول :

الفصل الاول

فيما يشتركان فيه من علل التسمية والفضائل

قال الله تعالى : (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل) . الى غير ذلك من الآيات الكثيرة .

قال المفسرون : موسى اسم مركب من اسمين بالقبطية ، ف (مو) هو الماء و (سى) الشجر ، وسمي بذلك لأن التابوت الذي كان فيه موسى وجد عند المـاء والشجر ، وجدته جواري آسية وقد خرجن ليغتسلن . وهو موسى بن عمران بن يصهر بن يافث ابن لاوي بن يعقوب .

واختلف في اسم ام موسى وهارون . فقال محمد بن اسحاق : نحيب . وقيل : افاحية . وقيل : يوخابيد ، وهو المشهور .

أقول : وهو الذي وجدته في التوراة المعربة في البصرة سنة الخامسة والتسعين بعد الألف ، بعد انصرافي من حج البيت .

تفسير علي بن ابراهيم، باسناده الى أبي عبدالله عليه السلام في خبر المعراج، عن النبي صلى الله عليه وآله قال : ثم صعدنا الى السماء الخامسة فاذا هي رجل كهل عظيم العين، حوله ثلة من أمته، فأعجبني كثرتهم ، فقلت : من هذا يا جبرئيل ؟ فقال : هذا المحبب في قومه ، هارون ابن عمران ، فسلمت عليه وسلم عليّ واستغفرت له واستغفر لي ، واذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السماوات . ثم صعدنا الى السماء السادسة واذا فيها رجل آدم طويل وسمعته يقول : يزعم بنو اسرائيل اني اكرم ولد آدم على الله وهذا رجل اكرم على الله مني . فقلت : من هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا اخوك موسى بن عمران . فسلمت عليه وسلم عليّ واستغفرت له واستغفر لي ، واذا فيها من الملائكة الخشوع مثل مـــا في السماوات .

وقال عليه السلام : كان عمر موسى بن عمران مائتين واربعين سنة ، وكان بينه وبين ابراهيم خمسمائة سنة .

وعنه صلى الله عليه وآله: اختار من الانبياء اربعة للسيف : ابراهيم وداود وموسى وأنا ، واختار من البيوتات اربعة . فقال الله عز وجل : (ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) .

(علل الشرايع) سأل الشامي امير المؤمنين عليه السلام عن قول الله عز وجل: (يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه) من هم ؟ فقال : قابيل يفر من هابيل، والذي يفر من أمه موسى، والذي يفر من أبيه ابراهيم، والذي يفر من صاحبته لوط ، والذي يفر من ابنه نوح ، والذي يفر من ابيه كنعان .

قال الصدوق : انما يفر موسى من أمه ، خشية ان يكون قصّر فيما وجب عليه من حقها .

أقول : ذكر جماعة من أهل الحديث ، انه يجوز ان يتجوز بالأم عن المربية او المرضعة التي احضنته او ارضعته في بيت فرعون قبل وقوع أمه عليه ، كما تجوزوا عن ابراهيم بأبيه .

(الأمالي) عن ابي عبد الله عليه السلام قال: اوحى الله الى موسى بن عمران: يا موسى أتدري لِمَ انتجبتك من خلقي واصطفيتك لكلامي ؟ فقال : لا يا رب . فأوحى الله اليه : اني اطلعت على الارض ، فلم أجد أشد تواضعاً لي منك . خرّ موسى ساجداً

وعفر خديه في التراب ، تذللاً منـه لربه عز وجل ، فأوحى الله اليه : إرفع رأسك يا موسى ، ومر يدك على موضع سجودك وامسح بها وجهك ومـا نالته من بدنك ، فانه أمان من كل سقم وداء وآفة وعاهة .

وفي حديث آخر ، عن ابي جعفر عليه السلام قـال : أوحى الله عز وجل الى موسى عليه السلام : أتدري لِمَ اصطفيتك بكلامي دون خلقي ؟ فقال موسى : لا يا رب ، فقال : يا موسى اني قلبت عبادي ظهراً لبطن ، فلم أجد احداً فيهم اذل لي منك نفساً يا موسى انك اذا صليت وضعت خديك على التراب .

(وروي) ان موسى عليه السلام كان اذا صلى لم ينفتل حتى يلصق خده الأيمن بالأرض والأيسر .

أقول : هذا الوضع على التراب بعد الصلاة هو سجدة الشكر ، الذي قال به علماؤنا ونطقت به اخبارنا ، وشنع المخالفون به علينا تشنيعاً شنيعاً وقالوا ان سجدة الشكر من مبتدعات اليهود والرافضة . ورووا في اخبارهم : ان اول من سجد سجدة الشكر في الاسلام هو امير المؤمنين عليه السلام ، لما أمر بالمبيت على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة الغار .

تفسير علي بن ابراهيم ، عن الصادق عليه السلام قال : ان بني اسرائيل كانوا يقولون : ليس لموسى مـا للرجال ، وكان موسى عليه السلام اذا اراد الاغتسال ذهب الى موضع لا يراه فيه احد ، وكان يومـاً يغتسل على شط نهر ، وقد وضع ثيابه على صخرة ، فأمر الله الصخرة فتباعدت عنه ، حتى نظر بنو اسرائيل اليه ، فعلموا انه ليس كما قالوا ، فأنزل الله : (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ...) الآية .

قال امين الاسلام الطبرسي : اختلفوا فيما آذوا بـه موسى عليه السلام على اقوال :

(احدها) ان موسى وهارون عليهما السلام صعدا الجبل ، فمات هارون ، فقالت بنو اسرائيل : أنت قتلته ، فأمر الله الملائكة فحملته حتى مروا بـه على بني اسرائيل ، وتكلمت الملائكة بموته ، حتى عرفوا انه قد مـات . فبرأه الله من ذلك .

روي ذلك عن علي عليه السلام وابن عباس .

و (ثانيها) ان موسى عليه السلام كان جنباً يغتسل وحده ، فقالوا : ما يتستر منا إلا لعيب بجلده إما برص وإما ادرة ، فذهب مرة ليغتسل فوضع ثوبه على حجر فمر الحجر بثوبه فطلبه موسى ، فرآه بنو اسرائيل عرياناً كأحسن الرجال خلقاً ، فبرأه الله مما قالوا . رواه ابو هريرة مرفوعاً .

وقال قوم ان ذلك لا يجوز ، لأن فيها اشتهار النبي وإبداء سوأته على رؤوس الاشهاد ، وذلك ينفر عنه .

و (ثالثها) ان قارون استأجر مومسة لتقذف موسى عليه السلام بنفسها على رؤوس الملأ ، فعصمه الله تعالى من ذلك . عن ابي العالية .

و (رابعها) انهم آذوه من حيث انهم نسبوه الى السحر والجنون والكذب ، بعد ما رأوا الآيات . عن ابي مسلم . انتهى .

وأما السيد قدس الله ضريحه فقد رد الثاني ، بأنه ليس يجوز ان يفعل الله تعالى بنبيه ، ما ذكروه من هتك العورة ، لتنزيهه عن عاهة اخرى . فانه تعالى قادر ان ينزهه مما قذفوه به على وجه لا يلحقه معه فضيحة اخرى ، وليس يرمي بذلك انبياء الله من يعرف أقدارهم .

ثم قال : والذي روي في ذلك من الصحيح معروف وذكر الوجه الاول .

وقال جماعة من اهل الحديث : لا استبعاد فيه بعد ورود الخبر الصحيح وان رؤيتهم له على ذلك الوضع الذي لم يتعمده موسى عليه السلام ، ولم يعلم ان احداً ينظر اليه أم لا وأن مشيه عرياناً لتحصيل ثيابه مضافاً الى تبعيده عما نسبوه اليه ، ليس من المنفرات .

وسئل الصادق عليه السلام : أيهما مات قبل ؟ موسى أم هارون ؟ قال : هارون مات قبل موسى صلوات الله عليهما .

وسئل أيهما كان اكبر ؟ قال : هارون . وكان اسم ابني هارون : شبير وشبيراً ، وتفسيرهما بالعربية الحسن والحسين .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **رأيت ابراهيم وموسى وعيسى صلوات الله**

عليهم ، فأما موسى فرجل طوال سبط يشبه رجال الزط ورجال اهل شنوة ، وأما عيسى فرجل احمر جعد ربعة ، ثم سكت فقيل : يا رسول الله فابراهيم ؟ قال : فانظروا الى صاحبكم . يعني نفسه صلوات الله عليه .

الفصل الثاني

في احوال موسى عليه السلام من حين ولادته الى نبوته

تفسير علي بن ابراهيم ، عن ابي ، عن ابن محبوب عن العلا عن محمد عن ابي جعفر عليه السلام قال : ان موسى عليه السلام لما حملته أمه ، لم يظهر حملها إلا عند وضعه ، وكان فرعون قد وكل بنساء بني اسرائيل نساء من القبط يحفظنهن ، ولذلك لما كان بلغه عن بني اسرائيل انهم يقولون انه يلد فينا رجل يقال له موسى بن عمران يكون هلاك فرعون وأصحابه على يديه ، فقال فرعون عند ذلك : لأقتلن ذكور اولادهم حتى لا يكون ما يريدون ، وفرّق بين الرجال والنساء وحبس الرجال في المحابس . فلما وضعت أم موسى بموسى نظرت اليه واغتمت وقالت : يذبح الساعة ، فعطف الله بقلب الموكلة بها عليه ، فقالت لأم موسى : ما لك قد اصفر لونك ؟ فقالت : اخاف ان يُذبح ولدي . فقالت : لا تخافي . وكان موسى لا يراه أحد إلا أحبه ، وهو قول الله : (وألقيت عليك محبة مني) فأحبته القبطية الموكلة به ، وأنزل الله على أم موسى التابوت ونوديت (ضعيه في التابوت فاقذفيه في اليم —وهو البحر— ولا تخافي ولا تحزني إنا رادّوه اليك وجاعلوه من المرسلين) فوضعته في التابوت وأطبقت عليه وألقته في النيل .

وكان لفرعون قصور على شط النيل متنزهات فنظر من قصره ومعه آسية امرأته الى سواد في النيل ترفعه الامواج وتضربه الرياح حتى جاءت به الى قصر فرعون وأمر فرعون بأخذه ، فأخذ التابوت ودفع اليه ولما فتحه وجد فيه صبياً فقال : هذا اسرائيلي ، فألقى الله في قلب فرعون لموسى محبة شديدة وكذلك في قلب آسية وأراد فرعون ان يقتله فقالت آسية : لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولداً ،

وهم لا يشعرون انه موسى ، ولم يكن لفرعون ولد ، فقال : التمسوا له ظئراً تربيه فجاؤوا بعدة نساء قد قتل اولادهم ، فلم يشرب لبن احد من النساء وهو قول الله : (وحرمنا عليه المراضع من قبل) .

وبلغ أمه ان فرعون قد اخذه ، فحزنت ثم قالت لأخت موسى قصية — اي إتبعيه — فجاءت اخته اليه ، فبصرت به عن جنب — اي من بعد — وهم لا يشعرون فلما لم يقبل موسى ثدي احد من النساء ، اغتم فرعون غماً شديداً ، فقالت اخته : هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ؟ فقالوا : نعم، فجاءت بأمه ، فلما أخذته بحجرها وألقمته ثديها . التقمه وشرب . ففرح فرعون وأهله وأكرموا أمه . فقالوا لها : ربيه لنا فإنا نفعل بك ونفعل . وذلك قول الله (فرددناه الى أمه كي تقر عينها ولا تحزن) . وكان فرعون يقتل اولاد بني اسرائيل كلما يلدون ويربي موسى ويكرمه ولا يعلم ان هلاكه على يديه .

ولما درج موسى كان يوماً عند فرعون فعطس فقال: الحمد لله رب العالمين . فأنكر ذلك عليه ولطمه وقال : ما هذا الذي تقول ؟ فوثب موسى على لحيته وكان طويل اللحية فهلبها أي قلعها ، فهمّ فرعون بقتله فقالت امرأته : غلام حدث لا يدري ما يقول ، فقال فرعون : بل يدري، فقالت له : ضع بين يديك تمراً وجمراً فان ميّز بين التمر والجمر فهو الذي تقول، فوضع بين يديه تمراً وجمراً ، فقال له : كل، فمد يده الى التمر فجاء جبرئيل عليه السلام فصرفها الى الجمر ، فأخذ الجمر فاحترق لسانه وصاح وبكى ، فقالت آسية لفرعون : ألم أقل انه لا يعقل ؟ فعفا عنه .

فقلت لأبي جعفر عليه السلام: فكم مكث موسى غائباً عن أمه حتى رده الله عليها؟ قال: ثلاثة ايام. قلت له أخبرني عن الاحكام والقضاء والأمر والنهي أكان ذلك اليهما؟ قال : كان موسى الذي يناجي ربه ويكتب العلم ويقضي بين بني اسرائيل وهارون يخلفه اذا غاب عن قومه للمناجاة . قلت : فأيهما مات قبل صاحبه ؟ قال : مات هارون قبل موسى ، وماتا جميعاً في التيه . قلت : أو كان لموسى ولد ؟ قال : لا ، كان الولد لهارون .

قال : فلم يزل موسى عند فرعون في إكرامه ، حتى بلغ مبلغ الرجال ، وكان ينكر عليه ما يتكلم من التوحيد ، حتى همّ به ، فخرج موسى من عنده ودخل مدينة من مدائن فرعون فإذا رجلان يقتتلان ، احدهما يقول بقول موسى والآخر

يقول بقول فرعون ، فجاء موسى فوكز صاحبه وقضى عليه وتوارى في المدينة ، فلما كان من الغد جاء آخر فتشبث بذلك الرجل الذي يقول بقول موسى فاستغاث بموسى ، فلما نظر صاحبه الى موسى قال له : أتريد ان تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس ؟ فخلى سبيله وهرب .

وكان خازن فرعون مؤمناً بموسى قد كتم ايمانه (ستمائة سنة) وهو الذي قال الله عز وجل : (وجاء رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه ...) الآية .

وبلغ فرعون خبر قتل موسى الرجل ، فطلبه ليقتله ، فبعث المؤمن الى موسى (ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين) فخرج منها خائفاً يترقب – اي يلتفت يمنة ويسرة – ومر نحو مدين ، وكان بينه وبين مدين ثلاثة ايام ، فلما بلغ باب مدين ، رأى بئراً يستقى منها لأغنامهم ، فقعد ناحية ولم يكن أكل منذ ثلاثة ايام شيئاً ، فنظر الى جاريتين في ناحية ومعهما غنيمات لا تدنوان من البئر ، فقال لهما : ما بالكما لا تستقيان ؟ فقالا : حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير . فرحمهما موسى ودنا من البئر ، فقال لمن على البئر : استسقي لي دلواً ولكم دلواً ؟ وكان الدلو يمده عشرة رجال ، فاستسقى وحده دلواً لبنتي شعيب وسقى اغنامهما ، ثم تولى الى الظل فقال (رب اني أنزلت إليّ من خير فقير) والله ما سأل إلا خبزاً يأكله ببقلة الارض ، ولقد رأوا خضرة البقل في صفاق بطنه من هزاله .

فلما رجعت ابنتا شعيب قال لهما : اسرعتما الرجوع فأخبرتاه بقصة موسى ، ولم تعرفاه ، فقال شعيب لواحدة منهن : إذهبي اليه فادعيه لنجزيه اجر ما سقى لنا ، فجاءت اليه تمشي على استحياء فقالت له : ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا. فقام موسى معها فسفقتها الرياح فبان عجزها ، فقال لها موسى : تأخري ودليني على الطريق ، فأنا من قوم لا ينظرون في ادبار النساء .

فلما دخل علىشعيب قص اليه قصته فقال شعيب: لا تخف نجوت من القوم الظالمين، قالت إحدى بنات شعيب : يا ابت استأجره ان خير ما استأجرت لقوي امين؟ فقال لها شعيب : أما قوته فقد عرفتيه بسقي الدلو وحده ، فبم عرفت امانته فقالت : انه قال لي تأخري عني فأنا من قوم لا ينظرون في ادبار النساء ، فهذه أمانته . فقال له شعيب: اني اريد ان انكحك إحدى بناتي هاتين على ان تأجرني ثماني حجج فإن أتممت

عشراً فمن عندك فقال له موسى: ذلك بيني وبينك ايما الأجلين قضيت فلا سبيل عليّ. ثم انه اتم عشراً.

قلت: فالرجل يتزوج المرأة ويشترط لأبيها اجارة شهرين ايجوز ذلك؟ قال: ان موسى عليه السلام علم انه يتم بشرطه فكيف لهذا ان يعلم انه يبقى حتى يفي.

فلما قضى موسى الأجل قال: لا بد ان ارجع الى وطني وأمي وأهل بيتي فما لي عندك؟ قال شعيب: ما وضعت اغنامي في هذه السنة من بلق فهو لك، فعمد موسى عندما أراد ان يرسل الفحل على الغنم الى عصاه فقشر منه بعضه وترك بعضه وغرزه في وسط مربض الغنم والقى عليه كساء ابلق، ثم ارسل الفحل على الغنم، فلم تضع الغنم في تلك السنة إلا بلقاً، فلما حان عليه الحول، حمل موسى امرأته وزوده شعيب من عنده وساق غنمه، فلما أراد الخروج قال لشعيب: إعطني عصا تكون معي، وكان عصى الأنبياء عنده قد ورثها مجموعة في بيت فقال له شعيب: ادخل في هذا البيت وخذ عصاً من بين تلك العصي. فدخل فوثبت عليه عصا نوح وابراهيم صلوات الله عليهما وصارت في كفه فأخرجها، ونظر اليها شعيب فقال: ردها وخذ غيرها. فوثبت اليه تلك العصا بعينها حتى فعل مثل ذلك مرات، فلما رأى شعيب ذلك قال له: إذهب بها فقد خصك الله بها.

فخرج يريد مصر، فلما صارت في مفازة ومعه اهله اصابهم برد شديد وريح وظلمة وقد جنهم الليل، ونظر موسى الى نار قد ظهرت فأقبل نحو النار فإذا شجرة ونار تلتهب عليها، فلما ذهب الى النار يقتبس منها، اهوت اليه ففزع وعدا ورجعت النار الى الشجرة فالتفت اليها ورجعت الى مكانها ورجع الثانية ليقتبس، فأهوت نحوه فعدا وتركها، ثم التفت وقد رجعت الى الشجرة فرجع اليها الثالثة فأهوت نحوه فعدا ولم يرجع، فناداه الله سبحانه: (يا موسى إني انا الله رب العالمين) قال موسى: (فما الدليل على ذلك؟ قال الله وما تلك بيمينك يا موسى؟ قال هي عصاي) قال: إلقها، فألقاها فصارت حية ففزع منها موسى وعدا، فناداه الله: (خذها ولا تخف انك من الآمنين * واسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) ـ أي من غير سمرة ـ وذلك ان موسى كان شديد السمرة، فأخرج يده من جيبه فأضاءت له الدنيا، فقال الله عز وجل: فذلك برهان من ربك الى فرعون وملئه. فقال موسى عليه السلام: (إني قتلت منهم نفساً فأخاف ان يقتلون * وأخي هارون هو افصح مني لساناً فارسله

معي ردءاً يصدقني اني اخاف ان يكذبوني ، قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون اليكما بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون) .

(الكافي) عن ابي عبد الله عليه السلام: كن لما ترجو ارجى منك لما لا ترجو فإن موسى عليه السلام ذهب يقتبس ناراً ، فانصرف منها وهو نبي مرسل .

(عيون الأخبار) في حديث ابن الجهم قال : سأل المأمون الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل : (فوكزه موسى فقضي عليه) قال هذا من عمل الشيطان قال الرضا عليه السلام: ان موسى عليه السلام دخل مدينة من مدائن فرعون على حين غفلة من اهلها وذلك بين المغرب والعشاء فوجد فيها رجلان يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه ، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فقضى موسى على العدو بحكم الله تعالى ذكره فوكزه فمات ، قال هذا من عمل الاقتتال الذي كان وقع بين الرجلين ، لا ما فعله موسى عليه السلام من قتله انه يعني الشيطان عدو مضل مبين . قال المأمون فما معنى قول موسى : (رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي) قال : يقول اني وضعت نفسي غير موضعها بدخولي هذه المدينة (فاغفر لي) - أي استرني من اعدائك لئلا يظفروا بي فيقتلوني ، فغفر له انه هو الغفور الرحيم ، قال موسى عليه السلام : رب بما انعمت عليّ من القوة حتى قتلت رجلاً بوكزة فلن اكون ظهيراً للمجرمين بل اجاهد في سبيلك بهذه القوة حتى ترضى ، فأصبح موسى في المدينة خائفاً يترقب، فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه على آخر قال له موسى انك لغوي مبين قاتلت رجلاً بالأمس وتقاتل هذا اليوم لأؤدبنك وأراد ان يبطش به، فأراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما وهو من شيعته قال يا موسى تريد ان تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس ؟ إن تريد ان تكون جباراً في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين .

قال المأمون : جزاك الله خيراً يا ابا الحسن، فما معنى قول موسى لفرعون: (فعلتها إذاً وأنا من الضالين) قال الرضا عليه السلام : ان فرعون قال لموسى لما اتاه فعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين قال موسى عليه السلام (فعلتها إذاً وأنا من الضالين) عن الطريق بوقوعي الى مدينة من مدائنك ففررت منكم لما خفتكم (فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين) . . . الخبر .

(إكمال الدين) مسنداً الى امير المؤمنين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لما حضر يوسف الوفاة جمع شيعته وأهل بيته فحمد الله واثنى عليه ، ثم حدثهم بشدة تنالهم

تقتل فيها الرجال وتشق بطون الحبالى وتذبح الأطفال حتى يظهر الله الحق في ولد لاوي بن يعقوب وهو رجل اسمر طويل ، ووصفه له بنعته فتمسكوا بذلك . ووقعت الغيبة والشدة ببني اسرائيل وهم ينتظرون قيام القائم اربعمائة سنة ، حتى اذا بشروا بولادته ورأوا علائم ظهوره واشتدت البلوى عليهم وحمل عليهم بالخشب والحجارة وطلبوا الفقيه الذي كانوا يستريحون الى احاديثه فاستتر وتراسلوه وقالوا كنا مع الشدة نستريح الى حديثك ، فخرج بهم الى بعض الصحاري وجلس يحدثهم حديث القائم ونعته وقرب الأمر ، وكانت ليلة قمراء ، فبينا هم كذلك إذ طلع عليهم موسى عليه السلام وكان في ذلك الوقت حدث السن وقد خرج من دار فرعون يظهر النزاهة فعدل عن موكبه وأقبل اليهم وتحته بغلة وعليه طيلسان خز . فلما رآه الفقيه عرفه بالنعت ، فقام اليه وانكب على قدميه يقبلهما ثم قال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيتك ، فلما رأى الشيعة ذلك علموا انه صاحبهم فأكبوا على الارض شكراً لله عز وجل فلم يزدهم إلا ان قال ارجو الله ان يعجل فرجكم ثم غاب بعد ذلك وخرج الى مدينة مدين فأقام عند شعيب ما اقام .

فكانت الغيبة الثانية أشد عليهم من الاولى وكانت نيفاً وخمسين سنة واشتدت البلوى عليهم واستتر الفقيه فبعثوا اليه لا صبر لنا على استتارك عنا فخرج الى بعض الصحاري واستدعاهم وطيب قلوبهم واعلمهم ان الله عز وجل اوحى اليه : انه مفرج عنهم بعد اربعين سنة ، فقالوا بأجمعهم الحمد لله ، فأوحى الله عز وجل قل لهم قد جعلتها ثلاثين سنة لقولهم الحمد . فقالوا كل نعمة من الله . فأوحى الله اليه قل لهم قد جعلتها عشرين سنة . فقالوا لا يأتي بالخير إلا الله . فأوحى الله اليه قل لهم قد جعلتها عشراً . فقالوا لا يصرف الشر إلا الله . فأوحى الله اليه قل لهم لا تبرحوا فقد أذنت في فرجكم. فبينا هم كذلك إذ طلع موسى عليه السلام راكباً حماراً. فأراد الفقيه ان يعرّف الشيعة ما يستبصرون به . وجاء موسى حتى وقف عليهم فسلم عليهم فقال له الفقيه ما اسمك ؟ فقال : موسى بن عمران بن وهيب بن لاوي بن يعقوب قال بماذا جئت ؟ قال بالرسالة من عند الله عز وجل . فقام اليه فقبل يده . ثم جلس بينهم وطيب نفوسهم وأمرهم امره ثم فرقهم ، فكان بين ذلك الوقت وبين فرجهم بغرق فرعون اربعون سنة .

وعن ابي الحسن الرضا عليه السلام : كان شعيب يزور موسى كل سنة . فإذا اكل قام موسى على رأسه وكسر له الخبز .

أقول : فيه إشعار باستحباب قيام صاحب المنزل على رأس ضيفه وأن يخدمه مثل هذه الخدمة ونحوهما مما يزيد عليها بمفهوم المخالفة وما ينقص عنها بمفهوم الموافقة .

(الكافي) عن ابي جعفر عليه السلام قال : كانت عصا موسى لآدم فصارت الى شعيب ثم صارت الى موسى، وإنها لعندنا وإن عهدي بها آنفاً وهي خضراء كهيئتها حين انتزعت من شجرتها وإنها لتنطق إذا استنطقت اعدت لقائمنا يصنع بها ما كان يصنع بها موسى عليه السلام وانها لتصنع ما تؤمر به، انها حيث اقبلت تلقف ما يأفكون، تفتح لها شعبتان احداهما في الارض والأخرى في السقف وبينهما اربعون ذراعاً تلقف ما يأفكون بلسانها ، وكانت من عوسج الجنة .

وعن ابي عبد الله عليه السلام : ان فرعون لما وقف على زوال ملكه على يد موسى عليه السلام امر باحضار الكهنة فدلوه على نسبه وانه من بني اسرائيل فلم يزل يأمر اصحابه بشق بطون الحوامل من بني اسرائيل حتى قتل في طلبه نيفاً وعشرين الف مولود ، وتعذر عليه الوصول الى قتل موسى بحفظ الله تبارك وتعالى إياه .

(تفسير الإمام العسكري عليه السلام) قال الإمام : قال الله تعالى (واذكروا يا بني اسرائيل إذ أنجيناكم وأنجينا أسلافكم من آل فرعون) وكان من عذاب فرعون لبني اسرائيل انه كان يكلفهم عمل البناء على الطين ويخاف ان يهربوا عن العمل فأمرهم بتقييدهم وكانوا ينقلون ذلك الطين على السلاليم الى السطوح . فربما سقط الواحد منهم فمات او زمن لا يعبأون بهم ، الى ان أوحى الله الى موسى : قل لا يبتدئون عملاً إلا بالصلاة على محمد وآله الطيبين ليخفف عليهم ، فكانوا يفعلون ذلك فيخف عليهم ، وأمر كل من سقط فزمن ممن نسي الصلاة على محمد وآله الطيبين ان يقولها على نفسه إن أمكنه – اي الصلاة على محمد وآله، او يقال عليه إن لم يمكنه فانه يقوم ولا تقبله يد ففعلوها فسلموا ، فقيل لفرعون انه يولد في بني اسرائيل مولود يكون على يده زوال ملكك ، فأمر بذبح ابنائهم ، فكانت الواحدة منهن تعطي القوابل الرشوة لكيلا تنم عليها ويتم حملها ثم تلقي ولدها في صحراء أو غار جبل وتقول عليه عشر مرات الصلاة على محمد وآله ، فيقض الله ملكاً يربيه ويدر من اصبع له لبناً يمصه ومن اصبع طعاماً يتغذاه الى أن نشأ بنو اسرائيل وكان من سلم منهم ونشأ أكثر ممن قتل .

(ويستحيون نساءكم) يبقوهن ويتخذوهن اماء ، فضجوا الى موسى وقالوا : يفترعون بناتنا واخواتنا ، فأمر الله تلك البنات كلما رأى بهن من ذلك ريب صلّين على محمد وآله الطيبين ، فكان يرد عنهن اولئك الرجال إما بشغل او مرض او زمانة او لطف من ألطافه فلم تفترش منهن امرأة بل دفع الله عز وجل عنهن بصلاتهن على محمد وآله الطيبين ، ثم قال عز وجل : « وفي ذلكم الانجاء الذي أنجاكم منها ربكم بلاء نعمة من ربكم عظيم كبير » قال الله عز وجل : « يا بني اسرائيل اذكروا » اذا كان البلاء يصرف عن اسلافكم ويخف بالصلاة على محمد وآله الطيبين أفما تعلمون انكم اذا شاهدتموه وآمنتم به كانت النعمة عليكم أفضل وفضل الله عليكم أجزل .

قال الثعلبي في كتاب (عرائس المجالس) : مات الريان بن الوليد فرعون مصر الاول صاحب يوسف عليه السلام وهو الذي ولى يوسف خزائن ارضه وأسلم على يديه فلما مات، ملك بعده قابوس بن مصعب صاحب يوسف عليه السلام الثاني فدعاه يوسف الى الاسلام فأبى وكان جباراً ، وقبض الله يوسف عليه السلام في ملكه وطال ملكه ثم هلك ، وقام بالملك بعده اخوه ابو العباس الوليد بن مصعب بن الريان بن اراشة ابن ثوران بن عمرو بن فاران بن عملاق بن لاوي بن سام بن نوح عليه السلام وكان أفجر من قابوس ، وأقام بنو اسرائيل بعد وفاة يوسف عليه السلام وقد نشروا وكثروا وهم تحت ايدي العمالقة وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب شرعوا فيهم من الاسلام ، حتى كان فرعون موسى الذي بعثه الله اليه ولم يكن منهم فرعون أعتى على الله ولا أطول عمراً في ملكه ولا أسوأ ملكه لبني اسرائيل منه ، وكان يعذبهم ويستعبدهم وصنفهم في أعماله ، فصنف يبنون وصنف يحرثون وصنف يتولون الاعمال القذرة ، وقد استنكح منهم فرعون امرأة يقال لها آسية بنت مزاحم من خيار النساء ، فأسلمت على يد موسى ولم يسلم من اهل مصر إلا ثلاثة : آسية وحزقيل ومريم بنت موساء التي دلت موسى على قبر يوسف عليهما السلام ، فعمر فرعون وهم تحت يديه اربعمائة سنة ، فلما اراد الله ان يفرج عنهم بعث موسى عليه السلام ، وذلك ان فرعون رأى في منامه ان ناراً قد أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأخربتها وأحرقت القبط وتركت بني اسرائيل ، فدعا فرعون السحرة والمنجمين وسألهم عن رؤياه فقالوا انه يولد في بني اسرائيل غلام يسلبك ملكك ويخرجك وقومك من ارضك ويبدل دينك وقد أظلك زمانه الذي يولد فيه ، فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل وجمع القوابل من نساء اهل مملكته فقال

لهن : اقتلن الغلمان دون البنات .

قال مجاهد : لقد ذكر لي انه كان يأمر بالقضب فيشق حتى يجعل امثال الشفار ثم يصف بعضها الى بعض ثم يؤتى بالحبالى من بني اسرائيل فيوقفن فتجر اقدامهن حتى ان المرأة منهن لتضع ولدها فيقع بين رجليها فتظل تطأه ، تتقي به حد القضب عن رجليها لما بلغ جهدها ، فكان يقتل الغلمان الذين كانوا في وقته ويقتل من يولد منهم ويعذب الحبالى حتى يضعن مـا في بطونهن ، وأسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل رؤوس القبط على فرعون فقـالوا : ان الموت وقع في بني اسرائيل وأنت تذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا ، فأمر فرعون ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة ، فولد هـارون في السنة التي لا يذبحون فيها ، قالوا : فولدت هارون أمه علانية آمنة ، فلما كان العام المقبل حملت بموسى ، فلما وضعته امرها الله سبحانه : بوضعه في التابوت ولفظه في الماء ، حتى أتى به الى قصر فرعون ، وأتت به آسية الى فرعون وقالت : قرة عين لي ولك لا تقتله ، فقال : قرة عين لك أما أنا فلا حاجة لي فيه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : والذي يحلف فيه لو أقر فرعون ان يكون ابنه كما أقرت به لهداه الله تعالى كما هدى زوجته ، ولكن الله تعالى حرمه ذلك ، فلما آمنت آسية ارادت ان تسميه باسم اقتضاه حاله وهو موسى ، لأنه وجد بين الماء والشجر ، و (مو) بلغة القبط الماء و (شا) الشجر ، فعرب فقيل : موسى .

وعن ابن عباس : ان بني اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ووافق خيارهم شرارهم فسلط الله عليهم القبط يعذبونهم .

قال وهب : بلغني انه ذبح في طلب موسى سبعين الف وليد .

وعن ابن عباس : ان أم موسى لمـا تقارب ولادتها وكانت قابلة من القوابل مصافية لها ، فلما ضربها الطلق ارسلت اليها فأتتها وقبلتها ، فلما وقع موسى عليه السلام بالأرض هالها نور بين عيني موسى ، فارتعش كل مفصل منها ودخل حبه في قلبها .

ولما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاؤوا ليدخلوا على أم موسى ، فقالت اخته : هذا الحرس بالباب ، فطاش عقلها ، فلفته في خرقة ووضعته في التنور

وهو مسجور ، فدخلوا فاذا التنور مسجور ولم يروا شيئاً وخرجوا من عنده فرجع اليها عقلها ، فقالت لأخت موسى : فأين الصبي ؟ قالت : لا أدري ، فسمعت بكاء الصبي من التنور فانطلقت اليه ، وقد جعل الله النار عليه برداً وسلاماً فاحتملته .

وعن ابن عباس قال : انطلقت أم موسى الى نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتاً صغيراً ، فقال لها : ما تصنعين به ؟ قالت : ابن لي اخبئه فيه ، وكرهت ان تكذب ، فانطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بأمرها ، فلما همّ بالكلام أمسك الله لسانه ، وجعل يشير بيده فلم يدر الامناء ، فلما أعياهم امره ، قال كبيرهم : اضربوه فضربوه وأخرجوه ، فوقع في واد يهوى فيه حيران ، فرد الله عليه لسانه وبصره ان لا يدل عليه ويكون معه يحفظه الله فرد الله عليه بصره ولسانه ، فآمن به وصدّقه ، فانطلقت أم موسى وألقته في البحر وذلك بعد ما ارضعته ثلاثة اشهر ، وكان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس عليه وكان بها برص شديد وقد قالت اطباء مصر والسحرة انها لا تبرأ إلا من قبل البحر يوجد منه شيء شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك ، وذلك في يوم كذا من ساعة كذا .

فلما كان يوم الاثنين غدا فرعون الى مجلس كان له على شفير النيل ومعه آسية فأقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطىء النيل مع جواريها تلاعبهن ، إذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الامواج فأخذوه فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نوراً لم يره غيرها ، للذي اراد الله ان يكرمها ، ففتحت الباب فاذا نور ما بين عينيه ، وقد جعل الله تعالى رزقه في ابهامه يمصه لبناً ، فألقى الله حبه في قلبها ، وأحبه فرعون ، فلما اخرجوه عمدت بنت فرعون الى ما كان يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرأت ، فضمته الى صدرها وقبلته ، فقال الغواة من قوم فرعون : ايها الملك إنا نظن ان هذا المولود هو ذلك الذي تحذر منه ، فهمّ فرعون بقتله فاستوهبته آسية فوهبه لها .

وقال اهل السيَر لما بلغ موسى أشده وكبر ، كان يركب مراكب فرعون وكان يدعى موسى بن فرعون ، فركب فرعون ذات يوم وركب موسى في أثره فأدركه المقيل بأرض يقال لها : منف ، فدخلها نصف النهار وقد غلقت اسواقها وليس في طرقها احد ، وذلك قوله تعالى (على حين غفلة من أهلها) فبينا هو يمشي في ناحية

المدينة اذا هو برجلان يقتتلان ، احدهما من بني اسرائيل والآخر من آل فرعون والذي من شيعته يقال انه السامري والذي من عدوه كان خبازاً لفرعون واسمه قانون وكان اشترى حطباً للمطبخ ، فتنجز السامري ليحمله فامتنع ، فلما مرّ بهما موسى عليه السلام استغاث به فقال موسى للقبطي : دعه ، فقال الخباز : إنما آخذه لعمل ابيك ، فأبى ان يخلي سبيله ، فغضب موسى فبطش به ، وخلص السامري من يده ، فنازعه القبطي فوكزه موسى ، فقتله وهو لا يريد قتله ، فأصبح في المدينة خائفاً يترقب الاخبار .

فقيل له ان بني اسرائيل قد قتلوا رجلاً من آل فرعون فخذلنا بحقنا ، فقال : ائتوني بقاتله ومن يشهد عليه ، فطلبوا ذلك فبينا هم يطوفون إذ مرّ موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلي يقاتل فرعونياً فاستغاثه على الفرعوني فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس وكره الذي رأى ، فغضب موسى عليه السلام فمد يده وهو يريد ان يبطش بالفرعوني ، فقال للاسرائيلي : انك لغوي مبين ، فخاف الاسرائيلي من موسى ان يبطش به من اجل انه أغلظ له الكلام فظن انه يريد قتله فقال له يا موسى « أتريد ان تقتلني ... » الآية .

وإنما قال ذلك مخافة من موسى وظناً ان يكون إياه اراد ، وإنما اراد الفرعوني فتتاركا وذهب الى فرعون وأخبره بما سمع من الاسرائيلي ، فأرسل فرعون الذباحين وأمرهم بقتل موسى وقال لهم : اطلبوه في الطرق فانه غلام لا يهتدي الى الطريق ، فجاءه رجل من اقصى المدينة من شيعته يقال له : حزقيل ، وكان على تقية من دين ابراهيم الخليل وكان اول من صدق بموسى وآمن به .

(وروي) عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : سيأتي الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين : حزقيل مؤمن آل فرعون ، وحبيب النجار صاحب ياسين ، وعلي بن ابي طالب عليه السلام وهو افضلهم . فجاء حزقيل فاختصر طريقاً حتى سبق الذباحين اليه ، وأخبره بما همّ به فرعون . فذلك قوله « فجاء رجل من اقصى المدينة ... » الآية .

فتحير موسى ولم يدر اين يذهب فجاء ملك على فرس بيده عنزة فقال : اتبعني فتبعه فهداه الى مدين وكان مسيرة ثمان ليال ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر ، فما وصل اليها حتى جف قدميه وان خضرة البقل تتراءى من بطنه ، ثم انه اتصل

بشعيب وبقي عنده المدة المشروطة ، فلما قضى أتم الأجلين وسار بأهله منفصلاً من ارض مدين يؤم الشام ومعه اغنامه وامرأته وهي في شهرها ، فانطلق في برية الشام عادلاً عن المدائن والعمران مخافة الملوك الذين كانوا بالشام ، فسار غير عارف بالطريق حتى انتهى الى جانب الطور الغربي الايمن في عشية شتائية شديدة البرد وأظلم عليه الليل وأخذت السماء ترعد وتبرق وتمطر وأخذ امرأته الطلق وعمد موسى الى زنده وقدحه مرات فلم تور ، فتحير وقام وقعد وأخذ يتأمل ما قرب ومـــا بعد ، تحيراً وزجراً ، فبينا هو كذلك إذ أنس من جانب الطور ناراً ، فحسبه ناراً ، فقال لأهله : امكثوا « اني آنست ناراً لعلّي آتيكم بقبس أو أجد على النار هدى » يعني من يدلني على الطريق . وقد كان ضل الطريق ، فلما أتاها رأى نوراً عظيماً ممتداً من عنان السماء الى شجرة عظيمة هناك . واختلفوا فيها . فقيل : العوسجة . وقيل : العناب .

فتحير موسى وارتعدت فرائصه حيث رأى ناراً عظيمة ليس لها دخان يلتهب من جوف شجرة خضراء لا تزداد النار إلا عظماً ولا الشجرة إلا خضرة ، فلما دنا استأخرت عنه ، فخاف عنها ورجع ، ثم ذكر حاجته الى النار فرجع اليها فدنت منه ، فنودي من شاطىء الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة : « ان يا موسى » فنظر فلم يرَ احداً ، فنودي « اني انا الله رب العالمين » فلما سمع ذلك علم انـــه ربه واقترب ، فلما قرب منه وسمع النداء ورأى تلك الهيبة ، خفق قلبه وكل لسانه وصار حياً كميت فأرسل الله اليه ملكاً يقوي قلبه ، فلمـــا رجع اليه رشده ، نودي : « اخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى » ثم قال الله سبحانه تسكيناً لقلبه : « وما تلك بيمينك ... » الآية .

واختلف في اسم العصا . فقيل : اسمها ما شاء الله . وقيل : غياث . وقيل : عليق ، وأما صفاتها والمآرب التي كانت فيها :

فقال اهل العلم : كان لعصى موسى شعبتان ومحجن في اصل الشعبتين وسنان حديد في اسفلها ، فكان موسى اذا دخل مفازة ليلاً ولم يكن قمر ، تضيء شعبتاها من نور مد بصره ، وكان اذا أعوزه الماء أدلاها في البئر فجعلت تمتد الى قعر البئر وتصير في رأسها شبه الدلو ويستقي واذا احتاج الى الطعام ضرب الارض بعصاه

فيخرج ما يأكل يومه وكان اذا اشتهى فاكهة من الفواكه غرزها في الارض فتغصنت اغصان تلك الشجرة التي اشتهى موسى فاكهتها وأثمرت له من ساعتها .

ويقال : كان عصاه من اللوز ، وكان اذا قاتل عدوه يظهر على شعبتها تنينان يتناضلان ، وكان يضرب بها على الجبل الصعب الوعر المرتقى فيفرج ، واذا اراد عبور نهر من الأنهار بلا سفينة ضربها وبدا له طريق يمشي فيه ، وكان يشرب احياناً احدى الشعبتين اللبن ومن الاخرى العسل ، وكان اذا أعيى في طريقه يركبها فتحمله الى اي موضع شاء من غير ركض ولا تحريك رجل وكانت تدله على الطريق وتقاتل اعداءه واذا احتاج موسى الى طيب فاح منها الطيب حتى يتطيب منها ثوبه واذا كان في طريق فيه لصوص تكلمت العصا وتقول له : خذ بجانب كذا ، وكان يهش بها على غنمه ويدافع بها السباع والحيات والحشرات ، واذا سافر وضعها على عاتقه وعلق عليها جهازه ومتاعه ومخلاته وكساءه وطعامه وسقاءه .

وقال شعيب لموسى ، حين زوجه ابنته وسلم اليه اغنامه يرعاها : اذهب بهذه الأغنام فاذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك وان الكلأ بها اكثر فان فيها تنيناً عظيماً اخشى عليك وعلى الاغنام منه ، فذهب موسى بالأغنام . فلما بلغ مفرق الطريقين اخذت الاغنام ذات اليمين ، فاجتهد موسى على ان يصرفها الى ذات الشمال فلم تطعه ، فنام موسى والأغنام ترعى ، فاذا بالتنين قد جاء ، فقامت عصا موسى فحاربته فقتلته وأتت فاستلقت على جنب موسى وهي دامية ، فلما استيقظ موسى عليه السلام رأى العصا دامية والتنين مقتولاً ، فعلم ان في تلك العصا لله قدرة .

فهذه مآرب موسى فيها اذا كانت عصا ، فأما إذا ألقاها موسى عليه السلام فيرى انها تنقلب حية كأعظم ما يكون من التنانين سوداء مدلهمة تدب على اربع قوائم ولها اثنا عشر ناباً يخرج منها لهب النار يهب من فيها ريح السموم لا يصيب شيئاً إلا احرقه وكانت تكون في عظم الثعبان وخفة الجان ولين الحية ، وذلك موافق لنص القرآن حيث قال في موضع : (فإذا هي ثعبان مبين) وفي موضع آخر : (فإذا هي حية تسعى) فقال له : (إذهب الى فرعون . . .) الحديث .

(وروي) ان بنت شعيب لما قالت لموسى: ان أبي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا كره ذلك موسى وأراد أن لا يتبعها ولم يجد بداً ان يتبعها ، لأنه كان في ارض

مسبعة وخوف ، فلما دخل على شعيب إذا هو بالعشاء مهيئاً ، فقال له شعيب اجلس يا شاب فتعش فقال له موسى : اعوذ بالله . قال شعيب : ولم ذاك ؟ ألست بجائع ؟ قال: بلى ولكن اخاف أن يكون هذا عوضاً عما سقيت لهما وأنا من أهل بيت لا نبيع شيئاً من عمل الآخرة بملء الارض ذهباً فقال له شعيب : لا والله يا شاب ولكنها عادتي وعادة آبائي ، نقري الضيف ونطعم الطعام . والتي تزوج بها موسى اسمها : صفورة والأخرى ليا .

وقيل : اسم الكبرى صفرا ، واسم الصغرى صفيرا .

الفصل الثالث

في معنى قوله تعالى : « فاخلع نعليك » وقول موسى « واحلل عقدة من لساني » وتسمية الجبل : طور سيناء

(علل الشرايع) باسناده الى ابي عبد الله عليه السلام قال: قال الله عز وجل لموسى: (فاخلع نعليك) لأنها من جلد حمار ميت .

وفيه عن ابي عبد الله عليه السلام في قوله : (فاخلع نعليك) قال : يعني : ارفع خوفيك ، يعني خوفه من ضياع اهله . وقد خلفها تمخض ، وخوفه من فرعون .

قال الصدوق : سمعت ابا جعفر محمد بن عبد الله بن طيفور الدامغاني الواعظ يقول في قول موسى عليه السلام : (وأحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي) قال : يقول : اني استحي ان اكلمك بلساني الذي كلمت به غيرك فيمنعني حيائي منك عن محاورة غيرك ، فصارت هذه الحالة عقدة من لساني فأحللها بفضلك ، (واجعل لي وزيراً من اهلي هارون اخي) معناه انه سأل الله عز وجل ان يأذن له في ان يعبر عنه هارون فلا يحتاج ان يكلم فرعون بلسان كلم الله عز وجل به .

وفيه عن ابن عباس قال : إنما سمي الجبل الذي كان عليه طور سيناء لأنه جبل

كان عليه شجر الزيتون وكل جبل يكون عليه ما ينتفع به من النبات والاشجار سمي طور سينا وطور سينين ، وما لم يكن عليه ما ينتفع بـــه من النبات والاشجار سمي طور ، لا يقال له طور سينا ولا طور سينين .

(الاحتجاج) سأل سعد بن عبدالله القائم عليه‌السلام عن قول الله عز وجل لنبيه موسى عليه‌السلام : (فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى) فإن فقهاء الفريقين يزعمون انهـا كانت من اهاب الميتة فقال عليه‌السلام : من قال ذلك فقد افترى على موسى واستجهله في نبوته ، انه ما خلا الأمر من خصلتين : اما ان كانت صلاة موسى عليه‌السلام فيها جائزة او غير جائزة فإن كانت جائزة فيها . فجاز لموسى ان يكون يلبسها في تلك البقعة . وإن كانت مقدسة مطهرة ، وإن كانت صلاته غير جائزة فيها، فقد اوجب ان موسى لم يعرف الحلال والحرام ولم يعلم ما جازت الصلاة فيه مما لم تجز . وهذا كفر .

قلت : فاخبرني يا مولاي عن التأويل فيها . قـال : ان موسى عليه‌السلام كان بالواد المقدس فقال : يا رب اني اخلصت لك المحبة مني وغسلت قلبي عمن سواك وكان شديد الحب لأهله ، فقال الله تبارك وتعالى : (اخلع نعليك) أي انزع حب اهلك من قلبك، ان كانت محبتك لي خالصة وقلبك من الميل الى من سواي مشغولاً .

أقول : اختلف المفسرون في سبب الأمر بخلع النعلين ، على اقوال :

الاول ــ انها كانتا من جلد حمار ميت، وقد تقدم ما يدل على انه محمول على التقية.

الثاني ــ انـه كان من جلد بقرة ذكية . ولكنه امر بخلعها ليباشر بقدميه الارض فتصيبه بركة الوادي المقدس .

الثالث ــ ان الحفاء من علامة التواضع ، ولذلك كانت السلف تطوف حفاة .

الرابع ــ ان موسى عليه‌السلام إنما لبس النعل اتقاء من الانجاس وخوفاً من الحشرات، فآمنه الله مما يخاف واعلمه بطهارة الموضع .

الخامس ــ ان معنى فرغ قلبك من حب الاهل والمال .

السادس ــ ان المراد : فرغ قلبك عن ذكر الدارين .

وفي خبر ابن سلام ، انـــه سأل النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله عن الوادي المقدس لم سمي المقدس ؟ قال : لأنه قدست فيه الارواح واصطفيت فيه الملائكة وكلم الله موسى تكليماً .

الفصل الرابع

في بعثة موسى وهارون الى فرعون وتفصيل الاحوال الى وقت غرق فرعون وقومه

أما الآيات الواردة فيه فكثيرة ، وأما الأخبار فمستفيضة .

قال الثقة علي بن ابراهيم : (وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك) قال كان فرعون يعبد الاصنام ثم ادعى بعد ذلك الربوبية فقال فرعون (سنقتل ابناءهم ونستحي نساءهم وانا فوقهم قاهرون) فقال الذين آمنوا لموسى : قد اوذينا قبل مجيئك يا موسى بقتل اولادنا ومن بعد ما جئتنا ، لما حبسهم فرعون لايمانهم بموسى فقال موسى : (عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون) .

وذلك انه لما سجد السحرة ، آمن الناس بموسى ، فقال هامان لفرعون ان الناس قد آمنوا بموسى ، فانظر من دخل في دينه فاحبسه ، فحبس كل من آمن به من بني اسرائيل ، فجاء اليه موسى فقال له : خل عن بني اسرائيل فلم يفعل ، فأنزل الله عليهم في تلك السنة الطوفان فخرب دورهم ومساكنهم حتى خرجوا الى البرية وضربوا فيها الخيام .

فقال فرعون لموسى ادع ربك حتى يكف عنا الطوفان حتى اخلي عن بني اسرائيل وأصحابك . فدعا موسى ربه فكف عنهم الطوفان ، وهمّ فرعون ان يخلي عن بني اسرائيل ، فقال له هامان إن خليت بني اسرائيل غلبك موسى وأزال ملكك فقبل منه ولم يخل عن بني اسرائيل .

فأنزل الله عليهم في السنة الثانية الجراد فأكلت كل شيء لهم من النبت والشجر حتى

كادت تجرد شعرهم ولحامهم ، فجزع فرعون من ذلك جزعاً شديداً وقال يا موسى ادع ربك ان يكف عنا الجراد حتى اخلي عن بني اسرائيل وأصحابك فدعا موسى ربه فكف عنهم الجراد . فلم يدعه هامان ان يخلي عن بني اسرائيل .

فأنزل الله عليهم في السنة الثالثة القمل فذهبت زروعهم وأصابتهم المجاعة ، فقال فرعون لموسى : إن دفعت عنا القمل كففت عن بني اسرائيل فدعا موسى ربه حتى ذهب القمل .

وقال : اول ما خلق الله القمل ، في ذلك الزمان ، فلم يخل عن بني اسرائيل .

فأرسل الله عليهم بعد ذلك الضفادع ، فكانت تكون في طعامهم وشرابهم .

ويقال : انها تخرج من ادبارهم وآذانهم وآنافهم ، فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً فجاؤوا الى موسى فقالوا ادع الله ان يذهب عنا الضفادع فانا نؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه فرفع الله عنهم ذلك .

فلما ابوا ان يخلوا عن بني اسرائيل ، حول الله ماء النيل دماً ، فكان القبطي يراه دماً ، والاسرائيلي يراه ماء ، فإذا شربه الاسرائيلي كان ماء وإذا شربه القبطي يشربه دماً ، فكان القبطي يقول للاسرائيلي خذ الماء في فمك وصبه في فمي فكان إذا صبه في فمه تحول دماً ، فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً ، فقالوا لموسى لئن رفع عنا الدم لنرسلن معك بني اسرائيل فلما رفع عنهم غدروا ولم يخلوا عن بني اسرائيل .

فأرسل الله عليهم الرجز – وهو الثلج الأحمر – ولم يروه قبل ذلك فماتوا فيه وجزعوا وأصابهم ما لم يعهدوه من قبل ، فقالوا لموسى : ادع لنا ربك بما عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن بك ولنرسلن معك بني اسرائيل فكشف عنهم الثلج فخلوا عن بني اسرائيل .

فلما خلى عنهم اجتمعوا الى موسى ، وخرج موسى من مصر واجتمع اليه من كان هرب من فرعون ، وبلغ فرعون ذلك فقال له هامان قد نهيتك ان تخلي عن بني اسرائيل فقد استجمعوا اليه فجزع فرعون (وبعث في المدائن حاشرين) وخرج في طلب موسى .

أقول : ان فرعون كان يستعبد الناس ويعبد الاصنام بنفسه وكان الناس يعبدونها تقرباً اليه .

وقيل : كان يعبد ما يستحسن من البقر .

وروي انه كان يأمرهم أيضاً بعبادة البقر ، ولذلك اخرج السامري لهم عجلاً .

وأما الطوفان فقيل : هو الماء الخارج عن العادة .

وقيل : هو الموت الذريع .

وقيل : هو الطاعون – بلغة اليمن – أرسل الله ذلك على بكارته آل فرعون في ليلة ، فلم يبق منهن انسان ولا دابة .

وقيل : هو الجدري ، وهم أول من عذبوا به ، فبقي في الأرض .

واختلف في القمل أيضاً :

فقيل : هو صغار الجراد الذي لا اجنحة لها .

وقيل : صغار الذر .

وقيل : دواب سود كالقراد .

وقيل : هو السوس الذي يخرج من الحنطة .

تفسير علي بن ابراهيم باسناده الى ابي عبد الله عليه السلام قال : لما بعث موسى عليه السلام الى فرعون اتى بابه فاستأذن عليه فضرب بعصاه الباب، فاصطكت الأبواب مفتحة ثم دخل على فرعون فأخبروه انه رسول رب العالمين ، وسأله أن يرسل معه بني اسرائيل فقال : (ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا سنين * وفعلت فعلتك التي فعلت – أي قتلت الرجل – وأنت من الكافرين) يعني كفرت نعمتي ، فتجاوبا الكلام ، الى ان قال موسى: (أو لو جئتك بشيء مبين * قال فرعون فأت بها إن كنت من الصادقين * فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين) فلم يبق من جلساء فرعون شخص إلا هرب، ودخل فرعون من الرعب ما لم يملك ، فقال فرعون انشدك الله والرضاع إلا كففتها عني (ثم نزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين) فأخذ ، فلما اخذ موسى العصا رجعت الى فرعون نفسه وهم بتصديقه ، فقام اليه هامان فقال بينا انت إله تعبد إذ صرت تابعاً لعبد ثم قال فرعون للملإ الذين حوله (ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون) .

وكان فرعون وهامان قد تعلما السحر وإنما غلبا الناس بالسحر وادعى فرعون الربوبية بالسحر .

(فلما اصبح بعث في المدائن حاشرين) وجمعوا الف ساحر واختار من الالف ثمانين ، فقال السحرة لفرعون قد علمت انه ليس في الدنيا اسحر منا فإن غلبنا موسى فما عندك ؟ قال اشارككم في ملكي ، قالوا فإن غلبنا موسى وأبطل سحرنا ، علمنا ان ما جاء به ليس بسحر ، آمنا به وصدقناه . فقال فرعون : فان غلبكم موسى صدقته انا ايضاً معكم ، وكان موعدهم يوم عيد لهم .

فلما ارتفع النهار وجمع فرعون الخلق والسحرة ، وكانت له قبة طولها في السماء سبعون ذراعاً وقد كانت لبست بالفولاذ المصقول وكانت اذا وقعت عليها الشمس لم يقدر احد ان ينظر من لمع الحديد ووهج الشمس .

فقالت السحرة لفرعون : إنا نرى رجلاً ينظر الى السماء ولم يبلغ سحرنا السماء ، وضمنت السحر في الأرض فقالوا لموسى (اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين * فقال لهم موسى القوا ما أنتم ملقون * فألقوا حبالهم وعصيهم فأقبلت تضطرب مثل الحياة فقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون * فأوجس في نفسه خيفة موسى فنودي : لا تخف انك انت الأعلى * والق ما في يمينك) فألقى موسى العصا فذابت في الارض مثل الرصاص ، ثم طلع رأسها وفتحت فاها ووضعت شدقتها العليا على رأس قبة فرعون ثم دارت والتقمت عصا السحرة وحبالهم وانهزم الناس حتى رأوا عظمها فقتل في الهزيمة من وطي الناس بعضهم بعضاً عشرة آلاف رجل وامرأة وصبي ودارت على قبة فرعون .

قال : فأحدث فرعون وهامان في ثيابها وشاب رأسهما من الفزع ومرّ موسى في الهزيمة من الناس فناداه الله: (خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى) فرجع موسى ولفّ على يديه عباءة ثم ادخل يـده في فمها فإذا هي عصا كما كانت (فألقي السحرة سجداً لما رأوا ذلك وقالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهارون) فغضب فرعون (من) ذلك وقال (آمنتم قبل ان آذن لكم انـه لكبيركم الذي علمكم السحر فسوف تعلمون * لأقطعن ايديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم اجمعين * فقالوا له إنا نطمع ان يغفر لنا خطايانا) فحبس فرعون من آمن بموسى في السجن ، حتى انزل الله عليهم الطوفان والجراد والضفادع والدم فانطلق عنهم .

فأوحى الله الى موسى : (ان اسر بعبادي) فخرج موسى ببني اسرائيل ليقطع بهم البحر ، وجمع فرعون اصحابه (وبعث في المدائن حاشرين) وحشر الناس وقدم مقدمته في ستمائة الف وركب هو في الف والف وخرج ، كما حكى الله عز وجل (وأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم * وكذلك وأورثنا بني اسرائيل* فلما قرب موسى من البحر وقرب فرعون من موسى قال اصحاب موسى إنا مدركون* فقال موسى كلا ان معي ربي سيهدين) — أي سينجيني — فدنا موسى من البحر فقال له انفرق فقال له البحر : استكبرت يا موسى ان تقول لي : انفرق لك ولم أعص الله طرفة عين وقد كان فيكم العاصي فقال له موسى : فاحذر ان تعصي وقد علمت ان آدم اخرج من الجنة بمعصيته ، وإنما لعن ابليس بمعصيته قال البحر: عظيم ربي مطاع أمره.

فقام يوشع بن نون فقال لموسى : يا رسول الله ما امرك ربك ؟ فقال بعبور البحر، فاقتحم فرسه الماء ، وأوحى الله الى موسى : (ان اضرب بعصاك البحر) فضربه ، فكان كل فرق كالطود العظيم فضرب، له في البحر اثني عشر طريقاً فأخذ كل سبط في طريق ، فكان قد ارتفع الماء وبقت الأرض يابسة طلعت فيها الشمس ويبست ودخل موسى البحر وكان اصحابه اثني عشر سبطاً ، فضرب الله لهم في البحر اثني عشر طريقاً، فأخذ كل سبط فيطريق وكان الماء قد ارتفع على رؤوسهم مثل الجبال فجزعت الفرقة التي كانت مع موسى في طريقه فقالوا : يا موسى أين اخواننا ؟ فقال لهم: معكم في البحر ، فلم يصدقوه ، فأمر الله البحر فصار طرقات حتى كان ينظر بعضهم الى بعض ويتحدثون .

واقبل فرعون بجنوده فلما انتهى الى البحر قال لأصحابه ألا تعلمون ان ربكم الاعلى قد فرج لكم البحر . فلم يجسر احد ان يدخل البحر وامتنعت الخيل منه لهول الماء ، فتقدم فرعون فقال له منجمه لا تدخل البحر وعارضه ، فلم يقبل منه واقبل الى فرس حصان فامتنع الفرس ان يدخل الماء ، فعطف عليه جبرئيل عليه السلام وهو على ماديانه فتقدمته ودخل فنظر الى الرملة فطلبها ودخل البحر واقتحم اصحابه خلفه ، فلما دخلوا كلهم حتى كان آخر من دخل من اصحابه وآخر من خرج من اصحاب موسى ، أمر الرياح فضربت البحر بعضه ببعض ، فأقبل الماء يقع عليه مثل الجبال فقال فرعون عند ذلك (آمنت انه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين) .

فأخذ جبرئيل كفاً من حماة فوصعها في فيه ثم قال : (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ، فاليوم ننجيك ببدنك) .

وذلك ان قوم فرعون ذهبوا اجمعين في البحر وهووا من البحر الى النار .

وأما فرعون فنبذه الله وحده والقاه بالساحل ، لينظروا اليه وليعرفوه وليكون لمن خلفه آية ولئلا يشك احد في هلاكه وانهم كانوا اتخذوه رباً ، فأراهم الله إياه جيفة ملقاة بالساحل ، ليكون لمن خلفه عبرة .

وقال الصادق عليه السلام : ما اتى جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وآله إلا كئيباً حزيناً ولم يزل كذلك منذ اهلك الله فرعون ، فلما امره الله بنزول هذه الآية : (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) نزل عليه وهو ضاحك مستبشر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما اتيتني إلا والحزن في وجهك حتى الساعة قال : نعم ، يا محمد لما غرق الله فرعون قال (آمنت انه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين) فأخذت حماة فوضعتها في فيه ، ثم قلت له (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) وعملت ذلك من غير أمر الله ، خفت ان تلحقه الرحمة من الله ويعذبني على ما فعلت ، فلما كان الآن وأمرني ربي الله ان اوٰدي اليك ما قلته أنا لفرعون آمنت وعلمت ان ذلك كان رضاً لله تعالى :

وقوله : (فاليوم ننجيك ببدنك) فان موسى عليه السلام اخبر بني اسرائيل ان الله قد غرق فرعون ، فلم يصدقوه ، فأمر الله البحر فلفظ به على ساحل البحر حتى رأوه ميتاً .

(علل الشرايع وعيون الأخبار) باسناده الى ابراهيم الهمداني قال : قلت للرضا عليه السلام لأي علة اغرق الله فرعون وقد آمن به وأقر بتوحيده ؟ قال : لأنه آمن عند رؤية اليأس ، والايمان عند رؤية اليأس غير مقبول ، وذلك حكم الله في السلف والخلف .

قال الله عز وجل : (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا) وهكذا فرعون لما ادركه الغرق قال (آمنت انه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين) فقيل له : (الآن وقد عصيت من قبل وكنت من المفسدين * فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية) .

وقد كان فرعون من قدمه الى قرنه في الحديد . فلما غرق ألقاه الله تعالى على نجوة من الأرض ببدنه ليكون لمن بعده علامة ، فيرونه مع ثقله بالحديد مرتفع وسبيل الثقيل ان يرسب ولا يرتفع ، فكان ذلك آية وعلامة .

ولعلة أخرى : اغرقه الله عز وجل وهي انه استغاث بموسى لما ادركه الغرق ، ولم يستغث بالله ، فأوحى الله عز وجل اليه : يا موسى لم تغث فرعون ، لأنك لم تخلقه ولو استغاث بي لأغثته .

أقول : هذان الوجهان ذكرهما العلماء في اول الوجوه وذكروا وجوهاً آخر :

منها ـ انه لم يكن مخلصاً في هذه الكلمة ، بل إنما تكلم بها توسلاً الى دفع البلية الحاضرة .

ومنها ـ ان ذلك الاقرار كان منبئاً عن محض التقليد .

ألا ترى انه قال « لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل » .

ومنها ـ ان اكثر اليهود كانت قلوبهم مائلة الى التشبيه والتجسيم ، ولذا اشتغلوا بعبادة العجل ، لظنهم انه تعالى في جسده ، فكأنه آمن بالاله الموصوف بالجسمية . وكل من اعتقد ذلك كان كافراً .

ومنها ـ انه أقر بالتوحيد فقط ولم يقر بنبوة موسى ، فلذا لم يقبل منه .

وفيه عنه عليه السلام : في قول فرعون (ذروني اقتل موسى) من كان يمنعه ؟ قال منعته رشدته ، ولا يقتل الأنبياء واولاد الأنبياء إلا اولاد الزنا .

أقول : الرشدة طيب الولادة ، وفرعون لم يتولد من الزنا ، ومن ذلك جاء في الاخبار الصحيحة : ان الالوف الذين حضروا واقعة الطفوف كانوا ما بين ولد زنية أو حيضة ، ولعل التفصيل إشارة الى من اعان على القتال ، تبين فيه نصب العداوة لأهل البيت عليهم السلام .

وورد انه لا يبغضهم إلا ولد من الزنا .

واما من حضر وكثر السواد ولم يقاتل فهو ممن حمل به في الحيض .

وفي (قصص الأنبياء) عن العبد الصالح صلوات الله عليه قال : كان من قول

موسى حين دخل على فرعون : اللهم اني أدرأ بك في نحره واستجير بك من شره واستعين بك ، فحول الله ما كان في قلب فرعون عن الأمن خوفاً .

وروى الصدوق قال : غار النيل على عهد فرعون ، فأتاه أهل مملكته فقالوا : ايها الملك إجر لنا النيل قال اني لم ارض عنكم ، ثم ذهبوا فأتوه فقالوا : ايها الملك نموت ونهلك ولئن لم تجر لنا النيل لنتخذن إلهاً غيرك قال اخرجوا الى الصعيد فخرجوا ، فتنحى عنهم حيث لا يرونه ولا يسمعون كلامه ، فألصق خده بالأرض واشار بالسبابة وقال : اللهم اني خرجت اليك خروج العبد الذليل الى سيده واني اعلم انك تعلم انه لا يقدر على إجرائه احد غيرك فأجره .

قال : فجرى النيل جرياً لم يجرِ مثله ، فأتاهم فقال لهم : اني قد اجريت لكم النيل ، فخروا له سجداً .

وعرض له جبرئيل عليه السلام فقال : أيها الملك اعني على عبد لي . قال فما قصته ؟ قال : عبد لي ملكته على عبيدي وخولته على مفاتيحي فعاداني واحب من عاداني وعادى من احببت . قال لبئس العبد عبدك ، لو كان لي عليه سبيل لأغرقته في بحر القلزم ، قال : أيها الملك اكتب لي بذلك كتاباً فدعى بكتاب ودواة فكتب ما جزاء العبد الذي يخالف سيده فأحب من عادى وعادى من أحب إلا ان يغرق في بحر القلزم قال : أيها الملك اختمه ، فختمه ثم دفعه اليه .

فلما كان يوم البحر أتاه جبرئيل عليه السلام بالكتاب فقال : خذ هذا ما استحققت به على نفسك وهذا ما حكمت به على نفسك .

أقول : قد أوردوا شبهة في هذا المقام وهو انه يلزم من اجراء الماء مثلاً على يدي فرعون اغراء قومه وغيرهم باتباعه وقبول قوله .

وهذا غير جائز على الحكيم ، ولم أر من تعرض للجواب عنها ، لأنها شبهة فاسدة في نفس الأمر ، إلا ان الشبهات كلها من هذا الباب ، فلزم التعرض للجواب عنها ، مع انها لا اختصاص لها في هذا الباب المورد ، بل جارية في موارد كثيرة كما ستعرف ان شاء الله تعالى .

والجواب عنها من وجوه :

(الوجه الأول) ان الأمور التي يظهر بطلانها على العامة والخاصة ، ومن اعمل العقل فيها لا اغراء للناس في وجودها ، وذلك ان ربوبية فرعون كان أمراً باطلا تدركه العقول والأوهام والافهام ومن طاوعه عليها لم يكن منها على يقين ، ولهذا قالوا له لئن لم تجر لنا النيل لنتخذن إلهاً غيرك .

فظهر : ان سجودهم له وقولهم بربوبيته إنما هو مستند الى اطماع الدنيا واعتباراتها والهرب من شره وعذابه الذي كان يوقعه لغيرهم وقد اطاعوا في متابعته الاهواء والوساوس الشيطانية ، وما كانت التقية تبلغ بهم الى ذلك الحد وارتكاب الاقوال الباطلة .

وبالجملة فقوله لهم انا ربكم الاعلى ، امر ظاهر البطلان ، وحينئذ فاجراء ماء النيل مثلا لا يلزم منه اغراؤهم بالقول بربوبيته .

نعم اذا وقع التحدي للنبي او الامام صلوات الله عليهم بأمر من الأمور الدالة على صدق دعواهم لا يجوز اجراؤه على يد المبطل من غيرهم .

ولهذا لما ادعى الإمامة في زمن الكاظم عليه السلام جماعة من اخوته وبني عمه كان يتحداهم بالجلوس وسط النار ، مع ان دخول النار والجلوس فيها مبتذل في هذه الاعصار لكثير من عوام مذهبنا مذهب المخالفين .

(الوجه الثاني) ان الله سبحانه اقسم بعزته انه لا يضيع عمل عامل ومن يرد حرث الدنيا في ذلك العمل يؤته منها ومن يرد حرث الآخرة يؤته منها .

ومن هذا جاء في الأخبار : ان امهال الشيطان الى يوم القيامة وتسلطه على بني آدم وما اعطاه الله سبحانه مما طلب ، إنما سبب عبادته في السماء .

كما قال مولانا امير المؤمنين عليه السلام انه عبد الله في السماء ستة آلاف سنة .

لا يدري امن سني الدنيا أم من سني الآخرة .

وأما فرعون فجاء في الأخبار ان الله سبحانه امهله اربعمائة سنة ، يدعي فيها الربوبية ، لأنه كان حسن الأخلاق سهل الحجاب وما جلس على مائدة إلا كان فيها الايتام والمساكين .

روي عن علي عليه السلام : إنما أمهل الله فرعون في دعوته لسهولة اذنه وبذل طعامه ، فجوزي في الدنيا على اعماله .

وكون ذلك الجزاء مستلزماً لنقص الغير مما يمكن الاحتراز عنه لا يمنع منه ، لأن جزاء إبليس على عمله ، استلزم تسلطه على بني آدم ، لكنه لا يؤول الى جبرهم بل هم مختارون في الطاعة .

وهذا الوجه يجري في موارد كثيرة ، وذلك ان كفار الهند وغيرهم إذا تعبدوا لله سبحانه بزعمهم يجري على أيديهم الافعال الغريبة كالأخبار عن الغائبات ونحوها .

ومثل جماعة من اهل الخلاف يجري على يدي جماعة من مشايخهم جزاء لعبادتهم ما لا يجري على يدي غيرهم من أهل الله .

(الوجه الثالث) ان فرعون وهامان كانا حاذقين في السحر وبه غلبا على قومهما فلعل تلك الأفعال الغريبة كانت مستندة الى السحر ، ولا ينافيه سجوده وتضرعه لله تعالى ودعائه .

فإن السحرة لا يخلو سحر من سحرهم عن الآيات والأدعية . وان ضموا اليها أموراً أخر .

فلعل جريان النيل كان من ذلك العلم .

ويجري أيضاً في غيره من الموارد في الكفار والمخالفين .

(الوجه الرابع) ان الحكمة الالهية اقتضت ان يكون طريق التكليف مقروناً بالالطاف والتوفيقات ومحفوفاً بالابتلاء والاختبار ومعارضات العقول والأوهام ليتميز المؤمن من غيره والمجاهد من القاعد ومن يغلب الهوى عليه ممن يجري على مقتضى العقول وبزوال الاوهام .

وذلك ان الله سبحانه أرسل الى فرعون وقومه وموسى وهارون الحجج القاطعة والآيات الباهرة والالطاف الالهية والتوفيقات الربانية ، ولو عملوا فيها بمقتضى العقول وتجردوا عن الاوهام والشكوك لكانت موجبة لايمانهم .

وأما الذي جرى على يد فرعون من الامور الغريبة ، فكان من باب الابتلاء والاختبار لقومه .

وهذا مما ليس فيه اغراء ولا يوجب لفرعون ربوبية ولا نبوة .

وهذا أيضاً يجري في غيره من الموارد الكثيرة في طبقات الكفار والمخالفين .

فان كون عبد السلام البصري مثلاً يلزم الحيات ويدخل مع تلاميذه النار ويفعل الافعال الغريبة لا يوجب ان يكون مذهبه على الحق ولا ان تكون طريقته هي المثلى لأن كثيراً من كفار الهند وغيرهم يصنعون ما هو أغرب وأعجب .

(الوجه الخامس) ان الحكمة الالهية قد جرت بأنه إذا أكمل الحجة على عباده وأقام فيهم البراهين وأكمل فيهم العقول وارسل اليهم الأنبياء . ولم يبق لهم عذر فان اطاعوه وقبلوا الايمان به وبرسله ، جازاهم في الدنيا والآخرة ، وان ابوا إلا العناد واللجاج وتكذيب الآيات والرسل ، أمهلهم وأملى لهم واستدرجهم وكلما ازدادوا في الطغيان زادت عليهم النعم وهم يحسبون انه من صنيع الله اليهم واحسانه عليهم .

كما قال عز شأنه : (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * وأملي لهم ان كيدي متين) فما كان يصنعه جل وعز الى فرعون وقومه من نعم الدنيا ، كان من باب الاملاء والاستدراج .

وهكذا الحال في بعض الموارد ، فان الكوفي ابا (...) كان يقول في مجلس الكوفة : قال علي ، وأنا أقول . يعني خلافاً لقوله .

ولا شك ان قول علي عليه السلام هو حكم الله تعالى ، وان غايره يكون حكم الشيطان، فقد جعل نفسه وفتواه شريكا لله تعالى ، ومع ذلك أمهله الله تعالى واستدرجه في نعم الدنيا والاعتبار عند الملوك والسلاطين واعتماد الناس على أقواله ومذاهبه في حياته وبعد مماته الى يوم القيامة .

والناس يظنون ان ذلك من ألطاف الله سبحانه عليه ، وليس هو إلا استدراجاً وجزاء لأعماله .

فإنه حكي عنه انه قام الليل من نصفه أو من أوله الى آخره عابداً داعياً مدة عشرين سنة .

وهكذا حال أصحابه من باقي الفقهاء الاربعة .

وبقيت وجوه كثيرة لا نطيل الكتاب بذكرها .

(علل الشرايع) سأل الشامي أمير المؤمنين عليه السلام عن يوم الأربعاء والتطير منه فقال عليه السلام : آخر اربعاء في الشهر وهو المحاق . ويوم الاربعاء غرق الله فرعون

ويوم الاربعاء طلب فرعون موسى ليقتله ويوم الاربعاء أمر فرعون بذبح الغلمان ويوم الاربعاء أطل قوم فرعون العذاب .

وعن ابي جعفر عليه السلام : لما رجع موسى الى امرأته ، قالت : من اين جئت ؟ قال : من عند رب تلك النار .

قال : فغدا الى فرعون ، فوالله لكأني انظر اليه طويل الباع ذو شعر ادم عليه جبة من صوف عصاه في كفه مربوط حقوه بشريط نعله من جلد حمار شراكها من ليف، فقيل لفرعون : ان على الباب فتى ، يزعم انه رسول رب العالمين ، فقال فرعون لصاحب الأسد : خل سلاسلها ، وكان اذا غضب على احد خلاها فقطعته ، فخلاها ، وقرع موسى الباب الاول وكانت تسعة ابواب ، فلما قرع موسى الباب الاول انفتحت له الابواب التسعة ، فلما دخل جعلن يبصبصن تحت رجليه كأنهن جراء ، فقال فرعون لجلسائه : أرأيتم مثل هذا قط ؟

فلما أقبل اليه « قال ألم نرَبك فينا وليداً ... » الآية .

فقال فرعون لرجل من اصحابه : قم فخذ بيده ، وقال للآخر : اضرب عنقه ، فضرب جبرئيل عليه السلام بالسيف حتى قتل ستة من أصحابه ، فقال : خلوا عنه .

قال : فأخرج يده فاذا هي بيضاء قد حال شعاعها بينه وبين وجهه، وألقى العصا فاذا هي حية فالتقمت الايوان بلحييها ، فدعاه ان يا موسى أقلني الى غد ، ثم كان من أمره ما كان .

وعن ابن ابي عمير قال : قلت لموسى بن جعفر عليه السلام إخبرني عن قول الله عز وجل لموسى (اذهب الى فرعون انه طغى * فقولا له قولاً ليناً * لعله يتذكر أو يخشى) .

فقال : أما قوله (ليناً) يعني كنياه وقولا يا أبا مصعب واسمه الوليد ابن مصعب .

وأما قوله (يتذكر أو يخشى) فانما قال ليكون احرص لموسى على الذهاب . وقد علم الله عز وجل ان فرعون لا يتذكر ولا يخشى إلا عند رؤية العذاب .

ألا تسمع الله عز وجل يقول: (حتى أدركه الغرق قال آمنت انه لا إله إلا الذي

آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين) فلم يقبل الله ايمانه، وقال (الآن وقد عصيت من قبل وكنت من المفسدين) .

وعن ابي الحسن الرضا عليه السلام قال: كان على مقدمة فرعون ستمائة الف ومائتي الف وعلى ساقته الف الف ، فدخلوا البحر وغرقوا .

وقوله (فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية) يقول : نلقيك على نجوة من الارض لتكون لمن بعدك علامة وعبرة .

وعن ابان الاحمر قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل (وفرعون ذو الاوتاد) فقال : كان اذا عذّب رجلاً بسطه على الارض على وجهه ومد يديه ورجليه فأوتدها بأربعة اوتاد في الارض فتركه حتى يموت .

وعن ابي عبد الله عليه السلام : التسع آيات الله اوتي موسى عليه السلام فقال : الجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والعصا ويده .

وعنه عليه السلام : شاطىء الواد الايمن الذي ذكره الله في كتابه هو الفرات ، والبقعة المباركة هي كربلاء ، والشجرة هي محمد صلى الله عليه وآله .

أقول : يعني نور محمد صلى الله عليه وآله ظهرت من تلك الشجرة .

(العياشي) عن عاصم رفعه قال : أن فرعون بنى سبع مدائن يتحصن فيها من موسى عليه السلام وجعل فيها اجاماً للأسد .

فلما بعث الله موسى الى فرعون ، فدخل المدينة ورأى الأسود ، تبصبصت وولت مدبرة .

قال : ثم لم يأت مدينة إلا فتح الله له بابها الى قصر فرعون الذي هو فيه ، فقعد على بابه وعليه مدرعة من صوف ومعه عصاه ، فلما خرج الآذن قال له موسى : استأذن على فرعون ، فلم يلتفت اليه فأكثر عليه فقال له الآذن : أما وجد رب العالمين من يرسله غيرك ؟ فغضب موسى فضرب الباب بعصاه ، فلم يبق بينه وبين فرعون باب إلا انفتح ، حتى نظر اليه فرعون وهو في مجلسه ، فقال إدخلوه ، فدخل عليه وهو في قبة له ارتفاعها ثمانون ذراعاً ، فقال (إني رسول رب العالمين * قال فأت بآية إن كنت من الصادقين * فألقى عصاه ..) وكان لها شعبتان فاذا هي حية قد وقع احدى

الشعبتين في الارض والشعبة الاخرى في أعلى القبة ، فنظر فرعون الى جوفها وهو يلتهب نيراناً وأهوت اليه ، فأحدث وصاح : يا موسى خذها .

وروى العياشي عن يونس بن ظبيان قال : قال ان موسى وهارون حين دخلا على فرعون ولم يكن في جلسائه يومئذ ولد سفاح كانوا ولد نكاح كلهم وإن كان فيهم ولد سفاح لأمر بقتلهما (فقالوا إرجه وأخاه) وأمره بالتأني والنظر ، ثم وضع يده على صدره ، قال : وكذلك نحن لا يقصدنا بشر إلا كل خبيث الولادة .

(تفسير الإمام الحسن العسكري) قال : ان موسى عليه السلام لما انتهى الى البحر ، أوحى الله عز وجل اليه : قل لبني اسرائيل جددوا توحيدي وأمرّوا بقلوبكم ذكر محمد صلى الله عليه وآله سيد عبيدي وإمائي وأعيدوا على انفسكم الولاية لعليّ اخي محمد وآله الطيبين وقولوا اللهم بجاههم جوزنا على متن هذا الماء ، يتحول لكم ارضاً ، فقال لهم موسى ذلك، فقالوا أتورد علينا ما نكره وهل فررنا من فرعون إلا من خوف الموت وأنت تقحم بنا هذا الماء بهذه الكلمات وما يدرينا ما يحدث من هذه علينا ؟ فقال لموسى كالب بن يوحنا وهو على دابة له وكان ذلك الخليج اربعة فراسخ : يا نبي الله أمرك الله بهذا أن نقوله وندخل الماء ؟ فقال نعم، فوقف وجدد توحيد الله ونبوة محمد وولاية علي والطيبين من آلهما، كما أمر به ثم قال اللهم بجاههم.جوزني على متن هذا الماء، ثم اقتحم فرسه فركض على متن الماء حتى بلغ آخر الخليج ، ثم عاد راكضاً ، فقال يا بني اسرائيل اطيعوا موسى ، فما هذا الدعاء إلا مفتاح ابواب الجنان ومغاليق ابواب النيران ومستنزل الارزاق وجالب على عبيد الله وإمائه رضاء المهيمن الخلاق ، فأبوا وقالوا : نحن لا نسير إلا على الارض ، فأوحى الله الى موسى : اضرب بعصاك البحر وقل اللهم بجاه محمد وآله الطيبين لما فلقته . ففعل ، فانفلق وظهرت الارض الى آخر الخليج . فقال موسى عليه السلام : ادخلوا ، قالوا : الارض وحلة نخاف ان نرسب فيها ، فقال الله : يا موسى قل : اللهم بجاه محمد وآله الطيبين جففها . فقالها ، فأرسل الله عليها ريح الصبا فجففت ، وقال موسى : ادخلوا ، قالوا : يا نبي الله نحن اثنا عشر قبيلة بنو اثنا عشر أباً وان دخلنا رام كل فريق تقدم صاحبه فلا نأمن وقوع الشر بيننا فلو كان لكل فريق منا طريق على حدة لآمنا ما نخافه ، فأمر الله موسى ان يضرب البحر بعددهم اثني عشر ضربة في اثني عشر موضعاً ويقول : اللهم بجاه محمد وآله الطيبين بيّن لنا الارض ، فصار فيه تمام اثني عشر طريقاً وجف الارض بريح

الصبا ، فقال: ادخلوها، قالوا : كل فريق منا يدخل سكة من هذه السكك لا يدري ما يحدث على الآخرين، فقال الله عز وجل: فاضرب كل طود من الماء بين هذا السكك فضرب وقال : اللهم بجاه محمد وآله الطيبين لما جعلت هذا الماء طاقات واسعة يرى بعضهم بعضاً ، فحدث طاقات واسعة يرى بعضهم بعضاً .

فلما دخلوا جاء فرعون وقومه فدخلوا ، فأمر الله البحر فأطبق عليهم فغرقوا ، وأصحاب موسى ينظرون اليهم .

ثم قال الله عز وجل لبني اسرائيل في عهد محمد صلى الله عليه وآله : فاذا كان الله تعالى فعل كله بأسلافكم لكرامة محمد صلى الله عليه وآله ودعا موسى دعاء تقرب بهم ، أفما تعقلون ان عليكم الايمان بمحمد وآله وقد شاهدتموه الآن .

وعن ابي عبد الله عليه السلام قال : بين قوله : قد أجبت دعوتكما وبين أخذ فرعون اربعون سنة .

قال الثعلبي : قال العلماء بأخبار الماضين : لما كلم الله موسى وبعثه الى مصر خرج وليس معه زاد ولا سلاح وكان يستعين بالصيد وبقول الارض ، ولما قرب من مصر أوحى الله الى اخيه هارون يبشره بقدوم موسى ويخبره انه جعله لموسى وزيراً ورسولاً معه الى فرعون وأمره أن يمر يوم السبت لغرة ذي الحجة متنكراً الى شاطىء النيل ليلتقي في تلك الساعة بموسى .

فخرج هارون وأقبل موسى عليه السلام ، فالتقيا على شط النيل قبل طلوع الشمس ، فاتفق انه كان يوم ورود الأسد الماء ، وكان لفرعون اسد تحرسه في غيضه محيطة بالمدينة من حولها .

وكان فرعون إذ ذاك في مدينة حصينة عليها سبعون سوراً في كل سور رساتيق وأنهار ومزارع وأرض واسعة في ربض كل سور سبعون الف مقاتل ومن وراء تلك المدينة غيضة تولى فرعون غرسها بنفسه ثم أسكنها الاسد ، فنسلت وتوالدت حتى كثرت ثم اتخذها جنداً من جنوده تحرسه ، وجعل خلال تلك الغيضة طرقاً تفضي من يسلكها الى ابواب المدينة ، فمن أخطأ الطريق وقع في الغيضة فأكلته الأسود ، وكانت الأسود اذا وردت النيل ظلت عليها يومها كلها ، ثم تصدر مع الليل ، فالتقى موسى وهارون يوم ورودها ، فلما ابصرتها الأسد مدت اعناقها ورؤوسها اليها

وشخصت ابصارها نحوهما ، وقذف الله تعالى في قلوبها الرعب فانطلقت منهزمة نحو الغيضة ، وكان لها ساسة يسوسونها ويحرسونها من الناس .

فلما اصابها مـا اصابها خاف ساستها فرعون ولم يشعروا من اين أتوا ، فانطلق موسى وهارون في تلك المسبعة حتى وصلا الى باب المدينة الأعظم الذي هو اقرب ابوابها الى منزل فرعون وكان منه يدخل ويخرج ، فأقاما اليه سبعة أيام .

فكلمها واحد من الحراس وزيرهما وقال لهما : هل تدريان لمن هذا الباب ؟ فقال موسى : ان هذا الباب وما فيها لرب العالمين وأهلها عبيد له ، فسمع ذلك الرجل قولاً لم يظن ان احداً من الناس يفصح بمثله ، فأسرع الى كبرائه الذين هم فوقه فقـال لهم : سمعت اليوم قولاً من رجلين هو اعظم عندي مما اصابنا في الاسد ومـا كانا ليقدما على ما قدما عليه إلا بسحر عظيم ، وأخبرهم القصة فتداولوه حتى انتهوا الى فرعون .

وقال السدي باسناده : سار موسى عليه السلام بأهله نحو مصر حتى أتاها ليلاً فتضيف أمه وهي لا تعرفه ، وإنما أتاهم في ليلة كانوا يأكلون فيها الطفيشل – نوع من المرق ، ونزل في جانب الدار ، فجاء هارون ، فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمـه فأخبرته أنه ضيف فدعاه فأكل معه ، فلما ان قعد تحدثا ، فقال له هارون : من انت ؟ فقـال : أنا موسى ، فتعانقا ، فقـال له موسى : يا هارون انطلق معي الى فرعون فان الله عز وجل قد ارسلنا اليه . فقال هارون : سمعاً وطاعة ، فقامت أمهما فصاحت وقالت : أنشدكما الله ان تذهبا الى فرعون فيقتلكما .

فانطلقا اليه فأتيا الباب والتمسا الدخول عليه ليلاً فقرعـا الباب ففزع فرعون وفزع البواب ، وقال فرعون : من هذا الذي يضرب ببابي في هذه الساعة ؟ فأشرف عليهما البواب فكلمهما ، فقال له موسى : أنا رسول رب العالمين .

وقال محمد بن اسحاق : خرج موسى حين قدم مصراً على فرعون هو وأخوه حتى وقفا على باب فرعون يلتمسان الاذن، فمكثا سنتين يغدوان الى بابه ويروحان لا يعلم بهما ولا يجتري احد ان يعلمه بشأنهما ، حتى دخل عليه بطال له يلعب عنده ويضحكه فقال له : ايها الملك ان على بابك رجلاً يقول قولاً عجيباً زعم ان له إلهـاً غيرك ، فقال : ادخلوه ، فدخل موسى وهارون ، فلما وقفا عنده دعا موسى بدعاء فتحول خوفه أمناً . وكذا كل من يدعو بذلك الدعاء .

ثم قـــال فرعون لموسى من انت ؟ قال : انا رسول رب العالمين ، فتأمله فرعون فعرفـه ، فقال : (ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين) الى آخر الآيات والمنازعات .

(فألقى عصاه فإذا هي ثعبان) وتوجهت نحو فرعون لتأخذه ، فوثب عن سريره واحدث ، حتى قامت به بطنه في يومه ذلك اربعين مرة .

وكان فيما يزعمون لا يسعل ولا يصدع ولا تصيبه آفة مما تصيب الناس وكان يقوم في اربعين يوماً مرة وكان اكثر مـا يأكل المرز لكيلا يكون له ثفل فيحتاج الى القيام وكانت هذه الاشياء مما زين له ان قال ما قال ، لأنـــه ليس له من الناس شبيه ، فلما قصدتـه الحية نادى يا موسى اكففها عني بحرمة الرضاع واني اؤمن بك وارسل معك بني اسرائيل فأخذها موسى فعادت عصا ، ثم نزع يده من جيبه فإذا هي بيضاء مثل الثلج لها شعاع كشعاع الشمس ، فقال له فرعون هـــذه يدك فأدخلها موسى جيبه وأخرجها الثانية ولهـا نور ساطع في السماء تكل منه الأبصار ، فـلم يستطع فرعون النظر اليها ، ثم ردها موسى وأخرجها على لونها الأول ، فهمّ فرعون بتصديقه، وقال له هامان : بينا انت إله تعبد إذ انت تابع لعبد فقال فرعون لموسى : امهلني الى غد.

وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام : ان قل لفرعون : انك ان آمنت بالله وحده عمرتك في ملكك ورددت شاباً طرياً فاستنظره فرعون .

فلما كان من الغد دخل عليه هامان فأخبره فرعون بمـا وعد موسى فقال له هامان والله ما يعدل هذا عبادة هؤلاء لك يوماً واحداً فنفخ في منخره ثم قال له هامان : انا اردك شاباً فأتاه بالوسمة فخضبه بها .

فلما دخل عليه موسى ورآه على تلك الحالة ، هاله ذلك .

فأوحى الله تعالى اليه : لا يهولنك مـا رأيت فانه لم يلبث إلا قليلاً حتى يعود الى الحالة الاولى .

وفي بعض الروايات ان موسى وهارون لما انصرفا من عند فرعون اصابهما المطر في الطريق ، فأتيا على عجوز من اقرباء امهما ، ووجه فرعون الطلب في اثرهما، فلما دخل عليهما الليل ناما في دارها . وجاء الطلب الى الباب والعجوز منتبهة ، فلما احست بهم

خافت عليها ، فخرجت العصا من ثقب البـاب والعجوز تنظر ، فقاتلتهم حتى قتلت منهم سبعة انفس ثم عادت ودخلت الدار .

فلمـا انتبه موسى وهارون اخبرتها بقصة الطلب ونكاية العصا فيهم ، فآمنت بهما وصدقتها .

قال الثعلبي : قالت العلمـاء بأخبار الانبياء ان موسى وهارون عليهما السلام وضع فرعون امرهما على السحر فـأراد قتلهما فقال العبد الصالح حزقيل مؤمن آل فرعون : اتقتلون رجلاً يقول : ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فقال المـلأ من قوم فرعون (ارجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين * يأتوك بكل سحار عليم) .

وكانت لفرعون مدائن فيها السحرة معدة لفرعون ، إذا احزنه امر .

وقال ابن عباس : قال فرعون لمـا رأى سلطان الله في اليد والعصا : انا لا نغالب موسى إلا بمن هو مثله ، فأخذ غلماناً من بني اسرائيل فبعث بهم الى قرية يقال لهـا العرمـا يعلمونهم السحر كما يعلمون الصبيان في المكتب ، فعلموهم سحراً كثيراً وواعد فرعون موسى موعداً ، فبعث فرعون الى السحرة فجاء بهم ومعهم معلمهم ، فقالوا له ماذا صنعت قال علمتهم سحراً لا يطيقه سحر اهل الأرض إلا ان يكون امر من السماء فانه لا طاقة لهم به .

ثم بعث فرعون فجمع السحرة كلهم وكانوا اثنين وسبعين الفاً .

وقال كعب : كانوا اثني عشر الفاً .

وقيل : بضعاً وثلاثين الفاً .

وقال عكرمة : سبعين الفاً .

وقيل : ثمانين الفاً ، واختار منهم سبعة آلاف واختار من اولئك سبعمائة .

وكان رئيس السحرة اخوين بأقصى مدائن الصفر ، فلما جاءهما رسول فرعون قالا لأمهما دلينا على قبر ابينا فأتياه فصاحا باسمه فأجابهما فقالا ان الملك وجه علينا ان نقدم عليه لأنه اتاه رجلان ليس معهما رجال ولا سلاح ولهما عز ومنعة وقد ضاق الملك ذرعاً من عزهما ومعهما عصا إذا ألقياها فلا يقوم لها شيء تبلع الحديد والخشب والحجر .

فأجابهما ابوهما انظرا إذا هما ناما فان قدرتما ان تسلا العصا فسلاها ، فان الساحر

لا يعمل سحره وهو نائم وإن عملت العصا وهما نائمان ، فذلك امر رب العالمين ، ولا طاقة لكما بها ولا لجميع اهل الدنيا .

فأتياهما في خيفة وهما نائمان ليأخذا العصا : فقصدتها العصا ثم واعدوه يوم الزينة وكان يوم سوق لهم .

وقال ابن عباس : كان يوم عاشوراء ووافق يوم السبت اول يوم النيروز يجتمع الناس من الآفاق وكان بالاسكندرية .

فلما اجتمع الناس والسحرة جاء موسى متكئاً على عصاه ومعه هارون ، فقال موسى للسحرة : ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب أليم .

فقال بعضهم لبعض : ما هذا بقول ساحر وقالوا لنأتينك اليوم بسحر لم تر مثله وكانوا قد جاؤوا بالعصي والحبال تحملها ستون بعيراً ، فقال لهم موسى إلقوا فألقوا حبالهم وعصيهم فاذا هي حيات كامثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً تسعى (فأوجس في نفسه خيفة موسى) ، فقال : والله إن كانت العصيات في ايديهم فلقد عادت حيات وما يعدون عصاي هذه .

فأوحى الله اليه: (لا تخف انك انت الأعلى * والقي ما في يمينك تلقف ما صنعوا، إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى * فألقى عصاه فاذا هي ثعبان عظيم) اسود مدلهم عين اربع قوائم ، فصار غلاظ وهو اعظم واطول من البختي وله ذنب يقوم عليه فيشرف فوق حيطان المدينة رأسه لا يضرب ذنبه على شيء إلا حطمه ويكسر بقوائمه الصخور ويضرم حيطان البيوت ناراً ومنخراه تنفخان سموماً وعلى مفرقه شعر كأمثال الرماح ، فاستعرضت ما ألقى السحرة من حبالهم وعصيهم وهي حيات في عين فرعون وأعين الناس فابتلعتها واحداً واحداً حتى ما يرى بالوادي قليلاً ولا كثيراً ، فانهزم الناس وتزاحموا ووطيء بعضهم بعضاً حتى مات يومئذ خمسة وعشرون الفاً وانهزم فرعون مرعوباً ، وقد استطلق بطنه في يومه ذلك من اربعمائة جلسة ، ثم بعد ذلك الى اربعين مرة في اليوم والليلة على الدوام الى ان هلك .

فلما عاين السحرة ما عاينوا قالوا لو كان سحراً لما خفي علينا امره ، ولو كان سحراً فأين حبالنا وعصينا (فخروا سجداً وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون) .

وكان فيهم اربعة شيوخ : سابور ، عارور ، حطحط ، مصفا ، فلما آمن السحرة قال فرعون متجلداً (آمنتم بـــه قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن ايديكم وأرجلكم من خلاف * فقالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات فاقض ما انت قاض) .

فقطع ايديهم وأرجلهم وصلبهم ، وهو اول من فعل ذلك، فأصبحوا سحرة كفرة، وامسوا شهداء بررة .

ورجع فرعون مغلوباً ، وأبى إلا الاقامـــة على الكفر ، فتابع الله عليه بالآيات واخذه وقومه الى ان اهلكهم .

ورجع موسى عليه السلام والعصا تتبعه وتبصبص حوله وتلوذ به كما يلوذ الكلب الألوف بصاحبه ، والناس ينظرون اليها حتى دخل موسى عسكر بني اسرائيل وأخذ برأسها فإذا هي عصا كما كانت .

واعـتزل موسى عليه السلام في مدينته ولحق بقومه وعسكروا مجتمعين الى ان صاروا ظاهرين .

قال الثعلبي : فلما خاف فرعون على قومــه ان يؤمنوا بموسى عليه السلام عزم على بناء صرح يقوي به سلطانه ، فقال يا هامان (إبن لي صرحاً . . .) الآية .

فجمع العمال والفعلة حتى اجتمع له خمسون الف بناء سوى الأتبـاع والاجراء ممن يطبخ الآجر والجص وينجر الخشب والأبواب ويضرب المسامير ، فلم يزل يبني ذلـك الصرح الى أن فرغ منه في سبعة سنين وارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بنيان احد من الخلق منذ خلق الله السماوات والأرض .

فبعث الله عز وجل جبرئيل عليه السلام فضرب بجناحه الصرح فقطعه ثـلاث قطع ، وقعت قطعة منها في البحر ، وأخرى في الهند ، وأخرى في المغرب .

وقال الضحاك : بعثه الله وقت الغروب فقذف بـه على عسكر فرعون فقتل منهم الف الف رجل ولم يبق احد عمل فيه شيئاً إلا اصابه موت او حريق او عاهة .

ثم ان فرعون بعد ذلـك عزم على قتال موسى عليه السلام فلما لم يؤمن أوحى الله تعالى الى موسى : ان اجمع بني اسرائيل كل اربعة اهل ابيات في بيت ، ثم اذبحوا اولاد

الضأن واضربوا بدمائها على الأبواب ، فـاني مرسل على اعدائكم عذاباً ، وإني سآمر الملائكة فلا يدخل بيتاً على بابـه دم وسآمرها تقتل أبكار آل فرعون من انفسهم وأموالهم ، فستسلمون أنتم ويهلكون هم ، ثم اخبزوا خبزاً فطيراً فانـه اسرع لكم ، (ثم اسر بعبادي) حتى تنتهي بهم البحر فيأتيك امري .

ففعل ذلك بنو اسرائيل ، فقال النبط لبني اسرائيل : لم تعالجون هـذا الدم على ابوابكم ؟ فقالوا : ان الله مرسل عذاباً ، فنسلم وتهلكون ، فقالت النبط : فما يعرفكم ربكم إلا بهذه العلامات ؟ فقالوا : هكذا امرنا نبينا .

فأصبحوا وقـد طعن أبكار آل فرعون وماتوا كلهم في ليلة واحدة ، وكانوا سبعين الفاً ، فاشتغلوا بدفنهم وبالحزن عليهم .

وسرى موسى عليه السلام بقومه متوجهين الى البحر ، وهم ستمائة الف وعشرون الفاً لا يعـد فيهم ابن سبعين سنة لكثرتهم لكبره ولا ابن عشرين لصغره وهم المقاتلة دون الذرية ، وكان موسى عليه السلام على الساقة وهارون على المقدمة .

فلما فرغت القبط من دفن ابكارهم وبلغهم خروج بني اسرائيل ، قال فرعون : هذا عمل موسى ، قتلوا ابكارنا من انفسنا وأموالنا ، ثم خرجوا ولم يرضوا ان ساروا بأنفسهم حتى ذهبوا بأموالنا معهم ، فنادى في قومه فأرسل في المدائن من يجمع الساحرين .

وقال ابن جريج : ارسل فرعون في أثر موسى وقومه الف الف وخمسمائة الف ملك مسود مع كل ملك الف . ثم خرج فرعون خلفهم في الدهم وكانوا مائـة الف رجل كل واحد منهم راكب حصاناً ادهم .

فلما اغرقوا في البحر بعث موسى عليه السلام جندين عظيمين من بني اسرائيل كل جند اثنا عشر الفاً الى مدائن فرعون وهي خالية من اهلها لم يبق منهم إلا النساء والصبيان والزمنى والمرضى والهرمى ، وأمر على الجندين يوشع بن نون وكالب بن يوحنا ، فدخلوا بلاد فرعون فغنموا ما كان فيها من اموالهم و كنوزهم .

ثم ان يوشع استخلف على قوم فرعون رجلاً منهم ، وعاد الى موسى بمن معـه سالمين غانمين .

تفسير علي بن ابراهيم : (قال فرعون يا ايها الملأ مـا علمت لكم من إله غيري ، فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلي اطلع الى إله موسى واني لأظنه من

الكاذبين) فبنى هامان له في الهواء صرحاً بلغ مكاناً في الهواء لم يقدر الانسان ان يقوم عليه من الرياح القائمة في الهواء ، فقال لفرعون : لا نقدر على ان نزيد على هذا .

وبعث الله رياحاً فرمت بـه ، فاتخذ فرعون عند ذلك التابوت وعمد الى اربعة أنسر ، فأخذ فراخها وربّاها ، حتى اذا بلغت وكبرت عمدوا الى جوانب التابوت الاربعة فقرروا في كل جانب منه خشبة وجعلوا على رأس كل خشبة لحماً وجوعوا الانسر وشدوا ارجلها بأصل الخشبة ، فنظرت الأنسر الى اللحم فأهوت اليه وارتفعت في الهواء فأقبلت تطير يومها . فقال فرعون لهامان : انظر الى السماء هل بلغناها ؟ فنظر هامان فقال : أرى السماء كما كنت أراها في الأرض في البعد فقال : انظر الى الأرض ، فقال : لا أرى الأرض ولكن أرى البحار والماء .

قال : فلم تزل الأنسر ترتفع حتى غابت الشمس وغابت عنهم البحار والماء ، وجنهم الليل فنظر هامان الى السماء فقال فرعون : هل بلغناها ؟ فقال : أرى الكواكب كما كنت أراها في الأرض .

ثم جالت الرياح القائمة في الهواء فأقبلت التابوت ، فلم يزل يهوي حتى وقع على الأرض ، فكان فرعون أشد ما كان عتواً في ذلك الوقت .

(علل الشرايع) عن أبي الحسن عليه السلام قال : احتبس القمر عن بني اسرائيل فأوحى الله جل جلاله إلى موسى عليه السلام : اخرج عظام يوسف من مصر ، ووعده طلوع القمر اذا أخرج عظامه . فسأل موسى عمن يعلم موضعه ؟ فقيل له : هاهنا عجوز تعلم علمه ، فبعث اليها ، فأتي بعجوز مقعدة عمياء ، فقال لها : أتعرفين موضع قبر يوسف ؟ قالت : نعم ، قال : فاخبريني به ، قالت : لا ، حتى تعطيني أربع خصال : تطلق رجلي ، وتعيد لي شبابي ، وتعيد لي بصري ، وتجعلني معك في الجنة .

قال : فكبر ذلك على موسى عليه السلام فأوحى الله جل جلاله اليه : يا موسى إعطها ما سألت ، فانك إنما تعطي عليّ . ففعل ، فدلته عليه ، فاستخرجه من شاطىء النيل في صندوق مرمر . فلما أخرجه طلع القمر ، فحمله الى الشام . فلذلك يحمل أهل الكتاب موتاهم إلى الشام .

(الكافي) عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان قوماً ممن آمنوا بموسى عليه السلام قالوا :

لو أتينا عسكر فرعون فكنا فيه ونلنا من دنياه ، فإذا كان الذي نرجوه من ظهور موسى عليه السلام صرنا اليه ، ففعلوا .

فلما توجه موسى وعسكره هاربين من فرعون ، ركبوا دوابهم وأسرعوا في المسير ليلحقوا موسى وعسكره فيكونوا معه ، فبعث الله ملكاً فضرب وجوه دوابهم فردهم إلى عسكر فرعون ، فكانوا مع فرعون .

وفيه عن أبي الحسن عليه السلام قال : كان رجـــل من أصحاب موسى أبوه من أصحاب فرعون ، فلما لحقت خيـــل فرعون موسى تخلف عنهم ليعظ أباه فيلحقه بموسى ، فمضى أبوه وهو يراغمه حتى بلغا طرفاً من البحر، فغرقا جميعاً ، فأتى موسى الخبر ؟ فقال : هو في رحمة الله ولكن النقمة اذا نزلت لم يكن لهـــا عمن قارب الذنب دفاع .

قال عليه السلام : ان أشد الناس عذاباً يوم القيامة لسبعة نفر : أولهم ابن آدم الذي قتل أخاه ، ونمرود الذي حاج ابراهيم في ربه ، واثنان من بني اسرائيل هوّدا قومهم ونصراهم ، وفرعون الذي قال : (أنا ربكم الأعلى) ، واثنان من هذه الأمة . أقول : الأول والثاني .

وروي ان أول من اتخذ الآجر فرعون، حين أمر فرعون ببناء الصرح توهم الملعون انه لو كان إله كان جسماً في السماء .

وقيل : اراد ان يبني له رصداً يترصد منه اوضاع الكواكب فيرى هل فيها مـــا يدل على من يبعثه رسول وتبدل دولته .

وروي في قوله تعالى : (تخيل اليه من سحره انها تسعى) انهـــا لم تكن تسعى حقيقة وإنما تحركت : لأنهم جعلوا داخلهـــا الزئبق ، فلما طلعت الشمس طلب الزئبق الصعود ، فحركت الشمس ذلك ، فظن انها تسعى ، فخـــاف موسى ان يلتبس على الناس أمرهم ، ولم يفرقوا بين فعله وفعلهم فيشكوا .

وقيل : انه خوف الطباع اذا رأى الانسان أمراً فظيعـــاً فإنـــه يحذره ويخافه في أول وهلة .

وقيل : انه خاف ان يتفرق الناس قبل القاء العصا وقبل ان يعلموا بطلان السحر فيبقوا في شبهة .

وقيل : انه خاف ، لأنه لم يدر ان العصا اذا انقلبت حية ، هل تظهر المزية ؟ لأنه لم يعلم انها تتلقفها ، وكان ذلك موضع خوف ، لأنها لو انقلبت حية ولم تتلقف ما يأفكون ، ربما ادعوا المساواة سيما والأهواء معهم والدولة لهم ، فلما تلقفت زالت الشبهة .

وقوله : (انه لكبيركم) اي استاذكم ، ويعجز التلميذ عما يأتي به الاستاذ أو رئيسكم ما عجزتم عن معارضته ولكنكم تركتم معارضته احتشاماً . وإنما قال ذلك لايهام العوام .

وعن وهب : كانت العصا من عوسج ، وكان طولها عشرة اذرع على مقدار قامة موسى عليه السلام .

وقوله تعالى : (فقولا له قولاً ليناً * لعله يتذكر او يخشى) .

فقيل : هو الكناية بأبي الوليد .

وقيل : هو : (هل لك أن تزكى * واهديك إلى ربك فتخشى) .

وقيل : هو ان موسى أتاه فقال له : أتسلم وتؤمن برب العالمين ، على ان لك شبابك ولا تهرم وتكون ملكاً لا ينزع الملك منك حتى تموت فإذا مت دخلت الجنة ؟ فأعجبه ذلك ، وكان لا يقطع أمراً دون هامان ، وكان غائباً فلما قدم أخبره بالذي كان دعاه اليه وانه يريد ان يقبل منه ، فقال هامان : قد كنت أرى لك عقلاً ورأياً بيناً أنت رب تريد ان تكون مربوباً ، وبينا أنت تُعبد تريد أن تعبد ؟.

الفصل الخامس

في أحوال مؤمن آل فرعون ، وامرأة فرعون ، وخروج موسى عليه السلام وقومه من البحر ، وحال ابتلائهم بالتقية

قال الله تعالى في مؤمن آل فرعون : (فوقاه الله) اي صرف الله عنه سوء مكرهم فجاء مع موسى عليه السلام حتى عبر البحر .

(النار يعرضون عليها غدواً وعشياً) : اي يعرض آل فرعون على النار في قبورهم صباحاً ومساء فيعذبون .

وقال ابو عبدالله عليه السلام : ذلـك في الدنيـا قبل يوم القيامة ، لأن نار القيامـة لا تكون غدواً وعشياً .

ثم قال : إن كانوا يعذبون في النار غدواً وعشياً ففيما بين ذلك هم من السعداء ، ولكن هذا في نار البرزخ قبل يوم القيامة .

ألم تسمع قوله عز وجل : (ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب) . وهذا أمر للملائكة بادخالهم في أشد العذاب وهو عذاب جهنم .

أقول : هذه النار هي نار البرزخ التي يعذب فيها أرواح الكفار في الدنيا وهي برهوت واد في حضرموت من بلاد اليمن ، كما ان جنة الدنيا وادي السلام ومحلها ظهر الكوفة بين النجف وكربلا وفيها ارواح المؤمنين في اجساد مثالية يتنعمون بها حتى يوافوا جنة الخلد ، وأولئك يوافون نار جهنم .

(تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام) عن آبائه عن الصادق عليه السلام قال : كان حزقيل مؤمن آل فرعون يدعو قوم فرعون الى توحيد الله ونبوة موسى وتفضيل محمد

ﷺ على جميع رسل الله وخلقه وتفضيل علي بن أبي طالب والخيار من الأئمة عليهم السلام وعلى سائر أوصياء النبيين ، وإلى البراءة من ربوبية فرعون .

فوشى به واشون إلى فرعون وقالوا : ان حزقيل يدعو إلى مخالفتك ويعين اعداءك على مضادتك ، فقال لهم فرعون : انه ابن عمي وخليفتي على ملكي وولي عهدي إن فعل ما قلتم فقد استحق العذاب على كفره نعمتي ! وإن كنتم كاذبين فقد استحققتم اشد العذاب لإيثاركم الدخول في مساءته .

فجاء بحزقيل وجاء بهم فكاشفوه وقالوا : أنت تجحد ربوبية فرعون وتكفر نعماءه ؟ فقال حزقيل : أيها الملك هل جربت عليّ كذباً قط ؟ قال : لا ، قال : فسلهم من ربهم ؟ فقالوا : فرعون ، قال : ومن خالقكم ؟ قالوا : فرعون ، قال : ومن رازقكم ؟ الكافل لمعاشكم والدافع عنكم مكارهكم ؟ قالوا : فرعون هذا . قال حزقيل : أيها الملك فاشهد ومن حضرك ان ربهم ربي وخالقهم هو خالقي ورازقهم هو رازقي لا رب لي ولا خالق ولا رازق غير ربهم وخالقهم ورازقهم ، واشهدك ومن حضرك أن كل رب وخالق سوى ربهم فأنا بريء منه ومن ربوبيته وكافر بالهيته .

يقول حزقيل هذا وهو يعني ان ربهم هو : الله ربي ، ولم يقل : ان الذي قالوا ربهم هو ربي .

وخفي هذا المعنى على فرعون ومن حضره وتوهموا انه يقول : فرعون ربي وخالقي ورازقي .

فقال لهم فرعون : يا طلاب الفساد في ملكي ومريدي الفتنة بيني وبين ابن عمي وهو عضدي ، انتم المستحقون لعذابي لارادتكم فساد امري وإهلاك ابن عمي . ثم امر بالأوتاد فجعل في ساق كل واحد منهم وتد وفي صدره وتد ، وأمر اصحاب امشاط الحديد فشقوا بها لحومهم من ابدانهم .

فذلك ما قال الله تعالى : (فوقاه الله سيئات ما مكروا به) لما وشوا به الى فرعون ليهلكوه ، (وحاق بآل فرعون سوء العذاب) وهم الذين وشوا بحزقيل اليه لما اوتد فيهم الأوتاد ، ومشط عن ابدانهم لحومهم بالأمشاط .

وعن ابن عباس قال : خط رسول الله ﷺ اربع خطط في الارض وقال : أتدرون ما هذا ؟ قلنا : الله ورسوله اعلم ، فقال : افضل نساء الجنة اربع : خديجة

بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون .

تفسير علي بن ابراهيم قدس الله ضريحه: (وقال رجل من آل فرعون يكتم إيمانه) قال : كتم إيمانه ستمائة سنة وكان مجذوماً مكنعاً وهو الذي قد وقعت أصابعه وكان يشير الى قومه بيديه المكنوعتين ويقول : يا قوم اتبعوني اهدكم سبيل الرشاد .

وقوله (فوقاه الله سيئات ما مكروا) يعني مؤمن آل فرعون .

فقال ابو عبد الله عليه السلام : ولقد قطعوه إرباً إرباً ولكن وقاه الله ان يفتنوه في دينه . وقال الثعلبي: قالت الرواة : كان حزقيل من اصحاب فرعون نجاراً وهو الذي نجر التابوت لأم موسى حين قذفته في البحر .

وقيل : انه كان خازناً لفرعون مائة سنة ، وكان مؤمناً مخلصاً يكتم ايمانه الى ان ظهر موسى عليه السلام على السحرة ، فأظهر حزقيل يومئذ ايمانه فأخذ وقتل مع السحرة صلباً .

وأما امرأة حزقيل فانها كانت ماشطة بنات فرعون وكانت مؤمنة .

وروي عن ابن عباس : ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : لما أسري بي مرت بي رائحة طيبة ، فقلت لجبرئيل : ما هذه الرائحة ؟ فقال : هذه ماشطة آل فرعون وأولادها، كانت تمشطها فوقعت المشطة من يدها ، فقالت : بسم الله ، فقالت بنت فرعون : أبي ؟ قالت : لا ، بل ربي وربك ورب ابيك . فأخبرت فرعون فدعا بها وبولدها ، وقال : من ربك ؟ قالت : ان ربي وربك الله . فأمر بتنور من نحاس فاحمي فدعا بها وبولدها ، فقالت : ان لي اليك حاجة وهي ان تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنها فقال : ذلك لك ، لما لك من حق ، فأمر بأولادها فألقوا واحداً واحداً بالتنور ، حتى كان آخر ولدها وكان صبياً مرضعاً ، فقال : اصبري يا أمـاه انك على الحق ، فالقيت في التنور مع ولدها .

وأما امرأة فرعون آسية : فكانت من بني اسرائيل وكانت مؤمنة خالصة وكانت تعبد الله سراً ، الى ان قتل فرعون امرأة حزقيل ، فعاينت حينئذ الملائكة يعرجون بروحها ، فزادت يقيناً وإخلاصاً .

فبينا هي كذلك إذ دخل عليها فرعون يخبرها بما صنع ، فقالت : الويل لك

يا فرعون ، ما أجرأك على الله جل وعلا ، فقال لها : لعلك اعتراك الجنون الذي اعترى صاحبك ؟ فقالت : مـــا اعتراني جنون ، بل آمنت بالله ربي وربك ورب العالمين .

فدعا فرعون أمها فقال لها : ان ابنتك أخبريها فاقسم لتذوقن الموت أو لتكفرن بإله موسى .

فخلت بها أمها فسألتها موافقته في ما اراد ؟ فأبت وقالت : اما ان اكفر بالله فلا. فأمر بها فرعون حتى مدت بين اربعة اوتاد ، ثم لا زالت تعذب حتى ماتت .

وعن ابن عباس قال: اخذ فرعون امرأته آسية حين تبين له إسلامها يعذبها لتدخل في دينه . فمر بها موسى وهو يعذبها ، فشكت اليه باصبعها . فدعا الله موسى ان يخفف عنها ، فلم تجد للعذاب ألماً . وانها ماتت من عذاب فرعون ، فقالت وهي في العذاب : رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ، وأوحى الله اليها : ان ارفعي رأسك ، فرفعت فرأت البيت في الجنة بني لها من در ، فضحكت .

فقال فرعون : انظروا الى الجنان التي بها تضحك وهي في العذاب .

وقيل : انها كانت تعذب بالشمس واذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة وجعلت ترى بيتها في الجنة .

عن سلمان في تفسير علي بن ابراهيم : (وظللنا عليكم الغمام وأنزلنـا عليكم المن والسلوى ...) الآية .

فان بني اسرائيل لمـــا عبر بهم موسى البحر نزلوا في مفازة ، فقالوا : يا موسى أهلكتنا وقتلتنا وأخرجتنا من العمارة الى مفازة لا ظل ولا شجر ولا ماء ، وكانت تجيء بالنهار غمامة فتظلهم من الشمس وينزل عليهم بالليل المن ، فيقع على النبات والشجر والحجر فيأكلونه ، وبالعشي يجيء طائر مشوي فيقع على موائدهم، فاذا اكلوا وشبعوا طار ومر .

وكان مع موسى حجر يضعه في وسط العسكر ، ثم يضربه بعصاه فتنفجر منه اثنتا عشرة عيناً ، فيذهب الماء الى سبط في رحله ، وكانوا اثنا عشر سبطاً .

فلما طال عليهم الأمد ، قالوا : يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها، والفوم هو الحنطة.

فقال لهم موسى : أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ؟ إهبطوا مصراً فان لكم ما سألتم ، فقالوا : يا موسى (ان فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان : خرجوا منها فإنا داخلون) فنصف الآية في سورة البقرة وتمامها وجوابها لموسى في سورة المائدة .

أقول : هذا التبعيض في الآية الواحدة ، الظاهر ان منشأه ما وقع في مصحف عثمان الذي سموه إمام المصاحف ، ولم يكن له ربط بترتيب القرآن ، فكانت الآية الواحدة مقطعة في السورتين .

وروي : انهم لما لم يوافقوا موسى عليه السلام على قتال الجبارين ، أراد موسى ان يفارقهم ، ففزعوا وقالوا : إن خرج موسى من بيننا نزل علينا العذاب ، فسألوه ان يقيم معهم ويسأل الله ان يتوب عليهم فأوحى الله اليه : اني قد تبت عليهم على ان يدخلوا مصر ، وحرمتها عليهم اربعين سنة يتيهون في الأرض عقوبة لقولهم: (إذهب أنت وربك فقاتلا) فدخلوا كلهم في التوبة والتيه إلا قارون .

فكانوا يقومون في اول الليل ويأخذون في قراءة التوراة ، فاذا اصبحوا على باب مصر دارت بهم الأرض فردتهم الى مكانهم ، وكان بينهم وبين مصر اربع فراسخ ، فبقوا على ذلك اربعين سنة .

فمات هارون وموسى في التيه ، ودخلها أبناؤهم وأبناء أبنائهم .

وروى الثعلبي عن محمد بن قيس قال : جاء يهودي الى علي بن ابي طالب عليه السلام فقال : يا أبا الحسن ما صبرتم بعد نبيكم إلا خمساً وعشرين سنة حتى قتل بعضكم بعضاً ، قال: بلى ولكن ما جف اقدامكم من البحر حتى قلتم يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة . وفي حديث آخر انه عليه السلام قال له : إنا لم نختلف في نبينا ولكنا اختلفنا عنه .

وعن ابن عباس قال : قال بنو اسرائيل لموسى عليه السلام حين جاز بهم البحر : خبرنا يا موسى بأي قوة ربأي عدة تبلغ الارض المقدسة ومعك الذرية والنساء والزمني؟ فقال موسى عليه السلام : ما أعلم قوماً ورثهم الله من عرض الدنيا ما ورثكم وسيجعل الله لكم مخرجاً ، قالوا : فادعه يطعمنا ويسقينا ويظلنا فأوحى الله تعالى الى موسى: قد أمرت السماء ان تمطر عليهم المن والسلوى وأمرت الريح ان تشوي لهم السلوى

وأمرت الحجارة ان تنفجر وأمرت الغمام ان تظلهم وسخرت ثيابهم ان تنبت بقدر ما ينبتون .

فلما قال موسى ذلك سكنوا ، فسار بهم الى الارض المقدسة وهي فلسطين .

وإنما قدسها : لأن يعقوب صلوات الله عليه وُلد بها وكان مسكن ابيه اسحاق ويوسف صلوات الله عليهما ، ونقلوا كلهم بعد الموت الى ارض فلسطين .

(العياشي) عن داود الرقي قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: كان ابو جعفر عليه السلام يقول: نعم الارض الشام وبئس القوم اهلها وبئس البلاد مصر اما انها سخط من سخط الله عليه ، ولم يكن دخول بني اسرائيل إلا من سخطه ومعصيته منهم لله ، لأن الله تعالى قال (ادخلوا الارض المقدسة) يعني الشام، فأبوا ان يدخلوها فتاهوا في الارض اربعين سنة في مصر وفيافيها ، ثم دخلوها بعد اربعين سنة ، وما كان خروجهم من مصر ودخولهم الشام إلا من بعد توبتهم ورضا الله عنهم، وقال : اني لا أكره ان آكل من شيء يطبخ في فخارها، وما احب ان اغسل رأسي من طينها مخافة ان يورثني ترابها الذل ويذهب بغيرتي .

وروى الشيخ في (التهذيب) قال الصادق عليه السلام : نومة الغداة مشومة تطرد الرزق وتصفر اللون وتغيره وتقبحه . وهو نوم كل مشوم، إن الله تعالى يقسم الارزاق ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس ، وإياكم وتلك النومة .

وكان المن والسلوى ينزل على بني اسرائيل ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس فمن نام تلك الساعة لم ينزل نصيبه ، وكان اذا انتبه فلا يرى نصيبه احتاج الى السؤال والطلب . وعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام في قوله : (وأنزلنا عليكم المن والسلوى) المن الترنجبين كان يسقط على شجرهم فيتناولونه ، والسلوى السماني أطيب طير لحماً يسترسل لهم فيصطادونه .

وفي قوله تعالى : (إدخلوا هذه القرية) وهو اريحا من بلاد الشام وادخلوا باب القرية سجداً لله تعظيماً لمثال محمد وعلي ، مثل الله تعالى على الباب مثال محمد وعلي وأمرهم ان يسجدوا تعظيماً لذلك المثال وأن يجددوا على انفسهم بيعتها وذكر موالاتها وليذكروا العهد والميثاق المأخوذ عليهم (وقولوا حطة) اي قولوا ان سجودنا لله تعظيماً لمثال محمد وعلي واعتقادنا لولايتها حطة لذنوبنا ومحواً لسيئاتنا (فبدل الذين

ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم) اي لم يسجدوا كما أمروا وقالوا كما أمروا ولكن دخلوها من منقلبها باستاهم ، وقالوا اهتطاناً سمقاناً – اي حنطة حمراء ينقونها احب الينا من هذا الفعل وهذا القول (فأنزلنا على الذين غيروا – بدلوا – ما قيل لهم) ولم ينقادوا لولاية محمد وعلي وعلى آلهما الطيبين (رجزاً من السماء) والرجز الذي اصابهم انه مات منهم بالطاعون في بعض يوم مائة وعشرون الف كلهم من علم الله انهم لا يؤمنون ولا يتوبون .

وفي قوله : (وإذ استسقى موسى لقومه) طلب منهم السقي لما لحقهم العطش في التيه وضجوا بالبكاء الى موسى عليه السلام وقالوا : أهلكنا بالعطش ، فقال موسى : إلهي بحق محمد سيد الانبياء وبحق علي سيد الاوصياء وبحق فاطمة سيدة النساء وبحق الحسن سيد الأولياء وبحق الحسين افضل الشهداء وبحق عترتهم وخلفائهم سادة الأزكياء لما سقيت عبادك هؤلاء ، فأوحى الله تعالى : يا موسى (إضرب بعصاك الحجر) فضربه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل قبيلة من بني أب من أولاد يعقوب مشربهم فلا يزاحم الآخرين في مشربهم ، (وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) يعني المن والسلوى ولا بد لنا من خلط معه (فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض...) الآية . فقال : إهبطوا مصراً من الأمصار من هذا التيه فان لكم ما سألتم في المصر ... الحديث .

وعن ابي عبد الله عليه السلام : ان القائم عليه السلام اذا قام بمكة وأراد ان يتوجه الى الكعبة نادى مناديه : ألا لا يحمل احد منكم طعاماً ولا شراباً ، ويحمل حجر موسى ابن عمران وهو وقر بعير ، فلا ينزل منزلاً إلا انبعثت عين منه ، فمن كان جائعاً شبع ومن كان ظامئاً روي ، فهو زادهم حتى ينزل النجف من ظهر الكوفة .

وقال الثعلبي: ان الله عز وجل وعد موسى عليه السلام ان يورثه وقومه الارض المقدسة وهي الشام ، وكان يسكنها الجبارون وهم العمالقة من ولد عملاق بن لاوي بن سام ابن نوح عليه السلام .

فأمر الله موسى عليه السلام وقومه بالمسير الى ارض الشام وقال : يا موسى اني قد كتبتها لكم داراً وقراراً ، فجاهد فيها من العدو ، فاني ناصركم عليهم وخذ من قومك اثني عشر نقيباً من كل سبط نقيباً ليكون كفيلاً على قومه بالوفاء منهم على ما أمروا به. فاختار موسى النقباء ، من كل سبط نقيباً وأمره عليهم، فسار موسى ببني اسرائيل ،

فبعث هؤلاء النقباء يتجسسون له الأخبار ويعلمون احوالهم .

فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عناق وكان طوله ثلاثة وعشرين الف ذراع بذراع الملك . وكان عوج يحتجر بالسحاب ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله .

وروي انه أتى نوحاً ايام الطوفان فقال له : احملني معك في سفينتك ، فقال له : إذهب يا عدو الله فاني لم أومر بك ، وطبق الماء ما على الارض من جبل وما جاوز ركبتي عوج ، وعاش عوج ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله تعالى على يدي موسى .

وكان لموسى عليه السلام عسكر فرسخ في فرسخ ، فجاء عوج حتى نظر اليهم ثم أتى الجبل ونقر منه صخرة على قدر العسكر ثم حملها ليطبقها عليهم ! فبعث الله تعالى اليه الهدهد ومعه المس ، – يعني – حتى نقرا الصخرة ، فانبثقت فوقعت في عنق عوج فطوقته فصرعته .

فأقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة أذرع وطول عصاه عشرة أذرع ونزا في السماء عشرة أذرع ، فما أصاب إلا كعبه وهو مصروع بالأرض ، فقتله .

فأقبل جماعة ومعهم الخناجر فجهدوا حتى حزوا رأسه ، فلما قتل وقع على نيل مصر ، فجيرهم سنة ، وأم عناق احدى بنات آدم من صلبه .

فلما لقيهم عوج وعلى رأسه حزمة حطب ، اخذ الاثني عشر وجعلهم في حجزته وانطلق بهم الى امرأته وقال : انظري الى هؤلاء القوم الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا ! فطرحهم بين يديها وقال : ألا أطحنهم برجلي ؟ فقالت امرأته : لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا . ففعل ذلك .

وكان لا يحمل عنقود عنبهم إلا خمسة أنفر بالخشب ، ويدخل في شطر الرمان اذا نزع حبها خمسة أنفر أو اربعة .

فلما خرجوا قال بعضهم لبعض : يا قوم انكم ان اخبرتم بني اسرائيل خبر القوم تنكروا وارتدوا عن نبي الله ، ولكن اكتموا شأنهم واخبروا موسى وهارون فيرون فيه رأيهما ، فأخذ بعضهم على بعض الميثاق ، ثم انصرفوا الى موسى بعد اربعين يوماً ، وجاؤوا بحبة من عنبهم ، وقر رجل وأخبروه بما رأوه .

ثم انهم نكثوا العهد وجعل كل واحد منهم ينهى سبطه وقريبه عن قتالهم ويخبرهم بما رأوا من احوالهم إلا يوشع بن نون وكالب بن يوحنا ختن موسى على اخته مريم .

فلما سمع القوم ذلك من الجواسيس رفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا يا ليتنا متنا في ارض مصر ولا يدخلنا الله فتكون نساؤنا وأموالنا غنيمة لهم ، وأرادوا الرجوع الى مصر وقالوا يا موسى ان فيها قوماً جبارين فقال لهم موسى : ان الذي انجاكم وفلق البحر هو الذي يظهركم عليهم فلم يقبلوا وهموا بالانصراف الى مصر .

فخرق يوشع وكالب ثيابهما وقالا لهم : ادخلوا على الجبارين الباب فإذا دخلتموه فانكم غالبون ، لأن الله منجز ما وعد ، وإنا رأيناهم واختبرناهم فكانت اجسامهم قوية وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم وعلى الله توكلوا إن كنتم مؤمنين .

فأراد بنو اسرائيل ان يرموهم بالحجارة وعصوهما، وقالوا يا موسى (إنا لن ندخلها ما داموا فيها اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون) فغضب موسى ودعا عليهم فقال (رب اني لا املك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الظالمين) وكانت عجلة عجلها موسى فظهر الغمام على قبة الزمر ، فأوحى الله تعالى الى موسى : (الى متى لا يصدقون بالآيات لأهلكنهم اجمعين) ولأجعلن لك شعباً اقوى وأكثر منهم ، فقال موسى : إلهي لو انك قتلت هذا الشعب لقالت الامم الذين سمعوا إنما قتل هذا الشعب من اجل انه لم يستطع ان يدخلهم الارض المقدسة فقتلهم في البرية ، وأنت طويل صبرك وتغفر الذنوب فاغفر لهم ولا توبقهم فقال الله عز وجل : قد غفرت لهم بكلمتك . ولكن بعد ما سميتهم فاسقين ودعوت عليهم بي ، حلفت لاحرمن عليهم دخول الارض المقدسة ، غير عبدي يوشع وكالب، ولاتيهنهم في هذه البرية اربعين سنة، مكان كل يوم من الايام التي تجسسوا فيها سنة ، وكانت اربعين يوماً ، ولنلقين جيفهم في هذه القفار ، واما بنوهم الذين لم يعملوا الخير والشر فانهم يدخلون الارض المقدسة .

فذلك قوله تعالى : (فانها محرمة عليهم اربعين سنة) في ستة فراسخ ، وكانوا ستمائة الف مقاتل فكانوا يسيرون جادين حتى اذا امسوا وباتوا فإذا هم في الموضع الذي ارتحلوا منه ، ومات النقباء العشرة الذين افشوا الخبر بغتة ، وكل من دخل في التيه ممن جاوز العشرين سنة مات في التيه غير يوشع وكالب ولم يدخل اريحا احد ممن قال (انا لن ندخلها ابداً) .

فلما هلكوا وانقضت الاربعون سنة ونشأت النواشيء من ذراريهم وساروا الى حرب الجبارين وفتح الله لهم في ذكر النعم التي انعم الله على بني اسرائيل في التيه .

قال الله سبحانه : (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم) أي على اجدادكم وأسلافكم .

الفصل السادس

في نزول التوراة وسؤال الرؤية وعبادة العجل وما يتعلق بها

قال الله تعالى : (وإذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون * ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون * وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون * وإذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم) .

(علل الشرايع وعيون الأخبار) سأل الشامي امير المؤمنين عليه السلام عن الثور ما باله غاض طرفه لا يرفع رأسه الى السماء قال : حياء من الله عز وجل لما عبد قوم موسى العجل نكس رأسه .

وعن انس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اكرموا البقر ، فإنه سيد البهائم ما رفعت طرفها الى السماء حياء من الله عز وجل منذ عُبد العجل .

تفسير علي بن ابراهيم في قوله تعالى (فانا قد اختبرنا قومك) قال : اختبرناهم من بعدك (واظلهم السامري) بالعجل الذي عبدوه .

وكان سبب ذلك ان موسى عليه السلام لما وعده الله تعالى ان ينزل عليه التوراة والألواح الى ثلاثين يوماً ، اخبر بني اسرائيل بذلك ، وذهب الى ميقات ربه وخلف هارون على قومه .

فلما جاءت الثلاثون يوماً ، ولم يرجع موسى اليهم ، عصوا وأرادوا ان يقتلوا هارون ، قالوا ان موسى كذبنا وهرب منا .

فجاء ابليس في صورة رجل فقال لهم ان موسى قد هرب منكم ولا يرجع ابداً فاجمعوا إليّ حليكم حتى اتخذ إلهاً تعبدونه .

وكان السامري على مقدمة موسى يوم اغرق الله فرعون وأصحابه ، فنظر الى جبرئيل عليه السلام وكان على حيوان في صورة رمكة كانت كلما وضعت حافرها على موضع من الارض يتحرك ذلك الموضع ، فنظر اليه السامري وكان من خيار اصحاب موسى ، فأخذ التراب من حافر رمكة جبرئيل وكان يتحرك ، فصره في صرة وكان عنده يفتخر به على بني اسرائيل .

فلما جاءهم ابليس واتخذوا العجل ، قال للسامري هات التراب الذي معك فجاء به السامري فألقاه ابليس في جوف العجل ، فلما وقع التراب في جوفه تحرك وخار ونبت عليه الوبر والشعر ، فسجد له بنو اسرائيل ، وكان عدد الذين سجدوا سبعين الفاً من بني اسرائيل .

فقال لهم هارون : (إنما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري * قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى) فهموا بهارون حتى هرب من بينهم وبقي في ذلك ، حتى تم ميقات موسى اربعين ليلة .

فلما كان يوم عشرة من ذي الحجة انزل الله عليه الالواح فيه التوراة وما يحتاجون اليه من الاحكام والسير والقصص .

ثم اوحى الله الى موسى عليه السلام : (انا قد فتنا قومك من بعدك واظلهم السامري وعبدوا العجل وله خوار) فقال موسى عليه السلام : يا رب العجل من السامري ، فالخوار ممن قال: مني ، يا موسى اني لما رأيتهم قد ولوا عني الى العجل احببت ان ازيدهم فتنة .

(فرجع موسى الى قومه غضبان أسفاً قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً فطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي) ثم رمى الالواح وأخذ بلحية اخيه هارون ورأسه يجره اليه فقال له : (ما منعك إذ رأيتهم ضلوا * ألا تتبعني افعصيت امري * فقال يا بن ام لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي) فقال له بنو اسرائيل :

(مـا اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا اوزاراً من زينة القوم - يعني من حليهم - فقذفناها) قال التراب الذي جـاء السامري طرحناه في جوفه ، ثم اخرج السامري العجل وله خوار . فقال له موسى (ما خطبك يا سامري * قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها) يعني من تحت حافر رمكة جبرئيل عليه السلام في البحر (فنبذتها أي امسكتها وكذلك سولت لي نفسي) أي زينت .

فأخرج موسى العجل فأحرقه بالنار وألقاه في البحر ، ثم قـال موسى للسامري (إذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس) يعني ما دمت حياً وعقبك هذه العلامة فيكم قائمة ، حتى يعرفوا انكم سامرية فلا يغتروا بكم الناس ، فهم الى الساعة بمصر والشام معروفين لا مساس لهم .

ثم همّ موسى بقتل السامري ، فأوحى الله اليه : لا تقتله يا موسى فانـه سخي ، فقـال له موسى : (انظر إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفه في اليم نسفاً * إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو) .

أقول : قوله (اوزاراً من زينة القوم) احمالاً في حلى القبط التي استعاروها منهم حين هموا بالخروج من مصر باسم العرس .

وقيل : استعاروه لعيد كان لهم ، ثم لم يردوه عند الخروج مخافة أن يعلموا به .

وقوله : (لا مساس) . قال الطبرسي اختلف في معناه ، فقيل : انه امر الناس بأمر الله ان لا يخالطوه ولا يجالسوه ولا يواكلوه ، تضييقاً عليه ، والمعنى : لك ان تقول لا امس ولا امس ما دمت حياً .

وقال ابن عباس : لـك ولولدك ، والمساس فعل من المماسة ، ومعنى (لا مساس) لا يمس بعضنا بعضاً السامري ، يهيم في البرية مع الوحش والسباع ، لا يمس احـداً ولا يمسه احد ، عاقبه الله تعالى بذلك . وكان إذا لقي احداً يقول لا مساس، أي لا تمسني ولا تقربني ، وصار ذلك عقوبة له ولولده ، حتى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك ، وان مس واحد من غيرهم حمّ كلاهما في الوقت .

وقيل : ان السامري خاف وهرب فجعل يهيم في البرية لا يجد احداً من الناس يمسه، حتى صار لبعده من الناس كالقائل (لا مساس) .

(علي بن ابراهيم) باسناده الى ابي عبد الله عليه السلام قال : مـا بعث الله رسولاً إلا وفي وقته شيطانان يؤذيانه ويفتنانه ويضلان الناس بعده .

فأما الخمسة اولو العزم من الرسل : نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله .

واما صاحبنا نوح عليه السلام ففبطقوس وحزام .

واما صاحبنا ابراهيم : فمكيل وزدام .

وأما صاحبنا موسى : فالسامري ومرعقيبا .

واما صاحبنا عيسى : فمولس ومريسان .

واما صاحبنا محمد صلى الله عليه وآله : فحبتر وزريق .

اقول : الحبتر الثعلب والمراد بـه . . . لأنه يشبه بالمكر والخديعة والتعبير عنه بزريق لكونه ازرق . وقيل : انه يشبه بطائر اسمه زريق في سوء اخلاقه او لكون الزرقة مما تبغضه العرب وتتشام منه .

كما قيل في قوله تعالى : (ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً) .

وعن ابي بصير قال : سأل طاووس اليماني الباقر عليه السلام عن طير طار مرة لم يطر قبلها ولا بعدها ذكره الله في القرآن ما هو ؟ فقال : طور سيناء اطاره الله عز وجل على بني اسرائيل حين اظلهم فيه انواع العذاب حتى قبلوا التوراة وذلك قوله عز وجل (وإذ نتقنا فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم) .

(وروي) انه لما انزل الله سبحانه التوراة ، قال : رب ارني انظر اليك فأوحى الله اليه : لا تقدر على ذلـك ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ، فرفع الله الحجاب ونظر الى الجبل ، فساخ الجبل في البحر فهو يهوي حـتى الساعة ، ونزلت الملائكة وفتحت ابواب السماء ، فأوحى الله الى الملائكة ادركوا موسى لا يهرب فنزلت الملائكة واحاطت بموسى وقالوا اثبت يا بن عمران فقد سألت الله عظيما .

فلما نظر موسى الى الجبل قد ساخ والملائكة قـد نزلت وقع على وجهه فمات من خشية الله وهول ما رأى ، فردّ الله عليه روحه ، فرفع رأسه وأفاق وقال سبحانك تبت اليك وأنا اول من صدق انـك لا ترى ، فقال الله : يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالتي وكلامي . . . الحديث .

(وعنه) ﷺ قـــال : من الجبال التي تطايرت يوم موسى عليه السلام سبعة اجبل فلحقت بالحجاز واليمن منها بالمدينة احـــد وورقان وبمكة ثور وثبير وحوى باليمن سبر وحضور .

(عيون الاخبار) في خبر ابن الجهم انه سأل المأمون الرضا عليه السلام عن معنى قوله عز وجل : (ولما جاء موسى لميقاتنا) وكلمه ربه قال (رب ارني انظر اليك قال لن تراني ...) الآية، كيف يجوز ان يكون كليم الله موسى بن عمران لا يعلم ان الله تعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأله هذا السؤال فقال الرضا عليه السلام : ان كليم الله موسى بن عمران عليه السلام علم ان الله تعالى عزّ ان يرى بالأبصار ، لكنه لما كلمه الله عز وجل وقربه نجياً رجع الى قومه فأخبرهم ان الله عز وجل كلمه وقربـه وناجاه ، فقالوا لن نؤمن لك حتى نسمع كلامه كما سمعت ، وكان القوم سبعمائة الف رجل ، فاختار منهم سبعين الفاً ثم اختار منهم سبعة آلاف ثم اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربه ، فخرج بهم الى طور سيناء ، فأقامهم في سفح الجبل وصعد موسى الى الطور .

وسأل الله ان يكلمهم ويسمعهم كلامه فكلمه الله ، وسمعوا كلامــه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وامام .

لأن الله عز وجل احدثـــه في الشجرة وجعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه فقالوا لن نؤمن لك بأن الذي سمعناه كلام الله حتى نرى الله جهرة .

فلما قالوا هذا القول العظيم، بعث الله عز وجل عليهم صاعقة فأخذتهم بظلمهم فماتوا، فقال موسى : يا رب ما أقول لبني اسرائيل اذا رجعت اليهم وقالوا إنك ذهبت بهم فقتلتهم لانك لم تكن صادقاً فيما ادعيت من مناجاة الله عز وجـــل إياك فأحياهم الله وبعثهم معه . فقالوا إنك لو سألت الله ان يراك تنظر اليه لأجابك وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حق معرفته فقال موسى عليه السلام : يا قوم ان الله لا يرى بالأبصار وإنمـــا يعرف بآياته ، فقالوا لن نؤمن لك حتى تسأله فقال موسى : يا رب انــك قد سمعت مقالة بني اسرائيل وانت أعلم بصلاحهم فأوحى الله اليه : يا موسى اسألني ما سألوك فلن اؤاخذك بجهلهم فعند ذلك قـــال موسى : رب أرني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه وهو يهوي فسوف تراني * فلـــما تجلى ربه للجبل بآية من آياته جعله دكاً * وخر موسى صعقاً . فلما أفاق قال : سبحانك تبت

اليك . يقول : رجعت الى معرفتي بك عن جهل قومي وأنا أول المؤمنين منهم بأنك لا ترى .

(وعن) أبي جعفر عليه السلام قال : كان في وصية أمير المؤمنين عليه السلام ان اخرجوني الى الظهر ، فإذا تصوبت اقدامكم واستقبلتكم ريح ، فادفنوني وهو اول طور سيناء .

(وعن) أبي عبدالله عليه السلام : الغري قطعة من الجبل الذي كلم الله عليه موسى تكليماً .

وقال المرتضى نور الله ضريحه ، إن قيل : ما الوجه في قوله تعالى : (واخذ برأس اخيه ...) الآية .

وليس ظاهر الآية يدل على ان هارون احدث ما اوجب ايقاع ذلك الفعل به وبعد فما الاعتذار لموسى عليه السلام من ذلك الفعل وهو فعل السخفاء والمتسرعين وليس من عادة الحكماء المتماسكين .

قلنا : ليس فيما حكاه الله تعالى من فعل موسى بأخيه ما يقتضي صدور معصية ولا قبيح من واحد منهما . وذلك ان موسى عليه السلام أقبل وهو غضبان على قومه لما احدثوا بعده مستعظماً لفعلهم ، مفكراً فيما كان منهم ، فأخذ برأس أخيه وجره اليه ، كما يفعل الانسان بنفسه مثل ذلك عند الغضب وشدة الفكر .

اما ترى ان المفكر الغضبان قد يعض على شفتيه ويقبض على لحيته ، فأجرى موسى عليه السلام أخاه هارون مجرى نفسه ، لأنه كان أخاه وشريكه ومن يمسه من الخير والشر ما يمسه ، فصنع به ما يصنع الرجل بنفسه في احوال الفكر والغضب ، وبهذه الأمور تختلف احكامها بالعادات فيكون ما هو إكرام في بعضها استخفافاً في غيرها وبالعكس .

وأما قوله : (لا تأخذ بلحيتي) فلا يمنع ان يكون هارون خاف من ان يتوهم بنو اسرائيل بسوء ظنهم انه منكر عليهم معاتب ، ثم ابتدأ بشرح قصته فقال في موضع : (إني خشيت ان تقول ...) الآية ، وفي موضع آخر : (يا بن ام إن

القـوم استضعفوني) . ويمكن ان يكون قـولـه (لا تأخذ بلحيتي) ليس على سبيل الأنفة بل معنى كلامه لا تغضب ولا يشتد جزعك واسفك ، انتهى .

وذكر الصدوق : ان ذلـك كان بينهما على جهة المصلحة لتخويف الأمـة وليعلموا شدة إنكار موسى عليهم ، على انه لو كان ذلك مما لا ينبغي من واحد منهما فهو من باب ترك الأولى . كما قيل لما ورد من الأدلة القاطعة على عصمتهم .

(وروي) ان موسى عليه السلام لما رجع الى قومه وقد عبدوا العجل ، قـال لهم موسى : (يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخـاذكم العجل فتوبوا الى الله بارئكم فاقتلوا انفسكم) . فقالوا كيف نقتل أنفسنا ؟ فقال لهم موسى : اغدوا كل واحد منكم الى بيت المقدس ومعه سكين او حديدة او سيف ، فإذا صعدت انا منبر بني اسرائيل فكونوا انتم متلثمين لا يعرف احد صاحبه فاقتلوا بعضكم بعضاً . فاجتمعوا سبعين الف رجل ممن كانوا عبدوا العجل الى بيت المقدس ، فلما صلى بهم موسى عليه السلام وصعد المنبر اقبل بعضهم يقتل بعضاً ، حتى نزل جبرئيل فقال : قل لهم يا موسى : إرفعوا القتل فقد تاب عليكم ، فقتـل عشرة آلاف فأنزل الله : (ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم) .

(بصائر الدرجات) باسناده الى سدير قال : كنت عند أبي جعفر عليه السلام فمر بنا رجل من أهل اليمن فسأله ابو جعفر عليه السلام عن اليمن فأقبل يحدث، فقال له ابو جعفر عليه السلام : هل تعرف دار كذا و كذا ؟ قال : نعم ورأيتها فقال له أبو جعفر عليه السلام : هل تعرف صخرة عندها في موضع كذا وكذا قـال : نعم ورأيتها ، فقال الرجل : ما رأيت رجلاً اعرف بالبلاد منك . فلما قام الرجل قال لي ابو جعفر عليه السلام : يا ابا الفضل تلك الصخرة التي غضب موسى فألقى الألواح عندها ، فما ذهب من التوراة التقمته الصخرة ، فلما بعث الله رسولاً ادته اليه ، وهي عندنا .

(وعنه) عليه السلام : إن الله لم يعط الأنبيـاء شيئاً إلا وقـد أعطاه محمداً صلى الله عليه وآله ، وعندنا الصحف التي قال الله عز وجل : (صحف ابراهيم وموسى) وهي الالواح .

(وعن) أبي عبدالله عليه السلام قال : ان في الجفر : ان الله تبارك وتعالى لمـا انزل

الله الالواح على موسى عليه السلام انزلها عليه وفيها تبيان كل شيء الى ان تقوم الساعة ، فلما انقضت ايام موسى عليه السلام أوحى الله اليه : ان استودع الالواح وهي زبرجدة من الجنة فأتى موسى الجبل فانشق الجبل ، فجعل فيه الالواح ملفوفة فانطبق الجبل عليها .

فلم تزل حتى بعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وآله ، فأقبل ركب من اليمن يريدون النبي صلى الله عليه وآله فلما انتهوا الى الجبل انفرج الجبل وخرجت الالواح ملفوفة كما وضعها موسى عليه السلام ، فأخذها القوم ، ودفعوها الى النبي صلى الله عليه وآله .

(وعن) أمير المؤمنين عليه السلام : ان يوشع بن نون كان وصي موسى عليه السلام وكانت ألواح موسى من زمرد اخضر ، فلما غضب موسى القى الالواح من يده فمنها ما تكسر ومنها ما بقي ومنها ما ارتفع .

فلما ذهب عن موسى الغضب قال يوشع : أعندك تبيان ما في الألواح قال نعم ، فلم يزل يتوارثها رهط بعد رهط حتى وصلت الى النبي صلى الله عليه وآله ودفعها إلي .

(العياشي) عن الباقر عليه السلام في قوله : (وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة) قال كان في العلم ، والتقدير ثلاثين ليلة ، ثم بدا لله فزاد عشراً (فتم ميقات ربه) الاول والآخر (اربعين ليلة) .

(وعن) أبي جعفر عليه السلام السلام في قول الله عز وجل (واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) قال لما ناجى موسى عليه السلام ربه أوحى اليه : ان يا موسى قد فتنت قومك ، فقال بماذا يا رب ؟ قال بالسامري ، صاغ لهم من حليهم عليهم فخار ، قال يا رب ومن اخاره ؟ قال : أنا ، فقال عندها موسى : ان هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي بها من تشاء .

فلما انتهى موسى الى قومه ورآهم يعبدون العجل ألقى الألواح من يده فتكسرت ، فقال ابو جعفر عليه السلام كان ينبغي ان يكون هذا عند اخبار الله إياه قال فعمد موسى فبرد العجل بالمبرد من انفه الى طرف ذنبه ثم احرقه بالنار فذره في اليم — يعني الماء . قال : فكان احدهم ليقع في الماء وما به اليه من حاجة فيعرض لذلك الرماد فيشربه وهو قول الله عز وجل (واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) .

(وعنه) عليه السلام قال : لما سأل موسى ربه تبارك وتعالى وقال (رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر فسوف تراني) .

قال : فلما صعد موسى عليه السلام على الجبل فتحت ابواب السماء واقبلت الملائكة افواجاً في ايديهم العمد في رأسها النور يمرون به فوجاً بعد فوج يقولون يا بن عمران فقد سألت عظيماً ، فلم يزل موسى واقفاً حتى تجلى ربنا جلّ جلاله فجعل الجبل دكاً. وخر موسى صعقاً . فلما ان رد الله عليه روحه قال (سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين) .

قال ابن ابي عمير : وحدثني عدة من اصحابنا ان النار احاطت به حتى لا يهرب لهول ما رأى .

(وعن) ابي بصير قال : سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول ان موسى بن عمران لما سأل ربه النظر اليه وعده ان يقعد في موضع ، ثم امر الملائكة ان تمر عليه موكباً موكباً بالبرق والرعد والريح والصواعق . فكلما مرّ به موكب من المواكب ارتعدت فرائصه فيرفع رأسه فيقولون قد سألت عظيماً .

(وعن) ابي جعفر عليه السلام قال : ان مما ناجى موسى ان قال يا رب هذا السامري صنع العجل فالخوار من صنعه . قال فأوحى الله اليه يا موسى ان تلك فتنتي فلا تفضحني عنها .

أقول : الفتنة ورد لها في القرآن الكريم والأخبار عن الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم معان كثيرة ومن اشهرها الابتلاء والاختبار، وليس هنا بمعنى الضلال لقوله تعالى (وتهدي بها من تشاء) .

واما قوله تعالى (فلا تفضحني) فذلك ان بني اسرائيل من فرط الجهل على قلوبهم لم يتعرفوا معاني الالفاظ ولا مواقع مواردها وإيصال ذلك الى افهامهم مما يتعذر على موسى عليه السلام فانه لم يقدر على إيصال الواضحات الى افهامهم فكيف هذا وامثاله .

(مهج الدعوات) من كتاب عبد الله بن عباس بن حماد الأنصاري عن ابي عبد الله عليه السلام وذكر عنده حزيران فقال : هو الشهر الذي دعا فيه موسى على بني اسرائيل فمات في يوم وليلة من بني اسرائيل ثلاثمائة الف من الناس .

(تفسير الامام الحسن العسكري عليه السلام) قال الله عز وجل : (وإذ واعدنا موسى

اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون) قال : كان موسى عليه السلام يقول لبني اسرائيل اذا فرج الله عنكم واهلك اعداءكم آتيكم بكتاب من عند ربكم يشتمل على أوامره ونواهيه ومواعظه وامثاله .

فلما فرج الله عنهم امره الله عز وجل : أن يأتي للميعاد ويصوم ثلاثين يوماً عند اصل الجبل . فظن موسى عليه السلام انه بعد ذلك يعطيه الكتاب فصام ثلاثين يوماً فلما كان في آخر اليوم استاك قبل الفطر ، فأوحى الله اليه يا موسى اما علمت ان خلوق فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك صم عشراً اخر ، ولا تستك عند الافطار . ففعل ذلك موسى عليه السلام ، وكان وعده الله ان يأتيه الكتاب بعد اربعين ليلة ، فأعطاه الله إياه .

فجاء السامري فشبه على مستضعفي بني اسرائيل فقال وعدكم موسى ان يرجع اليكم بعد اربعين ليلة وهذه عشرون يوماً وعشرون ليلة تمت اربعون أخطأ موسى ربه وقد اتاكم ربكم اراد ان يريكم انه قادر على ان يدعوكم الى نفسه بنفسه وإن لم يبعث موسى لحاجة منه اليه فأظهر لهم العجل الذي كان عمله ، فقالوا كيف يكون العجل إلهنا قال انما هذا العجل يكلمكم منه ربكم كما كلم موسى من الشجرة . فلما سمعوا منه كلاماً ، قالوا له انه في العجل كما في الشجرة . فضلوا بذلك واضلوا .

فلما رجع موسى الى قومه قال : يا ايها العجل أكان فيك ربك كما يزعم هؤلاء فنطق العجل وقال: عز ربنا ان يكون العجل حاوياً له او شيء من الشجرة والأمكنة عليه مشتملاً لا والله يا موسى ، ولكن السامري نصب عجلاً مؤخره الى الحائط وحفر في جانب الآخر في الارض واجلس فيه بعض مردته ، فهو الذي وضع فاه على دبره وتكلم بما تكلم لما قال هذا إلهكم وإله موسى ، يا موسى بن عمران ما خذل هؤلاء لعبادي واتخاذي إلهاً إلا لتهاونهم بالصلاة على محمد وآله الطيبين وجحودهم بموالاتهم ونبوة النبي ووصية الوصي حتى اذا هم يتخذوني إلهاً ، قال الله عز وجل : فاذا كان الله تعالى إنما خذل عبادة العجل لتهاونهم بالصلاة على محمد ووصيه علي ، فما تخافون من الخذلان الاكبر ومعاندتكم لمحمد وعلي وقد شاهدتموهما وتبينتم آياتها ودلائلهما .

وفيه أيضاً قال الله عز وجل : (ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون) أي عفونا عن اوائلكم عبادة العجل لعلكم أيها الكائنون في عصر محمد صلى الله عليه وآله من بني اسرائيل تشكرون تلك النعمة على اسلافكم وعليكم بعدهم .

قال عليه السلام : وإنمـــا عفا الله عز وجل عنهم لأنهم دعوا الله بمحمد وآله الطيبين وجددوا على انفسهم الولاية لمحمد وعلي وآلهما الطاهرين فعند ذلك رحمهم الله وعفا عنهم.

ثم ساق الحديث الى قوله : وأمر الله موسى عليه السلام ان يقتل من لم يعبده من عبده، فتبرأ اكثرهم وقالوا لم نعبد ، فقال الله عز وجل لموسى : ابرد هذا العجل بالحديد برداً ثم ذره في البحر ، فمن شرب منه ماء اسودت شفتاه وانفه وبان ذنبه . ففعل ، وبان العابدون ، فأمر الله الاثني عشر الفاً ان يخرجوا على الباقين شاهري السيوف يقتلونهم وناد مناد : ألا لعن الله احد اتقاهم بيد او رجل ولعن الله من تأمل المقتول لعله ينسبه حميماً قريباً فيتعداه الى الاجنبي .

فاستسلم المقتولون فقال القاتلون نحن اعظم مصيبة منهم نقتل بأيدينا آباءنا وامهاتنا وإخواننا واقربائنا ونحن لم نعبد فقد ساوى بيننا وبينهم في المصيبة . فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام : إني انما امتحنتهم كذلك لأنهم ما اعتزلوهم لمـــا عبدوا العجل ولم يهجروهم ولم يعادوهم على ذلك ، قـــل لهم من دعا الله بمحمد وآله الطيبين ان يسهل عليهم قتـــل المستحقين للقتل بذنوبهم ففعل فقالوها ، فسهل عليهم ولم يجدوا لقتلهم لهم المأ . فلما استمر القتل فيهم ستمائة الف إلا اثني عشر الفاً الذين لم يعبدوا العجل ، وفق الله بعضهم فقال لبعض والقتل ولم يفض بعد اليهم فقال أوليس الله قـــد جعل التوسل بمحمد وآله الطيبين امراً لا يخيب معه طلبه ولا يرد به مسألة وهكذا توسلت بـــه الانبياء والرسل ، فما لنا لا نتوسل .

قال فاجتمعوا وضجوا قالوا : يا ربنا نجنا بجـــاه محمد الأكرم وبجاه علي الأفضل الاعظم وبجاه فاطمة ذات الفضل والعصمة وبجاه الحسن والحسين سبطي سيد المرسلين وسيدي شباب اهل الجنة اجمعين وبجاه الذرية الطيبة الطاهرة من آل طه ويس لمـــا غفرت لنا ذنوبنا وغفرت لنا هفوتنا وأزلت هذا القتل عنا . فذلك حين نودي موسى عليه السلام من السماء : ان كف القتل فقـــد سألني بعضهم مسألة واقسم عليّ قسماً لو اقسم بـــه هؤلاء العابدون العجل وسألني بعضهم العصمة حتى لا يعبدوه لوفقتهم وعصمتهم ، ولو أقسم عليّ بها إبليس لهديته ولو اقسم بها نمرود او فرعون لنجيتهم .

فرفع الله عنهم القتل ، فجعلوا يقولون يا حسرتنا أين كنا عن هـــذا الدعاء بمحمد وآله الطيبين حتى يقينا الله شر الفتنة .

(وعنه) عليه السلام لم سمي الفرقان فرقاناً ؟ قال : لأنه متفرق الآيات والسور ، انزل

في غير الالواح وغير الصحف والتوراة والانجيل والزبور نزلت كلها جملة في الالواح والورق .

(البصائر) عن السمان قال : قال لي ابو جعفر عليه السلام : ما تقول الشيعة في علي وموسى وعيسى عليهم السلام ؟ قال : قلت جعلت فداك ومن أي الحالات تسألني ؟ قال : أسألك عن العلم ، فأما الفضل فهم سواء قلت : جعلت فداك فما عسى أقول فيهم ؟ قال : هو والله اعلم منهما . ثم قال : يا عبد الله أليس تقولون لعلي ما للرسول من العلم . قال : قلت بلى ، قال فخاصمهم فيه ، ان الله تبارك وتعالى قال لموسى : (وكتبنا له في الالواح من كل شيء فأعلمناه انه لم يبين له الامر كله) وقال تبارك وتعالى لمحمد صلى الله عليه وآله (وجئنا بك على هؤلاء شهيداً * وانزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء) .

(وروي) انه لما اتاهم موسى وقد عبدوا العجل وأرادوا التوبة فقيل لهم: « فاقتلوا انفسكم» فجلسوا في الاقنية محتبثين واصلت القوم عليهم خناجرهم،فكان الرجل يقتل ابنه وأباه وأخاه وقريبه وصديقه وجاره ، فلم يمكنه المضي لأمر الله سبحانه فأرسل الله عليهم ضبابة وسحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضاً .

وقيل لهم من حل حبوته او مد طرفه الى قاتله او اتقاه بيد او رجل فهو ملعون مردود توبته ، فكانوا يقتلونهم الى المساء . فلما كثر فيهم القتل وبلغ عدة القتلى سبعين الفاً دعا موسى وهارون وبكيا وجزعا وتضرعا وقالا : يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية فكشف الله السحابة وأمرهم ان يرفعوا السلاح ويكفوا عن القتل، فلما انكشفت السحابة عن القتلى اشتد ذلك على موسى عليه السلام ، فأوحى الله : ما يرضيك ان ادخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيداً ومن بقي مكفراً عنه ذنبه .

ثم ان موسى عليه السلام هم بقتل السامري، فأوحى الله تعالى اليه: لا تقتله فانه سخي. فلعنه موسى عليه السلام وقال : (إذهب فإن لك في الحياة ان تقول لا مساس وان لك موعداً) لعذابك في القيامة (لن تخلفه) .

وأمر موسى عليه السلام بني اسرائيل ان لا تخالطوه ولا تقربوه ، فصار السامري وحشياً لا يألف ولا يؤلف ولا يدنو من الناس ولا يمس احد منهم ، فمن مسه قرض ذلك الموضع بالمقراض ، فكان كذلك حتى هلك .

الفصل السابع

في قصة قارون وذبح البقرة وما يتعلق بها

(تفسير علي بن ابراهيم) كان سبب هلاك قارون انه لما اخرج موسى بني اسرائيل من مصر وانزلهم البادية وذلك بعد غرق فرعون وقومه ، امرهم بقتال الجبابرة في اريحا ارض الشام فلم يطيعوه وقالوا (إذهب انت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ففرض الله عليهم دخولها وحرمها عليهم اربعين سنة وكانوا في التيه وكان قارون منهم وكان يقرأ القرآن ولم يكن فيهم احسن صوتاً منه وكان يسمى المنون لحسن قراءته وقد كان يعمل الكيمياء . فلما طال الأمر على بني اسرائيل في التيه أخذوا في التوبة ، وكان قارون امتنع ان يدخل معهم في التوبة وكان موسى يحبه .

فدخل عليه موسى فقال : يا قارون قومك في التوبة وأنت قاعد هاهنا إدخل معهم وإلا نزل بك العذاب فاستهان به وبقوله فخرج من عنده مغتما ، فجلس في فناء قصره عليه جبة شعر ونعلان من جلد حمار فأمر قارون ان يصب عليه رماد قد خلط بالماء فصب عليه فغضب موسى غضباً شديداً وكان في كتفه شعرات كان اذا غضب خرجت من ثيابه وقطر منها الدم .

فقال موسى : يا رب إن لم تغضب لي فلست لك بنبي ، فأوحى الله اليه : قد امرت السماوات والأرض ان تطيعك ، فمرها بما شئت . وقد كان قارون امر ان يغلق باب القصر ، فأقبل موسى فأومى الى الابواب فانفرجت ودخل عليه ، فلما نظر اليه قارون علم انه قد اوتي بالعذاب ، فقال يا موسى أسألك بالرحم بيني وبينك ، فقال له موسى : يا بن لاوي لا يردني كلامك يا أرض خذيه فدخل القصر بما فيه في الارض ودخل قارون في الارض الى الركبة ، فبكى وحلفه بالرحم فقال له موسى يا بن لاوي لا يردني من كلامك .

وهذا ما قال موسى لقارون يوم اهلكه الله فعيره بما قاله لقارون ، فعلم موسى ان الله قد عيره بذلك ، فقال : يا رب ان قارون دعاني بغيرك ولو دعاني بك لأجبته ، فقال الله : يا بن لاوى لا تردني من كلامك ، فقال موسى يا رب لو علمت ان ذلك لك رضاً لأجبته ، فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي لو أن قارون كما دعاك دعاني لأجبته ولكنه لما دعاك وكلته اليك ، يا بن عمران لا تجزع من الموت ، فاني كتبت الموت على كل نفس وقد مهدت لك مهاداً لو قد وردت عليه لقرت عينك .

فخرج موسى الى جبل طور سيناء مع وصيه ، فصعد موسى الجبل فنظر الى رجل قد أقبل ومعه مكتل ومسحاة ، فقال له موسى : ما تريد ؟ قال ان رجلا من أولياء الله توفي فأنا أحفر قبره ، فقال له موسى : أفلا أعينك عليه ، قال بلى ، فحفر القبر ، فلما فرغا أراد الرجل أن ينزل الى القبر ، فقال له موسى : ما تريد ؟ قال أدخل القبر فانظر كيف مضجعه ، فقال موسى : انا اكفيك فدخل موسى فاضطجع فيه ، فقبض فيه ملك الموت روحه وانضم عليه الجبل .

أقول : قوله تعالى : (كان من قوم موسى) .

قيل : كان ابن عمه يصهر بن فاهث وموسى بن عمران بن فاهث . وقيل : كان ابن خالته .

وروي ذلك عن ابي عبدالله عليه السلام . وقيل : كان عم موسى عليه السلام .

وقول قارون : (إنما اوتيته على علم) أي فضت على الناس بالجاه والمال (على علم) وهو علم التوراة وكان اعلمهم . وقيل : هو علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب . وقيل : علم بكنوز يوسف .

(وعن) ابي عبدالله عليه السلام في خبر يونس قال : فدخل الحوت في بحر القلزم ثم خرج الى بحر مصر ثم دخل الى بحر طبرستان ثم دخل الى دجلة العوراء ثم مرت به تحت الأرض حتى لحقت بقارون ، وكان قارون هلك في ايام موسى ، ووكل الله به ملكاً يدخله في كل يوم قامة رجل ، وكان يونس في بطن الحوت يسبح الله ويستغفره ، فسمع قارون صوته فقال للملك الموكل به : انظرني فاني اسمع كلام آدمي فأوحى الله الى الملك : انظره . ثم قال قارون : من انت؟ قال قال: انا المذنب الخاطىء يونس بن متى ، قال فما فعل شديد الغضب لله موسى بن عمران اخو كلثم التي كانت سميت لي ؟

قال هيهات هلك. قال فما فعل الغفور الرحيم على قوم هارون بن عمران ؟ قال هلك . قال فما فعلت كلثم بنت عمران التي كانت سميت لي ؟ قال هيهات ما بقي من آل عمران أحد فقال قارون : وا أسفاه على آل عمران . فشكر الله له ذلك، فأمر الملك الموكل به أن يرفع عنه العذاب ايام الدنيا ، فرفعه عنه .

(وروي) في قوله تعالى : فبغى على قومه ، يعني : على بني اسرائيل .

فقال ابن عباس : كان فرعون قد ملك قارون على بني اسرائل حين كان بمصر وكان يظلمهم .

وقيل : زاد عليهم في الثياب شبراً ، وقيل بكثرة ماله .

(وروي) عن حنتمة قال : وجدت في الانجيل ان مفاتيح خزائن قارون وقر ستين بغلاً غراء محجلة ما يزيد منها مفتاح على اصبع لكل مفتاح منها كنز وكانت من حديد ، فلما ثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت عليه ، فجعلت من جلود البقر على طول الاصابع ، فكانت تحمل معه . ويقال : اينما يذهب تحمل معه على اربعين بغلاً .

وكان أول طغيانه انه تكبر واستطال على الناس بكثرة الأموال ، فكان يخرج في زينته ويختال .

قال مجاهد خرج على براذين بيض عليها سروج الارجوان في سبعين ألفاً عليهم المعصفرات .

وقيل: في اربعة آلاف فارس ومعهم ثلاثة آلاف جارية بيض عليهم الحلي والثياب الحمر ، فتمنى اهل الجهالة مثل الذي اوتيه .

ثم ان الله أوحى الى نبيه موسى أن يأمر قومه ان يعلقوا في ارديتهم خيوطاً اربعة في كل طرف خيطاً اخضر لونه لون السماء. فأمرهم به موسى وقال لكي تذكروا ربكم اذا رأيتموها ، فانه تعالى ينزل من السماء عليكم كلاماً فاستكبر قارون وقال : إنما تفعل هذه الأرباب بعبيدهم لكي يميزوا من غيرهم .

ولما قطع موسى عليه السلام ببني اسرائيل البحر جعل الحبورة – وهي رياسة المذبح وبيت القربان – لهارون ، فكان بنو اسرائيل يأتون بهديتهم ويدفعونه الى هارون ، فيضعه على المذبح فتنزل النار من السماء فتأكله ، فوجد قارون في نفسه من

ذلك وأتى موسى وقال يا موسى لك الرسالة ولهارون الحبورة ولست في شيء من ذلك وأنا أقرأ للتوراة منكما لا صبر لي على هذا ، فقال موسى : والله ما انا جعلتها لهارون بل الله تعالى جعلها له ، فقال قارون : والله لا أصدقك في ذلك حتى ترني بيانه . فجمع موسى عليه السلام رؤساء بني اسرائيل وقال : هاتوا عصيكم فجاؤوا بها فخرمها والقاها في القبة التي كانت تعبد الله تعالى فيها ، وجعلوا يحرسون عصيهم حتى اصبحوا ، فأصبحت عصى هارون عليه السلام قد اهتز لها ورق أخضر ، وكانت من شجرة اللوز ، فقال موسى : يا قارون أترى هذا ؟ فقال قارون والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر ! فذهب قارون مغاضباً واعتزل موسى باتباعه ، وجعل موسى يداريه للقرابة بينهما ، وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد كل يوم إلا كبراً ومعاداة لموسى عليه السلام ، حتى بنى داراً وجعل بابها من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب ، وكان الملأ من بني اسرائيل يميلون الى مجالسته ومضاحكته .

ثم ان الله سبحانه أنزل الزكاة على موسى عليه السلام فصالح قارون على أن يعطي عن كل الف دينار ديناراً وعن كل الف شاة شاة وعن كل الف شيء شيئاً ، فرجع الى بيته فحسبه فوجده كثيراً ، فلم تسمح بذلك نفسه ! فجمع بني اسرائيل وقال لهم ان موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه وهو الآن يريد ان يأخذ أموالكم فقالوا له انت كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شئت ، فقال آمركم ان تجيئوا بفلانة البغية فنجعل لها جعلا على ان تقذفه بنفسها ! فاذا فعلت ذلك خرج عليه بنو اسرائيل ورفضوه فاسترحنا منه فأتوا بها فجعل لها قارون الف درهم .

وقيل : طشتاً من الذهب ، وقال لها اني امولك واخلطك بنسائي على ان تقذفي بنفسك غداً إذا حضر بنو اسرائيل . فلما كان الغد جمع قارون بني اسرائيل فخرج اليهم موسى فقام فيه خطيباً فوعظهم وقال : من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة ومن زنى وله امرأة رجمناه حتى يموت . فقال له قارون وإن كنت أنت ؟ قال قارون فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة ! قال دعوها فان قالت فهو ما قالت ، فلما ان جاءت قال لها موسى : يا فلانة إنما انا فعلت بك ما يقول هؤلاء ؟ وعظم عليها وسألها بالذي فلق البحر وانزل التوراة فلما ناشدها تداركها الله بالتوفيق وقالت في نفسها لئن احدث اليوم توبة افضل من اؤذي رسول الله فقالت : لا ولكن جعل لي قارون جعلا على ان اقذفك بنفسي .

فلما تكلمت بهذا الكلام نكس قارون رأسه وعرف انه وقع في مهلكة ، وخرّ موسى ساجداً يبكي ويقول : يا رب ان عدوك قد آذاني وأراد فضيحتي ، اللهم فان كنت رسولك فاغضب لي وسلطني عليه ، فأوحى الله سبحانه اليه : ارفع رأسك ومر الأرض بما شئت تطعك ، فقال موسى : يا بني اسرائيل ان الله قد بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون ومن كان معه فليثبت معه ، ومن كان معي فليعتزل ، فاعتزلوا قارون ولم يبق معه الا رجلان . ثم قال : يا ارض خذيهم فأخذتهم الى كعابهم ، ثم قال : يا ارض خذيهم ، فأخذتهم الى ركبهم ، ثم قال : يا أرض خذيهم، فأخذتهم الى حقوتهم ، ثم قال : يا ارض خذيهم ، فأخذتهم الى اعناقهم . وقارون واصحابه في كل ذلك يتضرعون الى موسى عليه السلام ويناشد قارون الله والرحم ، حتى ناشده سبعين مرة ، وموسى في جميع ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه ، ثم قال : يا أرض خذيهم فأطبقت عليهم الأرض .

فأوحى الله الى موسى : ما أظنك، استغاثوا بك سبعين مرة فلم ترحمهم ولم تغثهم، أما وعزتي وجلالي لو إياي دعوني مرة واحدة لوجدوني قريباً مجيباً .

قال قتادة : ذكر لنا انه يخسف به كل يوم قامة ، وانه يتجلجل فيها ولا يبلغ قعرها الى يوم القيامة .

فلما خسف الله تعالى بقارون وصاحبيه أصبحت بنو اسرائيل يتناجون فيما بينهم ان موسى إنما دعا على قارون ليأخذ داره وامواله وكنوزه ! فدعا الله تعالى موسى حتى خسف بداره وأمواله الارض ... الحديث .

(تفسير علي بن ابراهيم) باسناده الى أبي عبدالله عليه السلام قال: ان رجلاً من خيار بني اسرائيل وعلمائهم خطب امرأة منهم فأجابت ، وخطبها ابن عم لذلك الرجل وكان فاسقاً رديئاً ، فلم تقبل ، فحسد ابن عمه الذي اجابوه فقعد له فقتله غيلة ، ثم حمله الى موسى عليه السلام فقال : يا نبي الله هذا ابن عمي قد قتل ولا ادري من قتله وكان القتل في بني اسرائيل عظيماً جداً ، فعظم ذلك على موسى عليه السلام ، فاجتمع اليه بنو اسرائيل فقالوا : ما ترى يا نبي الله .

وكان رجل في بني اسرائيل له بقرة وكان له ابن بار وكان عند ابنه سلعة ، فجاء قوم يطلبون سلعته ، وكان مفتاح بيته تحت رأس أبيه وكان نائماً وكره ابنه ان ينبهه وينغص عليه نومه ، فانصرف القوم ولم يشتروا سلعته ، ولما انتبه ابوه قال له : يا بني

ماذا صنعت في سلعتك ؟ قال هي قائمة لم ابعها، لأن المفتاح كان تحت رأسك وكرهت ان انبهك وانغص عليك نومك ، قال ابوه قد جعلت هذه البقرة لك عوضاً عما فاتك من ربح سلعتك ، وشكر الله لابنه ما فعل بأبيه ، وأمر بنو اسرائيل ان يذبحوا البقرة بعينها .

فلما اجتمعوا الى موسى وبكوا وضجوا ، قال لهم موسى : ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة فتعجبوا وقالوا اتتخذنا هزواً نأتيك بقتيل، فتقول : اذبحوا بقرة ! فقال لهم موسى : اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين . فعلموا انهم قد أخطأوا فقالوا ادع لنا ربك يبين ما هي قال : انه يقول : (انها بقرة لا فارض ولا بكر) أي لا مسنة ولا فتية ، فقالوا : إدع لنا ربك يبين لنا ما لونها * قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) اي شديدة الصفرة (تسر الناظرين) قالوا (إدع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون * قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الأرض) أي لم تذلل (ولا تسقي الحرث) أي لا تسقي الزرع (مسلمة لا شية فيها) أي لا نقطة فيها إلا الصفرة قالوا الآن جئتنا بالحق ، هي بقرة فلان . فذهبوا ليشتروها ، فقال لا أبيعها إلا بملء جوفها ذهباً . فرجعوا الى موسى فأخبروه فقال لهم : لا بد لكم من ذبحها بعينها ، فاشتروها بملء جلدها ذهباً ، ثم قالوا ما تأمرنا يا نبي الله ؟ فاوحى الله تعالى اليه : قل لهم إضربوه ببعضها ، وقولوا من قتلك ؟ فأخذوا الذنب فضربوه به وقالوا من قتلك يا فلان ؟ فقال ابن عمي الذي جاء بي ، وهو قوله : (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون) .

(وروي) في حديث آخر : انه كان في بني اسرائيل شيخ موسر ، فقتل ابنه بنو أخيه طمعاً في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ، ثم جاؤوا يطالبون بدمه ! فأمرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيي فيخبر بقاتله ... الحديث .

(وعن) أبي جعفر عليه السلام : من لبس نعلاً اصفر لم يزل ينظر في سرور ما دامت عليه ، لأن الله عز وجل يقول : (صفراء فاقع لونها تسر الناظرين) .

(وعن) أبي الحسن الرضا عليه السلام : لو انهم عمدوا الى أي بقرة أجزأتهم ، ولكن شددوا فشد الله عليهم .

(وقال الطبرسي) اختلف العلماء في هذه الآيات ، فمنهم من ذهب الى ان

التكليف فيها متغاير ، ولو انهم ذبحوا اولا أي بقرة اتفقت لهم ، كانوا قد امتثلوا الأمر ، فلما لم يفعلوا كانت المصلحة ان يشدد عليهم التكليف ، ولما رجعوا المرة الثانية فغيرت مصلحتهم الى تكليف ثالث .

ثم اختلف هؤلاء من وجه آخر ، فمنهم من قال في التكليف الأخير انه يجب أن يكون مستوفياً لكل صفة تقدمت . فعلى هذا القول يكون التكليف الثاني والثالث ضم تكليف الى تكليف، زيادة في التشديد عليهم لما فيه من المصلحة . ومنهم من قال : يجب ان تكون الصفة الأخيرة فقط ، دون ما تقدم. وعلى هذا القول يكون التكليف الثاني نسخاً للأول ، والثالث للثاني .

وقد يجوز نسخ الشيء قبل الفعل، لأن المصلحة يجوز ان تتغير بعدم فوات وقتها ، وإنما لا يجوز نسخ الشيء قبل وقت الفعل ، لأن ذلك يؤدي الى البداء .

وذهب آخرون الى ان التكليف واحد ، وان الأوصاف المتأخرة إنما هي للبقرة المتقدمة وإنما تأخر البيان ، وهو مذهب المرتضى قدس الله روحه واستدل بهذه الآية على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب الى وقت الحاجة قال : انه تعالى لما كلفهم ذبح بقرة ، قالوا لموسى (إدع لنا ربك يبين لنا ما هي) فلا يخلو قولهم (ما هي) من ان تكون كناية عن البقرة المتقدم ذكرها ، أي عن التي أمروا بها ثانياً .

والظاهر من قولهم (ما هي) يقتضي أن يكون السؤال عن صفة البقرة المأمور بذبحها ، لأنه لا علم لهم بتكليف ذبح بقرة أخرى ليستفهموا عنها .

• وإذا صح ذلك فليس يخلو قوله (انها بقرة لا فارض ولا بكر) من ان يكون الهاء فيه كناية عن البقرة الأولى أو غيرها ، وليس يجوز ان يكون كناية عن بقرة ثانية ، إذ الظاهر تعلقها بما تضمنه سؤالهم ، ولأنه لم يكن الأمر جواباً لهم ، وقول القائل في جواب من سأله كذا وكذا انه بالصفة الفلانية صريح في ان الهاء كناية عما وقع السؤال عنه ، هذا مع قولهم (ان البقر تشابه علينا) فانهم لم يقولوا ذلك إلا وقد اعتقدوا ان خطابهم مجمل غير مبين ، ولو كان على ما ذهب اليه القوم فلمَ لم يقل وأي تشابه عليكم ، وإنما أمرتم بذبح أي بقرة كانت .

وأما قوله : (وما كادوا يفعلون) فالظاهر ان ذمهم مصروف .ى تقصيرهم أو تأخيرهم امتثال الأمر بعد البيان التام ، لا على ترك المبادرة في الأول الى ذبح البقرة .

انتهى غاية ما أفاد رحمه الله هو أن الظاهر من الآيات هو ذلك وبعد تسليمه فقد يعدل عن الظاهر ، لورود النصوص المعتبرة .

وفي (تفسير الامام الحسن العسكري عليه السلام) : ان بني اسرائيل جمعوا أموالهم لشراء البقرة ، فوسّع الله جلد الثور حتى وزن ما يلي به جلده فبلغ خمسة آلاف ألف دينار فقال بعض بني اسرائيل لموسى عليه السلام وذلك بحضرة المقتول المنشور المضروب ببعض البقرة لا ندري ايها اعجب إحياء الله هذا وإنطاقه بما نطق به وإغنائه لهذا الفتى بهذا المال العظيم فأوحى الله اليه : يا موسى قل لبني اسرائيل من احب منكم ان اطيب في دنياه عيشه واعظم في جناني محله واجعل بمحمد وآله الطيبين فيها منادمته ليفعل كما فعل هذا الفتى ، انه كان قد سمع موسى بن عمران ذكر محمداً وآلها الطيبين، وكان عليهم مصلياً ولهم على جميع الخلائق من الجن والانس والملائكة مفضلا ، فلذلك صرفت له المال العظيم .

قال الفتى : يا نبي الله كيف احفظ هذه الأموال ؟ ام كيف احذر من عداوة من عاداني فيها ؟ وحسد من يحسدني لأجلها ؟ قال : قل عليها من الصلاة على محمد وآله الطيبين ، ما كنت تقول قبل ان تنالها ، فان الذي رزقكها بذلك القول مع صحة الاعتقاد ، يحفظها عليك ايضاً بهذا القول مع صحة الاعتقاد ، فقالها الفتى فما رامها حاسد له إلا رفعه الله عنها .

فلما قال موسى عليه السلام للفتى ذلك وصار الله له بمقالته حافظاً ، قال هذا المنشور : اللهم اني اسألك بما سألك به هذا الفتى من الصلاة على محمد وآله الطيبين ان تبقيني في الدنيا ممتعاً بابنة عمي وهبت له لمسألته وتوسله بمحمد وآله الطيبين سبعين سنة تمام مائة وثلاثين سنة صحيحة حواسه ثابت فيها جنانه قوية فيها شهواته يتمتع بحلال الدنيا ويعيش ولا تفارقه ، فاذا حان حينها وماتا جميعاً معاً ، فصار الى جناني ، فكانا زوجين فيها ناعمين .

ولو سألني هـذا الشقي القاتل ، بمثل ما توسل به هذا الفتى على صحة اعتقاده ان اعصمه من الحسد واقنعته بما رزقته ، وذلـك هو الملك العظيم لفعلت ، ولو سألني بذلك مع التوبة أن لا أفضحه ، لما فضحته ، ولصرفت هؤلاء عن اقتراح إبانة القاتل لأغنيت هذا الفتى من غير هذا الوجه بقدر هذا المال ، ولو سألني بعد ما افتضح وتاب إلي وتوسل بمثل وسيلة هذا الفتى ان انسي الناس فعله بعد ما ألطف لأوليائه فيعفون

عن القصاص لفعلت ، وكان لا يعيره بفعله أحد .

فلما ذبحوها ، قال الله تعالى : (فذبحوها وما كادوا يفعلون) وأرادوا أن لا يفعلوا ذلك من عظم ثمن البقرة ولكن اللجاج حملهم على ذلك واتهامهم لموسى حدام .

قال : فضجوا الى موسى عليه‌السلام وقالوا : افتقرت القبيلة ووقف الى التكفف وانسلخا بلجاجنا عن قليلنا وكثيرنا ، فادعوا الله لنا بسعة الرزق فقال لهم موسى ويحكم ما اعمى قلوبكم أما سمعتم دعاء الفتى صاحب البقرة وما اورثه الله تعالى من الغنى أو ما سمعتم دعاء المقتول المنشور ؟ وما اتم له من العمر الطويل والسعادة والتنعم بحواسه لما لا تدعون الله بمثل وسيلتها ، ليسد فاقتكم فقالوا : اللهم اليك التجأنا وعلى فضلك اعتمدنا فأزل فقرنا وسد خلتنا بجاه محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والطيبين من آلهم فأوحى الله تعالى اليه : يا موسى ليذهب روساؤهم الى خربة بني فلان وتكشفوا في موضع كذا وجه ارضها قليلاً ويستخرجوا ما هناك ، فانه عشرة آلاف دينار ليردوا على كل من دفع في ثمن هذه البقرة ما دفع لتعود أحوالهم ، ثم ليقاسموا بعد ذلك ما يفضل وهي خمسة آلاف دينار على قدر ما دفع كل واحد منهم في هذه المحنة لتضاعف احوالهم جزاء على توسلهم بمحمد وآله الطيبين واعتقادهم لتفضيلهم .

(وروي) عن السدي وغيره : ان رجلا من بني اسرائيل كان باراً بأبيه وبلغ بره ان رجلا اتاه بلؤلؤة فابتاعها بخمسين ألفاً وكان فيها فضل وربح ، فقال للبايع ان ابي نائم ومفتاح الصندوق تحت رأسه ، فامهلني حتى يستيقظ فأعطيك الثمن ، قال فأيقظ أباك واعطني المال ، قال : ما كنت افعل ولكن ازيدك عشرة آلاف فانظرني حتى ينتبه أبي ، قال الرجل فأنا أحط عنك عشرة آلاف إن ايقظت اباك وعجلت النقد ، فقال وأنا ازيدك عشرين ألفاً إن انتظرت انتباهة ابي ، ففعل ولم يوقظ أباه ، فلما استيقظ ابوه اخبره بذلك، فدعا له وجزاه خيراً وقال هذه البقرة لك بما صنعت.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : انظر ماذا صنع البر .

وعن ابن عباس : كان في بني اسرائيل رجل صالح له ابن طفل وكان له عجل فأتى بالعجل الى غيضة وقال : اللهم اني استودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ، ومات الرجل فشبت العجلة في الغيضة وصارت عوانا، وكانت تهرب من كل من رامها.

فلما كبر الصبي كان باراً بوالدته، وكان يقسم الليلة ثلاثة اثلاث ، يصلي ثلثاً وينام

ثلثاً ، ويجلس عند رأس امه ثلثاً، فاذا اصبح انطلق واحتطب على ظهره ويأتي السوق فيبيعه بما شاء ، ثم يتصدق بثلثه ويأكل بثلثه ويعطي والدته ثلثاً .

فقالت له امه يوماً : ان اباك ورثك عجلة وذهب بها الى غيضة كذا واستودعها فانطلق اليها وادع إله ابراهيم واسماعيل واسحاق ان يردها عليك ، وان من علامتها انك اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها وصفاء لونها .

فأتى يعقوب الغيضة ، فرآها ترعى فصاح بها وقال : اعزم عليك بإله ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ، فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه ، فقبض على عنقها وقادها ، فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت ايها الفتى البار بوالدته اركبني فان ذلك اهون عليك ، فقال الفتى ان امي لم تأمرني بذلك ولكن قالت خذ بعنقها ، قالت البقرة بإله بني اسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر علي ابداً فانطلق فانك لو ركبتني أمرت الجبل أن يقتلع من اصله وينطلق معك لفعل ، لبرك بوالدتك .

فسار الفتى بها ، فاستقبله عدو الله ابليس في صورة راع فقال ايها الفتى اني رجل من رعاة البقر اشتقت الى اهلي فأخذت ثوراً من ثيراني فحملت عليه زادي ومتاعي حتى اذا بلغت شطر الطريق ذهبت لأقضي حاجتي فقد اوسط الجبل وما قدرت عليه واني أخشى على نفسي الهلكة فان رأيت أن تحملني على بقرتك وتنجيني من الموت واعطيك اجرها بقرتين مثل بقرتك ، فلم يفعل الفتى وقال : اذهب فتوكل على الله ، ولو علم منك الله اليقين لبلغك بلا زاد ولا راحلة ، فقال إبليس إن شئت فبعنيها بحكمك وإن شئت فاحملني عليها واعطيك عشرة مثلها ، فقال الفتى : ان امي لم تأمرني بذلك .

فبينما الفتى كذلك إذ طار طائر بين يدي البقرة هاربة في الفلاة وغاب الراعي فدعا الفتى باسم إله ابراهيم فرجعت البقرة اليه ، فقالت ايها الفتى البار بوالدته لا تمر الى الطائر الذي طار ، فانه ابليس عدو الله اختلسني ، اما انه لو ركبني لما قدرت عليه ابداً ، فلما دعوت إله ابراهيم جاء ملك فانتزعني من يد ابليس وردني اليك لبرك بأمك وطاعتك لها .

فجاء الفتى الى امه ، فقالت له انك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل ، فانطلق فبع هذه البقرة وخذ ثمنها . قال لأمه : بكم ابيعها

قالت : بثلاث دنانير ولا تبيعها بغير رضاي ومشورتي .

وكان ثمن البقرة في ذلك الوقت ثلاثة دنانير ، فانطلق الفتى الى السوق ، فعقبه الله سبحانه ملكاً ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بوالدته وكان الله به خبيراً، فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة ؟ قال بثلاثة دنانير واشترط عليك رضاء امي فقال له الملك : ستة دنانير ولا تستأمر امك فقال له الفتى : لو اعطيتني وزنها ذهباً لم آخذه إلا برضاء امي .

فردها الى امه وأخبرها بالثمن ، فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضاً مني فانطلق بالبقرة الى السوق ، فأتى الملك ، فقال : استأمرت والدتك ؟ فقال الفتى : نعم انها امرتني ان لا انقصها عن ستة دنانير على ان استأمرها ، قال له الملك : فاني اعطيك اثني عشر على ان لا تستأمرها فأبى الفتى ورجع الى امه واخبرها بذلك فقالت ان ذلك الرجل الذي يأتيك هو ملك من الملائكة يأتيك في صورة آدمي ، ليجربك فاذا أتاك فقل له اتأمر ان نبيع هذه البقرة ام لا ؟ ففعل ذلك ، فقال الملك : اذهب الى امك وقل لها: امسكي هذه البقرة ، فان موسى يشتريها منك لقتيل يقتل في بني اسرائيل فلا تبيعوها الا بملأ جلدها دنانير .

فأمسكوا تلك البقرة ، وقد رد الله تعالى على بني اسرائيل ذبح البقرة بعينها ، مكافأة على بره بوالدته فضلاً منه ورحمة ، فطلبوها فوجدوها عند الفتى ، فاشتروها بملأ مسكها ذهباً .

وقال السيدي اشتروها بوزنها عشر مرات ذهباً .

الفصل الثامن

في لقاء موسى عليه السلام للخضر وسائر احوال الخضر عليه السلام

تفسير علي بن ابراهيم : لما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله قريشاً بخبر اصحاب الكهف ، قالوا : اخبرنا عن العالم الذي امر الله موسى ان يتبعه وما قصته؟

فأنزل الله تعالى : (واذ قال موسى لفتـــاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين أو امضي حقباً) .

قال : وكان سبب ذلك انه لما كلم الله موسى تكليما ، فأنزل عليه الألواح وفيها من كل شيء موعظة ، ورجع موسى الى بني اسرائيل ، فصعد المنبر فأخبرهم ان الله قد أنزل عليكم التوراة ، وقال في نفسه : ما خلق الله خلقاً اعلم مني . فأوحى الله الى جبرئيل : ادرك موسى فقد هلك واعلمه عند ملتقى البحرين عند الصخرة رجل اعلم منك ، فصر اليه وتعلم من علمه ، فنزل جبرئيل عليه السلام على موسى عليه السلام واخبره في ذل موسى في نفسه واعلم انه اخطأ ودخله الرعب ، وقال لوصيه يوشع : ان الله قد امرني ان اتبع رجلاً عند ملتقى البحرين وأتعلم منه فتزود يوشع حوتاً مملوحاً وخرجا .

فلما خرجا وبلغا ذلك المكان وجدا رجلاً مستلقياً على قفاه ، فلم يعرفاه ، فأخرج وصي موسى الحوت وغسله بالماء ووضعه على الصخرة ومضيا ونسيا الحوت .

وكان ذلك الماء ماء الحيوان ، فحيي الحوت ودخل في الماء ، فمضى عليه السلام ويوشع معه حتى عييا ، فقال لوصيه : (آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً (فذكر وصيه السمكة ، فقـــال لموسى عليه السلام : « اني نسيت الحوت » على الصخرة فقال موسى : ذلـك الرجل الذي نصبه رأيناه عند الصخرة هو الذي نريده فرجعا « على آثارهما قصصاً » الى عند الرجـل وهو في الصلاة ، فقعد موسى عليه السلام حتى فرغ من الصلاة فسلم عليهما .

وحدثني محمد بن علي بن بلال عن يونس قال : اختلف يونس وهشام في العالم الذي أتاه موسى عليه السلام أيهما كان اعلم ، وهل يجوز ان يكون حجة في وقته ، وهو حجة الله على خلقه .

فقال قاسم الصيقل : فكتبوا الى أبي الحسن الرضا عليه السلام يسألونه عن ذلـــك فكتب في الجواب : أتى موسى العالم فأصابه في جزيرة من جزائر البحر ، أما جالساً وأما متكئاً ، فسلم عليه موسى فأنكر السلام إذ كان بأرض ليس فيها سلام ، فقال: من انت ؟ قال انا موسى بن عمران الذي كلمه الله تكليما ، قال جئت (لتعلمني ممـــا علمت رشداً) قال ، اني وكلت بأمر لا تطيقـه ، ثم حدثه العالم بما يصيب آل محمد عليهم السلام من البلاء ، حتى اشتد بكائهما ، ثم حدثه عن فضل آل محمد ، حتى جعل موسى

يقول : يا ليتني كنت من آل محمد ، حتى ذكر فلاناً وفلاناً ومبعث رسول الله صلى الله عليه وآله ومـا يلقى منهم ومن تكذيبهم إياه ، وذكر له تأويل هذه الآية : (ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة حين اخذ الميثاق عليهم) فقال موسى عليه السلام (هل أتبعك على ان تعلمني مما علمت رشداً) فقال الخضر : (انك لن تستطيع معي صبراً * وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً) فقال موسى عليه السلام (ستجدني إن شاء الله صابراً ولا اعصي لك امراً) قال الخضر عليه السلام (فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكراً) .

يقول : (لا تسئلني عن شيء) أفعله ولا تنكره علي حتى اخبرك انا بخبره قال نعم ، فمروا ثلاثتهم حتى انتهوا الى ساحل البحر وقد سنحت سفينة وهي تريـد ان تعبر ، فقال ارباب السفينة نحمل هؤلاء الثلاثة نفر فانهم قوم صالحون فحملوهم ، فلما جنحت السفينـــة في البحر ، قام الخضر عليه السلام الى جانب السفينة فكسرها وحشاها بالخرق والطين ، فغضب موسى غضباً شديداً وقال للخضر : (أخرقتهـا لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً) فقال له الخضر عليه السلام (ألم أقل لك انـك لن تستطيع معي صبراً) قـال له موسى عليه السلام (لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً) فخرجوا من السفينة .

فنظر الخضر عليه السلام الى غلام يلعب بين الصبيان حسن الوجه كأنه قطعة قمر ، في اذنيه درتان ، فتأمله الخضر عليه السلام ثم أخذه وقتـله ، فوثب موسى على الخضر عليهما السلام وجلد به الأرض فقال (اقتلت نفساً بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً) فقال الخضر عليه السلام (ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبراً) قال موسى عليه السلام (ان سئلتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قـد بلغت من لدني عذراً * فانطلقا حتى اذا أتيا بالعشى) قرية تسمى الناصرة واليهـا تنسب النصارى ، ولم يضيفوا احداً قط ولم يطعموا يطعموا قريبـاً (فاستطعموهم فلم يطعموهم ولم يضيفوهم) فنظر الخضر عليه السلام الى حائط قد زال لينهدم فوضع الخضر عليه السلام يده عليه وقال : قم باذن الله : فقام ، فقـال موسى عليه السلام لم ينبغ ان تقيم الجدار حتى يطعمونا ويروونا ، وهو قوله (لو شئت لأتخذت عليه اجراً) فقال الخضر عليه السلام (هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً * أما السفينة فكانت - التي فعلت بها ما فعلت صالحة - فانها كانت لقوم يعملون في البحر فأردت أن أعيبها

وكان وراء السفينة ملك يأخذ كل سفينة غصباً) كذا نزلت واذا كانت السفينة معيوبة لم يأخذ منها شيئاً .

(وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين) وطبع كافراً كذا نزلت ، فنظرت الى جبينه وعليه مكتوب طبع كافراً (فخشينا ان يرهقها طغياناً وكفراً * فأردنا ان يبدلها ربها خيراً منه زكاة واقرب رحماً) فأبدل الله والديه بنتاً ، ولدت منها سبعون نبياً من انبياء بني اسرائيل .

(وأما الجدار ـ الذي أقمته ـ فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحاً فأراد ربك ان يبلغا أشدهما...) الى قوله : (وذلك ما لم تستطع عليه صبراً) .

اقول : (لا ابرح) أي لا أزال امشي (حتى ابلغ ملتقى البحرين) بحر فارس وبحر الروم .

وقيل : هو افريقية .

وقيل : بحران موسى والخضر عليهما السلام ، فان موسى كان بحر العلم الظاهر ، والخضر بحر العلم الباطن .

وروي : ان موسى خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله لمصر خطبة طويلة فأعجب بها ، فقيل له : هل تعلم احداً اعلم منك ؟ فقال : لا ! فأوحى الله اليه : بل عندنا الخضر وهو بمجمع البحرين .

وكان الخضر عليه السلام في ايام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر وبقي الى ايام موسى .

وقيل : ان موسى عليه السلام سأل ربه : أي عبادك اعلم ؟ قال الذي يبتغي علمه الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدل على هدى أو ترده عن ردى ، قال ان كان في عبادك اعلم مني فأدللني عليه ، قال : أعلم منك الخضر ، قال أين أطلبه ؟ قال : على الساحل عند الصخرة ، قال : كيف لي به ؟ قال : تأخذ حوتاً في مكتلك فحيث فقدته فهناك ، قال: لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني ، فذهبا يمشيان (فلما بلغا مجمع البحرين نسيا حوتهما) يعني نسي موسى أن يطلبه ويتعرف حاله ويوشع أن يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه في البحر .

روي ان موسى (ع) رقد فاضطرب الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى أو لخضر عليهما السلام .

وقيل : توضأ يوشع من عين الحياة ، فانضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء ، فاتخذت الحوت طريقه في البحر مسلكاً (فلما جاوزا مجمع البحرين قال لفتاة إئتنا ما نتغذى به ...) الحديث .

ولا ينافي نبوة موسى عليه السلام وكونه صاحب شريعة ، ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطاً في ابواب الدين ، فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقاً ، هكذا في التفاسير .

والأولى في الجواب ان يقال ان الخضر عليه السلام كان من الأنبياء ، فزيارة نبي على نبي في طرف من العلم وذلك النبي الآخر يزيد عليه فيما لا يتناهى من العلوم والكمال ، لا قدح فيه على ان الله سبحانه اذا أراد ان يبتلي بعض الأنبياء في مثل هذه الأمور ، كما سيأتي في حديث الطير وعلمه الزائد عليها لا اشكال فيه ، كما ستعرفه إن شاء الله تعالى .

(علل الشرايع) عن الصادق عليه السلام انه قال : ان الخضر عليه السلام كان نبياً مرسلاً ، بعثه الله تعالى الى قومه فدعاهم الى توحيده والاقرار بأنبيائه ورسله وكتبه .

وكانت آيته انه كان لا يجلس على خشبة يابسة ولا أرض بيضاء إلا أزهرت خضراً ، وإنما سمي الخضر لذلك ، وكان اسمه تاليا بن ملكان بن عامر بن ارفخشد ابن سام بن نوح عليه السلام .

ثم ساق الحديث الى قوله : (وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحاً (قال : ولم يكن ذلك الكنز بذهب ولا فضة ولكن كان لوحاً من ذهب فيه مكتوب : عجب لمن ايقن بالموت كيف يفرح ، عجب لمن ايقن بالقدر كيف يحزن ، عجب لمن ايقن ان البعث حق كيف يظلم ، عجب لمن يرى الدنيا وتصرف اهلها حالا بعد حال كيف يطمئن اليها .

وكان بينها وبين هذا الأب الصالح سبعون أباً ، فحفظها الله بصلاحه .

قال الصدوق : بعد تمام الحديث ان موسى عليه السلام مع كال عقله ومحله من الله تعالى لم يستدرك باستدلاله واستنباطه معنى افعال الخضر عليه السلام حتى اشتبه عليه وجه الأمر فيه وسخطه جميع ما كان يشاهده حتى اخبر بتأويله ، ولو لم يخبر بتأويله لما أدركه ، ولو بقي في الفكر عمره ، فاذا لم يجز لأنبياء الله ورسله صلوات الله عليهم : القياس والاستنباط والاستخراج ، كان من دونهم من الامم الاولى ، بأن لا يجوز لهم ذلك ، انتهى .

وقوله : ولم يكن ذلك الكنز بذهب ولا فضة ، يعني ان المقصود منه هو العلم ووصوله الى اهله ، وإن كان ذهباً فهو كنزان ، كنز علم وكنز ذهب .

(علل الشرايع) سمعت أبا جعفر محمد بن عبد الله بن طيفور الدامغاني الواعظ بفرغانة يقول : في خرق الخضر عليه السلام السفينة وقتل الغلام وإقام الجدار ، ان تلك اشارات من الله تعالى لموسى عليه السلام وتعريضات الى ما يريده من تذكيره لمنن سابقة لله عز وجل ، نبهه عليها وعلى مقدارها من الفضل ، ذكّره بخرق السفينة انه حفظه في الماء حين ألقته أمه في التابوت وألقت التابوت في اليم ، هو الذي يحفظهم في السفينة .

وأما قتل الغلام فانه كان قد قتل رجلاً في الله عز وجل ، وكانت تلك زلة عظيمة عند من لم يعلم ان موسى عليه السلام نبي ، فذكّره بذلك منة عليه ، حين دفع عنه كيد من أراد قتله به .

وأما إقامة الجدار من غير اجر ، فان الله عز وجل ذكّره بذلك فضله فيما أتاه في ابنتي شعيب حين سقى لهما ، وهو جائع ولم يبتغ على ذلك اجراً ، مع حاجته الى الطعام فنبهه الله على ذلك ليكون شاكراً مسروراً .

فأما قول الخضر عليه السلام : (هذا فراق بيني وبينك) فان ذلك كان من جهة موسى عليه السلام حيث قال : (إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني) فموسى عليه السلام هو الذي حكم بالمفارقة لما قال : (لا تصاحبني) .

وان موسى عليه السلام اختار سبعين رجلاً من قومه (لميقات ربه) فلم يصبروا بعد سماع كلام الله عز وجل ، حتى تجاوزوا الحد بقولهم : (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) فأخذتهم الصاعقة بظلمهم فماتوا ، ولو اختارهم الله لعصمهم ، ولما اختار من يعلم منه تجاوز الحد .

فاذا لم يصلح موسى عليه السلام للاختيار مع فضله ومحله ، فكيف تصلح الأمة لاختيار الإمام بآرائها ؟ وكيف يصلحون لاستنباط الأحكام واستخراجها بعقولهم الناقصة وآرائهم المتفاوتة وهممهم المتباينة وإرادتهم المختلفة .

تعالى الله عن الرضا باختيارهم علواً كبيراً .

وأفعال امير المؤمنين صلوات الله عليه مثلها مثل افاعيل الخضر عليه السلام ، وهي حكمة وصواب ، وان جهل الناس وجه الحكمة والصواب فيها .

وفيه عن عباية الأسدي قال: كان عبدالله بن عباس جالساً على شفير زمزم يحدّث الناس ، فلما فرغ من حديثه ، أتاه رجل فسلم عليه ثم قال : يا عبد الله اني رجل من اهل الشام ، فقال : اعوان كل ظالم إلا من عصم الله منكم ، سل عما بدا لك ، فقال: يا عبدالله بن عباس اني جئتك أسألك عمن قتله علي بن ابي طالب عليه السلام من اهل لا إله إلا الله لم يكفروا بصلاة ولا بحج ولا بصوم شهر رمضان ولا بزكاة؟! فقال له عبدالله: ثكلتك امك سل عما يعنيك ودع عما لا يعنيك ، فقال : ما جئتك اضرب اليك من حمص للحج ولا للعمرة، ولكن أتيتك تشرح لي أمر علي بن ابي طالب عليه السلام وفعاله ، فقال : ويلك ان علم العالِم لا تحتمله ولا تقربه القلوب الصدية اخبرك ان علي بن ابي طالب « ع » كان مثله في هذه الأمة كمثل موسى والعالِم عليهما السلام ، وذلك ان الله تبارك وتعالى قال في كتابه : « يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي فخذ ما أتيتك وكن من الشاكرين * وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء » .

فكان موسى يرى ان جميع الأشياء قد اثبتت له ، كما ترون أنتم ان علمائكم قد أثبتوا جميع الاشياء .

فلما انتهى موسى عليه السلام الى ساحل البحر فلقى العالم ، فاستنطق موسى ليصل علمه ولم يحسده، ثم أنكم جحدتم علي بن ابي طالب عليه السلام وأنكرتم فضله، فقال له موسى : « هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشداً » فعلم العالم ان موسى لا يطيق بصحبته ولا يصبر على علمه « فقال انك لن تستطيع معي صبراً * وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً » فقال له موسى « ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك امراً » فعلم العالم ان موسى لا يصبر عن علمه « فقال فان اتبعتني فلا تسئلني عن شيء حتى احدث لك منه ذكراً » .

قال : « فركبا في السفينة فخرقها » العالم ، وكان خرقها لله عز وجل ، وسخط موسى ذلك .

كذلك كان علي بن ابي طالب عليه السلام لم يقتل إلا من كان قتل لله عز وجل رضى ولأهل الجهالة من الناس سخطاً .

وعن ابي عبد الله عليه السلام قال : ان موسى بن عمران عليه السلام حين أراد أن يفارق الخضر عليه السلام قال له: اوصني. فكان مما اوصاه ان قال له: إياك واللجاجة، او ان تمشي في غير حاجة ، او ان تضحك من غير تعجب ، واذكر خطيئتك وإياك وخطايا الناس .

وعن ابي جعفر عليه السلام : في قول الله عز وجل: (وكان تحته كنز لهما) قال: والله ما كان من ذهب ولا فضة وما كان إلا لوحاً في كلمات اربع : اني أنا الله لا إله إلا أنا ومحمد رسولي ، عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح قلبه ، وعجبت لمن أيقن بالحساب كيف يضحك سنه ، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يستبطىء الله في رزقه ، وعجبت لمن يرى النشأة الاولى كيف ينكر النشأة الآخرة .

(الكافي) عن ابي عبد الله عليه السلام قال : لما أقام العالِم الجدار أوحى الله تعالى الى موسى : اني مجازي الابناء بسعي الآباء ، إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً ، ولا تزنوا فتزني نسائكم ، ومن وطىء فراش امرأة مسلم وطيء فراشه ، كما تدين تدان .

(تفسير) علي بن ابراهيم عنه عليه السلام: لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وآله الى السماء ، وجد في طريقه ريحاً مثل المسك الأزفر ، فسأل جبرئيل عنها ، فقال : انها تخرج من بيت عذب ، فيه قوم في عبادة الله حتى ماتوا .

ثم قال له : ان الخضر عليه السلام كان من ابناء الملوك ، فآمن بالله وتخلى في بيت أبيه يعبد الله ، ولم يكن لأبيه ولد غيره ، فأشاروا الى ابيه ان يزوجه ، لعل الله ان يرزقه ولداً ، فيكون الملك فيه وفي عقبه ، فخطب له امرأة بكراً وأدخلها عليه ، فلم يلتفت الخضر اليها ، فلما كان اليوم الثاني قال لها الخضر : تتمكنين على امري ؟ فقالت : نعم ، قال لها : ان سألك ابي أهل كان مني اليك ما كان من الرجال الى النساء ؟ فقولي نعم ، قالت : افعل .

فسألها الملك عن ذلك ، فقالت : نعم ، وأشار عليه الناس ان يأمر النساء ان يفتشنها ، فأمر ، وكانت على حالتها ، فقالوا : أيها الملك زوجت الغر من الغرة – يعني الغافل من الغافلة – زوّجه امرأة ثيباً ، فزوّجه ، فلما دخلت عليه ، سألها الخضر ان تكتم عليه ، فقالت : نعم ، فلما ان سألها الملك قالت : ايها الملك ان ابنك امرأة فهل تلد المرأة من المرأة ؟ فغضب عليه ، فأمر بردم الباب عليه فردم .

فلما كان اليوم الثالث حرّكته رقة الآباء ، فأمر بفتح الباب ففتح ، فلم يجدوه فيه ، فأعطاه الله من القوة أن يتصور كيف شاء ، ثم كان على مقدمة ذي القرنين ، وشرب من الماء الذي مَن شرب منه بقي الى الصيحة .

قال : فخرج من مدينة أبيه رجلان في تجارة في البحر حتى وقعا الى جزيرة من جزائر البحر ، فوجدوا فيه الخضر قائماً يصلي ، فلما انفتل دعاهما فسألهما عن خبرهما ، فأخبراه ، فقال لهما : هل تكتمان عليّ أمري إن رددتكما في يومكما الى منازلكما ؟ فقالا : نعم ، فنوى احدهما ان يكتم أمره ، ونوى الآخر ان رده الى منزله أخبر أباه بخبره ، فدعا الخضر سحابة فقال : احملي هذين الى منازلهما ، فحملتهما السحابة حتى وضعتهما من يومهما ، فكتم احدهما أمره ، وذهب الآخر الى الملك فأخبره بخبره . فقال له الملك : مَن يشهد لك بذلك ؟ قال : فلان التاجر ، فدل على صاحبه ، فبعث الملك اليه فأنكره وأنكر معرفة صاحبه .

فقال له الاول : أيها الملك ابعث معي خيلاً الى هذه الجزيرة واحبس هذا حتى آتيك بابنك . فبعث معه خيلاً ، فلم يجده ، فانطلق عن الرجل الذي كتم عليه .

ثم ان القوم عملوا بالمعاصي، فأهلكهم الله وجعل مدينتهم عاليها سافلها، وابتدرت الجارية التي كتمت عليه أمره والرجل الذي كتم عليه كل واحد منهما ناحية من المدينة فلما أصبحا التقيا ، فأخبر كل واحد منهما صاحبه بخبره ، فقالا : ما نجونا إلا بذلك ، فآمنا برب الخضر وحسن ايمانهما ، وتزوج بها الرجل .

ووقعا الى مملكة ملك آخر، وتوصلت المرأة الى بيت الملك وكانت تزين بنت الملك، فبينا هي تمشطها يوماً إذ سقط من يدها المشط فقالت : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقالت لها بنت الملك: ما هذه الكلمة ؟ فقالت لها: ان لي إلهاً يجري الامور كلها بحوله وقوته ، فقالت : ألك إله غير أبي ؟ فقالت : نعم وإلهك وإله ابيك ، فدخلت بنت الملك الى ابيها ، فأخبرت أباها بما سمعت من هذه المرأة .

فدعاها الملك فسألها عن خبرها فأخبرته ، فقال لها : مَن دلّك على دينك ؟ قالت : زوجي وولدي ، فدعاهم الملك وأمرهم بالرجوع عن التوحيد فأبوا عليه ، فدعا بمرجل من ماء فسخنه وألقاهم فيه وأدخلهم بيتاً وهدم عليهم البيت .

فقال جبرئيل لرسول الله ﷺ : ما هذه الرائحة التي تشمها من ذلك البيت .

(الأمالي) عن عبد الله بن سليمان قال : قرأت في بعض كتب الله عز وجل ان ذا القرنين كان عبداً صالحاً جعله الله عز وجل حجة على عباده ولم يجعله نبياً فمكن الله له في الأرض وآتاه من كل شيء سبباً ، فوضعت له عين الحياة، وقيل له مَن شرب منها شربة لم يمت حتى يسمع الصيحة .

وانه خرج في طلبها حتى انتهى الى موضع فيه ثلاثمائة وستون عيناً ، فكان الخضر عليه السلام على مقدمته وكان من أحب الناس اليه ، فأعطاه حوتاً مالحاً ، وأعطى كل واحد من اصحابه حوتاً مالحاً وقال لهم : ليغسل كل رجل منكم حوته عند كل عين .

فانطلقوا وانطلق الخضر عليه السلام الى عين من تلك العيون ، فلما غمس الحوت في الماء حيي فانساب في الماء، فلما رأى الخضر عليه السلام ذلك علم انه قد ظفر بماء الحياة فرمى بثيابه وسقط في الماء فجعل يرتمس فيه ويشرب منه .

فرجع كل واحد منهم الى ذي القرنين ومعه حوته ورجع الخضر وليس معه الحوت، فسأله عن قصته فأخبره ، فقال له : أشربت من ذلك الماء ؟ قال : نعم ، قال : انت صاحبها وأنت الذي خلقت لهذه العين، فابشر بطول البقاء في هذه الدنيا مع الغيبة عن الأبصار الى النفخ في الصور .

(كتاب الخصال) المظفر العلوي عن ابن العياشي عن ابيه عن جعفر بن احمد عن ابن فضال عن الرضا عليه السلام قال : ان الخضر عليه السلام شرب من ماء الحياة فهو حي لا يموت حتى ينفخ في الصور، وانه ليأتينا فيسلم علينا فنسمع صوته ولا نرى شخصه ، وانه ليحضر حيث ذكر ، فمن ذكره منكم فليسلم عليه وانه ليحضر المواسم فيقضي جميع المناسك ويقف بعرفة فيؤمن على دعاء المؤمنين ، وسيؤنس الله به وحشة قائمنا في غيبته ويصل به وحدته .

أقول: في قوله عليه السلام : «وانه ليحضر حيث ذكر» دلالة على حضوره في الامكنة

التي يذكرونها ، فما تعارف في هذه الأعصار بين الناس من قولهم طحين للخضر عليه السلام في حجرة مقفلة ، واذا صار الصباح رأوا على ذلك الطحين آثار يد الخضر غير خال من الدليل بل هذا دليله ، لأنهم في ذلك الوقت يذكرونه في الدعاء والصلاة .

(وعن) الرضا عليه السلام قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله جاء الخضر فوقف على باب البيت وفيه علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله قد سجي بثوب ، فقال : السلام عليكم يا اهل البيت (كل نفس ذائقة الموت) وانما توفون اجوركم يوم القيامة ان في الله خلفاً من كل هالك وعزاء من كل مصيبة ودركاً من كل فائت فتوكلوا عليه وثقوا به واستغفروا الله لي ولكم .

فقال امير المؤمنين عليه السلام : هذا اخي الخضر جاء يعزيكم بنبيكم .

(الكافي) باسناده الى سيف التمار قال : كنا مع ابي عبد الله عليه السلام جماعة من الشيعة في الحجر قال : علينا عين ، فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نرَ احداً ، فقلنا : ليس علينا عين ، فقال : ورب الكعبة ورب البيت ثلاث مرات لو كنت بين موسى والخضر عليهما السلام لأخبرتهما اني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في ايديهما ، لأن موسى والخضر اعطيا علم ما كان، ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله .

(إكمال الدين) كان اسم الخضر خضرويه بن قابيل بن آدم . ويقال خضرون ايضاً، ويقال خلعبا . وانما سمي الخضر لأنه جلس على ارض بيضاء فاهتزت خضراء . والصحيح ان اسمه الياس بن ملكان بن عامر بن ارفخشد بن سام بن نوح عليهم السلام.

(عن) ابي عبد الله عليه السلام قال : مسجد السهلة مناخ الراكب . قيل : ومن الراكب ؟ قال : الخضر عليه السلام .

(وعنه عليه السلام) في قول موسى عليه السلام لفتاه (آتنا غداءنا) . وقوله (رب اني لما أنزلت إليّ من خير فقير) قال : انما عنى الطعام ، فقال ابو عبد الله عليه السلام : ان موسى لذو جوعات .

أقول : والجوعة الثالثة كما جاء في الحديث هو قوله (لاتخذت عليه أجراً) .

(تفسير العياشي) عن يزيد عن احدهما عليهما السلام قال : قلت له ما منزلتكم في الماضين أو بمن تشبهون بهم قال : الخضر وذو القرنين كانا عالمين ولم يكونا بنبيين .

وعن أبي عبد الله عليه السلام : كان في كتف الغلام الذي قتله العالِم أي الخضر عليه السلام ــ مكتوباً كافراً .

وقال « ع » : ان الله ليحفظ ولد المؤمن الى الف سنة ، وإن الغلامين كان بينهما وبين ابويهما سبعمائة سنة .

(رياض الجنان) باسناده الى عبد الملك بن سليمان قال : وجد في ذخيرة احدى حواري المسيح عليه السلام رقٌ فيه مكتوب بالقلم السرياني منقول من التوراة : ان موسى عليه السلام لما رجع من الخضر عليه السلام الى قومه سأله اخوه هارون عليه السلام عما شاهده من عجائب البحر قال: بينا انا والخضر على شاطىء البحر، إذ سقط بين أيدينا طائر اخذ في منقاره قطرة ورمى بها نحو المشرق ، واخذ ثانية ورماها في المغرب ، واخذ ثالثة ورمى بها نحو السماء، ورابعة رماها الى الأرض، ثم أخذ خامسة وعاد القاها في البحر، فبهتنا لذلك .

فسألت الخضر عليه السلام عن ذلك؟ فلم يجب ، فإذا نحن بصياد يصطاد ، فنظر الينا وقال : ما لي أراكما في فكر وتعجب من الطائر قلنا : هو ذلك ، قال انا رجل صياد قد علمت وانتما نبيان ما تعلمان ؟ قلنا : ما نعلم إلا ما علمنا الله ، قال هذا طائر في البحر يسمى مسلم، لأنه إذا صاح يقول في صياحه مسلم ، فأشار برمي الماء من منقاره الى السماء والأرض والمشرق والمغرب الى انه يبعث نبي بعدكما يملأ أمته المشرق والمغرب ويصعد الى السماء ويدفن في الأرض ، وأما رميه الماء في البحر يقول : ان علم العالم عند علمه مثل هذه القطرة وورث علمه وصيه وابن عمه .

فسكن ما كنا فيه من المشاجرة واستقل كل واحد منا علمه بعد ان كنا معجبين بأنفسنا .

ثم غاب الصياد عنا ، فعلمنا انه بعثه الله تعالى الينا ليعرفنا حيث إدعينا الكمال .

(مهج الدعوات) روي ان الخضر والألياس يجتمعان في كل موسم ويفترقان عن هذا الدعاء وهو: بسم الله ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، ما شاء الله كل نعمة فمن الله، ما شاء الله الخير كله بيد الله عز وجل، لا يصرف السوء إلا الله.

الفصل التاسع

في مناجاة موسى وما جرى بينه وبين ابليس وفي وفاة موسى وهارون وموضع قبرهما وما يتبع ذلك من النوادر

تفسير علي بن ابراهيم ، عن ابن محبوب عن ابن ابي يعفور قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : من زرع حنطة في أرض فلم يترك أرضه وزرعه ، وخرج زرعه كثير الشعير فبظلم عمله في ملك رقبة الأرض أو بظلم لمزارعه واكرته ، لأن الله يقول : (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً) يعني لحوم الابل وشحوم البقر والغنم .

(الأمالي) باسناده الى عبد العظيم الحسني عن أبي الحسن العسكري عليه السلام قال : لما كلم الله موسى بن عمران قال موسى : يا إلهي ما جزاء من شهد اني رسولك ونبيك وأنك كلمتني ؟ قال : يا موسى تأتيه ملائكتي فتبشره بجنتي ، قال موسى : إلهي فما جزاء من قام بين يديك يصلي ؟ قال : يا موسى أباهي به ملائكتي راكعاً وساجداً وقائماً وقاعداً ومن باهيت به ملائكتي لم اعذبه . قال موسى : إلهي ما جزاء من اطعم مسكيناً ابتغاء وجهك ؟ قال : يا موسى آمر منادياً ينادي يوم القيامة على رؤوس الخلائق ان فلان بن فلان من عتقاء الله من النار ، قال موسى : إلهي فما جزاء من وصل رحمه ؟ قال : يا موسى أنسي أجله واهون عليه سكرات الموت ويناديه خزنة الجنة هلم الينا من أي ابوابها شئت ، قال موسى : إلهي فما جزاء من كف أذاه عن الناس وبذل معروفه لهم ؟ قال : يا موسى تناديه النار يوم القيامة لا سبيل لي عليك قال : إلهي فما جزاء من ذكرك بلسانه وقلبه ؟ قال : يا موسى اظله يوم القيامة بظل عرشي وأجعله في كنفي ، قال إلهي فما جزاء من تلى حكمتك سراً وجهراً ؟ قال : يا موسى يمر على الصراط كالبرق؟ قال : إلهي فما جزاء من صبر على أذى الناس وشتمهم فيك ؟ قال : أعينه على أهوال يوم القيامة . قال إلهي فما جزاء من دمعت عيناه من خشيتك ؟ قال : يا موسى أقي وجهه من حر النار واؤمنه يوم الفزع الأكبر . قال يا إلهي فما جزاء من ترك الخيانة حياءاً منك ؟ قال يا موسى له الأمان يوم القيامة .

قال يا إلهي فما جزاء من احب أهل طاعتك ؟ قـال : يا موسى احرمه على ناري . قال : يا إلهي فما جزاء من قتل مؤمناً متعمداً ؟ قال لا أنظر اليه ولا أقيل عثرته . قال إلهي فما جزاء من دعا نفساً كافراً الى الاسلام ؟ قال يا موسى أأذن له في الشفاعة يوم القيامة لمن يريد . قال إلهي فما جزاء من صلى الصلاة بوقتها ؟ قال اعطيه سؤلي وابيحه جنتي . قال إلهي فما جزاء من أتم الوضوء من خشيتك ؟ قال ابعثه يوم القيامة وله نور بين عينيه يتلألأ . قال إلهي فما جزاء من صام شهر رمضان لك محتسباً ؟ قال يا موسى اقيمه يوم القيامة مقاماً لا يخاف فيه ، قـال إلهي فما جزاء من صام شهر رمضان يريد به الناس ؟ قال يا موسى ثوابه كثواب من لم يصمه .

(الأمالي) عن محمد بن سنان عن المفضل قال : سمعت مولاي الصادق عليه السلام يقول كان فيما ناجى الله عز وجل به موسى بن عمران انه قال له : يا بن عمران كذب من زعم انه يحبني فاذا جنه الليل نام عني ، أليس كل محب يحب خلوة حبيبه ، ها أنا يا بن عمران مطلع على احبائي اذا جنهم الليل حوّلت ابصارهم من قلوبهم ومثلت عقوبتي بين أعينهم يخاطبوني عن المشاهدة ويكلموني عن الحضور ، يا بن عمران هب لي من قلبك الخشوع ، ومن بدنك الخضوع ، ومن عينيك الدموع ، في ظلم الليالي إدعني فانك تجدني قريباً مجيباً .

(الكافي) محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن محمد بن سنان عن ابن مسكان عن سدير قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول : ان بني اسرائيل أتوا موسى فسألوه أن يسأل الله عز وجل أن يمطر السماء عليهم اذا أرادوا ، او يحبسها إذا أرادوا ؟ فسأل الله عز وجل ذلك لهم فقال الله عز وجل فليحرثوا افعل ذلك لهم يا موسى ، فأخبرهم موسى فحرثوا ولم يتركوا شيئاً إلا وزرعوه ، ثم استنزلوا المطر عليهم على إرادتهم وحبسوه على إرادتهم ، فصارت زروعهم كأنها الجبال والاجام ، فحصدوا وداسوا وذروا ، فلم يجدوا شيئاً ، فضجوا الى موسى عليه السلام وقالوا : إنما سألناك أن تسأل الله ان يمطر السماء علينا اذا أردنا فأجابنا ثم صيرها ضرراً ! فقال يا رب ان بني اسرائيل ضجوا مما صنعت بهم فقال ومم ذاك يا موسى ؟ قال سألوني ان أسألك ان تمطر السماء اذا أرادوا ، فأجبتهم ثم صيرتها عليهم ضرراً ، فقال يا موسى انا كنت المقدر لبني اسرائيل ، فلم يرضوا بتقديري ، فأجبتهم الى إرادتهم فكان ما رأيت .

(عيون الأخبار) باسناده الى الرضا عليه السلام قال : لما بعث الله عز وجل موسى بن

عمران عليه السلام واصطفاه وفلق له البحر واعطاه التوراة، رأى مكانه من ربه عز وجل. فقال يا رب لقد اكرمتني بكرامة لم تكرم بها أحداً قبلي . قال يا موسى أما علمت ان محمداً عندي أفضل من جميع ملائكتي وجميع خلقي ، قال موسى يا رب فان كان محمد اكرم عندك من جميع خلقك فهل من آل الأنبياء اكرم من آلي ؟ قال الله جل جلاله يا موسى اما علمت ان فضل آل محمد على جميع النبيين كفضل محمد على جميع المرسلين ، فقال موسى يا رب فان كان آل محمد كذلك فهل في أمم الأنبيـاء أفضل عندك من امتي ظللت عليهم الغمام وانزلت عليهم المن والسلوى وفلقت لهم البحر ؟ فقال الله جل جلاله يا موسى اما علمت ان فضل أمة محمد على جميع الأمم كفضله على جميع خلقي ، فقال موسى يا رب ليتني كنت أراهم ؟ فأوحى الله تعالى اليه: يا موسى انك لن تراهم، فليس هذا أوان ظهورهم ولكن سوف تراهم في جنات عدن والفردوس بحضرة محمد في نعيمها يتقلبون ، أفتحب ان اسمعك كلامهم ؟ قال نعم إلهي قال الله جل جلاله: قم بين يدي واشدد ميزرك قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل ففعل ذلك موسى عليه السلام .

فنادى ربنا عز وجل : يا أمة محمد ! فأجابوه وهم في أصلاب آبائهم وارحـام امهاتهم : لبيك اللهم لبيك لا شريك لـك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

قال : فجعل الله عز وجل تلك الاجابة شعاراً للحج .

ثم نادى ربنا عز وجل : يا أمة محمد ان قضائي عليكم ، أن رحمتي سبقت غضبي وعفوي قبل عقابي، فقد استجبت لكم قبل أن تدعوني وأعطيتكم من قبل أن تسألوني، من لقيني منكم بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله صادق في أقواله محق في أفعاله، وان علي بن أبي طالب أخاه ووصيه من بعده، ويلتزم طاعته كما يلتزم طاعة محمد، وان اولياءه المصطفين المطهرين الميامين، بعجائب آيات الله ودلائل حجج الله من بعدهما اوليائه ، ادخلته جنتي وإن كانت ذنوبه مثل زبد البحر .

قال : فلما بعث الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وآله ، قال : يا محمد وما كنت بجانب الطور إذ نادينا أمتك بهذه الكرامة .

ثم قال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وآله . قل الحمد لله رب العالمين على ما اختصني من هذه الفضيلة .

وقال لأمته : قولوا انتم الحمد لله رب العالمين على ما اختصنا من هذه الفضائل .

(الكافي) باسناده الى أبي جعفر عليه السلام قال : مكتوب في التوراة التي لم تغير ان موسى عليه السلام سأل ربه فقال : يا رب أقريب أنت مني فأناجيك أم بعيد فأناديك ؟ فأوحى الله عز وجل اليه : يا موسى أنا جليس من ذكرني ، فقال موسى فمن في سترك يوم لا ستر إلا سترك ، قال: الذين يذكرونني فأذكرهم ويتحابون فيّ فأحبهم ، فأولئك الذين اذا أردت أن أصيب أهل الأرض بسوء ذكرهم ، فدفعت عنهم بهم .

أقول: ينبغي على الصوفية اذكارهم ووجدهم، ونهيقهم وزعيقهم ورقصهم، وصنعتهم وزعمهم ان هذا كله من أفضل العبادات والطاعات .

(الكافي) عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ان الله عز وجل ناجى موسى بن عمران بمائة الف كلمة وأربعة وعشرين الف كلمة ، في ثلاثة أيام ولياليهن ما طعم فيها موسى ولا شرب فيها .

فلما انصرف الى بني اسرائيل وسمع كلام الآدميين ، مقتهم لما كان وقع من مسامعه من حلاوة كلام الله عز وجل .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال : ان الله تبارك وتعالى قال لموسى : احفظ وصيتي لك بأربعة أشياء :

أولهن — ما دمت لا ترى ذنوبك تغفر فلا تشغل بعيوب غيرك.

والثانية — ما دمت لا ترى كنوزي قد نفدت فلا تغتم بسبب رزقك .

والثالثة — ما دمت لا ترى زوال ملكي فلا ترج أحداً غيري .

والرابعة — ما دمت لا ترى الشيطان ميتاً فلا تأمن مكره

وعنه عليه السلام : ليس في القرآن (يا أيها الذين آمنوا) إلا وهي في التوراة (يا أيها الناس) . وفي خبر آخر : (يا أيها المساكين) .

وعنهم عليهم السلام: قال ابليس يا موسى لا تخل بامرأة، فانه لا يخلو رجل بامرأة لا تحل له ، إلا وكنت صاحبه دون اصحابي ، وإياك ان تعاهد الله عهداً فانه ما

عاهد الله احداً إلا و كنت صاحبه دون أصحابي حتى احول بينه وبين الوفاء به ، واذا هممت بصدقة فامضها ، فاذا همّ العبد بصدقة كنت صاحبه دون اصحابي ، حتى احول بينه وبينها .

(قصص الراوندي) باسناده الى ابي عبدالله عليه السلام قـال : كان في زمن موسى صلوات الله عليه ملك جبار ، قضى حاجة مؤمن بشفاعة عبد صالح ، فتوفي في يوم واحد الملك الجبار والعبد الصالح ، فقام على الملك الناس واغلقوا أبواب السوق لموته ثلاثة أيام ، وبقي العبد الصالح في بيته ، فتناولت دواب الأرض عن وجهه .

فرآه موسى بعد ثلاث ، فقال : يا رب هو عدوك وهذا وليك ؟ فأوحى الله اليه : يا موسى إن الله وليي سأل هذا الجبار حاجة فقضاها له ، فكافأته عن المؤمن وسلطت دواب الأرض على محاسن وجه المؤمن لسؤاله ذلك الجبار .

(وعنه عليه السلام) قال : ان الله تعالى أوحى الى موسى : يا موسى اشكرني حق شكري فقال : يا رب كيف اشكرك حق شكرك وليس من شكر اشكرك بـه إلا وانعمت به علي ؟ فقال : يا موسى شكرتني حق شكري حين علمت ان ذلك مني .

(وعن) ابي جعفر عليه السلام قال : اوحى الله تعالى الى موسى : احبني وحببني الى خلقي ، قال موسى : يا رب انك لتعلم انه ليس أحب إلي منك ، فكيف لي بقلوب العباد ؟ فأوحى الله اليه : فذكرهم نعمتي وآلائي فانهم لا يذكرون مني إلا خير ، فقـال موسى : يا رب رضيت بما قضيت ، تميت الكبير وتبقي الأولاد الصغار ؟ فأوحى الله اليه : اما ترضى بي وكيلاً وكفيلاً ؟ فقال : بلى يا رب نعم الوكيـل ونعم الكفيل .

وعن ابي جعفر قال : ان موسى سأل ربه ان يعلمه زوال الشمس فوكل الله بهـا ملكاً ، فقال : يا موسى قد زالت الشمس ، فقال موسى متى ؟ فقال اذا قام رجل فشق قميصه ، فأوحى الله عز وجـل اليه : يا موسى قل له لا تشقق قميصك ولكن اشرح لي قلبك .

(وعن) ابي عبدالله عليه السلام قال : ان الله أوحى الى موسى عليه السلام : ان بعض اصحابك ينم عليـك فاحذره . فقال يا رب لا اعرفه فاخبرني به حتى اعرفه فقال

يا موسى عبت عليه النميمة وتكلفني ان اكون نماماً قال : يا رب وكيف اصنع ؟ قال الله تعالى فرق اصحابك عشرة عشرة ثم تقرع بينهم ، فانّ السهم يقع على العشرة التي هو فيهم ، ثم تفرقهم وتقرع بينهم فانّ السهم يقع عليه .

قال : فلما رأى الرجل أن السهام تقرع ، قام فقال يا رسول الله انا صاحبك لا والله لا أعود أبداً .

(وروي) ان موسى بن عمران رأى رجلا تحت ظل العرش ، فقال يا رب من هذا الذي ادنيته حتى جعلته تحت ظل العرش ؟ فقال الله تبارك وتعالى : يا موسى هذا لم يعق والديه ولا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ، وقال موسى يا رب ما لمن عاد مريضاً ؟ قال اوكل به ملكاً يعوده في قبره الى محشره ، قال يا رب ما لمن غسل ميتاً ؟ قال اخرجه من ذنوبه كما خرج من بطن امه ، قال يا رب ما لمن شيع جنازة ؟ قال اوكل به ملائكة معهم رايات يشيعونه من محشره الى مقامه ، قال فما لمن عزّى الثكلى ؟ قال اظله في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي .

وقال : يا موسى اكرم السائل اذا اتاك بشيء ، ببذل يسير أو برد جميل ، فانه قد يأتيك من ليس بجني ولا أنسي ، ملك من ملائكة الرحمن ليبلوك فيما خولتك فكيف انت صانع .

(وعنه) عليه السلام قال : مر موسى بن عمران برجل رافع يده الى السماء يدعو ، فانطلق موسى في حاجته ، فغاب عنه سبعة ايام ، ثم رجع اليه وهو رافع يديه يدعو ويتضرع ويسأل حاجته فأوحى الله اليه يا موسى لو دعاني حتى يسقط لسانه ما استجبت له حتى يأتيني من الباب الذي أمرته به .

أقول : هذا يكشف لك عن امور كثيرة :

منها بطلان عبادة المخالفين ، وذلك انهم وإن صاموا وصلوا وحجوا وزكوا واتوا من العبادات والطاعات وزادوا على غيرهم إلا انهم اتوا الى الله تعالى من غير الأبواب التي امر بالدخول منها . فانه سبحانه وتعالى قال (واتوا البيوت من ابوابها) .

وقد صح عن المسلمين قوله صلى الله عليه وآله أنا مدينة العلم وعلي بابها .

وقوله : أهل بيتي كسفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق .

وقـــد جعلوا المذاهب الأربعة وسائط وابواباً بينهم وبين ربهم واخذوا الأحكام عنهم ، وهم اخذوها عن القياسات والاستنباطات والآراء ، والاجتهاد الذي نهى الله سبحانه عن اخذ الأحكام عنها ، وطعن عليهن من دخل في الدين منها .

وكذلـــك عبادات الصوفية واصولهم الفاسدة ، فانهم اخذوها عن مشايخهم . واخذها مشايخهم عن اسلافهم ، وكلها تنتهي الى الصوفية من اهل الخلاف ، فمن زعم انه من الشيعة وهو من الصوفية ! فهو عندنا من المبتدعين، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها الى النار .

(قصص الانبياء) للراوندي من علماء الامامية عن ابي عبدالله عليه‌السلام قال : لما مضى موسى صلوات الله عليه الى الجبل تبعه رجـل من افضل اصحابه فأجلسه في اسفل الجبل وصعد موسى عليه‌السلام الجبل فناجى ربه ثم نزل ، فاذا بصاحبه قد اكل السبع وجهه وقطعه ، فأوحى الله تعالى اليـه : ان كان له عندي ذنب ، فأردت ان يلقاني ولا ذنب له .

وفيه عن ابي جعفر عليه‌السلام قال : اوحى الله تعالى الى موسى عليه‌السلام ان من عبادي من يتقرب الى الجنة ، فأحكمه في الجنة ، قال وما تلك الجنة ، قال يمشي في حاجة مؤمن .

أقول : قوله : (يمشي) إشارة الى ان هذا الثواب مرتب على سعيـه في حاجة المؤمن ، وان لم تقض على يده . وقد وقع التصريح به في موارد أخرى .

وفي حديث صحيح عنه عليه‌السلام قال : من طاف بالبيت طوافاً ، كتب الله له ستة آلاف حسنة ومحى عنه ستة آلاف سيئة ورفع له ستة آلاف دجة .

ثم قال : وقضاء حاجة المؤمن أفضل من طواف وطواف حتى عد عشراً .

بقي الكلام في ان المؤمن الذي يترتب هذا الثواب على قضاء حاجته هل يكتفي بكونه من جملة الشيعة وواحد منهم وإن كان فاسقاً في جوارحه ، ام لا بد من هذه الاعمال الى الاعتقاد .

أقول : الظاهر هو الثاني ، لأن الفاسق لا يبالغ في حرمته الى هذا الحال ، نعم يكفي في هـذا المعنى ان يكون مستور الظاهر غير متجاهر بالذنوب والمعاصي وإلا فالمقصود من عصمه الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقد بقي شيء آخر وهو ان جماعة من صلحاء الشيعة حالهم مستوري الذنوب والتجاهر بالمعاصي ، لكنهم إما من جنود السلطان او من نواكر العمال والحكام وان لهم خدمة معهم أو نحو ذلـــك . فمثل هذه ، لا يقال له تجاهر بالمعاصي حتى ترديهم شهادتهم ولا يسعى لهم في حوائجهم ويحكم عليهم بلوازم الفسوق والمعاصي . وهـذ لا يخلو من كلام . والحكم بفسقهم في هذا المقام في غاية الاشكال وإن مـــال اليه بعض العلماء من اصحابنا .

بل الأظهر عندي ان هذا ليس على إطلاقه من باب التجاهر بالمعاصي ، بل هنـــا تفصيل بسطنا الكلام فيه في المجلد السابع من (شرح التهذيب) .

(القصص) قال الصادق عليه السلام : اوحى الله الى موسى بن عمران عليه السلام (قل للملأ من بني اسرائيل إياكم وقتل النفس الحرام بغير حق ، فان من قتل منكم نفساً في الدنيا قتلته مثل قتله صاحبه) .

(الكافي) عن ابي عبدالله عليه السلام : ان إسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً ، اعطي موسى منها اربعة احراف .

(تفسير علي بن ابراهيم) مات موسى وهارون عليهما السلام في التيه .

(فروي) ان الذي حفر قبر موسى ملك الموت في صورة آدمي .

ولذلك لا يعرف بنو اسرائيل موضع قبر موسى .

وعن حنان بن سدير قال : سألت ابا عبد الله عليه السلام عن رجل شق ثوبه على ابيه او اخيه او على قريب له فقال : لا بأس بشق الثوب ، قد شق موسى بن عمران على اخيه هارون عليه السلام .

وفي ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان قبض موسى عليه السلام .

وفي (الكافي) عن عمارة قال : قلت للصادق عليه السلام اخبرني بوفاة موسى بن عمران، فقال : لما اتاه اجله ، اتاه ملك الموت ، فقال : السلام عليك يا كليم الله، فقال وعليـــك السلام ، من انت ؟ فقال انا ملك الموت جئت لأقبض روحك ، فقال له موسى من اين تقبض روحي ؟ قـــال من فمك ، قال له موسى كيف وقد تكلمت مع ربي جـــل جلاله ؟ قال فمن يديك ، قال كيف وقد حملت بها التوراة ؟ قال فمن

رجليك ، قال كيف وقد وطأت بها طور سيناء ؟ قال فمن عينيك ، قال كيف ولم تزل الى ربي ممدودة ؟ قال فمن اذنيك ، قال كيف وقد سمعت بها كلام الله عز وجل؟

قال : فأوحى الله تعالى الى ملك الموت لا تقبض روحه حتى يكون هو الذي يريد ذلك ، وخرج ملك الموت .

فمكث ما شاء الله يمكث بعد ذلك ، ودعا يوشع بن نون ، فأوصى اليه وأمره بكتمان امره وبأن يوصي بعده الى من يقوم بالأمر ، وغاب موسى عن قومه .

فمر في غيبته برجل وهو يحفر قبراً ، فقال ألا أعينك على حفر هذا القبر ؟ فقال له الرجل : بلى. فأعانه على حفر القبر وسوّى اللحد ثم اضطجع فيه موسى ابن عمران لينظر كيف هو ، فكشف له عن الغطاء ، فرأى مكانه من الجنة، فقال يا رب إقبضني اليك . فقبض ملك الموت روحه في مكانه ودفنه في القبر وسوّى عليه التراب .

وكان الذي يحفر القبر ملك في صورة آدمي ، وكان ذلك في التيه .

فصاح صائح من السماء : مات موسى كليم الله ، فأي نفس لا تموت .

ثم ان يوشع بن نون قام بالأمر من بعد موسى ، صابراً من الطواغيت على الضراء والبلاء ، حتى مضى منهم طواغيت ، فقوى بعدهم امره .

فخرج عليه رجلان من منافقي قوم موسى ، بصفراء بنت شعيب امرأة موسى في مائة الف رجل ، فقاتلوا يوشع بن نون ! فغلبهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وهزم الباقين بإذن الله ، وأسر صفراء بنت شعيب وقال لها : قد عفوت عنك في الدنيك الى ان نلقى كليم الله موسى بن عمران ، فأشكو ما لقيت منك ومن قومك فقالت صفراء وا ويلاه والله لو ابيحت لي الجنة استحييت ان أرى فيها رسول الله وقد هتكت حجابه وخرجت على وصيه بعده .

(القصص) عن ابي عبد الله عليه السلام قال : قال موسى صلوات الله عليه لهارون عليه السلام إمض بنا الى جبل طور سيناء ، ثم خرجا ، فإذا بيت على بابه شجرة عليها ثوبان ، فقال موسى لهارون إطرح ثيابك وادخل البيت وإلبس هاتين الحلتين ونم على السرير ، ففعل هارون .

فلما ان نام على السرير ، قبضه الله تعالى اليه وارتفع البيت والشجرة .

ورجع موسى الى بني اسرائيل فأعلمهم ان الله قبض هارون ورفعه اليه ، فقالوا كذبت انت قتلته فشكى موسى عليه السلام ذلك الى ربه فأمر الله تعالى الملائكة فأنزلته على سرير بين السماء والارض ، حتى رأته بنو اسرائيل ، فعلموا انه مات .

(الكافي) عن محمد بن سنان قال : كنت عند الرضا عليه السلام فقال لي يا محمد انه كان في زمن بني اسرائيل اربعة نفر من المؤمنين ، فأتى واحد منهم الثلاثة وهم في منزل واحد في مناظرة بينهم ، فقرع الباب وخرج اليه الغلام ، فقال أين مولاك ؟ فقال ليس هو في البيت ، فرجع الرجل ودخل الغلام الى مولاه فقال له من كان الذي قرع الباب ؟ قال فلان فقلت له ليس في المنزل ، فسكت ولم يلم غلامه ولا إغتم احد منهم لرجوعه عن الباب ، واقبلوا في حديثهم .

فلما كان من الغد بكر اليهم الرجل ، فأصابهم وقد خرجوا يريدون ضيعة بعضهم فسلم عليهم وقال انا معكم ؟ فقالوا نعم، ولم يعتذروا اليه ! وكان الرجل محتاجاً ضعيف الحال . فلما كانوا في بعض الطريق ، اذا غمامة قد اظلتهم ، فظنوا انه مطر، فبادروا فلما استوت الغمامة على رؤوسهم ، إذا مناد ينادي من جوف الغمامة : ايتها النار خذيهم وأنا جبرئيل رسول الله فإذا نار في جوف الغمامة قد اختطفت الثلاثة نفر ، وبقي الآخر مرعوباً يعجب مما نزل بالقوم ولا يدري ما السبب .

فرجع الى المدينة ، فلقي يوشع بن نون وأخبره الخبر وما رأى وما سمع فقال يوشع بن نون : أما علمت ان الله سخط عليهم ، بعد ان كان راضياً ، وذلك بفعلهم بك ، قال وما فعلهم بي ؟ فحدثه يوشع، فقال الرجل فأنا اجعلهم في حل واعفو عنهم قال : لو كان هذا قبل لنفعهم ، وأما الساعة فلا ، وعسى ان ينفعهم بعد .

الفصل العاشر

في قصة بلعم بن باعوراء واحوال اسماعيل الذي سماه الله صادق الوعد وانه غير اسماعيل بن ابراهيم وقصة الياس وإليا واليسع وقصص ذي الكفل عليهم الصلاة والسلام

تفسير علي بن ابراهيم عن ابي الحسن الرضا عليه السلام : انه اعطي بلعم بن باعوراء الاسم الأعظم وكان يدعو به فيستجاب له ، فمال الى فرعون .

فلما مر فرعون في طلب موسى عليه السلام وأصحابه ، قال فرعون لبلعم ادع الله على موسى وأصحابه ليحبسه علينا .

فركب حمارته ليمر في طلب موسى عليه السلام ! فامتنعت عليه حمارته ، فأقبل يضربها ! فأنطقها الله عز وجل فقالت: ويل لك على ما تضربني أتريد ان أجيء معك لتدعو على نبي الله وقوم مؤمنين ؟ فلم يزل يضربها حتى قتلها ، وانسلخ الاسم الأعظم من لسانه .

وهو قوله : (فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الأرض واتبع هواه فمثله مثل الكلب إن تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث) وهو مثل ضربه الله .

فقال الرضا عليه السلام : فلا يدخل الجنة من البهائم إلا ثلاثة : حمارة بلعم وكلب أصحاب الكهف والذئب .

وكان سبب الذئب : انه بعث ملك ظالم رجلا شرطياً ليحشر قوماً من المؤمنين وهو يعذبهم ، وكان للشرطي ابن يحبه ، فجاء ذئب فأكل ابنه ، فحزن الشرطي ، فأدخل الله ذلك الذئب الجنة ، لما أحزن الشرطي .

أقول : قال ابن عباس : دخل الذئب الجنة بأكله لابن الشرطي ، فلو أكل الشرطي ، لرفعه الله تعالى الى عليين ، والشرطي من أعوان الظلمة من الشرطة ، وهي العلامة ، لأنهم يعلمون أنفسهم بعلامات يعرفون بها .

وقال صاحب (الكامل) : لما مات موسى وهارون عليهما السلام في التيه ، أوحى الله تعالى الى يوشع بن نون : يأمره المسير الى اريحا وفتحها .

وقال آخرون : ان موسى عاش حتى خرج من التيه وسار الى مدينة الجبارين وعلى مقدمته يوشع بن نون وكالب بن يوحنا وهو صهره على اخته مريم بنت عمران .

فلما بلغوها اجتمع الجبارون الى بلعم بن باعوراء وهو من ولد لوط عليه‌السلام فقالوا له : ان موسى عليه‌السلام جاء ليقتلنا ويخرجنا من ديارنا ، فادع الله عليهم ! وكان بلعم يعرف اسم الله الأعظم ، فقال لهم كيف أدعو على نبي الله والمؤمنين ومعهم الملائكة ، فراجعوه في ذلك وهو يمتنع عليهم .

فأتوا امرأته وأهدوا لها هدية وطلبوا اليها ان تحسّن لزوجها ان يدعو على بني اسرائيل ! فقالت له في ذلك ! فامتنع ، فلم تزل به حتى قال استخير ربي فاستخار الله تعالى ، فنهاه في المنام ، فأخبرها بذلك ، فقالت راجع ربك . فعاد الاستخارة فلم يرد جواب . فقالت لو أراد ربك لنهاك . ولم تزل تخدعه حتى اجابهم .

فركب حماراً له متوجهاً الى جبل يشرف على بني اسرائيل ليقف عليه ويدعو عليهم ، فما مشى عليها إلا قليلاً حتى ربض الحمار فضربه حتى قام فركبه ، فسار قليلاً فربض ، ففعل ذلك ثلاث مرات .

فلما اشتد ضربه في الثالثة فأنطقها الله : ويحك يا بلعم أين تذهب ؟ أما ترى الملائكة تردني ؟ فلم يرجع ، فأطلق الله : الحمار حينئذ فسار حتى أشرف على بني اسرائيل فكان كلما أراد ان يدعو عليهم : ينصرف لسانه الى الدعاء لهم ، وإذا أراد أن يدعو لقومه إنقلب دعاءه عليهم .

فقالوا له في ذلك؟ فقال هذا شيء غلب الله عليه ، واندلع لسانه فوقع على صدره ، فقال الآن خسرت الدنيا والآخرة .

ولم يبق إلا المكر والحيلة وأمرهم أن يزينوا النساء ويعطوهن السلع للبيع ويرسلوهن

الى العسكر ولا تمنع امرأة نفسها ممن يريدها ، وقال ان زنى منهم رجل واحد كفيتموهم .

ففعلوا ذلك ودخل النساء عسكر بني اسرائيل ، فأخذ زمري بن شلوم وهو رأس سبط شمعون بن يعقوب امرأة وأتى بها الى موسى عليه السلام فقال له اظنك تقول ان هذا حرام فوالله لا نطيعك ! ثم ادخلها خيمة فوقع عليها ! فأنزل الله عليهم الطاعون.

وكان صحاح بن عيراد بن هارون صاحب عمه موسى غائباً ، فلما جاء رأى الطاعون قد استقر في بني اسرائيل، وكان ذا قوة وبطش، فقصد زمري فرآه مضاجع المرأة فطعنها بحربة بيده فانتظمها ، ورفع الطاعون .

وقد هلك في تلك الساعة عشرون الفاً .

وقيل : سبعون الفاً.

ثم ان موسى عليه السلام قدم يوشع عليه السلام الى اريحا في بني اسرائيل فدخلها وقتل بها الجبارين ، وبقيت منهم بقية وقد قاربت الشمس المغرب ، فخشي ان يدركهم الليل فعجزوا ، فدعا الله أن يحبس عليهم الشمس ففعل وحبسها حتى إستأصلهم ، ودخلها موسى عليه السلام ، فأقام بها ما شاء الله أن يقيم ، وقبضه الله تعالى اليه ، لا يعلم بقبره أحد من الخلق .

وأما من زعم ان موسى عليه السلام كان توفي قبل ذلك فقال ان الله تعالى أمر يوشع بالمسير الى مدينة الجبارين ، فسار ببني اسرائيل ففارقه رجل منهم يقال له بلعم بن عوراء وكان يعرف الاسم الأعظم . وساق من حديثه نحو ما تقدم .

فلما ظفر يوشع بالجبارين ادركه المساء ليلة السبت ، فدعا الله تعالى فرد الشمس عليه وزاد في الشمس ساعة ، فهزم الجبارين ودخل مدينتهم وجمع غنائمهم ليأخذها القربان فلم تأت النار ... الحديث .

تفسير علي بن ابراهيم : (ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون) . فانه وقع الطاعون بالشام في بعض الكور، فخرج منه خلق كثير كما حكى الله تعالى ، هرباً من الطاعون ، فصاروا الى مفازة ، فماتوا في ليلة واحدة كلهم فبقوا حتى كانت

عظامهم يمر بها المار فينحيها برجله عن الطريق ، ثم أحياهم الله وردهم الى منازلهم ، فبقوا دهراً طويلاً ، ثم ماتوا وتدافنوا .

(القصص) بالاسناد الى الصدوق عن عبد الأعلى انه قال الصادق عليه السلام حديث يرويه الناس فقال : ما هو ؟ قال يرون ان الله تعالى اوحى الى حزقيل النبي ان اخبر فلان الملك اني متوفيك يوم كذا . فأتى حزقيل الملك فأخبره بذلك قال : فدعا الله تعالى على قومه وهو على سريره حتى سقط ما بين الحائط والسرير وقال: اخرني حتى يشيب طفلي واقضي امري فأوحى الله الى ذلك النبي : ان إئت فلاناً وقل اني انسيء في عمره خمسة عشر سنة ، فقال النبي : يا رب وعزتك انك تعلم اني لم اكذب كذبة قط ، فأوحى الله اليه : إنما انت عبد مأمور ، فأبلغه .

وعن الباقر والصادق عليهما السلام : في قوله تعالى : (ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت، فقال لهم الله موتوا...) الآية ، قال : هؤلاء اهل مدينة من مدائن الشام من بني اسرائيل ، وكانوا سبعين الفاً وكان الطاعون يقع فيهم في كل أوان ، فكانوا اذا احسوا به ، خرج من المدينة الاغنياء وبقي فيها الفقراء لضعفهم ، فكان الموت يكثر في الذين اقاموا ويقل في الذين خرجوا .

فيقول الذين خرجوا لو كنا اقمنا لكثر فينا الموت . فيقول الذين اقاموا لو كنا خرجنا لقل فينا الموت . فاجتمع رأيهم جميعاً على انه اذا وقع الطاعون خرجوا كلهم من المدينة .

فلما احسوا بالطاعون خرجوا جميعاً من الطاعون حذر الموت ، فساروا في البلاد ، ثم انهم مروا بمدينة خربة افنى اهلها الطاعون ، فلما احطوا رحالهم قال الله (موتوا جميعاً) فماتوا وصاروا رميماً .

فمر بهم نبي من الانبياء يقال له حزقيل فرآهم وبكى وقال : يا رب لو شئت احييتهم الساعة . فأحياهم الله .

كتاب (المحاسن) عن ابي جعفر عليه السلام قال: لما خرج ملك القبط يريد هدم بيت المقدس ! اجتمع الناس الى حزقيل النبي فشكوا ذلك اليه ، فقال : لعلي اناجي ربي الليلة .

فلما جنه الليل ناجى ربه ، فأوحى الله اليه : اني قد كفيتهم ، وكانوا قد مضوا ،

فأوحى الله الى ملك الهوى : ان امسك عليهم انفاسهم ، فماتوا كلهم وأصبح النبي وأخبر قومه ، فخرجوا فوجدوهم قد ماتوا .

ودخل حزقيل النبي العجب ! فقال في نفسه : ما فضل سليمان النبي علي ؟ وقد اعطيت مثل هذا .

قال فخرجت قرحة على كبده وأذنه ، فخشع لله وتذلل وقعد على الرماد فأوحى الله اليه : ان خذ لبن التين فحكه على صدرك من خارج ففعل فسكن عنه ذلك .

وروي عن الشيخ احمد بن فهد في (المهذب) وغيره بأسانيدهم الى المعلى بن خنيس عن ابي عبد الله عليه‌السلام قال : يوم النيروز هو الذي احيى الله فيه القوم (الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم) . وذلك ان نبياً من الأنبياء ، سأل ربه ان يحيي القوم (الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فأماتهم الله) فأوحى الله اليه : ان صب عليهم الماء في مضاجعهم فصب عليهم الماء في ذلك اليوم ، فعاشوا ثلاثون الفاً .

فصار صب الماء في يوم النيروز سنة ماضية ، لا يعرف سببها إلا الراسخون .

أقول : لا يتوهم من هذه الأخبار عدم جواز الفرار من الطاعون ، وذلك ان الآجال اذا تقاربت لا ينفع الفرار وعدمه .

وقد وردت الأخبار متظافرة في الأمر بالفرار منه ، ولم يعارضها إلا ما روي من قوله صلى‌الله‌عليه‌وآله : الفرار من الطاعون كالفرار من الزحف .

ولما سئل الصادق عليه‌السلام عن معناه ، قال : ان النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله قال في جماعة كانوا في الثغور بأزاء العدو ، وكانوا اذا فروا من الطاعون زحف العدو على أرض المسلمين واستولى عليها .

يعني ان هذا الكلام متوجه الى جماعة مخصوصين يلزم من فرارهم من الطاعون الفساد والانفتال في الدين واستلال على المسلمين .

وقد حققنا الكلام وأوردنا الأخبار في هذا الباب في رسالتنا الموسومة بـ (مسكن الشجون في حكم الفرار من الطاعون) .

وأما اسماعيل الذي سماه الله صادق الوعد فقال فيه: (واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً) .

(معاني الأخبار) عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان اسماعيل الذي قال الله عز وجل في كتابه (واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبياً) لم يكن اسماعيل بن ابراهيم ، بل كان نبياً من الأنبياء . بعثه الله عز وجل الى قومه ، فأخذوه وسلخوا فروة رأسه ووجهه، فأتاه ملك فقال : ان الله جل جلاله بعثني اليك فمرني بما شئت ، فقال : لي اسوة بما يصنع بالحسين .

وفي (قصص الأنبياء) عن الصادق عليه السلام قال : رسول صلى الله عليه وآله : ان افضل الصدقة صدقة اللسان تحقن به الدماء وتدفع به الكريهة وتجر المنفعة الى اخيك المسلم .

ثم قال صلى الله عليه وآله : ان عابد بني اسرائيل الذي كان اعبدهم ، كان يسعى في حوائج الناس عند الملك ، وانه لقي اسماعيل بن حزقيل ، فقال لا تبرح حتى ارجع اليك يا اسماعيل فابقى عند الملك فبقي اسماعيل الى الحول هناك، فأنبت الله لاسماعيل عشباً ، فكان يأكل منه وأجرى له عينين واظله بغمام ..

فخرج الملك بعد ذلك الى التنزه ومعه العابد ، فرأى اسماعيل، فقال : انك لهاهنا يا اسماعيل ؟ فقال له : قلت لا تبرح ، فلم ابرح . فسمي صادق الوعد .

قال: وكان جبار مع الملك كذب هذا العبد، وقال: بربرت بهذه البرية فلمتقول اني هاهنا ؟ فقال له اسماعيل : إن كنت كاذباً فنزع الله صالح ما اعطاك .

قال : فتناثرت اسنان الجبار ، فقال الجبار اني كذبت على هذا العبد الصالح ، فاطلب ان يدعو الله ان يرد اسناني فاني شيخ كبير ، فطلب اليه الملك فقال : اني افعل ، قال : الساعة ؟ قال : لا .

قال : وأخره الى السحر ، ثم دعا ، ثم قال : ان افضل ما دعوتم الله بالاسحار .

قال الله تعالى : (وبالاسحار هم يستغفرون) .

وفي حديث آخر : انه عليه السلام قال لمن وعده : لو لم يجئني لكان منه المحشر ، فأنزل الله : (واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد) .

(كامل الزيارة) باسناده الى بريد العجلي قال : قلت لابي عبدالله عليه السلام يا بن رسول الله اخبرني عن اسماعيل الذي ذكره الله في كتابه حيث يقول : (واذكر في الكتاب

اسماعيل انه كان صادق الوعد) أكان اسماعيل بن ابراهيم فان الناس يزعمون انه اسماعيل بن ابراهيم ، فقال عليه السلام ان اسماعيل مات قبل ابراهيم وان ابراهيم كان حجة الله على خلقه ، فالى من ارسل اسماعيل، اذا قلت فمن كان ؟ قال اسماعيل بن حزقيل النبي ، بعثه الله الى قومه فكذبوه وقتلوه وسلخوا فروة رأسه وجلده وجهه .

فغضب الله عليهم ، فوجه سطاطائيل ملك العذاب ، فقال له: يا اسماعيل انا ملك العذاب وجهني رب العزة اليك لأعذب قومك بأنواع العذاب إن شئت فقال له اسماعيل : لا حاجة لي في ذلك يا سطاطائيل .

فأوحى الله اليه : ما حاجتك يا اسماعيل ؟ فقال اسماعيل : يا رب انك اخذت الميثاق لنفسك بالربوبية ولمحمد بالنبوة ولأوصيائه بالولاية واخبرت خلقك بما يفعل بالحسين ابن علي من بعد نبيها ، وانك وعدت الحسين ان تكرّه الى الدنيا حتى ينتقم ممن فعل ذلك به، فحاجتي اليك يا رب ان تكره إليّ الدنيا ، حتى انتقم ممن فعل بي كما تكرّه الحسين عليه السلام فوعد اسماعيل بن حزقيل ذلك .

فهو يكره مع الحسين بن علي عليهما السلام .

واما قصة الياس وإليا واليسع عليهم السلام

(الكافي) عن المفضل بن عمر قال : أتينا باب أبي عبدالله عليه السلام ونحن نريد الاذن ، فسمعناه يتكلم بكلام ليس بالعربية ، فتوهمنا انه بالسريانية ، ثم بكى ، فبكينا لبكائه ، ثم خرج الينا الغلام ، فأذن انا فدخلنا عليه .

فقلت : اصلحك الله سمعناك تتكلم بكلام ليس بالعربية ثم بكيت فبكينا ، فقال : نعم ذكرت الياس النبي صلوات الله عليه ، وكان من عباد بني اسرائيل ، فقلت كما كان يقول في سجوده ، ثم اندفع فيه بالسريانية ، فما رأينا والله قسيساً ولا جاثليقاً افصح لهجة منه ، ثم فسره لنا بالعربية فقال : كان يقول في سجوده : اتراك معذبي بنارك وقد أظمأت لك هواجري ؟ اتراك معذبي وقد عفرت لك في التراب وجهي ؟ اتراك معذبي وقد اجتنبت لك المعاصي ؟ اتراك معذبي وقد اسهرت لك ليلي ؟ فأوحى الله اليه : ان ارفع رأسك فاني غير معذبك .

قال : فقال : إن قلت لا اعذبك ، ثم عذبتني ماذا ؟ ألست عبدك وانت ربي ؟ فأوحى الله اليه: ان ارفع رأسك فإني غير معذبك، فاني اذا وعدت وعداً وفيت به .

(قصص الأنبياء) عن ابن عباس قال : ان يوشع بن نون بوأ بني اسرائيل الشام بعد موسى عليه السلام وقسمها بينهم ، فسار منهم سبط ببعلبك بأرضها وهو السبط الذي منه الياس النبي عليه السلام .

فبعثه الله اليهم ، وعليهم يومئذ ملك ، فتنهم بعبادة صنم يقال له بعل ، وذلك قوله : (وان الياس لمن المرسلين * إذ قال لقومه ألا تتقون * اتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين) ؟! فكذبوه .

وكان للملك زوجة فاجرة يستخلفها اذا غاب فتقضي بين الناس وكان لها كاتب حكيم قد خلص من يدها ثلاثمائة مؤمن ، كانت تريد قتلهم ، ولم يعلم على وجه الأرض أنثى أزنى منها ، وقد تزوجت سبعة ملوك من بني اسرائيل حتى ولدت تسعين ولداً سوى ولد ولدها .

وكان لزوجها جار صالح من بني اسرائيل وكان له بستان يعيش به الى جانب قصر الملك يكرمه .

فسافر مرة ، فاغتنمت امرأته فقتلت العبد الصالح واخذت بستانه غصباً من أهله، وكان ذلك سبب سخط الله عليهم .

فلما قدم زوجها اخبرته الخبر ! فقال لها ما أصبت ، فبعث الله الياس النبي يدعوهم الى عبادة الله فكذبوه وطردوه ! ودعاهم الى الله فلم يزدهم إلا طغياناً .

فآلى الله على نفسه ان يهلك الملك والزانية إن لم يتوبوا اليه ، واخبرهما بذلك فاشتد غيضهم عليه وهموا لتعذيبه ! فهرب منهم ولحق بالجبل ، فبقي سبع سنين يأكل من نبات الأرض .

فأمرض الله ابناً للملك وكان أعز ولده ، فاستشفعوا الى عبدة الأصنام ليشفعوا له ! فلم ينفع ، فبعثوا الناس الى الجبل الذي فيه الياس ، فكانوا يقولون اهبط الينا واشفع لنا .

فنزل الياس من الجبل وقال : ان الله ارسلني اليكم وإلى من ورائكم فاسمعوا رسالة

ربكم يقول : ارجعوا الى الملك فقولوا اني انا الله لا إله إلا انا إله بني اسرائيل اضرهم وأنفعهم وتطلب الشفاء لابنك من غيري .

فلما صاروا الى الملك وقصوا عليه القصة امتلأ غيظاً ! فقال لهم ما الذي منعكم ان تقتلوه فانه عدوي ؟ قالوا قذف في قلوبنا الرعب .

فندب خمسين من قومه وأوصاهم بالاحتيال له واطماعه في انهم آمنوا به ليغتر بهم فيمكنهم من نفسه .

فانطلقوا الى الجبل الذي فيه الياس ، فنادوا يا نبي الله ابرز لنا فانا آمنا بك فطمع في ايمانهم ، فقال : اللهم إن كانوا صادقين فيما يقولون فاذن لي بالنزول اليهم وإن كانوا كاذبين فارمهم بنار تحرقهم ، فما استتم كلامه حتى رموا بالنار فاحترقوا ، فبلغ الملك خبرهم ، فأشتد غيظه .

وانتدب كاتب امرأته المؤمن وبعث معه جماعة الى الجبل ، وقال له قد آن أن نتوب ، فقل له يرجع الينا ويأمرنا وينهانا بما يرضي ربنا ، وأمر قومه فاعتزلوا الأصنام ، فانطلق الكاتب ومن معه الى الجبل ، ثم ناداه فعرف الناس صوته ، فأوحى الله اليه : ان ابرز الى اخيك الصالح وصافحه ، فقال المؤمن بعثني اليك هذا الطاغي وقص عليه ما قالوا ، ثم قال : واني لخائف إن رجعت اليه ولست معي ان يقتلني ، فأوحى الله عز وجل الى الياس : ان كل شيء جاءك منهم خداع ليظفروا بك ، واني اشغله عن هذا المؤمن بأن اميت ابنه .

فلما قدموا عليه أخذ الموت ابنه ، ورجع الياس سالماً الى مكانه .

فلما ذهب الجزع عن الملك ، سأل الكاتب عن الذي جاء به فقال ليس لي علم به .

ثم ان الياس نزل واستخفى عند ام يونس بن متى ستة اشهر ، ويونس مولود ، ثم عاد الى مكانه ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى مات ابنها حين فطمته ، فعظم مصابها فخرجت في طلب الياس ورقت الجبال حتى وجدت الياس ، فقالت: اني فجعت بموت إبني والهمني الله تعالى الاستشفاع بك اليه ليحيي لي ابني فاني تركته بحاله ولم ادفنه وأخفيت مكانه فقال لها ومتى مات ابنك ؟ قالت اليوم سبعة ايام .

فانطلق الياس وسار سبعة ايام أخرى ، حتى انتهى الى منزلها ، فدعا الله سبحانه حتى احيى الله بقدرته يونس عليه السلام ، فلما عاش انصرف الياس .

ولما صار اربعين سنة ، ارسله الله الى قومه ، كما قال : (وارسلناه الى مائة الف او يزيدون) .

ثم أوحى الله تعالى الى الياس بعد سبع سنين من يوم احيى الله يونس : سلني اعطك فقال : تميتني فتلحقني بآبائي ، فاني قد مللت بني اسرائيل وابغضتهم فيك فقال الله تعالى: ماهذا اليوم الذي اعري الأرض منك واهلها، وانما قوامها بك ولكن سلني اعطك ، فقال الياس : فاعطني ثاري من الذين ابغضوني فيك فلا تمطر عليهم سبع سنين قطرة إلا بشفاعتي .

فاشتد على بني اسرائيل الجوع والح عليهم البلاء واسرع الموت فيهم وعلموا ان ذلك من دعوة الياس ، ففزعوا اليه وقالوا نحن طوع يدك فهبط الياس معهم ومعه تلميذ له اليسع ، وجاء النبي الملك ، فقال قتلت بني اسرائيل بالقحط . فقال قتلهم الذي اغواهم ، فقال إدع ربك ليسقيهم .

فلما جن الليل عاد الياس ودعا الله فقال لليسع : انظر في اكناف السماء ماذا ترى ؟ ف رأى سحابة ، فقال ابشروا بالسقاء ، فليحرروا انفسهم وأموالهم من الغرق فأمطر الله عليهم السماء وانبت لهم الأرض ، فقام الياس بين أظهرهم وهم صالحون .

ثم ادركهم الطغيان والبطر ، فجحدوا حقه وتمردوا فسلط الله عليهم عدواً قصدهم ولم يشعروا به حتى رهقهم ، فقتل الملك وزوجته والقاهما في بستان الذي قتلته زوجة الملك .

ثم وصى الياس الى اليسع ، وانبت الله لأليا‌س الريش والبسه النور ورفعه الى السماء وقذف بكسائه من الجو على اليسع .

فنبأه الله على بني اسرائيل واوحى الله اليه وايده ، فكان بنو اسرائيل يعظمونه صلوات الله عليه ويهتدون بهداه .

وقال الشيخ الطبرسي : اختلف في الياس ، فقيل : هو ادريس عليه السلام : وقيل : هو من انبياء بني اسرائيل من ولد هارون بن عمران ابن عم اليسع ، وهو الياس بن يسع بن فنحاس بن العيزار بن هارون بن عمران .

عن ابن عباس ومحمد بن اسحاق وغيرهما قالوا : انه بعث بعد حزقيل ، لما عظمت الأحداث في بني اسرائيل .

وكان يوشع لما فتح الشام بوأها بني اسرائيل وقسمها بينهم ، فأحل سبطاً منهم ببعلبك ، وهم سبط الياس ، بعث فيهم نبياً اليهم ، فأجابه الملك ، ثم ان امرأته حملته على الخلاف لألياس وطلبته لتقتله ، فهرب الى الجبال والبراري ، واستخلف اليسع على بني اسرائيل ، ورفعه الله ما بين اظهرهم وقطع عنه لذة الطعام والشراب وكساه الريش ، فصار إنسياً ملكياً أرضياً سماوياً ، وسلط الله على الملك وقومه عدواً لهم فقتلهم ، وبعث الله اليسع رسولاً الى بني اسرائيل فآمنوا به .

وقيل : ان الياس صاحب البراري ، والخضر صاحب الجزائر ، ويجتمعان في كل يوم عرفة بعرفات . وذكر وهب انه ذو الكفل .

وقيل : هو الخضر عليه السلام .

(الكافي) عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله عليكم بالكرفس فانه طعام الياس واليسع ويوشع بن نون عليهم السلام .

وفيه عن ابن جعفر الثاني عليه السلام قال : قال ابو عبدالله عليه السلام : بينا ابي عليه السلام يطوف بي الكعبة اذا رجل متعجر فقطع عليه اسبوعه حتى ادخله داراً جنب الصفا فأرسل إلي ؟ فكنا ثلاثة ، فقال مرحباً يا بن رسول الله ، ثم قال : إن شئت اخبرني وإن شئت اخبرتك قال أشاء ، قال إياك ان تنطق لسانك عن مسألتي بأمر تضمر لي غيره ، قال انما يفعل ذلك من في قلبه علمان يخالف احدهما صاحبه ، فان الله عز وجل ابى ان يكون له علم فيه اختلاف ، قال هذه مسألتي وقد فسرت طرفاً منها ، اخبرني عن هذا العلم الذي ليس فيه اختلاف من يعلمه ؟ قال اما جملة العلم فعند الله سبحانه ، وأما ما لا بد منه ، فعند الأوصياء .

قال : ففتح الرجل عجرته وإستوى جالساً وتهلل وجهه وقال هذه اردت ، زعمت ان علم ما لا اختلاف فيه عند الأوصياء فكيف يعلمونه؟ قال كما كان رسول الله يعلم إلا انهم لا يرون ما كان رسول الله يرى ، لانه كان نبياً وهم محدثون وانه كان يسمع الوحي وهم لا يسمعون ، فقال صدقت يابن رسول الله ، اخبرني عن هذا العلم

ماله لا يظهر كما كان يظهر مع رسول الله صلى الله عليه وآله قال فضحك ابي عليه السلام وقال ابى الله ان يطلع على علمه إلا ممتحناً للايمان به ، كما قضى على رسول الله صلى الله عليه وآله ان يصبر على اذى قومه ولا يجاهم إلا بأمره ، فكم من إكتام قد إكتتم به حتى قيل له : (إصدع بما تؤمر واعرض عن الجاهلين) وايم الله لو صدع قبل ذلك لكان آمناً ولكنه إنما نظر في الطاعة وخاف الخلاف ، فلذلك كذّب فوددت أن يمينك تكون مع مهدي هـذه الأمه والملائكة بسيوف آل داود بين السماء والأرض يعذب أرواح الكفرة من الأموات ويلحق بهم أرواح اشباههم من الاحياء .

ثم اخرج سيفاً ، ثم قال : ها أن هذا منها ، فقال ابي : أي والذي إصطفى محمداً على البشر .

قال : فردّ الرجل اعتجاره وقال : انا الياس ما سألتك عن امرك ولي منه جهالة غير اني احببت ان يكون هذا الحديث قوة لأصحابك .

(المناقب) لابن شهر اشوب المازندراني ، روي عن انس ان النبي صلى الله عليه وآله سمع صوتاً من قلة جبل : اللهم اجعلني من الامة المرحومة المغفورة . فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فاذا بشيخ اشيب قامته ثلاثمائة ذراع ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله عانقه ، ثم قـال : اني آكل في سنة مرة وهذا أوانه . فاذا هو بمائدة نزلت من السماء فأكلا ، وكان الياس عليه السلام :

واما قصص ذي الكفل عليه السلام

فقـال تعالى : (واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين * وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين) .

(قصص الانبياء) بالاسناد الى النبي صلى الله عليه وآله قال : ان ذا الكفل كان رجلاً من حضرموت واسمه عويديا بن ادريم .

ولما كبر اليسع عليه السلام قال : اني استخلفت رجلاً يعمل على الناس في حياتي فانظر

كيف يعمل ؟ فجمع الناس فقال لهم من يتقبل مني ثلاثاً : استخلفه بعدي ان يقوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب ؟ فقام رجل تزدريه الأعين ، فقال انا وكان نبياً وكان يقضي اول النهار .

فقال ابليس لاتباعه من له ؟ فقام واحد منهم يقال له الأبيض انا ، فقال ابليس فاذهب اليه لعلك تغضبه .

فلما انتصف النهار جاء الابيض الى ذي الكفل وقد اخذ مضجعه فصاح وقال اني مظلوم ، فقال قل له تعال ، فقال لا انصرف ، قال فأعطاه خاتمه فقال اذهب وائتني بصاحبك ، فذهب حتى اذا كان من الغد جاء الى تلك الساعة التي اخذ هو مضجعه فصاح اني مظلوم وان خصمي لم يلتفت الى خاتمك ، فقال له الحاجب ويحك دعه ينم فإنه لم ينم البارحة ولا امس قال لا ادعه ينام وأنا مظلوم ؟ فدخل الحاجب واعلمه فكتب اليه كتاباً وختمه ودفعه اليه ، فذهب .

حتى اذا كان من الغد حين اخذ مضجعه جاء فصاح فقال : ما التفت الى شيء من امرك ، ولم يزل يصيح حتى قام وأخذ بيده في يوم شديد الحر ، لو وضعت فيه بضعة لحم على الشمس لنضجت .

فلما رأى الابيض ذلك انتزع يده من يده ويئس منه ان يغضب .

فأنزل الله تعالى قصته على نبيه ليصبر على الأذى كما يصبر الأنبياء صلوات الله عليهم على البلاء .

وعن عبد العظيم الحسني قال : كتبت الى ابي جعفر الثاني عليه السلام عن ذي الكفل ما اسمه وهل كان من المرسلين ؟.

فكتب صلوات الله عليه: بعث الله تعالى جلّ ذكره مائة الف نبي وأربعة وعشرين الف نبي ، المرسلون منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، وإن ذي الكفل منهم صلوات الله عليه وكان بعد سليمان عليه السلام وكان يقضي بين الناس كما كان يقضي داود عليه السلام ولم يغضب إلا لله عز وجل وكان اسمه عويديا .

وقال الشيخ الطبرسي : وأما ذو الكفل فاختلف فيه :

فقيل : انه كان رجلاً صالحاً ولم يكن نبياً ، ولكنه تكفل لنبي صوم النهار وقيام

الليل وان لا يغضب ويعمل بالحق، فوفى بذلك ، فشكر الله ذلك له وكان نبياً وسمي ذا الكفل ، بمعنى انه ذو الضعف ، فله ثواب غيره ممن هو في زمانه لشرف عمله .

وقال الثعلبي في كتاب (العرائس) : وقال بعضهم: ذو الكفل بشر بن ايوب الصابر عليهما السلام ، بعثه الله بعد ابيه رسولاً الى الروم فآمنوا ، ثم ان الله تعالى امرهم بالجهاد فأبوا وقالوا يا بشر إنا نحب الحياة ونكره الموت ومع ذلك نكره ان نعصي الله ورسوله ! فان سألت الله ان يطيل اعمارنا ولا يميتنا إلا اذا شئنا ، لنعبده ونجاهد اعداءه فقال لهم بشر : لقد سألتموني عظيماً .

ثم قام وصلى ودعا وقال : إلهي امرتني ان اجاهد اعداءك وأنت تعلم اني لا املك إلا نفسي وان قومي سألوني ما انت اعلم به مني ، فلا تأخذني بجريرة غيري فأوحى الله تعالى اليه : اني قد سمعت مقالة قومك واني قد اعطيتهم ما سألوني فلا يموتون إلا إذا شاؤا ، فكن كفيلاً لهم مني ، فبلغهم بشر رسالة الله ، فسمي ذا الكفل .

ثم انهم توالدوا وكثروا ونموا ، حتى ضاقت بهم بلادهم وتنغصت عليهم معيشتهم وتأذوا بكثرتهم ، فسألوا بشراً ان يدعو الله تعالى ان يردهم الى آجالهم فأوحى الله تعالى الى بشر : اما علم قومك ان اختياري لهم خير من اختيارهم لأنفسهم ، ثم ردهم الى اعمارهم فماتوا بآجالهم .

قال : فلذلك كثرت الروم ، حتى يقال ان الدنيا خمسة اسداسها الروم ، وسموا روماً : لأنهم نسبوا الى جدهم روم بن عيص بن ابراهيم .

وكان بشر بن ايوب مقيماً بالشام حتى مات وكان عمره خمساً وتسعين سنة .

وقال السيد بن طاووس في « سعد السعود » قيل انه تكفل الله جل جلاله : ان لا يبغضه قومه ، فسمي ذا الكفل .

وقيل : تكفل لنبي من الأنبياء ، أن لا يغضب ، فاجتهد ابليس ان يغضبه بكل طريق ! فلم يقدر ، فسمي ذا الكفل لوفائه لنبي زمانه ان لا يغضب .

باب

فيه قصص لقمان وحكمه عليه السلام

وقصة اشموئيل وطالوت وجالوت وتابوت السكينة

(ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد) .

تفسير علي بن ابراهيم عن حماد قال : سألت ابا عبد الله عليه السلام عن لقمان وحكمته التي ذكرها الله عز وجل ؟ فقال : اما والله لقد اوتي لقمان الحكمة لا بحسب ولا مال ولا اهل ولا بسط في جسم ولا جمال ، ولكنه كان رجلاً قوياً في أمر الله متورعاً في الله عميق النظر طويل الفكر ، لم ينم نهاراً قط ولم يره احد من الناس على بول ولا غائط ولا اغتسال لشدة تستره ، ولم يضحك من شيء قط ولم ينازع إنساناً قط ، ولم يفرح بشيء اتاه من امر الدنيا ولا حزن منها على شيء قط ، وقد نكح من النساء وولد له الأولاد الكثيرة وقد مات اكثرهم إفراطاً فما بكى لأحد منهم ، ولم يمر برجلين يختصمان او يقتتلان إلا اصلح بينهما ، ولم يسمع قولاً من احد إلا استحسنه إلا سأل عن تفسيره وعمن اخذه ؟ وكان يكثر مجالسة الفقهاء والحكماء ، وكان يغشي القضاة والملوك والسلاطين ، فيرثى للقضاة مما ابتلوا به ويرحم الملوك والسلاطين لعزتهم بالله وطمأنينتهم بذلك ويتعلم ما يغلب به نفسه ويجاهد به هواه ، وكان يداوي قلبه بالتفكر ، ويداوي نفسه بالعبر ، وكان لا يتكلم إلا فيما يعنيه .

فبذلك اوتي الحكمة ، وان الله تعالى امر طوائف من الملائكة حين إنتصف النهار وهدأت العيون بالقايلة : فنادوا لقمان حيث يسمع ولا يراهم فقالوا : يا لقمان هل لك ان يجعلك الله خليفة في الأرض وتحكم بين الناس ؟ فقال لقمان : لقد امرني ربي فالسمع والطاعة ، لأنه إن فعل بي ذلك اعانني وعلمني وعصمني وان هو خيّرني قبلت العافية، فقالت الملائكة : يا لقمان لم قال لأن الحكم بين الناس بأشد المنازل من الدين وأكثر فتناً وبلاءاً .

ثم ساق الحديث الى قوله : فعجبت الملائكة من حكمته واستحسن الرحمن منطقه .

فلما أمسى وأخذ مضجعه من الليل انزل الله عليه الحكمة فغشاه بها ، من قرنه الى قدمه وهو نائم وغطاه بالحكمة غطاءاً، فاستيقظ وهو أحكم الناس في زمانه، وخرج على الناس ينطق بالحكمة .

فلما اوتي الحكمة ولم يقبلها ، امر الله الملائكة فنادت داود بالخلافة ، فقبلها ولم يشترط فيها بشرط لقمان ، فأعطاه الله الخلافة في الارض، وابتلي فيها غير مرة ، وكل ذلك يهوي في الخطأ ، فيقيه الله ويغفر له .

وكان لقمان يكثر زيارة داود ويعظه بمواعظه ، وكان يقول له داود عليه‌السلام طوبى لك يا لقمان اوتيت الحكمة وصرفت عنك البلية ، وأعطي داود عليه‌السلام الخلافة وابتلي بالخطأ والفتنة .

فوعظ لقمان ابنه بالنار حتى تفطر وانشق ، وكان فيما وعظه ان قال : يا بني انك منذ سقطت الى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة ، فدار انت اليها تسير اقرب اليك من دار أنت عنها متباعد، يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ولا تجادلهم فيمنعوك، وخذ من الدنيا بلاغاً ولا ترفضها فتكون عيالاً على الناس ، وصم صوماً يقطع شهوتك ولا تصم صياماً يمنعك من الصلاة،فإن الصلاة احب الى الله من الصيام، يا بني ان الدنيا بحر عميق قد هلك فيها عالم كثير ، فاجعل سفينتك فيها الايمان واجعل شراعها التوكل واجعل زادك فيها تقوى الله ، فإن نجوت فبرحمة الله وإن هلكت فبذنوبك ، يا بني إن تأدبت صغيراً انتفعت به كبيراً ، يا بني خف الله خوفاً لو اتيت يوم القيامة ببر الثقلين خفت ان يعذبوك، وإرج الله رجاءاً لو وافيت القيامة بذنوب الثقلين ورجوت ان يغفر الله لك.

فقال له ابنه : يا أبت وكيف أطيق هذا وإنما لي قلب واحد فقال يا بني لو

استخرج قلب المؤمن فشق ، لوجد فيه نوران ، نور للخوف ونور للرجاء ، لو وزنا ما رجح احدهما على الآخر مثقال ذرة ، يا بني لا تركن الى الدنيا ولا تشغل قلبك بها ، فما خلق الله خلقاً هو اهون عليه منها ، ألا ترى انه لم يجعل نعيمها ثواباً للمطيعين ولم يجعل بلاءها عقوبة للعاصين .

وعن ابي عبد الله عليه‌السلام قال : كان فيما اوصى به لقمان ابنه ناتان ان قال له يا بني ليكن مما تتسلح به على عدوك فتصرعه: المماسحة — أي المصادقة وإعلان الرضا عنه — ولا تزاوله بالمجانبة فيه ، فيبدو له ما في نفسك فيتأهب لك ، يا بني اني حملت الجندل والحديد وكل حمل ثقيل فلم احمل شيئاً اثقل من جار السوء ، وذقت المرارات كلها فلم اذق شيئاً امر من الفقر ، يا بني إتخذ الف صديق وألف قليل ولا تأخذ عدواً واحداً ، والواحد كثير .

فقال امير المؤمنين عليه‌السلام :

تكثر من الاخوان ما اسطعت انهم — عماد اذا ما استنجدوا وظهور
وليس كثير الف خل وصاحب — وان عدواً واحداً لكثير

وقال امير المؤمنين عليه‌السلام : كان فيما وعظ به لقمان ابنه ان قال له : يا بني ليعتبر من قصر يقينه وضعفت نيته في طلب الرزق ان الله تبارك وتعالى خلقه في ثلاثة احوال من امره واتاه رزقه ولم يكن له في واحدة منها كسب ولا حيلة ، والله تبارك وتعالى سيرزقه في الحالة الرابعة . واما اول ذلك : فكان في رحم امه يرزقه هناك في قرار مكين حيث لا يؤذيه حر ولا برد ، ثم اخرجه من ذلك واجرى له رزقاً من لبن امه يكفيه به ويربيه من غير حول ولا قوة ، ثم فطم من ذلك فأجرى له رزقاً من كسب ابويه ورأفة له من قلوبهما لا يملكان غير ذلك ، حتى انهما يؤثرانه على انفسهما في أحوال كثيرة حتى اذا كبر وعقل واكتسب وضاق به امره ، وظن الظنون بربه وجحد الحقوق في ماله وقتر على نفسه وعياله ، مخافة إقتار رزق وسوء يقين بالخلف من الله له ، في العاجل والآجل ! فبئس العبد هذا يا بني .

ثم قال : يا بني ان تك في شك من الموت فادفع من نفسك النوم ولن تستطيع ذلك ، وإن كنت في شك من البعث فادفع عن نفسك الانتباه ولن تستطيع ذلك ، فانك اذا نكرت في هذا علمت ان نفسك بيد غيرك ، وإنما النوم بمنزلة الموت وإنما

اليقظة بعد النوم بمنزلة البعث بعد الموت ، يا بني لا تقترب فيكون أبعد لك ولا تبتعد فتهان ، كل دابة تحب مثله وابن آدم لا يحب مثله لا تنشر برك إلا عند باغيه ، يا بني لا تتخذ الجاهل رسولاً ، فإن لم تصب عاقلاً حكيماً يكون رسولك فكن انت رسول نفسك ، فإذا تحيرتم في طريقكم فانزلوا وإذا شككتم بالقصد فقفوا وتوامروا ، وإذا رأيتم شخصاً واحداً فلا تسألوه عن طريقكم ولا تسترشدوه ، فإن الشخص الواحد في الفلاة مريب لعله ان يكون عيناً للصوص او يكون هو الشيطان الذي يحيركم ، واحذروا الشخصين ايضاً إلا ان تروا ما لا أرى ، فإن العاقل اذا بصر بعينه شيئاً عرف الحق منه والشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، يا بني فإذا جاء وقت الصلاة فلا تأخرها لشيء وصلها واسترح منها ، فإنها دين ، وصل في جماعة ولو على رأس زج ولا تنامن على دابتك ، فإن ذلك سريع في دبرها وليس ذلك من فعل الحكماء إلا أن تكون في محل يمكنك التمدد لاسترخاء المفاصل ، وإذا قربت من المنزل فانزل عن دابتك وابدأ بعلفها قبل نفسك ، وإذا نزلت فصل ركعتين قبل ان تجلس وإذا أردت قضاء حاجة فابعد المذاهب في الارض ، وإذا ارتحلت فصل ركعتين وودع الارض التي حللت بها وسلم عليها وعلى اهلها ، فان لكل بقعة أهلاً من الملائكة ، وإياك والسير من اول الليل وعليك بالتعريس والدلجة من لدن نصف الليل الى آخره ، وإياك ورفع الصوت في مسيرك .

وقال أمين الاسلام الطبرسي : اختلف في لقمان :

فقيل : انه كان حكيماً ولم يكن نبياً . عن ابن عباس واكثر المفسرين .

وقيل : انه كان نبياً .

وقيل : انه كان عبداً اسوداً حبشياً غليظ المشافر مشقوق الرجلين في زمن داود عليه السلام .

وقال له بعض الناس : ألست كنت ترعى الغنم معنا فمن أين اوتيت الحكمة ؟ قال: اداء الأمانة وصدق الحديث والصمت عما لا يعنيني .

وقيل : انه كان ابن اخت ايوب .

وقيل : ابن خالته .

وعنه صلى الله عليه وآله : لم يكن لقمان نبياً ولكنه كان عبداً كثير التفكر حسن اليقين ، احب الله فأحبه ومن عليه بالحكمة .

وذكر : ان مولى لقمان دعاه فقال : إذبح شاة فأتني بأطيب مضغتين منها فأتاه بالقلب واللسان ، ثم امره بذبح شاة فقال له : إئتني بأخبث مضغتين منها فأتاه بالقلب واللسان ، فسأله عن ذلك فقال : انهما اطيب شيء اذا طابا ، وأخبث شيء اذا خبثا.

وروي : ان مولاه دخل المخرج فأطال الجلوس ، فناداه لقمان : ان طول الجلوس على الحاجـة يفجع منه الكبد ويورث الباسور ويصعد الحرارة الى الرأس ، فاجلس هوناً وقم هوناً .

قال : فكتب حكمته على باب الحشر .

وروي : انه قدم من سفر فلقي غلامه في الطريق فقال : ما فعل ابي ؟ قال مات قال : ملكت امري ، قال : مـا فعلت امرأتي ؟ قال ماتت ، قال اجدد فراشي ، قال : ما فعلت اختي ؟ قال ماتت ، قال : سترت عورتي ، قال : مـا فعل اخي ؟ قال مات ، قال : إنقطع ظهري .

وقيل له : ما اقبح وجهك ، قال تعيب على النقش او على فاعل النقش .

وروي : انه دخل على داود وهو يسرد الدرع ، وقـد لين الله له الحديد كالطين فأراد ان يسأله فأدركته الحكمة فسكت، فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت، فقال الصمت حكمة وقليل فاعله ، فقال له داود بحق ما سميت حكيماً .

وقال المسعودي : كان لقمان نوبياً مولى للقين بن حر ، ولد على عشرة سنين من ملك داود عليه السلام وكان عبداً صالحاً ومن الله عليه بالحكمة ، ولم يزل في فيـافي الارض مظهراً للحكمة والزهد في هذا العالم الى ايام يونس بن متى ، حتى بعث الى أهل نينوى من بلاد الموصل .

ومن حكمته انه قال : يا بني ان الناس قد اجمعوا قبلك لأولادهم فلم يبق ما جمعوا ولا من جمعوا له ، وإنما انت عبد مستأجر قد امرت بعمل ووعدت عليه أجراً فأوفه عملك واستوف أجرك ولا تكن في هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت في زرع اخضر فأكلت حتى سمنت ، فكان حتفها عند سمنها . ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جزت عليها وتركتها ولم ترجع اليها آخر الدهر ، اخربها ولا تعمرها فإنك لم تؤمر بعمارتها . واعلم انك ستسأل غداً اذا وقفت بين يدي الله عز وجل عن اربع : شبابك فـيما ابليته ؟ وعمرك فيما افنيته ؟ ومالك ممـا اكتسبته ؟ وفيما انفقته فتأهب لذلك واعد له جواباً .

وقال لقمان : لان يضر بك الحكيم فيؤذيــك ، خير من يدهنك الجاهل بدهن طيب ، يا بني لا تطأ امتك ولو أعجبتك وانه نفسك عنها وزوجها ، يا بني لا تفشين سرك الى امرأتك ولا تجعل مجلسك على باب دارك ، يا بني تعلمت سبعة آلاف من الحكمة ، فاحفظ منها أربعاً وسر معي الى الجنة : احكم سفينتك فان بحرك عميق ، وخفف حملك فان العقبة كؤود ، وأكثر الزاد فان السفر بعيد ، واخلص العمل فان الناقد بصير . (بيان التنزيل) لابن شهر آشوب قال : أول ما ظهر من حكم لقمان ان تاجراً سكر وخاطر نديمه أن يشرب ماء البحر كله وإلا سلم اليه ماله واهله ! فلما اصبح وصحا ندم وجعل صاحبه يطالبه بذلك ! فقال لقمان : انا اخلصك بشرط ان لا تعود الى مثله، قل له : أأشرب ماء الذي كان فيه وقت، افادتي به أو اشرب ماءه الآن ؟ فسد افواهه لأشربه ، أو اشرب الماء الذي يأتي به فأصبر حتى يأتي فأمسك صاحبه عنه .

واما قصة أشمونيل وطالوت وجالوت

ففي (تفسير) علي بن ابراهيم باسناده الى ابي جعفر عليه‌السلام : ان بني اسرائيل بعد موسى عملوا بالمعاصي وغيروا دين الله وعتوا عن أمر ربهم ، وكان فيهم نبي يأمرهم وينهاهم فلم يطيعوه .

وروي : انه ارميا النبي ، فسلط الله عليهم جالوت وهو من القبط فأذلهم وقتل رجـالهم واخرجهم من ديارهم وسلب أموالهم واستعبد نساءهم ، ففزعوا الى نبيهم وقالوا اسأل الله ان يبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، وكانت النبوة في بني اسرائيل في بيت ، والملك والسلطان في بيت آخر ، لم يجمع الله لهم الملك والنبوة في بيت . فمن ذلك قالوا ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله فقال لهم نبيهم هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا ؟ قالوا وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وأبنائنا .

وكان كما قال الله تبارك وتعالى : (فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم فقال لهم نبيهم : ان الله قد بعث لكم طالوت ملكاً) فغضبوا من ذلك وقالوا انى يكون له الملك علينا ! ولم يؤت سعة من المال .

وكانت النبوة في ولد لاوي ، والملك في ولد يوسف ، وكان طالوت من ولد ابن يامين أخي يوسف لأمه ، لم يكن من بيت النبوة ولا من بيت المملكة .

فقال لهم نبيهم ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء وكان اعظمهم جسماً وكان شجاعاً قوياً وكان اعلمهم ، إلا انه كان فقيراً فعابوه بالفقر ! فقالوا لم يؤت سعة من المال فقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك موسى وآل هارون تحمله الملائكة وكان التابوت الذي انزله الله على ام موسى فوضعته فيه أمه والقته في اليم ، فكان بنو اسرائيل يتبركون به .

فلما حضرت موسى عليه السلام الوفاة وضع فيه الألواح ودرعه وما كان عنده من آيات النبوة واودعه يوشع وصيه ، فلم يزل التابوت بينهم حتى استخفوا به ، وكان الصبيان يلعبون به في الطرقات ، فلم يزل بنو اسرائيل في عز وشرف ما دام التابوت عندهم ، فلما عملوا بالمعاصي واستخفوا بالتابوت ، رفعه الله منهم .

فلما سألوا النبي وبعث الله اليهم طالوت ملكاً يقاتل معهم ، رد الله عليهم التابوت كما قال الله تعالى : (ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة .

قال : البقية ميراث الأنبياء .

قوله : (فيه سكينة من ربكم) فان التابوت كان يوضع بين يدي العدو وبين المسلمين ، فيخرج منه ريح طيبة لها وجه كوجه الانسان .

وعن الرضا عليه السلام قال : السكينة ريح من الجنة لها وجه كوجه الانسان ، وكان التابوت اذا وضع بين يدي المسلمين والكفار ، فان تقدم التابوت رجل لا يرجع حتى يقتله او يغلب ، ومن رجع عن التابوت وقتله الإمام .

فأوحى الله الى نبيهم : ان جالوت يقتله من يستوي عليه موسى عليه السلام وهو رجل من ولد لاوي بن يعقوب اسمه داود بن آشي راعياً ، وكان له عشرة بنين أصغرهم داود .

فلما بعث طالوت الى بني اسرائيل وجمعهم لحرب جالوت بعث الى آشي ان احضر واحضر ولديك فلما حضر ودعا واحداً من ولده فألبسه الدرع ، درع موسى

عليه‌السلام فمنهم من طالت عليه ومنهم من قصرت عنه ، فقال آشي : هل خلفت من ولدك احداً ؟ قال : نعم أصغرهم تركته في الغنم راعياً . فبعث الله اليه فجاء به ، فصارعاه، اقبل ومعه مقلاع، فنادته ثلاث صخرات في طريقه فقالت : يا داود خذنا، فأخذها في مخلاته ، وكان شديد البطش قوياً .

فلما جاء الى طالوت البسه درع موسى عليه‌السلام فاستوى عليه ، ففصل طالوت بالجنود ، (وقال لهم نبيهم : يا بني اسرائيل ان الله مبتليكم بنهر – في هذه المفازة – فمن شرب منه فليس من الله ومن لم يشرب فهو من الله إلا من اغترف غرفة بيده).

فلما وردوا النهر اطلق الله لهم ان يغرف كل واحد منهم غرفة ، فشربوا منه إلا قليلاً منهم ، فالذين شربوا كانوا ستين الفاً، والقليل الذين لم يشربوا ولم يغترفوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا .

فلما جاوزوا النهر ونظروا الى الجنود (قال الذين شربوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وقال الذين لم يشربوا ربنا افرغ علينا صبراً وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) .

فجاء داود فوقف بحذاء جالوت ، وكان جالوت على الفيل وعلى رأسه التاج وفي جبهته ياقوتة يلمع نورها وجنوده بين يديه ، فأخذ داود من تلك الاحجار حجراً فرمى به ميمنة جالوت فمر في الهواء ووقع عليهم فانهزموا ، وأخذ حجراً آخر فرمى به ميسرة جالوت فانهزموا ، ورمى جالوت بحجر فصكت الياقوتة في جبهته ووصلت الى دماغه ووقع الى الأرض ميتاً .

وهو قوله : (فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت) .

وقال أمين الاسلام الطبرسي في قوله : (إذ قال لهم نبيهم) اختلف في ذلك النبي :

فقيل : اسمه شمعون بن صفية من ولد لاوي .

وقيل : هو يوشع .

وقيل : هو أشموئيل ، وهو بالعربية اسماعيل ، عن اكثر المفسرين .

وهو المروي عن أبي جعفر عليه‌السلام .

وقوله : (ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله) فاختلف في سبب سؤالهم .

فقيل : كان سببه استدلال الجبابرة لهم لما ظهروا على بني اسرائيل وغلبوهم على كثير من ديارهم بعد ان كانت الخطايا كثرت في بني اسرائيل ، فبعث لهم اشموئيل نبياً فقالوا له إن كنت صادقاً (إبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله) .

وقيل أرادوا العمالقة ، فسألوا ملكاً يكون أميراً عليهم .

وعن أبي الحسن عليه السلام قال : السكينة ريح تخرج من الجنة لها صورة كصورة الانسان ورائحة طيبة ، وهي التي أنزلت على ابراهيم صلوات الله عليه فأقبلت تدور حول أركان البيت وهو يضع الأساطين ، وهذه السكينة كانت في التابوت وكان فيها طشت يغسل فيها قلوب الأنبياء ، وكان التابوت يدور في بني اسرائيل مع الأنبياء عليهم السلام .

ثم أقبل علينا فقال : فما تابوتكم ؟ قلنا السلاح ، قال نعم هو تابوتكم .

وعنه عليه السلام قال : كان تابوت موسى عليه السلام ثلاثة أذرع في ذراعين وكان فيه عصا موسى ، والسكينة روح الله يتكلم ، كانوا إذا اختلفوا في شيء ، كلمهم واخبرهم ببيان ما يريدون .

وروي : انه لما غلب الأعداء على التابوت ادخلوه بيت الأصنام ، فأصبحت أصنامهم منكسة ، فأخرجوه ووضعوه في ناحية من المدينة ، فأخذهم وجع في أعناقهم وكل موضع وضعوه ظهر فيه بلاء وموت ووباء ، فأشير عليهم بأن يخرجوا التابوت فاجتمع رأيهم ان يأتوا به ويحملوه على عجلة ويشدوها الى ثورين ففعلوا ذلك وارسلوا الثورين ، فجاءت الملائكة وساقوا الثورين الى بني اسرائيل .

وقال ابن الأثير في (الكامل) : لما انقطع إليا عن بني اسرائيل ، بعث الله اليسع وكان فيهم ، ثم قبض ، وعظمت فيه الأحداث وعندهم التابوت يتوارثونه ، فيه السكينة ، فكانوا لا يلقاهم عدو فيقدمون التابوت إلا انهزم العدو ، وكانت السكينة شبيهة برأس الهر ، فاذا صرخ في التابوت بصراخ الهر ، أيقنوا بالنصر .

فلما عظم احداثهم نزل بهم عدو ، فخرجوا اليه وأخرجوا التابوت ، فاقتتلوا فغلبهم عدوهم على التابوت وأخذه منهم وانهزموا ! فمات ملكهم تحسراً ! ودخل العدو أرضهم ونهب وسبى وعادوا فملكوا على اضطراب من امرهم واختلاف .

وكان مدة ما بين وفاة يوشع الى ان رجعت النوبة الى شموئيل ستين سنة .

وكان من خبر أشموئيل : ان بني اسرائيل لما طال عليهم البلاء وطمع فيهم واخذ التابوت عنهم ، فصاروا لا يلقون ملكاً إلا خائفين .

فقصدهم جالوت ملك الكنعانيين وكان ملكه ما بين مصر وفلسطين ، فظفر بهم وضرب عليهم الجزية وأخذ منهم التوراة فدعوا الله أن يبعث لهم نبياً يقاتلون معه وكان سبط النبوة هلكوا ولم تبق فيهم غير امرأة حبلى ، فحبسوها في بيت ، رهبة ان تلد جارية ، فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها، فولدت غلاماً ، سمته أشموئيل ، ومعناه سمع الله دعـائي .

وسبب تسميته : انها كانت عاقراً وكان لزوجها امرأة أخرى قد ولدت له عشرة اولاد ، فبغت عليها بكثرة أولادها فانكسرت العجوز ودعت الله أن يرزقهـا ولداً فرحم الله تعالى انكسارها وحاضت لوقتها وقربت زوجها فحملت ، فولدت غلامـاً سمته اشموئيل ، فأرسلته الى بيت المقدس يتعلم التوراة وكفله شيخ من علمائهم .

فلما بلغ بعثه الله تعالى نبياً الى قومه فكذبوه تارة وأطاعوه أخرى ، فأقام يدير أمرهم أربعين سنة ، وكانت العمالقـة مع ملكهم جالوت قد عظمت مكانتهم في بني اسرائيل حتى كادوا يهلكونهم .

فلما رأى بنو اسرائيل ذلك ، قالوا (ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله) فدعا الله فأرسل لهم طالوت .

فلما قتل داود جالوت ، اعطاه طالوت ابنته وزوجها .

وعن أبي عبدالله عليه السلام : إنما مثل السلاح فينا مثل التابوت في بني اسرائيل — أي كل من وجد التابوت على بابهم — اوتوا النبوة ، فمن صار اليـه السلاح منا أوتي الامامة .

(كنز الفوائد) ذكروا ان الوليد بن عبد الملك احتاج الى رصاص ايام بنـاء مسجد دمشق ، فقيل ان في الاردن منارة فيها رصاص ؛ فبعث اليها .

فلما أخذ في حفرهـا ضرب رجل بمعول فأصاب رجلاً في سفط وناله المعول فسال دمه ! فقيل هذا طالوت الملك ، فتركه ولم يخرجه .

باب

قصص داود عليه السلام

وفيه فصول :

الفصل الأول

في عمره ووفاته وفضائله وما آتاه الله تعالى ، وفيه قصة اوريا

(الكافي) باسناده الى أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : مات داود النبي عليه السلام يوم السبت مفجوءاً ، فأظلته الطير بأجنحتها .

(معاني الأخبار) معنى داود انه داوى جرحه بود .

وقيل : داوى ودّه بالطاعة حتى قيل عبد .

(وعن أبي جعفر عليه السلام) قال : ان الله تبارك وتعالى لم يبعث الأنبياء ملوكاً في الأرض إلا أربعة بعد نوح : ذو القرنين واسمه عياش وداود وسليمان ويوسف عليهم السلام .

فأما عياش : فملك ما بين المشرق والمغرب .

وأما داود : فملك ما بين الشامات الى بلاد اصطخر . وكذلك كان ملك سليمان .

وأما يوسف : فملك مصر وبراريها . لم يجاوزها الى غيرها .

(تفسير علي بن ابراهيم) (يا جبال اوبي معه) - أي سبحي الله - (والطير وألنا له الحديد) قال : كان داود عليه السلام اذا مر في البراري يقرأ الزبور ، تسبح الجبال والطير معه والوحوش وألان الله له الحديد مثل الشمع، حتى كان يتخذ منه ما احب .

قال الصادق عليه السلام : اطلبوا الحوائج يوم الثلاثاء ، فانه اليوم الذي ألان الله فيه الحديد لداود عليه السلام .

وقوله : (ان اعمل سابغات) قال : الدروع ، وقدر في السرد المسامير التي في الحلقة .

وقال امين الاسلام الطبرسي في قوله تعالى: « يا جبال اوبي معه » أي قلنا للجبال: يا جبال سبحي معه . قالوا : امر الله الجبال ان تسبح معه اذا سبح ، فسبحت معه .

ويجوز أن يكون سبحانه فعل في الجبال ما يأتي به منها التسبيح معجزاً له .

وأما الطير : فيجوز ان يسبح ويحصل له من التمييز ما سيأتي منه ذلك بان يزيد في فطنته فيفهم ذلك .

وقال بعض المتأخرين ، يمكن ان يكون تسبيح الجبال كناية عن تسبيح الملائكة الساكنين بها ، او بأن خلق الله الصوت فيها أو على القول بأن للجمادات شعور .

(قال) مؤلف الكتاب نعمة الله الموسوي الحسيني ايده الله تعالى : إنا ذكرنا في كثير من مؤلفاتنا القول : بأن الطيور والحيوانات لها نفوس ناطقة داركة وحكيناه عن كثير من قدماء الحكماء بالبراهين والدلائل والأحاديث المستفيضة ، بل المتواترة دالة على ادراكها وان لها من الادراك والشعور مما تزيد على كثير من الناس وظاهر الآيات شاهد به . وكذلك في الأحاديث شهادة ودلالة على ان للجمادات نوعاً من الادراك والشعور تسبح لخالقها وتطيعه بلسان مقالها ، مثل لسان حالها .

حتى ان جماعة من محققي المفسرين واهل الحديث قالوا : ان إعجاز النبي صلى الله عليه وآله كان تسبيح الحصا بيده هو اسماع الحاضرين ذلك التسبيح وإلا فالتسبيح حاصل في الحصا وغيره (وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) .

وقد أطلنا الكلام في هذا المقام في كتاب (زهر الربيع) وفي شرحينا على كتابي (التوحيد ، وعيون الأخبار) للصدوق .

(قصص الأنبياء) للفاضل الراوندي ، باسناده الى أبي عبدالله عليه السلام قال : ان داود عليه السلام كان يدعو أن يعلمه الله القضاء بين الناس بما هو عنده تعالى الحق، فأوحى الله اليه : يا داود ان الناس لا يحتملون ذلك واني سأفعل .

وارتفع اليه رجلان ، فاستدعا احدهما على الآخر ، فأمر المستدعى عليه ان يقوم المستدعي فيضرب عنقه ففعل .

فاستعظمت بنو اسرائيل ذلك ! وقالت رجل جاء يتظلم من رجل ، فأمر الظالم ان يضرب عنقه ! فقال صلوات الله عليه : (رب إنقذني من هذه الورطة) .

قال : فأوحى الله تعالى اليه : يا داود سألتني ان الهمك القضاء بين عبادي بما هو عندي الحق ، وان هذا المستعدي قتل ابا هذا المستعدى عليه ، فأمرت فضربت عنقه فوداه بأبيه وهو مدفون في حائط كذا وكذا تحت شجرة كذا فأته فناده باسمه ، فانه سيجيبك فسله .

قال : فخرج داود عليه السلام وقد فرح فرحاً شديداً ، فقال لبني اسرائيل : قد فرج الله ، فمشى ومشوا معه فانتهى الى شجرة ، فنادى : يا فلان ! فقال لبيك يا نبي الله ، قال من قتلك ؟ قال فلان .

قال بنو اسرائيل ، لسمعناه يقول يا نبي الله فنحن نقول يا نبي الله كما قال !! فأوحى الله تعالى اليه : يا داود ان العباد لا يطيقون الحكم بما هو عندي الحكم ، فسل المدعي البينة واضف المدعى الى اسمي .

(وعن أبي عبدالله عليه السلام) قال : كان على عهد داود عليه السلام سلسلة يتحاكم الناس اليها ، وان رجلا اودع رجلا جواهر ، فجحده اياها ! فدعاه الى السلسلة ، فذهب معه اليها وأدخل الجوهر في قناة ،فلما أراد ان يتناول السلسلة قال له امسك هذه القناة حتى أخذ السلسلة فأمسكها ، ودنا الرجل من السلسلة فتناولها واخذها وصارت في يده ، فأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام : احكم بينهم بالبينات واضفهم الى اسمي يحلفون به ، ورفعت السلسلة .

(العياشي) عن أبي جعفر عليه السلام قال : ان الله تبارك وتعالى اهبط ظللاً من الملائكة على آدم عليه السلام وهو بوادي الروحا بين الطائف ومكة ، ثم صرخ بذريته

وهم ذر ، فخرجوا كما يخرج النمل من كورها ، فاجتمعوا على شفير الوادي ، فقال الله لآدم أنظر ماذا ترى ؟ فقال آدم : ذراً كثيراً ، فقال الله يا آدم هؤلاء ذريتك أخرجتهم من ظهرك لأخذ عليهم الميثاق بالربوبية ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة ، كما أخذته عليهم في السماء ، قال آدم : يا رب أو كيف أوسعتهم ظهري ؟ قال الله : يا آدم بلطف صنعي ، قال آدم عليه السلام فما تريد منهم في الميثاق ؟ قال : أن لا يشركوا بي شيئاً فمن أطاعني اسكنه جنتي ، ومن عصاني اسكنه ناري ، قال يا رب لقد عدلت فيهم وليعصينك أكثرهم ان لم تعصمهم .

قال أبو جعفر عليه السلام : عرض على آدم عليه السلام أسماء الأنبياء عليهم السلام واعمارهم ، فمر بإسم داود فاذا عمره أربعون سنة ، فقال آدم عليه السلام يا رب وما أقصر عمر داود وأكثر عمري ؟ يا رب زدت داود من عمري ثلاثين سنة أتكتب ذلك له ؟ قال : نعم ، قال اني زدته من عمري ثلاثين سنة فاثبتها له وإطرحها من عمري ! فأثبتها الله لداود ومحاها من آدم .

فذلك قوله (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب) .

فلما دنا عمر آدم هبط عليه ملك الموت ليقبض روحه فقال يا ملك الموت قد بقي من عمري ثلاثون سنة ، فقال ألم تجعلها لابنك داود وأنت بوادي الروحا ؟ فقال آدم عليه السلام يا ملك الموت ما أذكر هذا ، فقال يا آدم لا تجهل ، ألم تسأل الله أن يثبتها لداود ويمحوها من عمرك ؟ قال آدم فاحضر الكتاب حتى اعلم ذلك ، وكان آدم صادقاً لم يذكر .

فمن ذلك اليوم أمر الله العباد أن يكتبوا بينهم إذا تداينوا وتعاملوا إلى أجل مسمى ، لنسيان آدم عليه السلام وجحود ما جعل على نفسه .

أقول : في كثير من الأخبار انه زاد في عمر داود ستين سنة تمام المئة سنة وهو اوفق بسائر الأخبار .

(من لا يحضره الفقيه) قال أبو جعفر عليه السلام : دخل علي عليه السلام المسجد ، فاستقبله شاب وهو يبكي وحوله قوم يسكتونه ، فقال له علي عليه السلام ما أبكاك ؟ فقال يا أمير المؤمنين أن شريحاً قضى عليّ بقضية ما أدري ما هي ، ان هؤلاء النفر خرجوا بأبي في سفرهم فرجعوا ، ولم يرجع أبي ! فسألتهم عنه فقالوا مات فسألتهم عن ماله ،

فقالوا ما ترك مالاً ، فقدمتهم إلى شريح فاستحلفهم ! وقد علمت يا أمير المؤمنين أن أبي خرج ومعه مال كثير فقال ارجعوا فردهم جميعاً والفتى معهم إلى شريح .

فقال : يا شريح كيف قضيت بين هؤلاء ؟ فحكى له ، فقال : يا شريح هيهات هكذا تحكم في مثل هذا ، والله لأحكمن فيهم بحكم ما حكم به قبلي إلا داود النبي عليه السلام يا قنبر إدع لي شرطة الخميس فدعاهم ، فوكل بكل رجل منهم رجلاً من الشرطة ، ثم نظر أمير المؤمنين عليه السلام إلى وجوههم فقال أتقولون اني لا أعلم ما صنعتم بأبي هذا الفتى اني اذاً لجاهل ، ثم قال فرقوهم وغطوا رؤسهم ففرق بينهم واقيم كل واحد منهم الى اسطوانة من اساطين المسجد ورؤسهم مغطاة بثيابهم ، ثم دعا بعبيد الله بن ابي رافع كاتبه ، فقال هات صحيفة ودواة وجلس عليه السلام في مجلس القضاء واجتمع الناس اليه ، فقال اذا انا كبرت فكبروا ، ثم قال للناس افرجوا ، ثم دعا بواحد منهم فأجلسه بين يديه فكشف عن وجهه ، ثم قال لعبيد الله اكتب قراره وما يقول ، ثم أقبل عليه بالسؤال فقال في أي حين خرجتم من منازلكم وابو هذا الفتى معكم فقال في يوم كذا وشهر كذا ، ثم قال والي أين بلغتم من سفركم حين مات ؟ قال الى موضع كذا ، قال وفي أي منزل مات ؟ قال في منزل فلان بن فلان ، قال وما كان مرضه ؟ قال كذا وكذا ، قال كم يوماً مرض ؟ قال كذا وكذا يوماً ، قال فمن يمرضه وفي أي يوم مات ومن غسله ومن كفنه وبما كفنتموه ومن صلى عليه ومن نزل قبره ؟ .

فلما سأله عن جميع ما يريد ، كبر وكبر الناس معه ! فارتاب اولئك الباقون ولم يشكوا ان صاحبهم قد اقر عليهم وعلى نفسه ، فأطرق يغطي رأسه .

ثم دعا بآخر ، فأجلسه بين يديه وكشف عن وجهه ، ثم قال كلا زعمت اني لا أعلم ما صنعتم ، فقال يا أمير المؤمنين ما أنا إلا واحد من القوم ولقد كنت كارهاً لقتله ! فأقر .

ثم دعا بواحد بعد واحد ، وكلهم يقر بالقتل ، وأخذ المال ، ثم رد الأول فأقر أيضاً ، فألزمهم المال والدية .

وقال شريح يا أمير المؤمنين وكيف كان حكم داود ؟ فقال ان داود النبي عليه السلام مر بغلمة يلعبون وينادون بعضهم مات الدين ! فدعا منهم غلاماً ، فقال يا غلام ما اسمك ؟ فقال اسمي مات الدين سمتني به أمي .

فانطلق الى أمه فقال لها من سماه بهذا الاسم ؟ قالت أبوه ، قال وكيف ذلك ؟ قالت ان أباه خرج في سفر له ومعه قوم وهذا الصبي حمل في بطني ، فانصرف القوم ولم ينصرف زوجي وقالوا مات ! قلت اين ماله ؟ قالوا لم يخلف مالاً ! فقلت اوصاكم بوصية ؟ قالوا نعم زعم انك حبلى فما ولدت سميه مات الدين فسميته ، فقال أتعرفين القوم الذين كانوا خرجوا مع زوجك ؟ قالت نعم وهم أحياء ، قال فانطلقي بنا اليهم ثم مضى معها فاستخرجهم من منازلهم ، فحكم بينهم بهذا الحكم ، فثبت عليهم المال والدم ، ثم قال للمرأة سمي ابنك عاش الدين .

(وعن أبي عبدالله عليه السلام) قال : أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام : انك نعم العبد لولا انك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئاً .

قال : فبكى داود عليه السلام ، فأوحى الله تعالى الى الحديد ان لن لعبدي داود ، فألان الله له الحديد ، فكان يعمل كل يوم درعاً فيبيعها بألف درهم ، فعمل ثلثماة وستين درعاً ، فباعها بثلثماة وستين ألفاً ، واستغنى عن بيت المال .

(بشارة المصطفى) عن ابي عبدالله عليه السلام قال : اذا قام قائم آل محمد عليهم السلام حكم بين الناس بحكم داود لا يحتاج الى بينة ، يلهمه الله تعالى .

وقال صاحب (الكامل) كان داود بن ايشا من أولاد يهودا ، فلما قتل طالوت اتى بنو اسرائيل داود وأعطوه خزائن طالوت وملكوه عليهم .

فلما ملك جعله الله نبياً ملكاً وانزل عليه الزبور وأمر الجبال والطير أن يسبحن معه اذا سبح ، ولم يعط الله أحداً مثل صوته ، كان اذا قرأ الزبور تدنو الوحش حتى يأخذ بأعناقها ، وكان يقوم الليل ويصوم النهار ونصف الدهر ، فكان يحرسه كل يوم ليلة أربعة آلاف ، وكان يأكل من كسب يده .

قيل : أصاب الناس في زمن داود عليه السلام طاعون جارف ـ يعني عاماً ـ فخرج بهم الى موضع بيت المقدس ، وكان يرى الملائكة تعرج منه الى السماء فلهذا قصده ليدعو فيه .

فلما وقف موضع الصخرة دعا الله تعالى في كشف الطاعون عنهم فاستجاب الله ورفع الطاعون ، فاتخذوا ذلك الموضع مسجداً وكان الشروع في بنائه لاحد عشر سنة مضت من ملكه ، وتوفي قبل ان يستتم بناؤه وأوصي الى سليمان بإتمامه .

ثم ان داود عليه السلام توفي ، وكانت له جارية تغلق الأبواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح ويقوم الى عبادته ، فأغلقتها ليلة فرأت في الدار رجلاً ، فقالت من ادخلك الدار ؟ فقال : انا الذي ادخل على الملوك بغير اذن ، فسمع داود قوله فقال : انت ملك الموت ، فهلا ارسلت إلي فأستعد للموت ؟ قال قد أرسلت اليك كثيراً ، قال : من كان رسولك ؟ قال اين ابوك وأخوك وجارك ومعارفك ؟ قال ماتوا ، قال فهم رسلي اليك بأنك تموت كما ماتوا ، ثم قبضه .

فلما مات ورث سليمان ملكه ، وكان له تسعة عشر ولداً فورثه سليمان دونهم وكان عمر داود عليه السلام مائة سنة ومدة ملكه أربعين سنة .

(نهج البلاغة) وان شئت ثلثت بداود عليه السلام صاحب المزامير وقاري أهل الجنة ، فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده ويقول لجلسائه ايكم يكفيني بيعها ويأكل قرص الشعير من ثمنها .

أقول : في اللغة مزامير داود ما كان يتغنى به من الزبور وقد اعطي من طيب النغم ولذة ترجيع القراءة ما كانت الطيور لأجله تقع عليه وهو في محرابه والوحش تسمعه فتدخل بين الناس ولا تنفر منهم لما قد استغرقها من طيب صوته .

(الكافي) عن ابي عبدالله عليه السلام قال : ان داود عليه السلام لما وقف الموقف بعرفة نظر الى الناس وكثرتهم فصعد الجبل فأقبل يدعو ، فلما قضى نسكه أتاه جبرئيل عليه السلام فقال له : يا داود يقول لك ربك : لم صعدت الجبل ظننت انه يخفى علي صوت من صوت ثم مضى به الى البحر الى جدة ، فرسب به في الماء مسيرة اربعين صباحاً في البر ، فإذاً صخرة ففلقها فإذا فيها دودة ، فقال : يا داود يقول لك ربك انا اسمع صوت هذه في بطن هذه الصخرة في قعر هذا البحر ، فظننت انه يخفى علي صوت من صوت .

(وعنه عليه السلام) قال : قال داود النبي عليه السلام : لأعبدن الله اليوم عبادة ولأقرأن قراءة لم أفعل مثلها قط ، فدخل محرابه ففعل ، فلما فرغ من صلاته اذا هو بضفدع في المحراب ، فقال له : يا داود اعجبك اليوم ما فعلت من عبادتك وقراءتك ؟ فقال : نعم ، فقالت ، لا يعجبك فاني اسبح الله في كل ليلة الف تسبيحة يتشعب لي مع كل تسبيحة ثلاثة آلاف تحميدة ، واني لأكون في قعر الماء فيصوت الطير في الهواء فاحسبه جائعاً ، فأطفوا له على الماء ليأكلني ، وما لي ذنب .

وأما قصته عليه السلام مع اوريا

(فروي علي بن ابراهيم في تفسيره) عن ابي عبدالله عليه السلام قال : ان داود عليه السلام لما جعله الله خليفة في الأرض وانزل عليه الزبور وأوحى الله عز وجل الى الجبال والطير ان يسجن معه وكان سببه : انه اذا صلى يقوم وزيره لما يفرغ من الصلاة فيحمد الله ويسبحه ويكبره ويهلله ثم يمدح الأنبياء عليهم السلاد نبياً نبياً ويذكر من فضلهم وأفعالهم وشكرهم في عبادتهم لله سبحانه والصبر على بلائه ، ولا يذكر داود . فنادى داود عليه السلام ربه فقال: يا رب قد أثنيت على الأنبياء،بما قد اثنيت عليهم ولا تثن علي؟ فأوحى الله عز وجل اليه: هؤلاء عباد ابتليتهم فصبروا وانا اثني علهم بذلك، فقال : يا رب فابتلني حتى اصبر فقال يا داود تختار البلاء على العافيه إني إبتليت هؤلاء فلم اعلمهم ، وانا ابتليتك واعلمك انه يأتيك بلائي في سنة كذا في يوم كذا .

وكان داود يفرغ نفسه لعبادته يوماً يقعد في محرابه ويوماً يقعد لبني اسرائيل فيحكم بينهم .

فلما كان في اليوم الذي وعده الله عز وجل فيه إشتدت عبادته وخلا في محرابه وحجب الناس عن نفسه ، فبينما هو يصلي فاذا طائر قد وقع بين يديه جناحاه من زبرجد أخضر ورجلاه من ياقوت احمر ومنقاره من اللؤلؤ والزبرجد ، فأجبه جداً ونسي ما كان فيه ، فقام ليأخذه ! فطار الطائر فوقع على حائط بين داود وبين اوريا وكان داود عليه السلام قد بعث اوريا في بعث ، فصعد داود عليه السلام الحائط ليأخذ الطير ، واذا امرأة جالسة تغتسل فلما رأت ظل داود نشرت شعرها وغطت به بدنها ، فنظر اليها داود عليه السلام وافتتن بها ورجع الى محرابه ونسي ما كان فيه .

وكتب الى صاحبه في ذلك البعث : ان يصيروا الى موضع كيت وكيت ويوضع التابوت بينهم وبين عدوهم فاذا رجع عنه انسان كفر ، ولا رجع احد عنه إلا ويقتل، فكتب داود الى صاحبه الذي بعثه ان ضع التابوت بينك وبين عدوك وقدم اوريا بين يدي التابوت فقدمه وقتل .

فلما قتل دخل عليه الملكان من سقف البيت وقعدا بين يديه ، ففزع داود منهما ، فقالا : لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط .

وكان لداود عليه السلام حينئذ تسعة وتسعون امرأة ، ما بين مهيرة الى جارية فقال احدهما لداود عليه السلام : (ان هذا اخي له تسعة وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال إكفلنيها وعزني في الخطاب) – أي ظلمني وقهرني – فقال داود عليه السلام (لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ...) الآية .

فضحك المستدعي عليه من الملائكة وقال حكم الرجل على نفسه، فقال داود عليه السلام تضحك وقد عصيت ! لقد هممت ان اهشم فاك .

قال : فعرجا ، فقال الملك المستعدي عليه : لو علم داود انه احق بهشم فيه مني ، ففهم داود الأمر وذكر الخطيئة .

فبقي اربعين يوماً ساجداً يبكي ليله ونهاره ولا يقوم إلا وقت الصلاة ، حتى انخرق جبينه وسال الدم من عينيه .

فلما كان بعد أربعين يوماً نودي : يا داود ما لك أجائع انت فنشبعك ؟ او ظمآن فنسقيك؟ ام عريان فنكسوك؟ ام خائف فنؤمنك ؟ فقال : إي رب وكيف لا أخاف وقد علمت وأنت الحكم العدل لا يجوزك ظلم ظالم ؟ فأوحى الله عز وجل اليه : تبت يا داود ؟ فقال : إي رب وأني لي بالتوبة ؟ قال : سر الى قبر اوريا حتى ابعثه اليك وأسأله ان يغفر لك ، فإن غفر لك غفرت لك ، قال : يا رب فإن لم يفعل ؟ قال : أستوهبك منه .

فخرج داود عليه السلام يمشي على قدميه ويقرأ الزبور حتى انتهى الى جبل وعليه نبي عابد يقال له حزقيل ، فلما سمع دوي الجبال وصوت السباع تسبح علم انه داود فقال : هذا النبي الخاطىء فقال داود : يا حزقيل تأذن لي أن أصعد اليك ؟ قال : لا فإنك مذنب .

فأوحى الله تعالى الى حزقيل : يا حزقيل لا تعير داود بخطيئته واسألني العافية فنزل حزقيل وأخذ داود واصعده اليه ، فقال داود : يا حزقيل هل هممت بخطيئة قط ؟ قال : لا ، قال : فهل دخلك العجب مما انت فيه من عبادة الله عز وجل ؟ قال : لا، قال : فهل ركنت الى الدنيا واحببت أن تأخذ من شهواتها ولذاتها ؟ قال : بلى ربما عرض ذلك بقلبي ، قال : فما تصنع ؟ قال ادخل هذا الشعب فأعتبر بما فيه .

فدخل داود عليه السلام الشعب فإذا بسرير من حديد عليه جمجمة بالية وعظام نخرة

وإذا لوح من حديد فيه مكتوب ، فقرأه داود فإذا فيه : انا اورى بن سلم ، ملكت الف مدينة وبنيت الف مدينة وافتضضت الف جارية ! فكان آخر أمري ان صار التراب فراشي والحجارة وسادي والحيات والديدان جيراني، فمن رآني فلا يغتر بالدنيا.

ومضى داود حتى أتى قبر اوريا ، فناداه فلم يجبه . ثم ناداه ، فلم يجبه . ثم ناداه ثالثة ، فقال اوريا : يا مالك يا نبي الله لقد شغلتني عن سروري وقرة عيني ، قال : يا اوريا اغفر لي خطيئتي ، فأوحى الله عز وجل : يا داود بين له ما كان منك، فناداه داود فأجابه في الثالثة فقال : يا اوريا فعلت كذا وكذا وكيت وكيت ، فقال اوريا: اتفعل الانبياء مثل هذا ؟ فناداه فلم يجبه ، فوقع داود على الارض باكياً فأوحى الله عز وجل الى صاحب الفردوس ليكشف عنه فكشف عنه ، فقال اوريا لمن هذا ؟ قال لمن غفر لداود خطيئته ، فقال يا رب قد وهبت لداود خطيئته .

فرجع داود الى بني اسرائيل وكان اذا صلى قام وزيره يحمد الله ويثني عليه ويثني على الانبياء عليهم السلام ، ثم يقول كان من فضل نبي الله داود عليه السلام قبل الخطيئة كيت وكيت .

فاغتم داود عليه السلام ، فأوحى الله عز وجل اليه : يا داود قد وهبت لك خطيئتك والزمت عار ذنبك بني اسرائيل، قال يا رب كيف وأنت الحكم الذي لا يجور ؟ قال: لأنه لم يعاجلوك النكير .

وتزوج داود عليه السلام بامرأة اوريا بعد ذلك ، فولد منها سليمان عليه السلام .

ثم قال الله عز وجل : (فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) .

وفي رواية ابي الجارود عن ابي جعفر عليه السلام : ان داود كتب الى صاحبه ان لا تقدم اوريا بين يدي التابوت ورده، فقدم اوريا الى اهله ومكث ثمانية ايام ثم مات.

أقول : هذا الحديث محمول على التقية لموافقته مذاهب العامة ورواياتهم وعدم منافاته لقواعدهم من جواز مثله على الأنبياء .

والأخبار الواردة برده كثيرة من طرقنا ، فلا مجال لتأويله ، إلا الحمل على التقية .

(عيون الأخبار) باسناده الى ابي الصلت الهروي قال : سأل الرضا عليه السلام علي بن محمد بن الجهم فقال ما يقول من قبلكم في داود عليه السلام فقال : يقولون ان داود كان في

محرابه يصلي إذ تصور له ابليس على صورة طير أحسن مـا يكون من الطيور ، فقطع داود صلاته وقام ليأخذ الطير ! فخرج الطير الى الدار فخرج في أثره فطار الطير الى السطح فصعد في طلبه ! فسقط الطير في دار اوريا بن حنان فاطلع داود في اثره، فإذا بامرأة اوريا تغتسل ،فلما نظر اليها هواها ، وكان قد اخرج اوريا في بعض غزواته ، فكتب الى صاحبه ان قدم اوريا أمام الحرب فقـدم اوريا فظفر اوريا بالمشركين . فصعب ذلك على داود ، فكتب اليه ثانية ان قدمه امام التابوت فقدم ، فقتل اوريا ، وتزوج بامرأته .

قـال : فضرب على جبهته وقال : إنا لله وإنا اليه راجعون ، لقد نسبتم نبياً من انبياء الله على التهاون بصلاته حـين خرج في اثر الطير ثم بالفاحشة ثم بالقتل . فقال يا بن رسول الله ما كانت خطيئته فقال: ويحك ان داود ظن ان ما خلق الله عز وجل خلقاً هو اعلم مني . فبعث الله عز وجل اليه الملكين فتسورا المحراب، فقالا : خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط وإهدنا الى سواء الصراط ، ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحـدة ، فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب فعجل داود عليه‌السلام على المدعى عليه فقال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ، ولم يسأل المدعي البينة على ذلك ولم يقبل على المدعى عليه فيقول له ما يقول . فكان هذا خطيئة داود ، لا ما ذهبتم اليه .

ألا تسمع الله عز وجل يقول : (يا داود إنا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بـين الناس بالحق ...) الآية .

فقال يا بن رسول الله فما قصته مع اوريا ؟ قال الرضا عليه‌السلام : ان المرأة في ايام داود عليه‌السلام كانت اذا مات بعلها او قتل لا تتزوج بعده ابداً ، وأول من أباح الله له ان يتزوج بامرأة قتل بعلها داود عليه‌السلام ، فتزوج بامرأة اوريا ، او قتل لا تتزوج لما قتل وانقضت عدتها منه . فذلك الذي شق على اوريا .

وعن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه‌السلام مـا تقول فيما يقول الناس في داود عليه‌السلام وامرأة اوريا ؟ فقال ذلك شيء تقوله العامة .

(وعنه عليه‌السلام) قال : لو أخذت احداً يزعم ان داود عليه‌السلام وضع يـده عليها لحددته حدين ، حداً للنبوة وحداً لما رماه به .

(العياشي) عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما بكى أحد بكاء ثلاثة : آدم ويوسف وداود .

أما آدم فبكى حين اخرج من الجنة ، وكان رأسه في باب من ابواب السماء فبكى حتى تأذى به أهل السماء ، فشكوا ذلك الى الله ، فحط من قامته .

وأما داود فانه بكى حتى هاج العشب من دموعه ، وان كان ليزفر الزفرة فيحرق ما نبت من دموعه .

وأما يوسف فانه كان يبكي على ابيه يعقوب وهو في السجن ، فتأذى به أهل السجن ، فصالحهم على أن يبكي يوماً ويسكت يوماً .

وقال الطبرسي : اختلف في استغفار داود من أي شيء كان :

فقيل انه حصل منه على سبيل الانقطاع الى الله تعالى والخضوع والتذلل بالعبادة والسجود . كما حكى الله سبحانه عن ابراهيم بقوله : (والذي اطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) .

وأما قوله : (فغفر له ذلك) فالمعنى إنا قبلناه منه واثبناه عليه ، فأخرجه على لفظ الجزاء .

وهذا قول من ينزه الأنبياء عن جميع الذنوب ، من الامامية وغيرهم . ومن جوز على الأنبياء الصغائر ، قال ان إستغفاره كان لصغيرة .

ثم انهم اختلفوا في ذلك على وجوه .

أحدها - ان اوريا خطب امرأة فأراد أهلها أن يزوجوها له ، فبلغ داود جمالها فخطبها أيضاً فزوجوها منه وقدموه على اوريا ، فعوتب داود على الحرص على الدنيا عن الجبائي .

وثانيها - انه خرج اوريا الى بعض ثغوره فقتل ، فلم يجزع عليه جزعه على أمثاله من جنده ، إذ مالت نفسه الى نكاح امرأته ، فعوتب على ذلك بنزول الملكين .

وثالثها - انه كان في شريعته ان الرجل اذا مات وخلف امرأة ، فأولياؤه أحق بها إلا أن يرغبوا عن التزويج بها ، فحينئذ يجوز لغيرهم ان يتزوج بها .

فلما قتل اوريا ، خطب داود امرأته ومنعت هيبة داود وجلالته اولياؤه ان يخطبوها ، فعوتب على ذلك .

ورابعها – ان داود عليه السلام كان متشاغلاً بالعبادة ، فأتاه رجل وامرأة متحاكمين اليه ، فنظر الى المرأة ليعرفها بعينها ، وذلك مباح. فمالت نفسه ميل الطباع ، ففصل بينهما ، وعاد الى عبادة ربه ، فشغله الفكر في امرها عن بعض نوافله ، فعوتب .

وخامسها – ابه عوتب على عجلته في الحكم التثبت ، وكان يجب عليه حين سمع الدعوى من أحد الخصمين ان يسأل الآخر عما عنده فيه ولا يحكم عليه قبل ذلك، وإنما انساه التثبت في الحكم فزعه من دخولهما عليه في وقت العبادة . انتهى .

وقال الرازي : بعد الطعن في الرواية المشهورة وإقامة الدلائل على بطلانها ، وذكر بعض الوجوه السابقة والكلام عليها .

(روي) ان جماعة من الاعداء طمعوا في ان يقتلوا نبي الله داود عليه السلام وكان له يوم يخلو بنفسه ويشتغل بطاعة ربه ، فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم وتسوروا المحراب .

فلما دخلوا عليه وجدوا عنده اقواماً يمنعونه ، فخافوا فوضعوا كذباً ، فقالوا خصمان بغى بعضنا على ... الى آخر القصة .

وليس في لفظ القرآن ما يمكن ان يحتج في لحاق الذنب بداود عليه السلام إلا الفاظ اربعة :

احدها – قوله : (وظن داود انما فتناه) . وثانيها – قوله : (فاستغفر ربه) . وثالثها – قوله : (اناب) . ورابعها – قوله : (فغفرنا له ذلك) .

ثم نقول : وهذه الألفاظ لا يدل شيء منها على ما ذكروه . وتقريره من وجوه :

الاول – انهم لما دخلوا عليه لطلب قتله بهذا الطريق وعلم داود عليه السلام دعاه الغضب الى ان يشغل بالانتقام منهم ، إلا انه مال الى الصفح عنهم ، طلباً لمرضات الله تعالى ، فكانت هذه الواقعة هي الفتنة ، لأنها جارية مجرى الابتلاء والامتحان ، ثم انه (استغفر ربه) مما همّ به من الانتقام منهم ، وتاب عن ذلك الهم (فغفرنا له ذلك) القدر من الهم والعزم .

والثاني – انه وإن غلب على ظنه انهم دخلوا عليه ليقتلوه ، إلا انه قدم على ذلك

الظن ، وقال لما لم تقم دلالة ولا إمارة على ان الأمر كذلك ، فبئس ما عملت بهم حتى ظننت بهم هذا .

فكان هذا المراد من قوله : (وظن داود إنما فتناه فاستغفر ربه وأناب منه * فغفر الله له ذلك) .

الثالث — ان دخولهم عليه كان فتنة لداود عليه السلام إلا انه استغفر لذلك الداخل العازم على قتله .

وقوله : (فغفرنا له ذلك) أي لاحترام داود عليه السلام وتعظيمه ، انتهى .

وقال البيضاوي : واقصى ما في هذه الاشعار بأنه عليه السلام وإن كان له ما لغيره وكان له امثاله ، فنبهه الله بهذه القضية ، فاستغفر وأناب عنه ، انتهى .

واعلم انه لما ثبت عصمة الأنبياء عليهم بالبراهين والأدلة القاطعة ، وجب تأويل ما يكون ظاهره منافياً له .

وهذه الوجوه وإن كان يحصل بها الخلاص من القدح في شأن داود عليه السلام إلا أن المعول على ما في الأخبار الخالية من التقية .

الفصل الثاني

فيما اوحى اليه وما صدر عنه من الحكم

(أمالي الصدوق) رحمه الله باسناده الى أبي عبدالله عليه السلام قال : اوحى الله سبحانه الى داود عليه السلام : يا داود كما لا تضر الطيرة من لا يتطير منها ، كذلك لا ينجو من الفتنة المتطيرون .

أقول : هذا الحديث يكون وجهاً للجمع بين ما ورد في الأخبار من قوله عليه السلام : لا طيرة في الاسلام ، وبين ما روي من وقوعها ووجودها .

وعنه عليه السلام : ان العبد من عبادي ليأتيني بالحسنة ، فأبيحه جنتي ، فقال داود : يا رب وما تلك الحسنة ؟ قال يدخل على عبدي المؤمن سروراً ولو بتمرة ، فقال داود عليه السلام : حق لمن عرفك ألا يقطع رجاءه منك .

وعنه عليه السلام قال : اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام : يا داود ان للعبد ليأتيني بالحسنة يوم القيامة فأحكه بها في الجنة ، فقال يا رب وما هذا العبد الذي يأتيك بالحسنة يوم القيامة فتحكه بها الجنة ؟ قال : عبد مؤمن سعى في حاجة اخيه المؤمن احب قضاها ، فقضيت له او لم تقض .

وقال المسعودي من علمائنا : انزل الله الزبور بالعبرانية خمسين ومائة سورة جعله ثلاثة اثلاث ، فثلث في الأول فيه ما يلقون من بخت نصر وما يكون من امره في المستقبل ، وفي الثلث الثاني ما يلقون من اهل الثور ، وفي الثلث الثالث مواعظ وترغيب ليس فيه امر ولا نهي ولا تحليل ولا تحريم .

وقال الله سبحانه لداود عليه السلام : إحببني وحببني الى خلقي ، قال : يا رب انا احبك فكيف احببك الى خلقك ؟ قال : اذكر ايادي عندهم ، فانك اذا ذكرت ذلك لهم احبوني .

وعن ابي جعفر عليه السلام قال : بينا داود عليه السلام جالس وعنده شاب رث الهيئة يكثر الجلوس عنده ويطيل الصمت ، إذ اتاه ملك الموت فسلم عليه وأخذ ملك الموت النظر الى الشاب ، فقال داود عليه السلام : نظرت الى هذا فقال : نعم اني امرت بقبض روحه الى سبعة ايام في هذا الموضع ، فرحمه داود عليه السلام فقال : يا شاب هل لك امرأة ؟ فقال لا وما تزوجت قط . قال داود : فأت فلاناً – رجلاً كان عظيم القدر في بني اسرائيل – فقل له ان داود عليه السلام يأمرك ان تزوجني ابنتك وتدخل بها في هذه الليلة وخذ من النفقة ما تحتاج اليه وكن عندها فإذا مضت سبعة ايام فوافني في هذا الموضع .

فمضى الشاب برسالة داود عليه السلام فزوجه الرجل ابنته وادخلوها عليه وأقام عندها سبعة ايام .

ثم وافى داود عليه السلام يوم الثامن ، فقال له داود عليه السلام : يا شاب كيف رأيت ما كنت فيه ؟ قال ما كنت في نعمة وسرور قط اعظم مما كنت فيه ، قال داود عليه السلام اجلس ! فجلس ، وداود عليه السلام ينتظر ان يقبض روحه .

فلما طال قال: انصرف الى منزلك فكن مع اهلك، فإذا كان يوم الثامن فوافني هاهنا.

فمضى الشاب ، ثم وافاه يوم الثامن وجلس عنده ، ثم انصرف اسبوعاً آخر ، ثم اتاه وجلس .

فجاء ملك الموت الى داود عليه السلام فقال له داود عليه السلام : ألست حدثتني بأنك أمرت بقبض روح هذا الشاب الى سبعة أيام ؟ قال بـلى فقد مضت ثمانية وثمانية وثمانية ، قال يا داود ان الله تعالى رحمه برحمتك له ، فأخر في أجله ثلاثين سنة .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال : أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان خلادة بنت أوس بشرها بالجنة وأعلمها انها قرينتك في الجنة .

فانطلق اليها وقرع الباب وخرجت وقالت هل نزلت في شيء؟ قال ان الله اوحى إلي فأخبرني انك في الجنة وان ابشرك بالجنة ، قالت او يكون اسـم وافق اسمي ، قال انك لأنت هي ، قالت يا بني ما اكذبك ولا والله ما اعرف من نفسي ما وصفتني به ، قال داود عليه السلام اخبريني عن ضميرك وسريرتك ما هو ؟ فقالت : أمـا هذا فـأخبرك به ، اخبرك انه لم يصبني وجع قط نزل بي كائناً مـا كان ولا نزل ضربي حاجة وجوع كائناً ما كان إلا صبرت عليه ، ولم اسأل الله كشفه عني حتى يحوله الله عني الى العافية والسعة ، ولم أطلب بها بدلاً وشكرت الله عليها وحمدته . فقال لها داود عليه السلام : فبهذا بلغت ما بلغت .

وقال أبو عبدالله عليه السلام : هذا دين الله الذي ارتضاه للصالحين .

أقول : هذه المرتبة هي الدرجة العليـا من مراتب السالكين وهي الرضا بقضاء الله تعالى .

وكان مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يمتدح بالوصول اليها والاحاطة بها ، وكان يقول ان الله سبحانه لو ألقاني بالنار معذباً لما قلت انها نار بل قلت انها جنة ، لأنـه تعالى رضي لي بها وجنتي رضاه ، وهو ناظر الى قوله عز وجل بعد أن ذكر الجنة وما أعد فيها للمتقين ورضوان من الله أكبر فسخطه نارهم ورضاه جنانهم .

وعلى هذا نزل بعض المحققين : المحيا والمماة في قوله : ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . على معنى ان حياتي ومماتي أريدهما مدة إرادة الله سبحانه لهما ، فما دام يريد حياتي فأنا أريدها ولا أريد الموت ، وإذا قرب أجلي وأراد موتي كنت أريده أيضاً ولا أريد الحياة .

وروي هذا عن مولانا الامام أبي جعفر محمـد بن علي الباقر عليه السلام وكذلك ينزل عليه ما ورد في الدعاء عند رؤية الجنازة وهو قوله : الحمد لله الذي لم يجعلني من السواد المخترم ، يعني من الهالكين والأموات .

والمراد حمد الله سبحانه على الحياة فانهـــا أمر مطلوب الداعي ، حيث أن الله سبحانه اختارها له ، فلا يرغب إلا فيما أعطاه الله سبحانه أو من حيث ان فيهـــا الوصول الى رضاه ، من حيث الطاعات وما يقع منه قبل الموت من العبادات .

وكثيراً ما ينزل على هذه الدرجة العلية من الآيات والأخبار وما تخطى اليها أحد غير الأولياء إلا كان كاذباً في دعواه وشواهد الامتحان تكون ناعية عليه كذب ما زعمه.

ومن جمله من إنتحلها مشايخ الصوفية وهم عنها بمراحل !

وروي في (الآثار) ان عمرو بن الفارض من أئمـــة الصوفية إدعاها في أقواله واشعاره ومن جملتها قوله :

وبما شئت في هواك اختبرني فاختياري ما كان فيه رضاكا :

ثم بعده ابتلى بحصر البول .

وفكان يندب ويصيح ويقبض على ذكره ويذهب الى مكتب الصبيان ويصيح أيها الأولاد ادعوا لعمكم الكذاب .

بقي الكلام في الجمع بين قوله إلا صبرت عليه ولم أسأل الله كشفه عني ، وبين ما ورد في الآيات والأخبار من الأمر بالتضرع والدعاء في كشف البلاء ومـــا يورد على الانسان من المصائب والأوجاع والاسقام .

قلت : ومن درج الى هذه الدرجة ونال هذه السعادة وخرج من مرارة التصبر على البلاء الى حلاوة التلذذ به ، وكان مخيراً بين الدعاء في كشف ما يسمى محنة وبـــلاء ، وبين الاستلذاذ به وتحمله والصبر عليه ، ولا نقول هو من باب الصبر ، بـــل هو من باب الشكر .

وذلك أن أولياء الله سبحانـــه كما ينالون حظاً من العافية ، ينالون حلاوة من الاسقام والمصائب ، لعلمهم بأن مبدأ الأمرين من الحبيب الحقيقي والعشيق التحقيقي ، فهؤلاء من حيث التلذذ به لا يحبون كشفه ولا يطلبون زواله .

وقول أمير المؤمنين عليه السلام عند الضربة . فزت ورب الكعبة ، شاهد عليه .

كذلك قوله عليه السلام لما قال له ابن عمه وأخوه رسول الله صلى الله عليه وآله : كيف صبرك اذا ضربت على فرنك واختضب شيبك بدمك وأنت في محراب صلاتك ساجداً لربك ؟ فقال عليه السلام : ذلك مقام الشكر لا مقام الصبر .

وقال عليه السلام في وقعة أحد لما فرّ المسلمون وبقي وحده يضرب بسيفه يميناً وشمالاً: يا رسول الله وعدتني الشهادة وهذا اليوم كان ميقاتها ، فما الذي حرمني لذتها ؟ فقال صلى الله عليه وآله : انك تنالها بعدي إذا قاتلت الناكثين والقاسطين والمارقين .

وكان يقول : والله لابن أبي طالب آأنس بالموت من الطفل بثدي امه .

وقال في مقام آخر لابنه الحسن عليه السلام : ما يبالي أبوك اوقع على الموت أم وقع عليه الموت .

وحكى الشهيد الثاني زين الملة والدين اعلى الله مقامه في دار الاقامة في كتابه (مسكن الفؤاد) : ان رجلاً من العباد مر خارج مصر في طريق فرأى رجلا مطروحاً على الطرأب قد أكل الديدان بدنه واحتوى الذباب على جراحاته ، فقعد عند رأسه وروّحه بالمروحة ليطرد الذباب عنه، ففتح عينيه وقال من هذا الذي يدخل بيني وبين ربي ، وعزته وجلاله لو قطعني إربــاً إرباً لم ازدد له إلا شكراً وفيه إلا حباً .

والحاصل ان درجة الرضا بالقضاء : أعلى درجات المتقين ، رزقنا الله الوصول اليها والوقوف عليها ، بمنه وكرمه .

(كتاب الحسين بن سعيد بن أبي البلاد) عن سعد الاسكاف عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان في بني اسرائيل عابد ، فأعجب به داود عليه السلام ، فأوحى الله تبارك وتعالى : لا يعجبك من أمره فإنه مراء .

قال : فمات الرجل ، فأتى داود عليه السلام فقيل له هات الرجل . فقال : ادفنوا صاحبكم .

قال : فأنكرت بنو اسرائيل وقالوا كيف لم يحضره .

قال : فلما غسل ، قام له خمسون رجلا فشهدوا بالله ما يعلمون منه إلا خيراً فلما صلوا عليه قام خمسون رجلا فشهدوا بالله ما يعلمون منه إلا خيراً .

فأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام: ما منعك ان تشهد فلاناً ؟ قال : الذي اطلعتني عليه من أمره ، قال : إن كان كذلك ولكن شهد قوم من الأحبار والرهبان فشهدوا له ما يعلمون إلا خيراً ، فأجزت شهادتهم عليه وغفرت له علمي فيه .

وقال السيد علي بن طاووس في (سعد السعود) : رأيت في زبور داود عليه السلام في

السورة الثالثة ما هذا لفظه (يا داود اني جعلتك خليفة في الأرض وسيتخذ عيسى إلهاً من دوني من أجل ما مكنت فيه من القوة وجعلته يحيي الموتى باذني ، يا داود من ذا الذي انقطع إلي فنحيته ومن ذا الذى اناب إلي فطردته عن إنابتي ، ما لكم لا تقدسون الله وهو مصوركم ، ما لكم لا تطردون المعاصي عن قلوبكم ، كأنكم لا تموتون وكأن الدنيا باقية لا تزول عنكم ».

وفي السورة العاشرة : « أيها الناس لا تغفلوا عن الآخرة ، بني اسرائيل لو تفكرتم في منقلبكم ومعادكم وذكرتم القيامة وما أعددت فيها للعاصين ، قل ضحككم وكثر بكاؤكم ولكنكم غفلتم عن الموت ، كم تقولون ولا تفعلون، ولو تفكرتم في خشونة الثرى ووحشة القبر وظلمته لقل كلامكم وكثر ذكركم، لا تفكرون في خلق السماوات والأرض وما أعدت فيها من الآيات والنذر ، وحبست الطير في جو السماء يسبحن ويسرحن في رزقي ، وأنا الغفور الرحيم سبحانه خالق النور » .

وفي السورة السابعة عشر : « يا داود إسمع ما أقول ومر سليمان يقول بعدك ان ان الأرض اورثها محمداً وامته، وهم خلافكم ولا يكون صلاتهم بالطنابير ولا يقدسون الاوتار ، فازدد من تقديسك ، يا داود قل لبني اسرائيل لا تجمعوا المال من الحرام ، فاني لا أقبل صلاتهم ، واهجر أباك على المعاصي ، وأخاك على الحرام ، واتل على بني اسرائيل نبأ رجلين كانا على عهد ادريس فجاءت لهما تجارة وقد فرضت عليهما صلاة مكتوبة ، فقال احدهما ابدأ بأمر الله ، وقال الآخر ابدأ بتجارتي والحق امر الله فذهب هذا لتجارته وهـــذا لصلاته ، فأوحيت الى السماء : فنفحت واطلقت ناراً واحاطت واشتغل الرجل بالسحاب والظلمة ، فذهبت تجارته وصلاته وكتب على بابه انظروا ما تصنع الدنيا والتكاثر بصاحبه . يا داود اذا رأيت ظلماً قد رفعته الدنيا فلا تغبطه فانهلا بد له من أحد الأمرين،اما أن أسلط عليه ظالماً أظلم منه فينتقم‌منه،وأما ألزمه رد التبعات يوم القيامه،يا داود لو رأيت صاحب التبعات قد جعل في عنقه طوق من نار ، فحاسبوا أنفسكم وانصفوا الناس ودعوا الدنيا ، ويحكم لو رأيتم الجنة وما أعددت فيها لأوليائي من النعيم لما ذقتم دوائها بشهوة ، أين المشتاقون إلى لذيذ الطعام والشراب ؟ أين الذين جعلوا مع الضحك بكاء ؟ أين الذين هجموا على مساجدي في الصيف والشتاء ؟ انظروا اليوم ما ترى أعينكم ، فطال ما كنتم تسهرون والناس نيام، فاستمتعوا اليوم ما أردتم ، فاني قد رضيت عنكم أجمعين ولقد كانت أعمالكم الزاكية

تدفع سخطي من أهل الدنيا ، يا رضوان اسقهم من الشراب الآن فيشربون وتزداد وجوههم نضرة ، فيقول رضوان : هل تدرون لم فعلت هذا ؟ لأنه لم تطأ فروجكم فروج الحرام ، يا رضوان اظهر لعبادي ما اعددت لهم ثمانية آلاف ضعف ، يا داود من تاجرني فهو اربح التاجرين ، يا بن آدم أبوك وأمك يموتان وليس لك عبرة بها ! يا بن آدم ألا تنظر الى بهيمة ماتت فانتفخت وصارت جيفة وهي بهيمة وليس لها ذنب ولو وضعت اوزارك على الجبال الراسيات لهدتها ، يا داود وعزتي ما شيء اضر اليكم من اموالكم ولا اولادكم ولا اشد في قلوبكم فتنة منها ، والعمل الصالح عندي مرفوع وانا بكل شيء محيط ، سبحان خالق النور » .

وفي السورة الثالثة والعشرين : « يا بني آدم الطين والماء المهين وبني الغفلة والغرة ، لا تكثروا الالتفات الى ما حرمت عليكم ، فلو رأيتم مجاري الذنوب لاستقذرتموها ، ولو رأيتم المطرات قد عوفين من هيجان الطبايع فهن الراضيات فلا يسخطن أبداً وهن الباقيات فلا يمتن ابداً، كلما افتضها صاحبها رجعت بكراً ارطب من الزبد واحلى من العسل ، بين السرير والفراش أمواج يتلاطم الخمر والعسل كل نهر ينفذ من آخر ، ويحك ان هذا لهو الملك الأكبر والنعيم الأطول والحياة والرغد والسرور الدائم ، والنعيم الباقي عندي الدهر كله ، وأنا العزيز الحكيم ، سبحان خالق النور » .

وفي الثلاثين : « بني آدم رهائن الموتى اعملوا لآخرتكم واشتروها بالدنيا ولا تكونوا قوماً اخذوا لهواً ولعباً ، واعلموا انه من قارضني نمت بضاعته ، ومن قارض الشيطان قرن معه ، مالكم تتنافسون في الدنيا وتعدلون عن الحق ، غرتكم احسابكم فما حسب امرىء خلق من الطين ، إنما الحسب عندي هو التقوى ، سبحان خالق النور » .

وفي السادسة والأربعين : « بني آدم لا تستخفوا بحقي فأستخف بكم في النار ، ان آكلة الربا تقطع امعاؤهم واكبادهم ، اذا ناولتم الصدقات فاغسلوها بماء اليقين ، فاني ابسط يميني قبل يمين الآخذ ، فاذا كانت من حرام قذفت بها في وجه المتصدق ، وان كانت من حلال قلت : ابنوا له قصوراً في الجنة ، وليست الرياسة رياسة الملك ، إنما الرياسة رياسة الآخرة ، سبحان خالق النور » .

وفي السابعة والاربعين : « اتدري يا داود لم مسخت بني اسرائيل فجعلت منهم القردة والخنازير ؟ لأنهم إذا جاء الغني العظيم ساهلوه ! واذا جاء المسكين بأدنى منه

انتقموا منه ! وجبت لعنتي على كل متسلط في الأرض لا يقيم الفقير والغني بأحكام واحدة ، انكم تتبعون الهوى في الدنيا ، اين المفر مني اذا تخليت بكم ؟ كم قد نهيتكم عن الالتفات الى حرم المؤمنين ؟ وطالت السنتكم في اعراض الناس ، سبحان خالق النور » .

وفي الخامسة والستين : « افصحتم في الخطبة وقصرتم في العمل ، فلو افصحتم في العمل وقصرتم في الخطبة ، لكان ارجى لكم ، يا داود اتل على بني اسرائيل رجل دانت له اقطار الأرض حتى استوى وسعى في الارض فساداً وأخذ الحق وأظهر الباطل وعمر الدنيا وحصن الحصون وحبس الأموال ! فبينما هو في غضارة دنياه ، إذ اوحيت الى زنبور يأكل لحم خده ويدخل ويلدغ الملك فدخل الزنبور وبين يديه ستارة وزرائه واعوانه فضربه فتورمت وتفجرت منه اعين دماً وقيحاً فشير عليه يقطع من لحم وجهه ، حتى كان كل من يجلس عنده شم منه نتناً عظيماً حتى دفن جثته بلا رأس فلو كان للآدميين عبرة تردعهم لردعتهم ! ولكن اشتغلوا بلهو الدنيا ! فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يأتيهم أمري ولا اضيع أجر المحسنين ، سبحان خالق النور » .

انتهت المواعظ الزبورية على طريق التلخيص .

الفصل الثالث

في قصة اصحاب السبت

قال الله تعالى : (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين * فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للتقين) .

(تفسير) علي بن ابراهيم : (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) فانها قرية كانت لبني اسرائيل على البحر وكان الماء يجرى في المد والجزر ، فيدخل انهارهم وزروعهم ويخرج السمك من البحر حتى يبلغ آخر زروعهم .

وقد كان الله حرم عليهم الصيد يوم السبت ، فكانوا ينصبون الشباك في الانهار ليلة السبت ويصطادون يوم الأحد ، وكان السمك يخرج يوم السبت ويوم الأحد ، فنهاهم علماؤهم عن ذلك فمسخوا قردة وخنازير .

وكان العلة في تحريم الصيد عليهم يوم السبت، ان عيد جميع المسلمين وغيرهم، وكان يوم الجمعة ، فخالف اليهود وقالوا عيدنا السبت فحرم الله عليهم الصيد يوم السبت .

وعن ابي جعفر عليه‌السلام قال : اوحى الله الى طائفة منهم : إنما نهيتم عن أكلها يوم السبت ولم تنهوا عن صيدها ، فاصطادوا يوم السبت وكلوها فيما سوى ذلك من الايام، فقالت طائفة منهم الآن تصطادوها فعتت وانحازت طائفة اخرى منهم ذات اليمين فقالوا ننهاكم عن عقوبة ان تتعرضوا بخلاف أمره ، واعتزلت طائفة منهم ذات اليسار فتنكبت فلم تعظهم ، فقالت للطائفة التي وعظتهم : (لم تعظون قوماً الله مهلكهم او معذبهم عذاباً شديداً) فقالت الطائفة التي وعظتهم : (معذرة الى ربكم ولعلكم تتقون) فقالت الطائفة التي وعظتهم : (لا والله لا نجامعكم ولا نبايتكم الليلة في مدينتكم هذه التي عصيتم الله فيها قبل ان ينزل بكم البلاء فيعمنا معكم) .

قال : فخرجوا منهم من المدينة ونزلوا قريباً منها ، فباتوا تحت السماء .

فلما اصبح اولياء الله المطيعون غدوا لينظروا ما حال اهل المعصية فأتوا باب المدينة ، فاذا هو مصمت فدقوه ، فلم يجابوا ولم يسمعوا منها حس احد ، بل سمعوا اصواتاً كالعواء لا تشبه اصوات الناس ، فوضعوا سلماً على سور المدينة ، ثم أصعدوا رجلاً منهم ، فأشرف على المدينة فنظر فاذا هو بالقوم قردة يتعاوون ولها اذناب ! فكسروا الباب، فعرفت القردة أنسابها من الانس ولم تعرف الانس انسابها من القردة، فقال القوم للقردة : ألم ننهكم ؟

وقال علي عليه‌السلام : والله الذي فلق الحبة وبرىء النسمة اني لأعرف انسابها من الامة لا ينكرون ولا يغيرون ، بل تركوا ما أمروا به ! فتفرقوا .

وقال علي ابن طاووس : وجدت في حديث : انهم كانوا ثلاث فرق ، فرقة باشرت المنكر وفرقة انكرت عليهم ، وفرقة داهنت اهل المعاصي فلم ينكروا ! ولم تباشر المعصية فنجى الله الذين انكروا ، وجعل الفرقة المداهنة ذراً ، ومسخ الفرقة المباشرة للمنكر قردة .

ثم قال : ولعل مسخ المداهنة ذراً ، لتصغيرهم عظمة الله وتوهينهم بحرمة الله ، فصغرهم الله .

(مناقب ابن شهر اشوب المازندراني : عن هارون بن عبد رفعه الى احدهم قال : جاء قوم الى أمير المؤمنين عليه‌السلام بالكوفة وقالوا يا امير المؤمنين ان هذه الجراري

تباع في اسواقنا فتبسم أمير المؤمنين عليه السلام ضاحكاً ثم قال : قوموا لأريكم عجباً ولا تقولوا في وصيكم إلا خيراً ، فقاموا معه فأتوا شاطىء الفرات ، فتفل فيه تفلة وتكلم بكلمات ، فإذا بجرية رافعة رأسها فاتحة فاها ، فقال لها امير المؤمنين عليه السلام : من انت الويل لك ولقومك ؟ فقالت نحن من اهل القرية التي كانت حاضرة البحر ، فعرض الله علينا ولايتك فقعدنا عنها فمسخنا الله ، فبعضنا في البحر وبعضنا في البر ، فاما الذين في البحر فنحن الجراري ، واما الذين في البر فالضب واليربوع .

ثم قال عليه السلام : والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالنبوة لنحيض كما تحيض نساؤكم .

وقال علي بن الحسين عليهم السلام : في قوله تعالى (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في يوم السبت) كانوا يسكنون على شاطىء بحر ، فنهاهم الله وانبياؤه عن اصطياد السمك في يوم السبت ، فتوصلوا الى حيلة يحلوا بها ما حرم الله عليهم ، فأخذوا اخاديد وعملوا طرقاً تؤدي الى حياض يتهيأ للحيتان الدخول فيها من تلك الطرق ولا يتهيأ لها الخروج اذا همت بالرجوع ، فجاءت الحيتان يوم السبت جارية على امان الله لها فدخلت في اخاديد وحصلت في الحياض والغدران .

فلما كانت عشية اليوم همت بالرجوع منها الى الحج لتأمن صائدها ، فلما همت الرجوع فلم تقدر ، وبقيت ليلها في مكان يتهيأ اخذها بلا اصطياد لاسترسالها فيه وعجزها عن الامتناع .

وكانوا يأخذونها يوم الاحد ويقولون ما اصطدنا يوم السبت . حتى كثر من ذلك مالهم وتنعموا بالنساء ، فكانوا في المدينة نيفاً وثمانين الفاً ، فعل هذا منهم سبعون الفاً ، وانكر عليهم الباقون .

وذلك ان طائفة منهم وعظوهم فأبوا ، فاعتزلوهم الى قرية أخرى ، فمسخهم الله الذين اعتدوا قردة ، فجاؤا اليهم يعرفوا هؤلاء الناظرون معارفهم ، يقول المطلع لبعضهم انت فلان ؟ فتدمع عيناه ويومي برأسه ان نعم .

فما زالوا كذلك ثلاثة ايام ، ثم بعث الله عليهم مطراً وريحاً ، فجرفهم الى البحر وما بقي مسخ بعد ثلاثة أيام .

واما الذين ترون من هذه من المصورات بصورها ، فانما هي اشباهها لا هي بأعيانها ولا من نسلها .

ثم قال عليه السلام : ان الله مسخ هؤلاء لاصطياد السمك ، فكيف ترى عند الله عز

وجل حال من قتل اولاد رسول الله ﷺ وهتك حرمته ، ان الله تعالى لم يمسخهم في الدنيا ، فان المعد لهم من عذاب الآخرة اضعاف أضعاف عذاب المسخ .

ثم قال عليه السلام : اما ان هؤلاء الذين اعتدوا في السبت لو كانوا حين هموا بقبيح فعالهم سألوا ربهم بجاه محمد وآله الطيبين ان يعصمهم من ذلك لعصمهم ، كذلك الناهون لو سألوا الله عز وجل ان يعصمهم بجاه محمد وآله الطيبين لعصمهم . ولكن الله عز وجل لم يلهمهم ذلك ولم يوفقهم له ، فجرت معلومات الله فيهم على ما كان سطر في اللوح المحفوظ .

(الكافي) عن ابي عبدالله عليه السلام : في قول الله عز وجل : (لعن الله الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم) .

قال : الخنازير على لسان داود ، والقردة على لسان عيسى .

أقول : المشهور في الحديث والتفاسير هو العكس .

وقال البيضاوي : قيل اهل ابلة لما اعتدوا في السبت ، لعنهم الله على لسان داود ، فمسخهم قردة وخنازير .

واصحاب المائدة لما كفروا ! دعا عيسى عليهم ولعنهم ، فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل .

أقول : الابلة ـ بضم الهمزة والباء المشددة ـ موضع بالبصرة ، وهي احدى الجنات الأربعة .

باب

فيه قصص سليمان عليه السلام وفيه فصول :

الفصل الاول

في فضله ومكارم اخلاقه وجمل من احواله

(إكمال الدين) للصدوق رحمه الله تعالى : عن الصادق عليه السلام : ان داود عليه السلام أراد ان يستخلف ابنه عليه السلام، لأن الله تعالى امره بذلك، فقال بنو اسرائيل يستخلف علينا حدثاً ، فدعا اسباط بني اسرائيل فقال لهم : قد بلغني مقالتكم ، فأروني عصيكم فأي عصا اثمرت ، فصاحبها ولي الأمر بعدي ، فرضوا بذلك ، وأدخلوا عصيهم بيتاً، فأصبحوا وقد اورقت عصا سليمان واثمرت فسلموا ذلك لداود .

ثم ان سليمان اخفى امره واستتر من شيعته ما شاء الله .

ثم ان امرأته قالت له ذات يوم: بأبي انت وامي ما اكمل خصالك واطيب ريحك ولا اعلم لك خصلة اكرهها إلا في مؤنة ابي ، فلو دخلت السوق فتعرضت لرزق الله رجوت ان لا يخيبك ، فقال لها سليمان عليه السلام : ما عملت عملاً قط ولا احسنه .

فدخل السوق ، فجال يومه ذلك ، ثم رجع فلم يصب شيئاً ، فقال لها ما اصبت شيئاً قالت : لا عليك إن لم يكن اليوم كان غداً .

فلما كان من الغد رجع الى السوق وجال فيه ، فلم يقدر على شيء ، فرجع واخبرها فقالت : يكون غداً إن شاء الله .

فلما كان في اليوم الثالث مضى حتى انتهى الى ساحل البحر ، فإذا هو بصياد فقال له : هل لك ان اعينك، وتعطيني شيئاً ؟ قال نعم ، فأعانه .

فلما فرغ اعطاه الصياد سمكتين ، فأخذهما وشق بطن أحدهما ، فإذا هو بخاتم في بطنها ، فجاء الله منزله وهو واضع الخاتم في ثوبه ، فقالت له امرأته : اني أريد أن تدعو أبوي حتى يعلما انك قد كسبت ، فدعاهما فأكلا معه .

فلما فرغوا أخرج خاتمه فلبسه ، فخر عليه الطير والريح وغشيه الملك وحمل الجارية وأبواها الى بلاد اصطخر واجتمعت الشيعة واستبشروا به ففرج الله عنه ما كانوا فيه من حيرة غيبته .

فلما حضرته الوفاة أوصى الى آصف بن برخيا ، فلم يزل بين الشيعة يأخذون عنه .

ثم غيّب الله آصف غيبة طال أمدها ، ثم ظهر لهم ، فبقي بين قومه ما شاء الله ، ثم انه ودعهم ، فقالوا له : أين الملتقى ؟ قال : على الصراط . وغاب عنهم ما شاء الله .

واشتدت البلوى على بني اسرائيل بغيبته وتسلط عليهم بخت نصر . . . الحديث .

أقول : ورد في حديث آخر : ان وقعه على الخاتم في بطن السمكة كان بعد ان سلب منه الملك أخذ الشياطين خاتمه وألقوه في البحر .

(الاحتجاج) في حديث الزنديق الذي سأل الصادق عليه السلام عن مسائل وكان فيما سأله كيف صعدت الشياطين الى السماء وهم أمثال الناس في الخلقة والكثافة وقد كانوا يبنون لسليمان بن داود عليه السلام من البناء ما يعجز عنه ولد آدم قال عليه السلام : غلظوا لسليمان كما سخروا ! وهم خلق رقيق غذاؤهم التسنيم ، والدليل على ذلك صعودهم الى السماء ، لاستراق السمع ، ولا يقدر الجسم الكثيف على الارتقاء اليها لا بسلم ولا بسبب .

(الكافي) عن أبي الحسن عليه السلام قال : كان لسليمان بن داود عليه السلام ألف امرأة في قصر واحد ، وثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرّية ، ويطيف بهن في كل يوم وليلة .

أقول : يحتمل طواف الزيارة ، والأظهر انه طواف الجماع .

وقال عليه السلام : كان ملك سليمان ما بين الشامات الى بلاد اصطخر ، وكان عليه السلام يطعم أضيافه اللحم بالحواري ، ويطعم عياله الخشكار ، ويأكل هو الشعير غير المسحول .
أقول : الحوارى الخبز الأبيض ، كما أن الخشكار الخبز الأسود .

(قصص) الراوندي بإسناده الى أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى : (اعملوا آل داود شكراً) .

قال : كانوا ثمانين رجلا وسبعين امرأة ، ملازمين للمحراب .

فلما قبض داود ولي سليمان ، وعلم منطق الطير وسخر له الجن والانس ، وكان لا يسمع بملك في ناحية الأرض إلا أتاه حتى يذله ويدخله في دينه ، وسخر له الريح ، فكان اذا خرج الى مجلسه عكف عليه الطير وقام الجن والانس ، وكان اذا أراد أن يغزو أمر بمعسكره ، فضرب له بساط من الخشب وجعل عليه الدواب والناس وآلة الحرب كلها حتى اذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت الخشب فحملته، حتى تنتهي به الى حيث يريد ، وكان غدوها شهراً ورواحها شهراً .

وفيه عن الأصبغ قال : خرج سليمان بن داود عليه السلام من بيت المقدس،ومعه ثلاثمائة كرسي عن يمينه عليها الانس وثلاثمائة ألف كرسي عن يساره عليها الجن ، وأمر الطير فأظلتهم وأمر الريح فحملتهم حتى وردت بهم المدائن ، ثم رجع وبات في اصطخر .

ثم غدا فانتهى الى جزيرة بركادان ، ثم أمر الريح فخفضتهم حتى كادت اقدامهم تصيب الماء ، فقال بعضهم لبعض : هل رأيت ملكاً أعظم من هذا ؟ فنادى ملك من السماء : لثواب تسبيحة واحدة أعظم مما رأيتم .

وفيه عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان لسليمان حصن بناه الشياطين له ، فيه ألف بيت في كل بيت منكوحة ، منهن سبعمائة امة قبطية وثلاثمائة حرة مهيرة .

فأعطاه الله تعالى قوة أربعين رجلا في مباضعة النساء ، وكان يطوف بهن جميعاً ويسعفهن .

وكان سليمان يأمر الشياطين فتحمل له الحجارة من موضع الى موضع ، فقال لهم ابليس كيف انتم ؟ قالوا ما لنا طاقة بما نحن فيه ، فقال ابليس أليس تذهبون بالحجارة وترجعون فراغاً ؟ قالوا نعم قال فأنتم في راحة . فأبلغت الريح سليمان ما قال ابليس للشياطين ، فأمرهم يحملون الحجارة ذاهبين ويحملون الطين راجعين الى موضعها فتراءى لهم ابلس فقال كيف أنتم ؟ فشكوا اليهفقال ألستم تنامون بالليل؟قال بلى قال فأنتم في راحة . فأبلغت الريح ما قالت الشياطين وابليس ، فأمرهم ان يعملوهم بالليل والنهار ، فما لبثوا يسيراً حتى مات سليمان عليه السلام .

قال : وخرج سليمان معه الجن والانس يستسقي ، فمر بنملة عرجاء ناشرة جناحها رافعة أيديها وهي تقول: اللهم إنا خلق من خلقك لاغناء بنا عن رزقك ، فلا تؤاخذنا بذنوب بني آدم واسقنا ، فقال سليمان عليه السلام لمن كان معه : ارجعوا فقد شفع فكم غيركم .

(تفسير) علي بن ابراهيم عن أبي الحسن عليه السلام قال : مـــا بعث الله نبياً قط إلا عاقلاً ، وبعض النبيين ارجح من بعض ، وما استخلف داود سليمان حتى إختبر عقله واستخلف داود سليمان وهو ابن ثلاثة عشر سنة ، ومكث في ملكه أربعين سنة ، وملك ذو القرنين وهو ابن اثني عشرة سنة ومكث في ملكه ثلاثين سنة .

(المحاسن) للبرقى عن أبي الحسن عليه السلام قال : ان سليمان بن داود عليه السلام أتته امرأة عجوز مستعدية على الريح فقال لها : مـــا دعاك الى مـــا صنعت بهذه المرأة قالت : ان رب العزة بعثني الى سفينة بني فلان لانقذها من الغرق وكانت قد اشرفت على الغرق فخرجت في عجلتي الى ما أمرني الله بـــه ، ومررت بهذه المرأة وهي على سطحها فعثرت بها ولم أردها فسقطت فانكسرت يدها فقال سليمان « ع » : يارب بما احكم على الريح فأوحى الله اليه : يا سليمان احكم بارش كسر هذه المرأة على أرباب السفينه التي أنقذتها الريح من الغرق ، فانه لا يظلم لدي أحد من العالمين .

عن ابي عبدالله « ع » قال : آخر نبي يدخل الجنة سليمان بن داود «ع» وذلك لما أعطي في الدنيا .

وعن أبي جعفر «ع» قـــال : ان سليمان قد حج البيت في الجن والانس والطير والرياح وكسى السبيت القباطي ، وهو أول من كسى البيت الثياب .

وروى : ان الريح كانت تغدو من دمشق فتقبـــل باصطخر من ارض اصفهان ، وبينها مسيرة شهر للمسرع ، وتروح من اصطخر فتبيت بكابل ، وبينهما مسيرة شهر ، تحمله الريح مع جنوده ، اعطاه الله الريح بدلاً من الصافنات الجياد .

وروي : ان داود «ع» لما شرع في بناء بيت المقدس لم يتمه ، فأحب سليمان ان يتمه بعده .

فجمع الجن والشياطين فقسم عليهم الأعمال ، فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمها الأبيض الصافي من معادنــه ، وأمر ببناء المدينة من الرخـــام والصفاح وجعلها اثني عشر ربضاً ، وانزل كل ربض منها سبطاً من الأسباط .

فلما فرغ من بناء المدينة إبتدأ في بنـــاء المسجد ، فوجّه الشياطين فرقة فرقـــة يستخرجون الذهب واليواقيت من معادنها ، وفرقة يعلقون الجواهر والأحجار من أماكنها ، وفرقة يأتونه بالمسك والعنبر وسائر الطيب ، وفرقة يأتونه بالدر من البحار فأوتي بشيء من ذلك لا يحصيه إلا الله .

ثم أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الأحجار حتى يصيرها ألواحاً ومعالجة تلك الجواهر واللئالى .

وبنى سليمان المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وعمده بأساطين المها الصافي وسقفه بألواح الجواهر وفضض سقوفه وحيطانه باللئالي واليواقيت وبسط أرضه بألواح الفيروزج ، فلم يكن في الأرض بيت أبهى ولا أنور منه ، كان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر .

فلما فرغ منه جمع اليه خيار بنى اسرائيل فأعلمهم انه بناه الله تعالى ، واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيداً .

فلم يزل بيت المقدس على ما بني سليمان، حتى غزى بخت نصر بني اسرائيل ! فخرب المدينة وهدمها ونقض المسجد وأخذ ما في سقوفه وحيطانه من الذهب والدر والياقوت والجوهر ! فحملها الى دار مملكته من أرض العراق .

وروي : انهم كانوا يعملون صور السباع والبهائم على كرسيه ليكون اهيب له .

فذكر انهم صوروا اسدين من أسفل كرسيه ونسرين فوق عمود كرسيه ، فكان اذا أراد أن يصعد الكرسي بسط الأسدان ذراعيها ، واذا علا على الكرسي نشر النسران أجنحتها فظللاه من الشمس .

ويقال : ان ذلك كان مما لا يعرفه أحد من الناس .

فلما حاول بخت نصر صعود الكرسي بعد سليمان في حين غلب على بني اسرائيل لم يعرف كيف كان يصعد سليمان ! فرفع الأسد ذراعيه فضرب ساقه فقدها ، فخرّ مغشياً عليه ، فما جسر بعده أحد ان يصعد ذلك الكرسي .

وعن الرضا «ع» : كان نقش خاتم سليمان : سبحان من الجم الجن بكلماته .

وهو أوحى الله تعالى اليه وهو يسير ما بين السماء والأرض : إني قد زدت في ملكك ، انه لا يتكلم أحد من الخلايق بشيء إلا جاءت به الريح فأخبرتك به .

ونسجت الشياطين لسليمان «ع» بساطاً فرسخاً في فرسخ ذهباً في ابريسم وكان يوضع فيه منبر من ذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة ، فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب ، والعلماء على كرسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظللها الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس.

(الكافي) عن ابي عبدالله عليه السلام قال : خرج أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة بعد العتمة وهو يقول : همهمة همهمة وليلة مظلمة ، خرج عليكم الامام عليه قميص آدم وفي يده خاتم سليمان وعصا موسى عليهم السلام .

وعن علي بن الحسين عليهم السلام قال : القنزعة التي على رأس القنبرة من مسحة سليمان بن داود عليه السلام .

وذلك ان الذكر أراد ان يستفد انثاه ، فامتنعت عليه ! فقال لها لا تمنعيني ما اريد إلا ان يخرج الله عز وجل مني نسمة يذكر به ، فأجابته الى طلبه .

فلما أرادت ان تبيض قال لها تريدين ان تبيضي ؟ فقالت لا ادري انحيه عن الطريق قال لها اني اخاف ان يمر بك مار الطريق ، ولكني ارى ذلك ان تبيضي قرب الطريق فمن يراك قربه توهم انت تتعرضين للقط الحب من الطريق فأجابته الى ذلك ، وباضت وحضنت حتى اشرفت على النقاب .

فبينا هما كذلك إذ طلع سليمان في جنوده والطير تظله ، فقالت له هذا سليمان قد طلع علينا بجنوده ولا آمن ان يحطمنا ويحطم بيضنا ، فقال لها ان سليمان عليه السلام لرجل رحيم فهل عندك شيء خبيته لفراخك اذا نقبن قال نعم عندي جرادة خبأتها منك انتظر بها فراخي اذا نقبن ، فهل عندك انت شيء ؟ قال نعم عندي تمرة خبأتها منك لفراخي ، قالت فخذ انت تمرتك وآخذ انا جرادتي ونعرض لسليمان عليه السلام فنهديها له فانه رجل يحب الهدية .

فأخذ التمرة في منقاره واخذت هي الجرادة في رجليها ثم تعرضوا لسليمان عليه السلام.

فلما رآهما وهو على عرشه بسط يده لهما ، فأقبلا فوقع الذكر على اليمين ووقعت الانثى على اليسار ، وسألهما عن حالهما فأخبراه ، فقبل هديتهما وجنب جنده عنها وعن بيضها ومسح على رأسيهما ودعا لهما بالبركة ، فحدثت القنزعة على رأسيهما من مسحة سليمان عليه السلام .

وروي : ان سليمان عليه السلام مر في موكبه بعابد من عباد بني اسرائيل ، فقال : والله يا بن داود لقد آتاك الله ملكاً عظيماً ، فسمعه سليمان فقال : لتسبيحة في صحيفة المؤمن خير مما اعطي ابن داود ما اعطي ، ابن داود يذهب وان التسبيحة تبقى .

وكان سليمان اذا اصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف ، حتى يجيء الى المساكين ويقعد معهم ، ويقول مسكين من المساكين ، وكان مع ما فيه من الملك يلبس الشعر

واذا جنه الليل شد يديه الى عنقه ، فلا يزال قائماً حتى يصبح باكياً ، وكان قوته من سفائف الخوص يعملها بيده ، وانما سألك الملك ليقهر ملوك الكفر .

وكان اذا ركب حمل اهله وحشمه وخدمه وكتابه ، وقد اتخذ مطابخ ومخابز يحمل فيها تنانير الحديد وقدور عظام يسع كل قدر عشرة جزور ، وقد اتخذ ميادين للدواب أمامه ، فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون ، وتجري الدواب بين يديه بين السماء والأرض والريح تهوي بهم .

فسار من اصطخر الى اليمن ، فسلك ملك مدينة الرسول ﷺ فقال سليمان عليه السلام : هذا دار هجرة نبي في آخر الزمان ، طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ، ورأى حول البيت اصناماً تعبد من دون الله !

فلما جاوز سليمان البيت بكى البيت ، فأوحى الله اليه : ما يبكيك ؟ قالت : يا رب ابكاني هذا نبي من انبيائك وقوم من اوليائك مروا بي فلم يهبطوا ولم يصلوا عندي ولم يذكروك بحضرتي ، والأصنام تعبد حولي من دونك فأوحى الله تعالى اليه : لا تبك فاني سوف أملأك وجوهاً سجداً وأنزل فيك قرآناً جديداً وابعث منك نبياً في آخر الزمان احب انبيائي إلي ، واجعل فيك عماراً من خلقي يعبدونني ، وافرض على عبادي فريضة يدفون اليك دفوف النسور الى وكورها ويحنون اليك حنين الناقة الى ولدها واطهرك من الأوثان .

وروي : ان سليمان عليه السلام لما ملك بعد ابيه ، امر باتخاذ كرسي ليجلس عليه للقضاء ، وأمر ان يعمل مهولاً بديعاً بحيث لو رآه مبطل ارتدع فعمل له كرسي من انياب الفيلة وفصصوه بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وانواع الجواهر وحففوه بأربع نخلات من ذهب شماريخها الياقوت الأحمر والزمرد الأخضر على رأس نخلتين منها طاووسان من ذهب وعلى رأس الآخرين نخلان من ذهب بعضها مقابلا لبعض ، وجعلوا من جنبي الكرسي أسدين من الذهب على رأس كل واحد منها عموداً من الزمرد الأخضر ، وقد عقدوا على النخلات اشجار كروم من الذهب الأحمر واتخذوا عناقيد من الياقوت الأحمر ، بحيث يظل عريش الكوم والنخل والكرسي .

وكان سليمان اذا أراد الصعود وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسي كله بما فيه دوران الرحى المسرعة ، وتنشر تلك النسور والطواويس اجنحتها ويبسط الأسدان أيديها فتضربان الأرض بأذنابها وكذلك كل درجة يصعدها سليمان عليه السلام فاذا

استوى بأعلاه اخذ النسران اللذان على النخلتين تاج سليمان عليه السلام فوضعاه على رأس سليمان، ثم يستدير الكرسي بما فيه ويدور معه النسران والطاووسان والأسدان مائلات برؤوسها الى سليمان ينفخن عليه من اجوافها المسك والعنبر ، ثم تتناول حمامة من ذهب ـ قائمة على عمود من جوهر من اعمدة الكرسي ـ التورات، فيفتحها سليمان ويقرأها على الناس ويدعوهم الى فصل القضاء ، ويجلس علماء بني اسرائيل على الكراسي من الذهب المفصصة بالجوهر وهي الف كرسي عن يمينه وتجيء عظماء الجن وتجلس على كراسي الفضة على يساره وهي الف كرسي حافين جميعاً به،ثم تحف به الطير فتظلهم، وتتقدم اليه الناس للقضاء ، فاذا دعا البينات والشهود ، لاقامة الشهادات ، دار الكرسي بما فيه مع جميع ما حوله دوران الرحى المسرعة ويبسط الاسدان ايديهما ويضربان الارض بأذنابهما وينشر النسران والطاووسان بأجنحتها ، فيفزع منه الشهود ويدخلهم من ذلك رعب ولا يشهدون إلا بالحق .

روي هذا كله في كتاب (تنبيه الخاطر) .

الفصل الثاني

في معنى قول سليمان : « رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي » وفي قصة مروره بوادي النمل وفي قوله تعالى : (فطفق مسحاً بالسوق والأعناق)

(معاني الأخبار وعلل الشرايع) باسناده الى علي بن يقطين قال : قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام أيجوز ان يكون نبي الله بخيلاً ؟ فقال لا ، قلت له فقول سليمان : (رب إغفر لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) ما وجهه ومعناه ؟ فقال : الملك ملكان ، ملك مأخوذ بالغلبة والجور وإجبار الناس ، وملك مأخوذ من قبل الله تعالى ذكره ، كملك آل ابراهيم وملك طالوت وملك ذي القرنين،فقول سليمان: (رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) انه يقول : انه مأخوذ بالغلبة والجور وإجبار الناس ، فسخر الله عز وجل له الريح تجري بأمره رخاء حيث اصاب وجعل غدوها

شهراً ورواحها شهراً ، وسخر الله عز وجل له الشياطين كل بناء وغواص ، وعلم منطق الطير ومكن في الأرض في وقته وبعده ان ملكه لا يشبه ملك الملوك المختارين من قبل الناس والمالكين بالغلبة والجور .

فقلت له : فقول رسول الله ﷺ : رحم الله اخي ما كان ابخله فقال : لقوله عليه السلام وجهان :

أحدهما – ما كان ابخله بعرضه وسؤال قوله فيه .

والوجه الآخر – يقول ما كان ابخله ، ان كان اراد ما يذهب اليه الجهال .

ثم قال « ع » : قد والله اوتينا ما اوتي سليمان وما لم يؤت احد من الأنبياء .

قال الله عز وجل في قصة سليمان : (هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب) .

وقال « ع » في قصة محمد ﷺ : (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) .

أقول : تأويله « ع » لما روي من قوله ﷺ : رحم الله اخي سليمان ما كان ابخله ، يجوز ان تكون إشارة الى ان الحديث من الموضوعات والتأويل لحمل الخبر على التقية .

لأن انكار الحديث اذا لم يمكن يطلبون عليهم السلام الوجوه البعيدة .

ونحو ذلك ورد في الأخبار كثيراً ، والله العالم .

واما مروره « ع » بوادي النمل

فقال الله سبحانه : (وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون * حتى اذا اتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون * فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحاً ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين) .

وادي النمل : هو واد بالطائف .

وقيل : بالشام ، وتلك النملة كانت رئيسة النمل .

وقولها : (لا يحطمنكم) يدل على أن سليمان وجنوده كانا ركباناً ومشاة على الأرض ولم تحملهم الريح ، لأن الريح ، لو حملتهم بين السماء والأرض لما خافت النملة أن يطأها وجنوده بأرجلهم . ولعل هذه القصة كانت قبل تسخير الله الريح لسليمان .

(عيون الأخبار وعلل الشرايع) باسناده الى داود بن سليمان الغازي قال : سمعت علي بن موسى الرضا «ع» يقول عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر ابن محمد «ع» في قوله تعالى : (فتبسم ضاحكاً من قولها – لما قالت النملة – : يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم . . .) الآية . حملت الريح صوت النملة الى سليمان وهو مار في الهواء والريح قد حملته ، فوقف وقال : عليّ بالنملة .

فلما أتي بها ، قال سليمان : يا أيتها النملة أما علمت اني نبي ؟ واني لا أظلم أحداً ؟ قالت النملة : بلى ، قال سليمان «ع» : فلم حذرتهم ظلمي؟ قالت : خشيت ان ينظروا الى زينتك فيفتتنوا بها فيبعدوا عن ذكر الله تعالى ذكره .

ثم قالت النملة : أنت أكبر ام أبوك داود ؟ قال سليمان : بل أبي داود ، قالت النملة : فلم زيد في حروف اسمك حرف على حروف اسم أبيك داود ؟ قال : ما لي بهذا علم . قالت النملة لأن أباك داود داوى جرحه بود ، فسمي داود وانت يا بن داود أرجو أن تلحق بأبيك . ثم قالت النملة : هل تدري لمَ سخرت لك الريح من بين سائر المملكة ؟ قال سليمان مالي بهذا علم ، قالت النملة يعني «ع» بذلك لو سخرت لك هذه الريح لكان زوالها من يدك كزوال الريح . فحينئذ (تبسم ضاحكاً من قولها) .

وفي (تفسير الثعلبي) قالت النملة هل علمت لم سمي أبوك داود ؟ فقال : لا ، فقالت لأنه داوى جرحه بود ، هل تدري لم سميت سليمان ؟ قال : لا ، قالت لأنك سليم وكنت الى ما اوتيت لسلامة صدرك ، وان لك أن تلحق بأبيك .

أقول : هذا الحديث عدوه من مشكلات الأخبار وأطالوا الكلام في تأويله على وجوه كثيرة : منها – ان معناه أن أباك لما ارتكب ترك الاولى وصار قلبه مجروحاً ، فداواه بود الله تعالى ومحبته ، فلذا سمي داود ، إشفاقاً من الدواء بالود ، وأنت لم تركب بعد وانت سليم منه ، سميت سليمان .

فخصوص العلتين للتسميتين صارتا علة ، علة لزيادة اسمك على اسم أبيك .
ثم لما كان كلاهما موهماً لكونة من جهة السلامة أفضل من أبيه ، استدركت ذلك

بأن ما صدر عنه ، لم يصر سبباً لنقصه ، بل صار سبباً لكمال محبته وتمام مودته وأرجو أن تلحق أيضاً بأبيك ، في ذلك لتكمل محبتك .

الثاني – ان المعنى هو أن أصل الاسم داوى جرحه بود، وهو أكثر من اسمك وانما صدر بكثرة الاستعمال داود ، ثم دعا له درجات بقوله أرجو أن تلحق بأبيك ، يعني في الكمال والفضل .

الثالث – المراد أن هذا الاسم مشتمل على سليم أو مأخوذ منه والسليم قد يستعمل في الجريح ، كاللديغ ، تفألاً بصحته وسلامته ، أو أنت سليم من المداواة التي حصلت لأبيك ، فلهذا سميت سليمان .

فالحرف الزائد للدلالة على وجود الجرح ، فكما أن الجرح زائد في البدن أو النفس عن أصل الخلقة ، كان في الاسم حرف زائد للدلالة على ذلك .

وفيه معنى لطيف وهو : ان هذه الزيادة في الاسم الدالة على الزيادة في المسمى ليست مما يزيد به الاسم والمسمى كمالاً ، بل قد تكون الزيادة لغير ذلك .

الرابع – وهو المفهوم مما عنون الصدوق رحمه‌الله الباب الذي أورد الخبر فيه حيث قال : باب العلة التي من أجلها زيد في حروف اسم سليمان حرف من حروف اسم أبيه داود عليه‌السلام ، فلعله رحمه الله كما قيل : حمل الخبر على أن المعنى انك لما كنت سليماً أريد أن يشتق لك اسم يشتمل على السلامة ، ولما كان أبوك داود داوى جرحه بالود وصار كاملاً بذلك أراد الله تعالى أن يكون في اسمك حرف من حروف اسمه لتلحق به في الكمال ، فزيد فيه الألف وما يلزمه لتمام التركيب وصحته من النون فصار سليمان ، وإلا لكان السليم كافياً للدلالة على السلامة .

فلذا زيد حروف اسمك على حروف اسم أبيك ، ولو كان في الخبر من حروف اسم أبيك ، كما هو الموجود في بعض النسخ . كان الصق بهذا المعنى وقوفها ، أرجو أن تلحق بأبيك – أي لتلك الزيادة فيدل ضمناً وكتابة على أنه انما زيد لذلك . أقول: ويحتمل فيه وجوه أخر لا نطول المقام بها .

وروى الطبرسي في (مشارق الأنوار) : ان سليمان عليه‌السلام كان سماطه كل يوم سبعة اكرار ، فخرجت دابة من دواب البحر يوماً وقالت : يا سليمان أضفني اليوم فأمر أن يجمع لها مقدار سماطه شهراً ، فاجتمع على ساحل البحر كالجبل العظيم ، أخرجت الحوت رأسها وابتلعته وقالت : يا سليمان أين تمام قوتي اليوم ؟ هذا بعض قوتي ،

فتعجب سليمان وقال لها : هل في البحر دابة مثلك ؟ فقالت : ألف امة فقال سليمان: سبحان الله الملك العظيم .

وروي غيره : ان سليمان ﷺ رأى عصفوراً يقول لعصفورته : لم تمنعين نفسك مني؟ ولو شئت أخذت قبة سليمان بمنقاري فألقيها في البحر ! فتبسم سليمان «ع» من كلامه . ثم دعاهما وقال للعصفور : أتطيق أن تفعل ذلك ؟ فقال لا يا رسول الله ولكن المرء قد يزين نفسه ويعظمها عند زوجته والمحب لا يلام على ما يقول ، فقال للعصفورة لم تمنعيه من نفسك وهو يحبك؟ فقالت يا نبي الله أنه ليس محباً ولكنه مدع، لأنه يحب معي غيري .

فأثر كلام العصفورة في قلب سليمان وبكى بكاءاً شديداً واحتجب عن الناس أربعين يوماً يدعو الله أن يفرغ قلبه لمحبة الله وان لا يخالطها بمحبة غيره .

وري : انه «ع» سمع يوماً عصفوراً يقول لزوجته إدني مني أجامعك لعل الله يرزقنا ولداً ذكراً يذكر الله تعالى فإنا كبرنا . فتعجب سليمان من كلامه وقال : هذه النية خير من ملكي . ومر سليمان «ع» على بلبل يتصوت ويترقص ، فقال : يقول اذا أكلت نصف الثمرة فعلى الدنيا العفى .

وصاحت فاختة . فقال : انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا .

وروى الزمخشري أن قتادة دخل الكوفة والتف عليه الناس ، فقال سلوا عما شئتم ! وكان أبو حنيفة حاضراً وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكراً أم انثى ؟ فسألوه فأفحم ! فقال أبو حنيفة كانت أنثى ، بدليل قوله تعالى : (قالت نملة) وذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعه على الذكر والانثى ، فيميز بينهما بعلامة ، نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى ، انتهى .

وقال الفاضل ابن الحاجب في بعض مصنفاته .

والظاهر أن الأمالي مثل الشاة والنملة والحمامة من الحيوانات تأنيث لفظي .

ولذلك كان قول من زعم أن النملة في قوله تعالى : (قالت نملة) انثى لورود تاء التأنيث في قالت ، وهي وهماً لجواز أن يكون مذكراً في الحقيقة وورود تاء التأنيث كورودها في فعل المؤنث اللفظي. ولذا قيل : إفحام قتادة خير من جواب أبي حنيفة.

أقول : وهذا هو الصواب كما حققه نجم الأئمة الشيخ الرضي نور الله ضريحه وقد

فضح الله الرجلين ، قتادة حيث إدعى شيئاً لم يدعه غير أمير المؤمنين «ع» إلا كان كاذباً ، وهو قوله «ع» : (سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني عما شئتم) نص عليه الفريقان . وأما أبو حنيفة فقد أجاب وهو حدث وافتخر أصحابه بجوابه ! فظهر جوابه غلطاً ! كما قال أهل مذهبه وغيرهم .

وقال الثعلبي في تفسيره : قال مقاتل كان سليمان «ع» جالساً ، إذ مر به طائر يطوف فقال : هذا الطائر يقول السلام عليك أيها الملك المتسلط على بني اسرائيل أعطاك الله سبحانه وتعالى الكرامة وأظهرك على عدوك ، اني منطلق الى فروخي ، ثم أمر بك ثانية ، وانه سيرجع الينا .

فنظر القوم طويلاً ، فمر بهم ، فقال السلام عليك أيها الملك ان شئت أن تأذن لي كيما أكسب على فروخي حتى يشبوا ثم آتيك فافعل بي ما شئت فأذن له .

وقال : صاح ورشان عند سليمان «ع» ، فقال أتدرون ما يقول ؟ قالوا لا ، قال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا .

وصاح طاووس . فقال انه يقول كما تدين تدان

وصاح هدهد . فقال انه يقول من لا يرحم لا يُرحم .

وصاح صرد عنده . فقال انه يقول استغفروا الله يا مذنبين .

وصاح طوطي . فقال انه يقول كل حي ميت وكل جديد بال.

وصاح خطاف . فقال : قدموا خيراً تجدوه .

وهدرت حمامة . فقال تقول سبحان ربي الأعلى ملأ سماواته وارضه .

وصاح قمري ، فقال تقول سبحان ربي الأعلى .

قال : والغراب يدعو على العشارين .

والحدءة تقول: كل شيء هالك إلا وجهه .

والقطا تقول من سكت سلم .

والببغاء وهو طائر يقول لمن الدنيا همه.

والضفدع يقول سبحان ربي القدوس .

والباز يقول : سبحان ربي وبحمده .

والضفدعة تقول : سبحان المذكور بكل مكان .

وصاح دراج فقال : انها تقول : الرحمن على العرش إستوى .

(دعوات الراوندي) : ذكروا أن سليمان كان جالساً على شاطىء بحر ، فبصر بنملة تحمل حبة قمح تذهب بها نحو البحر ، فجعل سليمان ينظر اليها حتى بلغت الماء فإذا بضفدعة قد أخرجت رأسها من الماء ففتحت فاهـــا ، فدخلت النملة وغاصت الضفدعة في البحر ساعة طويلة وسليمان «ع» يتفكر في ذلك متعجباً.

ثم أنها خرجت من الماء وفتحت فاها ، فخرجت النملة ولم يكن معها الحبة .

فدعاها سليمان «ع» وسألها وشأنها وأين كانت ؟ فقالت : يا نبي الله ان في قعر البحر الذي تراه صخرة مجوفة وفي جوفها دودة عمياء وقد خلقها الله تعالى هنالك ، فلا تقدر أن تخرج منها لطلب معاشها ، وقد وكلني الله برزقها فأنا أحمل رزقها وسخر الله تعالى هذه الضفدعة لتحملني فلا يضرني الماء في فيها ، وتضع فاها على ثقب الصخرة وأدخلها ، ثم إذا أوصلت رزقها اليها خرجت من ثقب الصخرة الى فيها فتخرجني من البحر .

قال سليمان «ع» : وهل سمعت لها من تسبيحة ؟ قالت نعم ، تقول يا من لا ينساني في جوف هذه اللجة برزقك ، لا تنس عبادك المؤمنين برحمتك .

واما حكاية الخيل

فقال الله سبحانه : (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب * إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد * فقـــال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب * ردوها علي فطفق مسحاً بالسوق والأعناق . ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) .

(تفسير) علي بن ابراهيم : وذلك أن سليمان «ع» كان يحب الخيل ويستعرضها فعرضت عليه يوما الى ان غابت الشمس وفاته صلاة العصر ، فاغتم من ذلك ودعا الله أن يرد عليه الشمس حتى يصلي العصر ؟ فردها عليه الى وقت العصر فصلاها ، وأقبل يضرب أعناق الخيل ويسوقها بالسيف حتى قتلها كلها .

وهو قوله عز اسمه : (ردوها عليّ فطفق مسحاً بالسوق والأعناق * ولقد فتنا سليان) وذلك ان سليان «ع» لما تزوج بالبائنة ولد له منها ابن ، وكان يحبه فنزل ملك الموت على سليان ، وكان كثيراً ما ينزل عليه ، فنظر الى ابنه نظراً حديداً ، ففزع سليان من ذلك وقال لأمه : ان ملك الموت نظر الى ابني نظرة أظنه أمر بقبض روحه .

فقال للجن والشياطين : هل لكم أن تفروه من الموت ؟ فقال واحد أنا أضعه تحت عين الشمس في المشرق ! فقال سليان «ع» ان ملك الموت يخرج ما بين المشرق والمغرب ، فقال واحد منهم أنا أضعه في الأرضين السابعة ! فقال أن ملك الموت يبلغ ، فقال آخر أنا أضعه في السحاب والهوا ، فرفعه ووضعه في السحاب .

فجاء ملك الموت فقبض روحه في السحاب ، فوقع ميتاً على كرسي سليان ، فعلم انه قد أخطأ

فحكى الله ذلك في قوله : (وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب . . .) الآيات.

وقال الصادق «ع» : جعل الله عز وجل ملك سليان في خاتمه فكان اذا لبسه حضرته الجن والانس والشياطين وجميع الطير والوحوش ، فأطاعوه ، فيقعد على كرسيه ، ويبعث الله عز وجل ريحاً تحمل الكرسي بجميع ما عليه من الشياطين والطير والدواب والانس والخيل ، فتمر بها في الهواء الى موضع يريده سليان ، وكان يصلي الغداة بالشام والظهر بفارس وكان يأمر الشياطين أن يحملوا الحجارة من فارس ويبنوها بالشام .

فلما قتل الخيل سلبه الله ملكه ، وكان اذا دخل الخلاء دفع خاتمه الى بعض من يخدمه .

فجاء شيطان فخدع خادمه وأخذ منه الخاتم ولبسه ، فحشرت عليه الشياطين والجن والانس والطير وللوحوش ، وخرج سليان في طلب الخاتم فلم يجده ، فهرب ومر على ساحل البحر .

وانكرت بنو اسرائيل الشياطين الذين تصوروا في صورة سليان ، وصاروا الى امه ، فقالوا لها أتنكرين من سليان شيئاً ؟ فقالت : كان ابر الناس بي وهو اليوم يعصيني ، وصاروا الى جواريه ونسائه وقالوا أتنكرون من سليان شيئاً ؟ قلن : لم يكن يأتينا في الحيض وهو يأتينا في الحيض .

فلما خاف الشيطان أن يفطنوا به ألقى الخاتم في البحر ، فبعث الله سمكة فالتقمته وهرب الشيطان .

فبقي بنو اسرائيل يطلبون سليمان أربعين يوماً .

وكان سليمان يمر على ساحل البحر تائباً الى الله مما كان منه .

فلما كان بعد أربعين يوماً مر بصياد يصيد السمكة ، فقال له : أعينك على أن تعطيني من السمك شيئاً ؟ قال نعم ، فأعانه سليمان .

فلما إصطاد دفع الى سليمان سمكة فأخذها وشق بطنها ، فوجد الخاتم في بطنها فلبسه ،وخرت عليه الشياطين والجن والانس ورجع الى مكانه ، وطلب ذلك الشيطان وجنوده فقيدهم وحبس بعضهم في جوف الماء وبعضهم في جوف الصخر بأسامي الله فهم محبوسون معذبون الى يوم القيامة .

فلما رجع سليمان الى ملكه قال لآصف ، وكان آصف كاتب سليمان وهو الذي كان عنده من علم الكتاب :قد عذرت الناس بجهالتهم ،فكيف أعذرك ؟ قال : لا تعذرني فلقد عرفت الشيطان الذي أخذ خاتمك وأباه وأمه وخاله ، ولقد قال لي أكتب لي ، فقلت له : ان العلم لا يجري بالجور ، فقال أجلس ولا تكتب ، فكنت أجلس ولا أكتب شيئاً ، ولكن أخبرني عنك صرت تحب الهدهد وهو أخس الطير منتناً وأخبثه ريحاً ، قال انه يبصر الماء من وراء الصفا الاصم ،فقال وكيف يبصر الماء من وراء الصفا الأصم ؟ وانما يوارى عنه القمح بكف من التراب يأخذ رقبته ، فقال سليمان : قف يا وقاف فإنه اذا جاء القدر حال دون البصر .

أقول : هذه الرواية موفقة للعامة ، فهي محمولة على التقية .

والصحيح الوارد في الأخبار عن الصادق «ع» : انها لما عرضت على سليمان «ع» الخيل وفاته وقت الصلاة ردت عليه الشمس وشرع يتوضأ ويمسح بساقه وعنقه ـ يعني يتوضأ للصلاة هو ومن معه ـ وإلا فالخيل لا ذنب لها ، حتى يمسح سوقها وأعناقها بالسيف .

الفصل الثالث

في قصته مع بلقيس وفيه نقش الغنم ووفاته عليه السلام

(تفسير علي بن ابراهيم) : كان سليمان عليه السلام اذا قعد على كرسيه جاءت جميع الطير ، فتظل الكرسي بجميع من عليه من الشمس ، فغاب عنه الهدهد من بين الطير ، فوقع الشمس من موضعه في حجر سليمان ، فرفع رأسه وقال (مالي لا أرى الهدهد . . .) الآيات .

فلم يمكث إلا قليلاً إذ جاء الهدهد ، فقال له سليمان : (أين كنت قال احطت بما لم تحط به) وحكى له قصة سبأ ، فقال له سليمان : خذ الكتاب اليها .

فجاء به ووضعه في حجرها ، فارتاعت من ذلك ، وجمعت جموعها وقالت لهم (إني ألقي إلي كتاب كريم – أي مختوم – انه من سليمان . . .) الآيات .

وذكر الكتاب الى قولها ان كان نبياً من عند الله كما يدعي ، فلا طاقة لنا به ، ولكن سأبعث اليه بهدية ، فان كان ملكاً يميل الى الدنيا فيقبلها ! وعلمنا انه لا يقدر علينا . فبعثت اليه حقة فيها جوهرة عظيمة وقالت للرسول : قل له تثقب هذه الجوهرة بلا حديد ولا نار .

فأتاه الرسول بذلك ، فأمر سليمان عليه السلام بعض جنوده ، فأخذ خيطاً في فمه ثم ثقبها وأخرج الخيط من الجانب الآخر ، وقال سليمان «ع» لرسولها : ما أتاني الله خير مما أتاكم (بل أنتم بهديتكم تفرحون * إرجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجهم منها أذلة وهم صاغرون) .

فرجع اليها الرسول فأخبرها بقوة سليمان ، فعلمت أنه لا محيص لها ، فارتحلت وخرجت نحو سليمان .

فلما أخبره الله : بإقبالها نحوه ، قال للجن والشياطين: (أيكم يأتينا بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين * قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) قال سليمان عليه السلام أريد أسرع فقال آصف : أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك)

فدعا الله بالاسم الأعظم .

فخرج السرير من تحت كرسي سليمان ، فقال سليمان : (نكروا لها عرشها ـ أي غيروه ـ ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون) .

فلما جاءت قيل : أهكذا عرشك ؟ قالت كأنه هو ، وكان سليمان قد أمر أن يتخذ لها بيت من قوارير ، ووضعه على الماء ، ثم قيل لها : ادخلي الصرح فظنت انه ماء ، فرفعت ثوبها وأبدت ساقيها ، فإذا عليها شعر كثير ، فقيل لها أنه صرح ممرد من قوارير (قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) .

فتزوجها سليمان عليه‌السلام وقال للشياطين اتخذوا لها شيئاً يذهب عنها هـذا الشعر فعملوا الحمامات وطبخوا النورة .

فالحمامات والنورة مما أحدثه الشياطين لبلقيس ، وكذا الأرحية التي تدور على الماء.

وفي (الكافي) عن أبي الحسن الأول «ع» : ان الله ما بعث نبياً إلا ومحمد صلى‌الله‌عليه‌وآله أعلم منه .

ثم قال : ان سليمان بن داود « ع » قـال للهدهد حين فقده : (مالي لا أرى الهدهد) ؟ فغضب لفقده ، لأنه كان يدله على الماء ، فهذا وهو طائر أعطي ما لم يعط سليمان فلم يكن سليمان «ع» يعرف الماء تحت الهواء ـ أي الأرض ـ وكان الطير يعرفه ، وان الله يقول في كتابه : (ولو ان قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى) وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال وتقطع بـه البلدان ويحيي به الموتى ، ونحن نعرف الماء تحت الهواء ـ يعني الأرض ـ .

وعن أبي جعفر «ع» : إن إسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً ، وإنما كان عند آصف منها حرف واحد ، فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس ، حتى تناول السرير بيده ، ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفـة عين ، ونحن عندنا من الاسم الأعظم إثنان وسبعون حرفاً ، وحرف عند الله تبارك وتعالى إستأثر به في علم الغيب ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وفيه عن أبي عبدالله «ع» : من أراد الاطلاء بالنورة فأخـذ من النورة باصبعه فشمه وجعله على طرف انفه وقال : صلى الله على سليمان بن داود كما أمرنا بالنورة ، لم تحرقه النورة .

وروى العياشي بالاسناد قال : قال أبو حنيفة لأبي عبدالله «ع» : كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير ؟ قال : لأن الهدهد يرى الماء في بطن الأرض كما يرى أحدكم الدهن في القارورة .

فنظر أبو حنيفة الى أصحابه وضحك ! فقال أبو عبدالله «ع» ما يضحكك ؟ قال ظفرت بك جعلت فداك ، قال وكيف ذلك؟ قال الذي يرى الماء في بطن الأرض لا يرى الفخ في التراب حتى يأخذ بعنقه ، فقال أبو عبدالله «ع» : يا نعمان أما علمت أنه اذا نزل القدر أعشى البصر ، وفي قوله : (لأعذبه عذاباً شديداً) أي انتف ريشه وألقيه في الشمس .

وعن ابن عباس : وقيل بأن أجعله بين أضداده .

أقول : ورد أنه أمر بحبسه مع الحداة في قفص واحد .

فلما أشكل الأمر على الهدهد ، لأن فيه عذاباً روحانياً طلب من سليمان «ع» أن يعذبه بأشد عذاب الطيور ويخرجه من قفص الحداة .

فسأل الطيور فقالوا العذاب الشديد عندنا أن ينتف ريشه الطيور بمناقيرها وتبقى لحمه ملقاة حتى ينبت له الريش ، فصبر على هذا العذاب واختاره على ذلك ، لأنه عذاب جسماني وذاك عذاب روحاني .

قال أمين الاسلام الطبرسي : اختلف في الهدهد :

فقيل : أهدت اليه وصيفاً ووصائف البستهم لباساً واحداً ، حتى لا يعرف الذكر من الانثى .

عن ابن عباس : وقيل اهدت مائتي غلام ومائتي جارية ، البست الغلمان لباس الجواري والبست الجواري لباس الغلمان .

عن مجاهد ، وقيل أهدت له صفائح الذهب في اوعية الديباج .

فلما بلغ ذلك سليمان «ع» أمر الجن فزوقوا له الآجر بالذهب ، ثم أمر به فألقي في الطريق في كل مكان صغر في أعينهم ما جاؤا به .

ولما كتبت نسخة الهدية كتبت فيها: إن كنت نبياً فميز بين الوصيف والوصائف واخبر بما في الحقة قبل أن تفتحها ، وقالت للرسول أنظر اذا دخلت اليه فان نظر اليك نظر غضب ، فاعلم انه ملك ! فلا يهولنك أمره ، وان نظر اليك نظر لطف

فاعلم انه نبي مرسل .

فانطلق الرسول بالهدايا وأتى الهدهد الى سليمان مسرعاً مخبراً له .

ثم ان سليمان ﷺ جمع الجن والأنس والطيور ، ووضع ميداناً ، وذلك ان سليمان « ع » أمر الجن ان يبسطوا من موضعه الذي هو فيه إلى بضع فراسخ ميداناً واحداً بلبنات من الذهب والفضة وأن يجعلوا حول الميدان حائطاً شرفها من الذهب والفضة ففعلوا .

ثم قال للجن عليّ بأولادكم فاجتمع خلق كثير ، فأقامهم عن يمين الميدان ويساره ، ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره ووضع له أربعة آلاف كرسي عن يمينه، ومثلها عن يساره ، وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفاً فراسخ ، وأمر الإنس فاصطفوا فراسخ ، وأمر الوحوش والسباع والهوام والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه ويساره . فلما دنى القوم من الميدان ونظروا إلى ملك سليمان عليه السلام تقاصرت إليهم أنفسهم ورموا بما عندهم من الهدايا .

فلما وقعوا بين يدي سليمان ، نظر اليهم نظراً حسناً بوجه طلق وقال ما وراءكم فأخبره رئيس القوم بما جاؤا به وأعطاه كتاب الملكة فنظر اليه وقال اين الحقة ؟ فأتى بها وحركها وأخبره جبرائيل بما فيها،وقال ان فيها درة يتيمة غير مثقوبة وخرزة مثقوبة معوجة الثقب . فقال الرسول صدقت فاثقب الدرة وادخل الخيط في الخرزة فأرسل سليمان الى الارضة فجاءت فأخذت شعرة في فيها ، فدخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر .

ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها الخيط ؟ فقالت دودة بيضاء انا لها يا رسول الله فثقبتها ، ثم ميز بين الجواري والغلمان ، بأن امرهم ان يغسلوا وجوههم وايديهم فكانت الجارية تأخذ الماء من الآنية باحدى يديها ثم تجعله على اليد الاخرى ثم تضرب به الوجه،والغلام يأخذ من الآنية يضرب به وجهه ، وكانت الجارية على باطن ساعدها، والغلام على ظاهر الساعد ؛ وكانت الجارية تصب الماء صباً ، وكان الماء يحدر على يده حدراً ، فميز بينهم بذلك .

وقيل : انها انفذت مع هداياها عصاً كانت تتوارثها ملوك حمير، وقالت أريد أن تعرفني رأسها من أسفلها، وبقدح قالت تملأه ماء ليس من الارض ولا من السماء فأرسل سليمان العصا الى الهواء وقال أي الرأسين سبق الى الارض فهو أصلها وأمر الخيل

فأجريت حتى عرقت وملأ القدح من عرقها ، وقال هذا ليس من ماء الارض ولا من ماء السماء .

فلما رجع الرسول وعلمت انه نبي ، تأهبت للمسير اليه ، واخبره جبرائيل « ع » فعند ذلك قال سليمان عليه السلام : (أيكم يأتيني بعرشها قبل أن تسلم) فيحرم عليه اخذ مالها . وقيل أراد ان يجعل دليلا ومعجزة على صدقه ونبوته ؛ لانها خلفته في دارها ووكلت به ثقاة قومها يحفظونه ويحرسونه .

وأما كيفية الاتيان به فذكر العلماء في ذلك وجوهاً .

أحدها ـ ان الملائكة حملته بأمر الله تعالى .

والثاني ـ ان الريح حملته .

والثالث ـ ان الله تعالى خلق فيه حركات متوالية .

والرابع ـ انما انخرق مكانه حيث هو هناك ثم نبع بين يدي سليمان «ع» .

والخامس ـ ان الارض طويت له ، وهو المروي عن ابي عبد الله «ع» .

والسادس ـ انه اعدمه الله في موضعه وأعاده في مجلس سليمان عليه السلام .

وفي تفسير العياشي عن الحسن العسكري عليه السلام انه سئل اكان سليمان عليه السلام محتاجاً الى علم آصف بن برخيا ، يعني حتى احضر له عرش بلقيس فقال عليه السلام : ان سليمان لم يعجز عن معرفة ما عرفه آصف ، لكنه صلوات الله عليه أحب ان يعرف امته من الجن والانس انه الحجة من بعده ، وذلك من علم سليمان عليه السلام اودعه آصف بأمر الله ، ففهمه الله ذلك ، لئلا يختلف في امامته ودلالته كما فهم سليمان « ع » في حياة داود «ع» ، لتعرف إمامته ونبوته من بعده لتأكيد الحجة على الخلق

وفي (تفسير العسكري عليه السلام) : ان سليمان لما سار من مكة ونزل باليمن قال الهدهد : ان سليمان « ع » قد اشتغل بالنزول ، فارتفع نحو السماء فانظر الى طول الدنيا وعرضها ففعل ذلك ونظر يميناً وشمالا ، فرأى بستاناً لبلقيس فمال الى الخضرة فوقع فيه ، فاذا هو بهدهد فهبط عليه ، وكان اسم هدهد سليمان « ع » يعفور واسم هدهد اليمن عنقير ، فقال عنقير ليعفور من اين اقبلت ؟ واين تريد ؟ قال اقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود « ع » وقال ومن سليمان بن داود ؟ قال ملك الجن والانس والطير والوحوش والشياطين والرياح ، فمن اين انت ؟ قال انا من هذه البلاد

قال ومن ملكها؟ قال امرأة يقال لها بلقيس وان لصاحبكم سليمان ملكاً عظيماً، وليس ملك بلقيس دونه،فانها ملكة اليمن،وتحت يدها اثنى عشر ألف قائد!فهل انت منطلق معي؟ حتى تنظر الى ملكها؟ قال اخاف ان يتفقدني سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج الى الماء، قال الهدهد اليماني ان صاحبك ليسره ان تأتيه بخبر هذه الملكة.

فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها، وما رجع الى سليمان إلا وقت العصر.

فلما طلبه سليمان فلم يجده دعا عريف الطيور وهو النسر فسأله عنه فقال ما ادري اين هو، وما ارسلته مكاناً، ثم دعا بالعقاب فقال علي بالهدهد فارتفع فإذا هو بالهدهد مقبلا، فانقض نحوه فناشده الهدهد: بحق الله الذي قوّاك وغلبك عليّ، إلا ما رحمتني ولم تعرض لي بسوء فولى عنه العقاب وقال له:ويلك ثكلتك امك،ان نبي الله حلف ان يعذبك أو يذبحك.

ثم طارا متوجهين الى سليمان «ع».

فلما انتهى الى المعسكر تلقته النسر والطير، فقالوا: توعدك نبي الله فقال الهدهد: أو ما استثنى نبي الله؟ فقالوا بلى (او ليأتيني بسلطان مبين).

فلما أتيا سليمان وهو قاعد على كرسيه، قال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله

فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعاً لسليمان عليه السلام، فأخذ برأسه فمده اليه، فقال أين كنت؟ فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد سليمان عليه السلام وعفى عنه.

(التهذيب) عن ابي بصير قال سألت ابا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل (وداود وسليمان إذ نفشت فيه غنم القوم) فقال: لا يكون النفش إلا بالليل، ان على صاحب الحرث ان يحفظ الحرث بالنهار، وليس على صاحب الماشية حفظها بالنهار، انما رعيها وإرزاقها بالنهار فما افسدت فليس عليها، وعلى صاحب الماشية حفظ الماشية بالليل عن حرث النهار فما افسدت بالليل فقد ضمنوا.

وان داود عليه السلام حكم للذي اصاب زرعه رقاب الغنم، وحكم سليمان اللبن والصوف في هذا العام.

وفيه عنه عليه السلام السلام قال له ابو بصير: قول الله عز وجل: (وداود وسليمان إذ يحكما في الحرث)قلت حين حكما في الحرث كانت قضية واحدة:فقال: انه كان اوحى

الله عز وجل الى النبيين قبل داود « ع »، الى أن بعث داود « ع » أي غنم فنفشت في الحرث فلصاحب الحرث رقاب الغنم ، ولا يكون النفش إلا بالليل ، وان على صاحب الزرع ان يحفظ بالنهار ، وعلى صاحب الغنم حفظ الغنم بالليل .

فحكم داود « ع » بما حكت به الأنبياء عليهم السلام من قبله .

وأوحى الله تعالى الى سليمان : أي غنم نفشت في الزرع فليس لصاحب الزرع إلا ما خرج من بطونها، وكذلك جرت السنة بعد سليمان عليه السلام، وهو يقول الله عز وجل (وكلا آتيناه حكماً وعلماً) فحكم كل واحد منهما بحكم الله عز وجل .

(تفسير علي بن ابراهيم) عن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال : كان في بني اسرائيل رجل كان له كرم ونفشت فيه غنم لرجل بالليل وقضمته وافسدته فجاء صاحب الكرم الى داود « ع » فاستدعى على صاحب الغنم فقال داود « ع » اذهب الى سليمان « ع » ليحكم بينكما . فقال سليمان « ع » : إن كانت الغنم اكلت الأصل والفرع فعلى صاحب الغنم ان يدفع الى صاحب الكرم الغنم وما في بطنها ، وإن كانت ذهبت بالفرع ولم تذهب بالأصل فانه يدفع ولدها الى صاحب الكرم .

وكان هذا حكم داود ، وانما اراد ان تعرف بني اسرائيل ان سليمان «ع» وصيه بعده ولم يختلفا في الحكم ، ولو اختلف حكمهما لقال (كنا لحكمهما شاهدين) .

(الكافي) عن معاوية بن عمار عن ابي عبد الله عليه السلام قال : ان الامامة عهد من الله عز وجل معهودة لرجال مسمين ، ليس للإمام أن يزديها عن الذي يكون من بعده، ان الله تبارك وتعالى اوحى الى داود عليه السلام: ان اتخذ وصياً من اهلك فإنه قد سبق في علمي ان لا ابعث نبياً إلا وله وصي من اهله .

وكان لداود « ع » عدة اولاد فيهم غلام كانت امه ضد داود «ع»، وكان لها محباً ، فدخل داود «ع» عليها حين اتاه الوحي ، فقال لها : ان الله عز وجل اوحى إلي : ان اتخذ وصياً من اهلي فقالت له امرأته : فليكن إبني قال ذاك اريد . وكان السابق في علم الله المحتوم : انه سليمان « ع » .

فأوحى الله تعالى الى داود « ع » : ان لا تعجل ، دون ان يأتيك امري .

فلم يلبث ان ورد عليه رجلان يختصمان في الغنم والكرم فأوحى الله تعالى الى داود «ع»: ان اجمع ولدك فمن قضى بهذه القضية فأصاب ، فهو وصيك من بعدك . فجمع داود « ع » ولده ، فلما ان قضى الخصمان قال سليمان « ع » : يا صاحب الكرم متى دخلت غنم هذا الرجل كرمك؟ قال دخلته ليلا ، قال قد قضيت عليك يا صاحب

الغنم بأولاد غنمك وأصوافها في عامك .

ثم قال له داود عليه السلام : فكيف لم تقض برقاب الغنم وقد قوّم ذلك علماء بني اسرائيل ؟ فكان ثمن الكرم قيمة الغنم ، فقال سليمان : ان الكرم لم يجتث من اصله وانما اكل حمله وهو عائداً في قابل .

فأوحى الله عز وجل الى داود « ع » : ان القضاء في هذه القضية ما قضى سليمان به ، يا داود أردت امراً وأردنا غيره .

فدخل داود عليه السلام على امرأته فقال لها اردنا امراً واراد الله غيره ، ولم يكن إلا ما اراد الله عز وجل ، وسلمنا .

وكذلك الأوصياء « ع » ليس لهم ان يتعدوا بهذا الأمر فيجاوزون صاحبهم الى غيره .

يقول مؤلف هذا الكتاب ايده الله تعالى : الأخبار الواردة في هذه القضية من التعارض وذلك ان بعضها دال على اختلاف حكمي داود وسليمان عليهما السلام وبعضهم دال على إتحاد الحكم ، ويمكن الجمع بوجوه :

الأول ـ حمل ما دل على الاختلاف في الحكم على التقية ، كما قاله بعض أهل الحديث ، لانطباقه على أقوال العامة من جواز الاجتهاد على الأنبياء عليهم السلام وبطلانه لا يحتاج الى البيان .

الثاني ـ حمل الحكم الذي تكلم به سليمان ، على انه ناسخ لحكم داود ، كما تقدم في الحديث ، وبه قال جماعة من علمائنا وكثير من المعتزلة .

وما يرد عليه من النسخ انما يكون في شرايع اولي العزم لمن تقدم عليهم .

فجوابه : ان مثل هذه الأمور الجزئية يجوز وقوع النسخ فيها في كل الشرايع كما قاله بعض علمائنا رضوان الله عليهم .

الثالث ـ ان الحكم الذي كان عند داود عليه السلام هو حكم من تقدمه من الأنبياء عليهم السلام ، ولهذا احاله على الأنبياء والعلماء .

وأما داود فلم تقع له هذه المسألة الى ذلك الوقت ، ولما أفهمها الله سبحانه سليمان كان ذلك الوحي بذلك الحكم لداود وسليمان عليهم السلام فحكمها واحد ، ولكنه

مغاير لما اوحى الله سبحانه الى الانبياء المتقدمين ، وعليه كان عمل الأنبياء والعلماء الى عصر داود عليه السلام .

والوجه الرابع ـ يستفاد من الحديث الذي رواه الثقة علي بن ابراهيم ، وقد تقدم.

(علل الشرايع وعيون الأخبار) مسنداً الى الحسين بن خالد عن ابي الحسن الرضا عليه السلام قال سليمان بن داود عليه السلام قال ذات يوم لاصحابه : ان الله تبارك وتعالى قد وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ، سخر لي الريح والجن والانس والطير والوحوش وعلمني منطق الطير وآتاني من كل شيء ، ومع جميع ما اوتيت من الملك ماتم لي سرور يوم الى الليل ، وقد احببت ان أدخل قصري في غد فأصعد اعلاه وانظر الى ممالكي ، فلا تأذنوا لأحد عليّ لئلا ينغص عليّ يومي ! قالوا نعم .

فلما كان من الغد ، أخذ عصاه بيده وصعد الى أعلى موضع من قصره ،ووقف متكئاً على عصاه ينظر الى ممالكه مسروراً بما أوتي فرحاً بما اعطي .

إذ نظر الى شاب حسن الوجه واللباس خرج عليه من زوايا قصره ، فلما أبصر به سليمان عليه السلام قال له : من أدخلك هذا القصر ؟ وقد أردت أن أخلو فيه اليوم ، فبإذن من دخلت ؟ فقال الشاب : أدخلني هذا القصر ربه وبإذنه دخلت فقال : ربه أحق به مني ، فمن أنت ؟ قال : أنا ملك الموت ، قال وفيم جئت ؟ قال : جئت لأقبض روحك ، فقال : إمض لما أمرت به ، فهذا يوم سروري ، وابى الله عز وجل أن يكون لي سرور دون لقائه . فقبض ملك الموت روحه وهو متكىء على عصاه .

فبقي سليمان عليه السلام متكئاً على عصاه وهو ميت ما شاء الله ، والناس ينظرون اليه وهم يقدرون انه حي ، فافتتنوا فيه واختلفوا .

فمنهم من قال : ان سليمان عليه السلام قد بقي متكئاً على عصاه ، هذه المدة الكثيرة ولم يتعب ولم ينم ولم يأكل ولم يشرب ، انه لربنا الذي يجب أن نعبده !

وقال قوم: ان سليمان عليه السلام ساحر وانه يرينا انه واقف متكىء على عصاه يسحر أعيننا وليس كذلك .

وقال المؤمنون : ان سليمان عليه السلام هو عبدالله ونبيه ، يدبر الله أمره بما شاء .

فلما اختلفوا بعث الله عز وجل الأرضة في عصاه ، فلما أكلت جوفها انكسرت العصا وخر سليمان عليه السلام من قصره على وجهه ، فشكرت الجن للأرضة صنيعها ،

لأجل ذلك لا توجد الأرضة في مكان إلا وعندها ماء وطين. وذلك قول الله عز وجل : (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابـة الأرض تأكل منسأته ـ يعني عصاه ـ فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون ما لبثوا في العذاب المهين) .

ثم قال الصادق عليه‌السلام : والله ما نزلت هذه الآية هكذا ، وإنما نزلت : (فلما تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون ما لبثوا في العذاب المهين) .

أقول : هذه القراءة نسبها صاحب الكشاف الى انها قراءة ابن مسعود .

(علل الشرايع) باسناده الى ابى بصير عن أبي جعفر عليه‌السلام قال : أمر سليمان بن داود الجن ، فصنعوا له قبة من قوارير فبينما هو متكىء على عصاه في القبة ينظر الى الجن كيف يعملون وهو ينظر ، إذ جاءت منه إلتفاتة ، فاذا رجل معه في القبة ، قال : من أنت ؟ قال : الذي لا أقبل الرشا ولا أهـاب الملوك أنا ملك الموت . فقبضه وهو قائم متكىء على عصاه في القبة والجن ينظرون اليه ، فمكثوا سنة يدأبون حوله حتى بعث الله الأرضة . . . الحديث .

وعنه عليه‌السلام : انه لما هلك سليمان عليه‌السلام وضع ابليس السحر وكتبه في كتاب ثم طواه وكتب على ظهره : هذا ما وضع آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود «ع» من ذخاير كنوز العلم ، ومن أراد كذا وكذا فليفعل كذا وكذا ! ثم دفنه تحت السرير ، ثم أخرجه لهم فقرأه .

فقال الكافرون ما كان سليمان «ع» يغلبنا إلا بهذا !

وقال المؤمنون : بل هو عبدالله ونبيه .

فقال جل ذكره : (واتبعوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) .

أقول : وروي في السبب الذي لأجله أضافت الكفار من اليهود وغيرهم الى سليمان عليه‌السلام . وذلك انه قد كتب السحر ووضعها في خزائنه .

وقيل : كتمها تحت كرسي لئلا يطلع الناس عليها ولا يعلمون بها .

فلما مات سليمان عليه‌السلام استخرجت السحرة تلك الكتب ، وقالوا إنما تم ملك سليمان عليه‌السلام بالسحر ، وزينوا السحر في أعين الناس بالنسبة الى سليمان وشاع ذلك في اليهود فقبلوه ، لعداوتهم لسليمان ، وعلموه الناس وجرى بينهم .

(القصص) للراوندي باسناده الى أبي عبدالله عليه السلام قال : ان الله تعالى أوحى الى سليمان عليه السلام : ان آية موتك ان شجرة تخرج في بيت المقدس يقال لها الخرنوبة ، فنظر سليمان عليه السلام يوماً الى الخرنوبة قد طلعت في بيت المقدس، فقال سليمان عليه السلام: ما اسمك ؟ قالت : الخرنوبة ، فولى مدبراً الى محرابه ، حتى قام متكئاً على عصاه ، فقبضه الله من ساعته .

وفي حديث آخر : انه عليه السلام سأل الشجرة ما اسمك ؟ قالت : الخرنوبة قال : لأي شيء أنت ؟ قالت : للخراب ، فعلم انه سيموت ، فقال : اللهم اعم على الجن موتي ليعلم الانس انهم لا يعلمون الغيب ، وقد كان قد بقي من بناء بيت المقدس سنة وقال لأهله : لا تخبروا الجن بموتي حتى يفرغوا من بنائه ودخل محرابه وقام متكئاً على عصاه فمات ، وبقي سنة ، وتم البناء ثم سلط الله على منساته الأرضة .

وكان آصف يدبر أمره في تلك المدة .

وعنه عليه السلام قال : قالت بنو اسرائيل لسليمان عليه السلام : إستخلف علينا ابنك ، فقال : لا يصلح لذلك ، فألحوا عليه ، فقال : اني أسأله عن مسائل فان أحسن الجواب فيها استخلفه ، ثم سأله فقال : يا بني ما طعم الماء ؟ وطعم الخبز ؟ وبأي شيء ضعف الصوت وشدته ؟ وأين موضع العقل من البدن ؟ ومن أي شيء القساوة والرقة ؟ ومم تعب البدن ودعته ؟ ومم تكسب البدن وحرمانه ؟ فلم يجبه بشيء .

فقال ابو عبدالله : طعم الماء الحياة، وطعم الخبز القوة، وضعف الصوت وشدته من لحم الكليتين، وموضع العقل الدماغ ، ألا ترى ان الرجل اذا كان قليل العقل قيل له ما أخف دماغه ، والقسوة والرقة من القلب وهو قوله : (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) وتعب البدن ودعته من القدمين اذا تعبا في المشي يتعب البدن، واذا أودعا أودع البدن وكسب البدن وحرمانه من اليدين، اذا عمل بهما ردتا على البدن واذا لم يعمل بهما لم يردا على البدن شيئاً .

باب

في قصة قوم سبأ وأهل الثرثار

وقصة اصحاب الرس وحنظلة وقصة شعيا وحبقوق

(المحاسن) باسناده الى عمرو بن شمر قال : سمعت أبا عبدالله يقول : لألحس أصابعي من المأدم حتى أخاف ان يرى خادمي ان ذلك من جشع ، وليس كذلك . إن قوماً ما افرغت عليهم النعمة وهم اهل الثرثار . فعمدوا الى مخ الحنطة فجعلوه خبزاً ينجون به صبيانهم ، حتى اجتمع من ذلك جبل .

قال : فمر رجل صالح على امرأة وهي تفعل ذلك بصبي لها فقال : ويحكم اتقوا الله لا يغير ما بكم من نعمة ، فقالت : كأنك تخوفنا بالجوع اما دام ثرثارنا يجري فإنا لا نخاف الجوع .

قال : فأسف الله عز وجل وضعف لهم الثرثار وحبس عنهم قطر السماء ونبت الأرض . قال : فاحتاجوا الى ما في أيديهم فأكلوه ، فاحتاجوا الى ذلك الجبل . قال : كان ليقسم بينهم بالميزان .

(الكافي) عن سدير قال : سأل رجل ابا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل : (فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم) فقال : هؤلاء قوم كانت لهم قرى متصلة ينظر بعضهم الى بعض وانهار جارية وأموال ظاهرة، فكفروا بأنعم الله وغيروا ما بأنفسهم ، فأرسل الله عليهم العرم ، ففرق قراهم وخرب ديارهم وأبدلهم مكان جناتهم جنتين ذواتي اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل ، جزاء بكفرهم .

أقول : هؤلاء هم اهل سبأ الذين قص الله سبحانه قصتهم في القرآن وكان يمر الى اليمن ، ثم امر سليمان جنوده ان يجروا لهم خليجاً من البحر العذب ، ففعلوا ذلك

وعقدوا له عقدة عظيمة من الصخر والكلس حتى يفيض على بلادهم وجعلوا للخليج مجاري، وكانوا اذا أرادوا أن يرسلوا الماء أرسلوه بقدر ما يحتاجون اليه وكانت جنات مسيرة عشرة أيام فمن يمر لا تقع عليه الشمس من التفاف أغصانها، وكان من كثرة النعم ان المرأة كانت تمشي والمكتل على رأسها، فيمتلىء بالفواكه من غير ان يمس يدها شيئاً، ولم يكن في قريتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية، وكانت قراهم ثلاث عشرة قرية، في كل قرية نبي يدعوهم الى الله فلم يقبلوا دعاء الأنبياء الى الله. فأرسل الله عليهم سيل العرم، وذلك ان الماء كان يأتي ارض سبأ من اودية اليمن، وكان هناك جبلان يجتمع ماء المطر والسيول بينهما، فسدوا ما بين الجبلين، فإذا احتاجوا الى الماء نقبوا السد بقدر فيسقون زروعهم وبساتينهم.

فلما كذّبوا الرسل بعث جرذاً نقب ذلك الردم وفاض الماء عليهم فأغرقهم.

وقيل: ان ذلك السد ضربته لهم بلقيس، ثم بدل الله جناتهم بجنات فيها ام غيلان وأثل ـ وهو نوع من الطرفا وشيء من السدر ـ.

(وروى الكلبي) عن أبي صالح قال: ألقت طريفة الكاهنة الى ابي عامر الذي يقال له: ابن ماء السماء، وكانت قد رأت في كهانتها ان سد مأرب سيخرب وانه سيأتي سيل العرم فيخرب الجنات.

فباع ابن عامر امواله وسار هو وقومه الى مكة، فأقاموا بها وما حولها فأصابهم الحمى، وكانوا ببلد لا يدرون فيه ما الحمى، فدعوا طريفة وشكوا اليها الذي اصابهم، فقالت لهم قد اصابني الذي تشكون وهو مفرق مفرق بيننا. فقالوا فماذا تأمرين؟ قالت من كان منهم ذا هم بعيد وجمل شديد وزاد جديد فليلحق بقصر عمان المشيد فكانت ازد عمان، ومن كان منكم ذا جلد وقسر وصبر على ازمات الدهر، فعليه بالاراك من بطن مر، فكانت خزاعة، ومن منكم يريد الراسيات الرحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل، فكانت الاوس والخزرج، ومن كان يريد الخمر والخمير والملك والتأمير وملابس التاج والحرير فليلحق ببصرى وعوير ـ وهما من أرض الشام ـ وكان الذي سكنوها آل جفنة بن غسان، ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق وكنوز الارزاق والدم المراق فليلحق بأرض العراق، وكان الذين سكنوها آل جذيمة الأبرش، ومن كان بالحيرة آل محرق.

وأما قصة اصحاب الرس الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن

فروي (في علل الشرايع ، وعيون الاخبار) باسناده الى الهروي عن الرضا عن آبائه عن الحسين بن علي عليهم السلام قال : سأل ابي علي بن أبي طالب عليه‌السلام قبل مقتله بثلاثة أيام رجل من أشراف تميم يقال له عمرو ، يا أمير المؤمنين أخبرني عن أصحاب الرس في أي عصر كانوا ؟ وأين كانت منازلهم ؟ ومن كان ملكهم ؟ وهل بعث الله عز وجل اليهم رسولاً ؟ وبماذا اهلكوا ؟ فقال عليه‌السلام : لقد سألت عن حديث ما سألني عنه أحد قبلك ولا يحدثك أحد بعدي إلا عني ، وما في كتاب الله عز وجل آية إلا وأنا أعرف بتفسيرها وفي أي مكان نزلت من سهل أو جبل وفي أي وقت من ليل أو نهار ، وان هاهنا لعلماً جماً ـ وأشار الى صدره ـ ولكن طلابه قليل ، وعن قليل يندمون لو فقدوني .

كان من قصتهم يا أخا تميم : انهم كانوا يعبدون شجرة صنوبر ، يقال لها (شاهدرخت) كان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها (روشنا آب) .

وانما سموا اصحاب الرس لانهم رسوا نبيهم في الارض ، وذلك بعد سليمان عليه‌السلام وكانت لهم اثنتا عشرة قرية على شاطىء نهر يقال له الرس من بلاد المشرق ، وبهم سمي النهر ، ولم يكن يومئذ في الارض نهر أغزر منه ولا أعذب منه ولا قرى اكثر ولا أعمر منها . وذكر عليه‌السلام أسماءها ، وكان أعظم مدائنهم اسفندار وهي التي ينزلها ملكهم ، وكان يسمى تركوذ بن غابور بن يارش بن ساذن بن نمروذ بن كنعان فرعون ابراهيم عليه‌السلام ، وبها العين الصنوبرة وقد غرسوا في كل قرية منها حبة من طلع تلك الصنوبرة وأجروا اليها نهراً من العين التي عند الصنوبرة ، فنبتت الحبة وصارت شجرة عظيمة وحرموا ماء العين والانهار ، فلا يشربون منها ولا أنعامهم ، ومن فعل ذلك قتلوه ، ويقولون هو حياة آلهتنا فلا ينبغي لاحد ان ينقص من حياتنا ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرس الذي عليه قراهم ، وقد جعلوا في كل شهر من السنة في كل قرية عيداً يجتمع اليه اهلها فيضربون على الشجرة التي بها كلة من حرير فيها من انواع الصور ثم يأتون بشاة وبقر فيذبحونها قرباناً للشجرة ، ويشعلون فيها النيران بالحطب ، فاذا سطع دخان تلك الذبائح وقتارها في الهواء وحال بينهم وبين النظر الى

السماء خروا سجداً يبكون ويتضرعون اليها أن ترضى عنهم .

فكان الشيطان يجيء فيحرك أغصانها ويصيح من ساقها صياح الصبي ان قد رضيت عنكم عبادي فطيبوا نفساً وقروا عيناً .

فيرفعون رؤوسهم عند ذلك ويشربون الخمر ويضربون بالمعازف ويأخذون الدستبند ـ يعني الصنج ـ فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم ثم ينصرفون .

وسمت العجم شهورها اشتقاقاً من تلك القرى .

حتى اذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع اليها صغيرهم وكبيرهم فضربوا عند الصنوبرة والعين سرادقاً من ديباج عليه من أنواع الصور وجعلوا له اثنا عشر باباً كل باب لأهل قرية منهم ويسجدون للصنوبرة خارجاً من السرادق ويقربون لها الذبائح أضعاف ما قربوا للشجرة التي في قراهم .

فيجيء ابليس عند ذلك فيحرك الصنوبرة تحريكاً شديداً ويتكلم من جوفها كلاماً جهورياً ويعدهم ويمنيهم بأكثر مما وعدتهم ومنتهم الشياطين كلها فيحركون رؤوسهم من السجود وبهم من الفرح والنشاط ما لا يعيقون ولا يتكلمون من الشرب والعزف فيكونون على ذلك اثنا عشر يوماً لياليها بعدد أعيادهم سائر السنة ثم ينصرفون .

فلما طال كفرهم بالله عز وجل وعبادتهم غيره ، بعث الله نبياً من بني اسرائيل من ولد يهودا يعقوب ، فلبث فيهم زماناً طويلاً يدعوهم الى عبادة الله عز وجل ومعرفة ربوبيته ، فلا يتبعونه .

فلما رأى شدة تماديهم في الغي وحضر عيد قريتهم العظمى ، قال : يا رب ان عبادك أبوا إلا تكذيبي وغدوا يعبدون شجرة لا تضر ولا تنفع، فأيبس شجرهم اجمع، وأرهم قدرتك وسلطانك .

فأصبح القوم وقد أيبس شجرهم كلها ، فهالهم ذلك ، فصاروا فرقتين ، فرقة قالت: سحر آلهتكم هذا الرجل الذي زعم انه رسول رب السماء والأرض اليكم ليصرف وجوهكم عن آلهتكم إلى إلهه . وفرقة قالت : لا ، بل غضبت آلهتكم حين رأت هذا الرجل يعيبها ويدعوكم الى عبادة غيرها فحجب حسنها وبهاؤها لكي تغضبوا لها .

فتنصروا منه وأجمع رأيهم على قتله ، فاتخذوا أنابيب طوالاً مثل البرابخ ونزحوا ما فيها من الماء ، ثم حفروا في قرارها بئراً ضيقة المدخل عميقة وأرسلوا فيها نبيهم ،

وألقموا فاها صخرة عظيمة ، ثم اخرجوا الأنابيب من الماء وقالوا : نرجو الآن ان ترضى عنا آلهتنا اذا رأت إنا قد قتلنا من يقع فيها ويصد عن عبادتها ودفناه تحت كبيرها يتشفى منه فيعود لنا نورها ونضرتها كما كان .

فبقوا عامة يومهم يسمعون انين نبيهم عليه‌السلام وهو يقول : سيدي قد ترى ضيق مكاني وشدة كربي ، فارحم ضعف ركني ، وقلة حيلتي ، وعجل بقبض روحي ولا تؤخر إجابة دعوتي ، حتى مات .

فقال الله جل جلاله لجبرئيل عليه‌السلام : يظن عبادي هؤلاء الذين غرهم حلمي وآمنوا مكري وعبدوا غيري وقتلوا رسولي ان يقوموا لغضبي او يخرجوا من سلطاني كيف وأنا المنتقم ممن عصاني ولم يخش عقابي ، واني حلفت بعزتي لأجعلنهم نكالاً وعبرة للعالمين .

فلم يرعهم وهم في عيدهم ذلك إلا بريح عاصف شديد الحمرة ، فتحيروا فيها وذعروا منها وتضام بعضهم الى بعض ، ثم صارت الأرض من تحتهم حجر كبريت يتوقد وأظلتهم سحابة سوداء ، فألقت عليهم كالقبة جمراً يلتهب ، فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص بالنار .

فنعوذ بالله تعالى من غضبه ونزول نقمته ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(تفسير علي بن ابراهيم) : أصحاب الرس هم الذين هلكوا ، لأنهم استغنوا الرجال بالرجال والنساء بالنساء .

(قصص الراوندي) باسناده الى يعقوب بن ابراهيم قال : سأل رجل ابا الحسن عليه‌السلام عن اصحاب الرس الذين ذكرهم الله من هم ؟ وأي قوم كانوا ؟ فقال : كانا رسولين ، أما احدهما فليس الذي ذكره الله في كتابه . كان اهله اهل بدو واصحاب شاة وغنم ، فبعث الله اليهم صالح النبي رسولاً ، فقتلوه ، وبعث اليهم رسولاً آخر وعضده بولي ، فقتلوا الرسول وجاهدوا الولي حتى قمحهم . وكانوا يقولون إلهنا في البحر وكانوا على شفيره ، وكان لهم عيد في السنة ، يخرج حوت عظيم من البحر في ذلك اليوم فيسجدون له .

فقال ولي صالح : لا اريد ان تجعلوني رباً ، ولكن هل تجيبوني الى ما دعوتكم ان اطاعني ذلك الحوت ؟ فقالوا نعم واعطوه عهوداً ومواثيق .

فخرج حوت راكبا على أربعة احوات ، فلما نظروا اليه خروا سجداً فخرج ولي

صالح النبي اليه وقال له : إئتني طوعاً او كرهاً بسم الله الكريم ، فنزل اخواته فقال الولي : اتيني عليهن لئلا يكون من القوم في امري شك ، فأتى الحوت الى البر يجرها وتجره الى عند ولي صالح ، فكذبوه بعد ذلك .

فأرسل الله عليهم ريحاً فقذفتهم في البحر ومواشيهم . فأتى الوحي الى ولي صالح بموضع ذلك البئر وفيها الذهب والفضة فانطلق فأخذه ففضه على اصحابه بالسوية .

وأما الذين ذكرهم الله في كتابه فهم قوم كان لهم نهر يدعى الرس ، وكان فيهم انبياء كثيرة ، وكانوا يعبدون الصلبان فبعث الله اليهم ثلاثين نبياً في مشهد واحد فقتلوهم جميعاً . ثم ذكر القصة السابعة .

وفي كتاب (العرائس) : اهل الرس كان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان وكان بأرضهم جبل يقال له فتح مصعداً في السماء ميلاً ، وكانت العنقا تتشابه وهي اعظم ما يكون من الطير وفيها من كل لون .

وسموها العنقا لطول عنقها وكانت تكون في ذلك الجبل تنقض على الطير تأكل ، فجاعت ذات يوم ، فاعوزها الطير ، فانقضت على صبي فذهبت به ، ثم انها انقضت على جارية فأخذتها فضمتها إلى جناحين لها صغيرين سوى الجناحين الكبيرين .

فشكوا الى نبيهم ، فقال : اللهم خذها واقطع نسلها فأصابتها صاعقة فاحترقت فلم ير لها أثر، فضربتها العرب مثلاً في اشعارها وحكمها وامثالها .

ثم ان اصحاب الرس قتلوا نبيهم ، فأهلكهم الله تعالى ، وبقي نهرهم ومنازلهم مائتي عام لا يسكنها احد . ثم أتى الله بقرن بعد ذلك فنزلوها، وكانوا صالحين سنين، ثم احدثوا فاحشة جعل الرجل يدعو ابنته واخته وزوجته فيعطيها جاره واخاه وصديقه يلتمس بذلك البر والصلة .

ثم ارتفعوا من ذلك الى نوع اخزى ، ترك الرجال النساء حتى شبقن واستغنوا بالرجال ، فجاءت شيطانهن في صورة امرأة وهي الدلهات كانتا في بيضة واحدة فشهت الى النساء ركوب بعضهن بعضاً وعلمتهن كيف يضعن ، فاصل ركوب النساء بعضهن بعضاً من الدلهات .

فسلط الله على ذلك القرن صاعقة في أول الليل وخسفاً في آخر الليل وخسفاً مع الشمس ، فلم يبق منهم باقية وبادت مساكنهم ، واحسبها اليوم لا تسكن .

واما قصة شعيا

ففي (قصص الراوندي) طاب ثراه باسناده الى الباقر عليه السلام قال : قال علي عليه السلام : اوحى الله تعالى جلت قدرته الى شعيا عليه السلام : (اني مهلك من قومك مائة الف اربعين الفاً من شرارهم وستين الفاً من خيارهم . فقال عليه السلام : هؤلاء الاشرار فما بال الأخيار ؟ فقال : داهنوا أهل المعاصي ، فلم يغضبوا لغضبي .

وفيه عن وهب بن منبه قال : كان في بني اسرائيل ملك في زمان شعيا وهم تابعون مطيعون لله ، ثم انهم ابتدعوا البدع فأتاهم ملك بابل ، وكان نبيهم يخبرهم بغضب الله عليهم . فلما نظروا الى ما لا قبل به من الجنود ، تابوا وتضرعوا، فأوحى الله تعالى الى شعيا عليه السلام : اني قبلت توبتهم لصلاح آبائهم ، وملكهم كانت له قرحة بساقه وكان عبداً صالحاً .

فأوحى الله تعالى الى عليه السلام :ان مر ملك بني اسرائيل فليوص وصيه وليستخلف على بني اسرائيل من اهل بيته فإني قابضه يوم كذا فليعهد عهده .

فأخبره شعيا عليه السلام برسالته تعالى عز وعلا .

فلما قال له ذلك ، أقبل على التضرع والدعاء والبكاء فقال : اللهم إبتدأتني بالخير من اول يوم وسببته لي ، وانت فيما استقبل رجائي وثقتي ، فلا الحمد بلا عمل صالح سلف مني ، وانت اعلم مني بنفسي أسألك ان تؤخر عني الموت وتنسىء لي عمري وتستعملني بما تحب وترضى .

فأوحى الله تعالى الى شعيا عليه السلام : اني رحمت تضرعه واستجبت دعوته وقد زدت في عمره خمس عشرة سنة ، فمره فليداوي قرحته بماء الطين ، فاني قد جعلته شفاء مما هو فيه ، واني قد كفيته وبني اسرائيل مؤنة عدوهم .

فلما اصبحوا وجدوا جنود ملك بابل مصروعين في عسكرهم موتى لم يفلت منهم احد إلا ملكهم وخمسة نفر . فلما نظروا الى اصحابهم وما اصابهم ، كروا منهزمين الي ارض بابل ، وثبتوا بنو اسرائيل متوازرين على الخير .

فلما مات ملكهم ابتدعوا البدع ودعا كل نفسه، وشعيا يأمرهم وينهاهم فلا يقبلون!

حتى يهلكهم الله . وقال صاحب (الكامل) قيل : ان شعيا اوحى الله اليه : ليقوم في بني اسرائيل يذكرهم بما يوحى على لسانه لما كثرت فيهم الاحداث ففعل فعدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم ، فلقيته شجرة عظيمة فانفلقت له فدخلها ، واخذ الشيطان يهدب ثوبة واراه بني اسرائيل ، فوضعوا المنشار على الشجرة فنشروها، حتى قطعوها في وسطها .

(كتاب التوحيد) عن الحسن بن محمد النوفلي عن الرضا عليه السلام فيما احتج على أرباب الملل ، قال عليه السلام للجاثليق : يا نصراني كيف علمك بكتاب شعيا ؟ قال اعرفه حرفاً حرفاً ، فقال له : ولرأس الجالوت أتعرفان هذا من كلامه يا قوم اني رأيت صورة راكب الحمار لابساً جلابيب النور ، ورأيت راكب البعير ضوؤه مثل ضوء القمر ، فقالا قد قال ذلك شعيا .

ثم قال عليه السلام : وقال شعيا النبي عليه السلام فيما تقول انت واصحابك في التوراة : رأيت راكبين أضاء لهما الأرض، احدهما على حمار والآخر على جمل، فمن راكب الحمار ومن راكب الجمل ؟ قال رأس الجالوت : لا اعرفهما ، فخبرني بهما قال : اما راكب الحمار فعيسى عليه السلام واما راكب الجمل فمحمد صلى الله عليه وآله أتنكر هذا من التوراة ؟ قال لا ما انكره . ثم قال الرضا عليه السلام : هل تعرف حبقوق النبي عليه السلام ؟ قال نعم اني به لعارف ، قال : وكتابكم ينطق ما جاء الله بالبيان من جبل فاران وامتلأ السماوات من تسبيح احمد صلى الله عليه وآله وامته يحمل خيله في البر يأتينا بكتاب جديد بعد خراب بيت المقدس ـ يعني بالكتاب القرآن ـ اتعرف هذا وتؤمن به ؟ قال رأس الجالوت قد قال ذلك حبقوق ولا ننكره .

باب

فيه قصص زكريا ويحيى عليهما السلام

(عيون الأخبار) عن الريان بن شبيب قال : دخلت على الرضا عليه السلام في أول يوم من المحرم فقال: يا بن شبيب أصائم أنت ؟ فقلت لا ، فقال : ان هذا اليوم الذي دعا فيه زكريا عليه السلام فقال : (رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء) فاستجاب الله وأمر الملائكة فنادت زكريا وهو قائم يصلي في المحراب (ان الله يبشرك بيحيى) فمن صام هذا اليوم ودعا الله عز وجل ، استجاب الله له كما استجاب لزكريا عليه السلام .

(الكافي) عن ابي حمزة عن ابي جعفر عليه السلام قال قلت ما عنى الله تعالى بقوله في يحيى : (وحناناً من لدنا وزكاة) قال فما بلغ من تحنن الله عليه ؟ قال : اذا قال : يا رب ، قال الله عز وجل : لبيك يا يحيى .

(الأمالي) باسناده الى النبي (ص) قال : كان من زهد يحيى بن زكريا عليه السلام انه أتى بيت المقدس فنظر الى المجتهدين من الأحبار والرهبان عليهم مدارع الشعر وبرانس الصوف واذا هم خرقوا تراقيهم وسلكوا فيها السلاسل وشدوها الى سواري المسجد .

فلما نظر الى ذلك ، اتى الى امه ، فقال : يا أماه إنسجي لي مدرعة من شعر وبرنساً من صوف حتى آتي بيت المقدس فأعبد الله مع الأحبار والرهبان فقالت له امه حتى يأذن نبي الله واوامره في ذلك ، فدخل بمقالة يحيى ، فقال زكريا : يا بني ما يدعوك الى هذا وإنما انت صبي صغير ؟ فقال له يا أبت أما رأيت من هو أصغر سناً مني قد ذاق الموت ؟ قال بلى ، ثم قال لأمه انسجي له مدرعة من شعر وبرنساً من صوف ، ففعلت .

فتدرع المدرعة على بدنه ووضع البرنس على رأسه ، ثم أتى بيت المقدس فأقبل

يعبد الله عز وجل مع الأحبار ، حتى أكلت مدرعة الشعر لحمه .

فنظر ذات يوم الى ما قد نحل من جسمه ، فبكى ، فأوحى الله تعالى :يا يحيى أتبكي مما قد نحل من جسمك ، وعزتي وجلالي لو إطلعت على النار إطلاعة، لتدرعت مدرعة الحديد فضلا عن المنسوج ، فبكى حتى اكلت الدموع لحم خديه ، وبدا للناظرين أضراسه .

فبلغ ذلك امه ، فدخلت عليه وأقبل زكريا واجتمع الأحبار والرهبان فأخبروه بذهاب لحم خديه ، فقال ما شعرت بذلك ، فقال زكريا : يا بني ما يدعوك الى هذا انما سألت ربي ان يهبك لي لتقر بك عيني ؟ قال انت امرتني بذلك يا أبة ، قال ومتى ذلك يا بني ؟ قال : ألست القائل : ان بين الجنة والنار لعقبة لا يجوزها إلا البكاؤون من خشية الله ؟ قال بلى ، فجد واجتهد وشأنك غير شأني .

فقام يحيى فنفض مدرعته ، فأخذته أمه فقالت : أتأذن لي يا بني ان اتخذ لك قطعتي لبود يواريان أضراسك وينشفان دموعك ؟ فقال لها : شأنك . فاتخذت له قطعتي لبود يوريان أضراسه وتنشفان دموعه ، حتى ابتلتا من دموع عينيه ، فحسر عن ذراعيه ، ثم أخذهما فعصرهما فتحدر الدموع بين أصابعه .

فنظر زكريا الى ابنه والى دموع عينيه ، فرفع رأسه الى السماء وقال : اللهم ان هذا ابني وهذه دموع عينيه وأنت ارحم الراحمين .

وكان زكريا عليه السلام اذا أراد ان يعظ بني اسرائيل يلتفت يميناً وشمالاً فان رأى يحيى لم يذكر جنة ولا ناراً .

فجلس ذات يوم يعظ بني اسرائيل ، وأقبل يحيى قد لف رأسه بعباءة ، فجلس في غمار الناس ، والتفت زكريا يميناً وشمالاً فلم ير يحيى ، فأنشأ يقول : حدثني حبيبي جبرئيل عن الله تبارك وتعالى : ان في جهنم جبلاً يقال له السكران في اصل ذلك الجبل وادياً يقال له الغضبان ، يغضب لغضب الرحمن تبارك وتعالى ، في ذلك الوادي جب قامته مائة عام في ذلك الجب توابيت من نار في تلك التوابيت صناديق من نار وثياب من نار وسلاسل من نار وأغلال من نار .

فرفع يحيى عليه السلام رأسه فقال : واغفلتاه من السكران ، ثم أقبل هائماً على وجهه فقام زكريا من مجلسه ودخل على أم يحيى فقال لها : يا ام يحيى قومي فاطلبي يحيى فاني قد تخوفت ان لا نراه إلا وقد ذاق الموت ، فقامت فخرجت في طلبه حتى مرت

بفتيان من بني اسرائيل فقالوا لها يا أم يحيى اين تريدين ؟ قالت ان اطلب ولدي يحيى ذكرت النار بين يديه ، فهام على وجهه .

فمضت ام يحيى والفتية معها ، حتى مرت براعي غنم ، فقالت له : يا راعي هل رأيت شاباً من صفته كذا وكذا ؟ فقال لها لعلك تطلبين يحيى بن زكريا ؟ قالت نعم ذاك ولدي ، ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه ، فقال اني تركته الساعة على عقبة ثنية كذا وكذا ناقعاً على قدميه في الماء رافعاً بصره الى السماء يقول: وعزتك يا مولاي لا ذقت بارد الشراب حتى انظر الى منزلتي منك .

واقبلت امه ، فلما رأته دنت منه فأخذت برأسه فوضعته بين ثدييها وهي تناشده بالله ان ينطلق معها الى المنزل ، فانطلق معها الى المنزل .

فقالت : هل لك ان تخلع مدرعة الشعر ؟ وتلبس مدرعة الصوف فانه ألين ، ففعل ، وطبخ له عدس فأكل واستوفى ، فنام فذهب به النوم فلم يقم لصلاته .

فنودي في منامه : يا يحيى بن زكريا أردت داراً خيراً من داري وجواراً خيراً من جواري ، فاستيقظ فقام فقال : يا رب اقلني عثرتي إلهي فوعزتك لا استظل بظل سوى بيت المقدس ، وقال لامه : ناوليني مدرعة الشعر فقد علمت انكما ستوردانني المهالك ، فدفعت اليه المدرعة وتعلقت به فقال لها زكريا : يا ام يحيى دعيه فان ولدي قد كشف عن قناع قلبه ولن ينتفع بالعيش . فقام يحيى فلبس مدرعته ووضع البرنس على رأسه ، ثم أتى بيت المقدس فجعل يعبد الله عز وجل مع الأحبار حتى كان من امره ما كان . وعن امير المؤمنين عليه السلام : ما بكت السماء والارض إلا على يحيى بن زكريا والحسين بن علي عليه السلام .

وقد اختلف فيه ، لم سمي يحيى . فقيل : لأن الله أحيى به عقر امه ، عن ابن عباس .

وقيل : لأن الله سبحانه أحياه بالايمان . او ان الله سبحانه احيى قلبه بالنبوة ، ولم يسم أحد قبله بيحيى .

(عيون الاخبار) عن ياسر الخادم قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : ان أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن : يوم يلد فيخرج من بطن امه فيرى الدنيا ، ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها ، ويوم يبعث فيرى احكاماً لم يرها في دار الدنيا ،

وقد سلم الله يحيى عليه السلام في هذه الثلاثة المواطن ، وآمن روعته فقال : (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً) .

وقد سلم الله عيسى بن مريم عليه السلام على نفسه في هـــذه الثلاثة المواطن فقال : (والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم ابعث حياً) .

(الأمالي) عن الرضا عليه السلام : ان ابليس كان يأتي الأنبياء عليهم السلام من لدن آدم عليه السلام الى ان بعث الله المسيح عليه السلام يتحدث عندهم ويسائلهم ولم يكن بأحـــد منهم أشد بأساً منه بيحيى بن زكريا عليه السلام .

فقال له يحيى عليه السلام : يا ابا مرة ان لي اليك حاجة فقال انت اعظم قدراً من أن أردك بمسألة فسلني ما شئت فاني غير مخالفك فيما تريده فقال له يحيى عليه السلام يا أبا مرة اريد ان تعرض عليّ مصائدك وفخوخك التي تصطاد بها بني آدم ، فقال له ابليس : حباً وكرامة وواعده لغد .

فلما أصبح يحيى عليه السلام قعد في بيته ينتظر الموعد واغلق عليه الباب فما شعر حتى ساواه من خوخة كانت في بيته ، فاذا وجهه صورة وجـــه القرد وجسده على صورة الخنزير واذا عيناه مشقوقتان طولاً واسنانه عظم واحد بلا ذقن ولا لحية وله اربعة ايد يدان في صدره ويدان في منكبه واذا عراقيبه قوادمه واصابعه خلفه وعليه قباء وقد شد وسطه بمنطقة فيها خيوط بين احمر واصفر واخضر وجميع الألوان واذا بيده جرس عظيم وعلى رأسه بيضة واذا في البيضة حديدة معلقة شبيهة بالكلاليب .

فلما تأمله يحيى عليه السلام قال له : ما هذه المنطقة التي في وسطك ؟ فقال هـــذه المجوسية انا الذي سننتها وزينتها لهم ، فقال وما هذه الخيوط الألوان ؟ قال له هذه جميع اصباغ النساء لا تزال المرأة تصبغ الصبغ حتى تقع مع لونها ، فافتتن الناس بها فقال له : فما هذا الجرس الذي بيدك ؟ قـــال هذا كل لذة من طنبور وبربط وطبل وناي وصرناي ، وان القوم ليجلسون على شرابهم فلا يستلذونـــه فأحرك الجرس فيما بينهم فاذا سمعوا استخفهم الطرب فمن بين من يرقص ومن بين من يفرقع بأصابعه ومن بين من يشق ثيابه ، فقال له : وأي الاشياء اقر لعينك ؟ فقال النساء هن فخوخي ومصائدي فاني اذا اجتمعت على دعوات الصالحين ولعناتهم صرت الى النساء فطابت نفسي بهن فقال له يحيى عليه السلام فما هذه البيضة التي على رأسك ؟ قال بها اوقي دعوات المؤمنين قال فما هذه الحديدة التي أرى فيها الكلاليب ؟ قـــال بهذه اقلب قلوب

الصالحين، قال يحيى «ع» فهل ظفرت بي ساعة قط؟ قال لا ولكن فيك خصلة تعجبني بها ، قال يحيى «ع» : فما هي قال أنت رجل أكول فإذا ظفرت وأكلت فيمنعك ذلك من بعض صلاتك وقيامك بالليل قال يحيى «ع» : فإني اعطي الله عهداً لا أشبع من الطعام حتى ألقاه ، قال له ابليس وأنا اعطي الله عهداً ألا أنصح مسلماً حتى ألقاه، ثم خرج فما عاد إليه بعد ذلك .

(تفسير علي بن ابراهيم) كانت امرأة زكريا اخت مريم بنت عمران بن ماتان ويعقوب بن ماتان وبنو ماتان إذ ذاك رؤساء بني اسرائيل وبنو ملوكهم من ولد سليمان ابن داود «ع» فطلب من الله سبحانه ولداً وارثاً .

وعن علي بن الحسين عليهم السلام قال : خرجنا مع الحسين «ع» فما نزل منزلا ولا ارتحل منه إلا وذكر يحيى بن زكريا عليهما السلام .

وقال يوماً : ان من هوان الدنيا على الله عز وجل ان رأس يحيى بن زكريا اهدي الى بغي من بغايا بني اسرائيل .

(كتاب الاحتجاج) سأل سعد بن عبد الله القائم عليه السلام عن تأويل (كهيعص) فقال «ع» : هذه الحروف من أنباء الغيب ، اطلع عليها عبده ثم قصها على محمد صلى الله عليه وآله .

وذلك ان زكريا عليه السلام سأل ربه ان يعلمه اسماء الخمسة ، فأهبط الله عليه جبرئيل فعلمه إياها . فكان زكريا اذا ذكر محمداً صلى الله عليه وآله وعلياً وفاطمة والحسن «ع» انكشف عنه وانجلى كربه ، وإذا ذكر الحسين عليه السلام خنقته العبرة ووقعت عليه البهرة – يعني الزفير – وتتابع النفس .

فقال «ع» ذات يوم : إلهي ما بالي اذا ذكرت اربعة منهم تسليت بأسمائهم من همومي ، واذا ذكرت الحسين «ع» تدمع عيني وتثور زفرتي ، فأنبأه الله تعالى عن قصته فقال : (كهيعص) فالكاف إسم كربلاء والهاء هلاك العترة والياء يزيد وهو ظالم الحسين «ع» والعين عطشه والصاد صبره

فلما سمع ذلك زكريا «ع» لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ومنع فيهن الناس من الدخول عليه وأقبل على البكاء والنحيب .

وكان يرثيه ويقول : إلهي اتفجع خير خلقك بولده ؟ إلهي أتنزل بلوى هذه

الرزية بفنائه ؟ إلهي اتلبس علياً وفاطمة ثياب هـذه المصيبة ؟ إلهي اتحل كربة هذه المصيبة بساحتها .

ثم كان يقول : إلهي ارزقني ولداً تقر به عيني على الكبر ، فاذا رزقتنيه فافتني بحبه ، ثم افجعني به كما تفجع محمداً حبيبك بولده.

فرزقه الله يحيى «ع» وفجعه به ، وكان حمل يحيى «ع» ستة أشهر ، وحمل الحسين « ع » كذلك .

(علل الشرايع) بالاسناد الى وهب قال : انطلق ابليس يستقري مجالس بني اسرائيل اجمع ويقول في مريم عليها السلام! ويقذفها بزكريا! حتى التحم الشر وشاعت الفاحشة على زكريا «ع» !

فلما رأى زكريا ذلك هرب ، واتبعه سفهاؤهم وشرارهم ! وسلك في واد ، حتى اذا توسطه انفرج له جذع فدخل فيه وانطبقت عليه الشجرة ، وأقبل ابليس يطلبه معهم حتى انتهى الى الشجرة التي دخل فيها زكريا « ع » فقاس لهم ابليس الشجرة من اسفلها الى اعلاها ، حتى اذا وضع يده على موضع القلب من زكريا عليه السلام فنشروا بمنشارهم وقطعوا الشجرة وقطعوه في وسطها ! ثم تفرقوا عنه وتركوه وغاب عنهم إبليس حتى فرغ مما أراد .

فكان آخر العهد به ولم يصب زكريا عليه السلام من ألم المنشار شيء .

ثم بعث الله عز وجل الملائكة فغسلوا زكريا وصلوا عليه ثلاثة أيام من قبل ان يدفن . وكذلك الأنبياء عليهم السلام لا يتغيرون ولا يأكلهم التراب ويصلى عليهم ثلاثة أيام ، ثم يدفنون .

(إكمال الدين) عن الصادق «ع» قال : افضى الأمر بعد دانيال الى عزير وكانوا يجتمعون إليه ويأخذون عنه معالم دينهم .

فغيب الله عنهم شخصه مائة عام ، ثم بعثه ، وغابت الحجج بعده ، واشتدت البلوى على بني اسرائيل ، حتى ولد يحيى بن زكريا عليهما السلام وترعرع .

فظهر وله سبع سنين ، فقام في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وأخبرهم ان محن الصالحين إنما كانت لذنوب بني اسرائيل ، ووعدهم الفرج بقيام المسيح « ع » بعد نيف وعشرين سنة من هذا القول .

(قصص) الراوندي عنه «ع» قال: إن ملكاً كان على عهد يحيى بن زكريا عليه السلام، لم يكفه ما كان عليه من الطروقة ، حتى ينال امرأة بغيا ، فكانت تأتيه حتى أسنت ! فلما أسنت هيأت ابنتها ثم قالت لها اني اريد ان آتي بك الملك ، فاذا واقعك فيسأل ما حاجتك فقولي حاجتي أن تقتل يحيى بن زكريا .

فلما واقعها ! سألها عن حاجتها فقالت قتل يحيى بن زكريا .

فبعث إلى يحيى «ع» فجاءوا به ، فدعا بطشت فذبحه فيها ، وصبوه على الأرض ، فيرتفع الدم ويعلو ، فأقبل الناس يطرحون عليه التراب ، فيعلو عليه الدم حتى صار تلا عظيما ، ومضى ذلك القرن .

فلما كان من أمر بخت نصر ما كان رأى ذلك الدم فسأل عنه فلم يجد أحداً يعرفه حتى دل على شيخ كبير فسأله فقال اخبرني أبي عن جدي انه كان من قصة يحيى ابن زكريا « ع » كذا كذا ، وقص عليه القصة والدم دمه ، فقال بخت نصر لا جرم لأقتلن عليه حتى يسكن ، فقتل عليه سبعين ألفاً . فلما وافى عليه سكن الدم .

وفيه ، عن أبي عبد الله ان الله عز وجل إذا أراد أن ينتصر لأوليائه ، انتصر لهم بشرار خلقه ، وإذا أراد أن ينتصر لنفسه ، انتصر بأوليائه، ولقد انتصر ليحيى ابن زكريا ببخت نصر .

وفي خبر آخر : أن عيسى بن مريم «ع» بعث يحيى بن زكريا « ع » في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس وينهونهم عن نكاح ابنة الاخت ، قال وكان لملكهم ابنة أخت تعجبه ! وكان يريد ان يتزوجها .

فلما بلغ امها ان يحيى نهى مثل هذا النكاح ، أدخلت ابنتها على الملك مزينة ، فلما رآها سألها عن حاجتها قالت حاجتي ان تذبح يحيى بن زكريا . فقال سليني غير هذا ، فقالت لا أسألك غير هذا . فلما أبت دعا بطشت ودعا يحيى فذبحه ! فبدرت قطرة من دمه فوقعت على الأرض ، فلم تزل تعلو ، حتى بعث الله بخت نصر عليهم ، فقتل منهم سبعين ألفاً حتى سكن .

(قصص الراوندي) عن أبي جعفر عليه السلام قال : أن عاقر ناقة صالح كان ازرق ابن بغي ، وأن قاتل يحيى بن زكريا ابن بغي ، وأن قاتل علي عليه السلام ابن بغي .

وكانت مراد تقول : ما نعرف له فينا أباً ولا نسباً ، وأن قاتل الحسين بن علي

عليه‌السلام ابن بغي ، وإنه لم يقتل الأنبياء ولا أولاد الأنبياء إلا أولاد البغايا .

وقال : في قوله تعالى : (ولم يجعل له من قبل سمياً) قال يحيى بن زكريا « ع » لم يكن له سمياً قبله، والحسين بن علي «ع» لم يكن له سمي قبله ، وبكت السماء عليهما أربعين صباحاً ، وكذلك بكت الشمس عليهما وبكاؤها ان تطلع حمراء وتغيب .

وقيل : أي بكى اهل السماء وهم الملائكة .

أقول: ذكرنا الاخبار الواردة في بكاء أهل السماوات والأرضين والشمس والقمر على الحسين « ع » في المجلدة الثانية من كتابنا الموسوم بـ (رياض الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار) .

وورد : ان البكاء كان بأنواع مختلفة .

(الكافي) عن ابي الحسن الاول « ع » قال : كان يحيى بن زكريا يبكي ولا يضحك وكان عيسى بن مريم يضحك ويبكي وكان الذي يصنع عيسى « ع » أفضل من الذي كان يصنع يحيى .

وفي (الكامل) ان يحيى « ع » اول من آمن بعيسى « ع » وذلك ان امه كانت حاملاً به، فاستقبلت مريم عليها السلام وهي حامل بعيسى فقالت لها: يا مريم احامل انت ؟ قالت : لماذا تسألني ؟ قالت اني ارى ما في بطني يسجد لما في بطنك ، فذلك تصديقه .

وقيل : صدّق المسيح « ع » وله ثلاث سنين .

وقيل : بستة اشهر ، وكان يأكل العشب واوراق الشجر .

وقيل : كان يأكل خبز الشعير ، فمر به إبليس ومعه رغيف شعير ، فقال انت تزعم انك زاهد وقد ادخرت رغيف شعير ؟ فقال يحيى : يا ملعون هو القوت ، فقال إبليس : ان اقل من القوت يكفي لمـــن يموت ، فأوحى الله إليه : إعقل ما يقول لك .

باب

في قصص عيسى وأمه عليهما السلام وفيه فصول

الفصل الأول

(في ولادة مريم وبعض احوالها)

(الكافي) عن أبي عبد الله عليه السلام قال : يؤتى بالمرأة الحسناء يوم القيامة التي قد افتتنت في حسنها فتقول يارب حسنت خلقي حتى لقيت ما لقيت ، فيجاء بمريم ، فيقال : أنتِ أحسن أم هذه قد حسناها فلم تفتتن . . . الحديث .

(العياشي) عن أبي جعفر عليه السلام قال : ان فاطمة ضمنت لعلي «ع» عمل البيت والعجين والخبز وقم البيت ، وضمن لها علي «ع» ما كان خلف الباب نقل الحطب وان يجيء بالطعام .

فقال لها يوماً : يا فاطمة هل عندك شيء ؟ قالت : والذي عظم حقك ما كان عندنا منذ ثلاث إلا شيء آثرتك به ، قال أفلا اخبرتيني ؟ قالت كان رسول الله (ص) نهاني أن أسأل شيئاً ، فقال : لا تسألي ابن عمك شيئاً إن جاءك بشيء عفواً وإلا فلا تسأليه .

قال : فخرج عليه السلام فلقى رجلا فاستقرض منه ديناراً ، ثم اقبل به ، وقد امسى ، فلقيه المقداد بن الأسود الكندي ، فقال للمقداد : ما اخرجك في هذه الساعه ؟ قال : الجوع والذي عظم يا أمير المؤمنين ، قال هو الذي اخرجني وقد استقرضت ديناراً وسآثرك به فدفعه اليه ، فأقبل فوجد رسول الله (ص) جالساً وفاطمة تصلي وبينهما شيء مغطى .

فلما فرغت احضرت ذلك الشيء فإذا جفنة من خبز ولحم ، قال يا فاطمة انى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب .

فقال رسول الله ﷺ : ألا احدثك بمثلك ومثلها ؟ قال : بلى ، قال : مثل (زكريا إذ دخل على مريم المحراب فوجد عندها رزقاً قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) .

فأكلوا منها شهراً ، وهي الجفنة التي يأكل منها القائم عليه السلام وهي عنده .

(تفسير) علي بن ابراهيم : اوحى الله الى عمران : (اني واهب لك ولداً يبرىء الأكمة والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله) فبشر عمران زوجته بذلك، فحملت فقالت (رب اني نذرت لك ما في بطني) محرراً للمحراب، وكانوا اذا نذروا نذراًمحرراً جعلوا ولدهم للمحراب . (فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى . . .) الآية .

فوهب الله عيسى .

وقال الصادق «ع» : ان قلنا لكم في الرجل منا قولا فلم يكن فيه ، وكان في ولده وولد ولده ، فلا تنكروا ذلك ان الله اوحى الى عمران: اني واهب لك ذكراً مباركاً يبرىء الأكمة والأبرص ويحيي الموتى بإذني وجاعله رسولا الى بني اسرائيل) فحدث عنه امرأته بذلك .

فلما حملت بها كان حملها عند نفسها غلاماً (فلما وضعتها انثى قالت رب اني وضعتها انثى) .

فلما وهب الله لمريم عيسى «ع» كان هو الذي بشر الله به عمران ووعده إياه .

ولما ولدت مريم كفل زكريا تربيتها .

(تفسير الراوندي) بإسناده الى محمد بن طلحة قال : قلت للرضا عليه السلام أيأتي الرسل عن الله بشيء ثم يأتي بخلافه ؟ قال : نعم إن شئت حدثتك به وإن شئت اتيت به من كتاب الله تعالى : قال الله تعالى : (ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم . . .) الآية فما دخلوها ودخل أبناء أبنائهم .

وقال عمران : ان الله وعدني ان يهب لي غلاماً نبياً في سنتي هذه وشهري هذا ثم غاب ، وولدت امرأته مريم وكفلها زكريا ، فقالت طائفة صدق نبي الله ، وقالت الآخرون كذب. فلما ولدت مريم عيسى قالت الطائفة التي اقامت على صدق عمران هذا الذي وعدنا الله .

الفصل الثاني

في ولادة عيسى عليه السلام وفي معجزاته ونقش خاتمه

وطرف مما يلائم ذلك

(الكافي) عن ابي عبد الله عليه السلام قال : لم يعش مولود قط لستة اشهر غير الحسين « ع » وعيسى بن مريم عليه السلام .

وفيه ، عن حفص بن غياث قال : رأيت ابا عبد الله «ع» يتخلل بساتين الكوفة فانتهى الى نخلة ، فتوضأ عندها ثم ركع وسجد فأحصيت في سجوده خمسمائة تسبيحة ثم استند الى نخلة فدعا بدعوات ثم قال يا حفص انها والله النخلة التي قال الله جل ذكره لمريم « ع » : (وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً) .

(تفسير علي بن ابراهيم) (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً) قال : خرجت الى النخلة اليابسة (فاتخذت من دونهم حجاباً) قال : في محرابها (فأرسلنا اليها روحنا - يعني جبرئيل «ع» - فتمثل لها بشراً سوياً * قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقياً * فقال -جبرئيل- إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً (فأنكرت ذلك ، لأنه لم يكن في العادة ان تحمل المرأة من غير فحل ، (فقالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً) ولم يعلم جبرئيل عليه السلام أيضاً كيفية القدرة فقال لها : (كذلك قال ربك هو علي هين) .

قال : (فنفخ في جيبها) فحملت بعيسى في الليل فوضعته في الغداة، وكان حملها تسع ساعات جعل الله لها الشهر ساعات ، ثم ناداها جبرئيل عليه السلام : (وهزي اليك بجذع النخلة) أي هزي النخلة اليابسة - وكان ذلك اليوم سوقاً فاستقبلتها الحاكة، وكانت الحياكة انبل - اي انفع - صناعة في ذلك الزمان فأقبلوا على بغال شهب فقالت لهم مريم : اين النخلة اليابسة ؟ فاستهزؤا بها وزجروها ! فقالت لهم : جعل الله كسبكم نزراً - أي قليل النفع - وجعلكم في الناس عاراً ، فاستقبلوها قوم من التجار فدلوها على النخلة اليابسة ، فقالت لهم : جعل الله البركة في كسبكم واحوج الناس اليكم .

فلما بلغت النخلة اخذها المخاض فوضعت بعيسى عليه السلام

فلما نظرت اليه قالت : (يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) ماذا اقول لخالي وماذا اقول لبني اسرائيل ؟ فناداها عيسى من تحتها : (لا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً * – اي نهراً – وحركي النخلة تساقط عليك رطباً جنياً) .

وكانت النخلة قد يبست منذ دهر ، فمدت يدها الى النخلة فأورقت وثمرت وسقط عليها الرطب الطري فطابت نفسها .

وقال لها عيسى : قمطيني ثم افعلي كذا وكذا ، فقمطته وسوته وقال لها عيسى (كلي واشربي وقري عيناً *فأما ترين من البشر احداً فقولي اني نذرت للرحمن صوماً– وصمتاً ، كذا نزلت – فلن اكلم اليوم إنسياً) .

ففقدوها في المحراب ، فخرجوا في طلبها، وخرج زكريا فأقبلت وهو في صدرها ، واقبلن مؤمنات بني اسرائيل يبسرن في وجهها ، فلم تكلمهن، حتى دخلت في محرابها، فجاء اليها بنو اسرائيل وزكريا (فقالوا لها يا مريم لقد جئت شيئاً فريا * يا اخت هارون ما كان ابوك إمرء سوء وما كانت امك بغياً) .

ومعنى قوله : (يا اخت هارون) ان هارون كان رجلا زانياً فلستا ، فشبهوها به ، من اين هذا البلاء الذي جئتني (فأشارت – الى عيسى في المهد فقالوا: كيف نكلم من كان في المهد صبياً) فأنطق الله عيسى «ع»فقال: (اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً . . .) الآية .

(الأمالي) باسناده الى علي بن الحسين «ع» قال : ان أمير المؤمنين عليه السلام لما رجع من وقعة الخوارج ، إجتاز بالزوراء ، فقال للناس : انها الزوراء فسيروا وجنبوا عنها فإن الخسف اسرع اليها من الوتد في النخالة .

فلما اتى يمنة السواد إذا هو براهب في صومعة له ، فقال له الراهب : لا تنزل هذه الأرض بجيشك ! قال : ولم ؟ قال لأنها لا ينزلها إلا نبي او وصي نبي يقاتل في سبيل الله عز وجل ، هكذا نجد في كتبنا ، فقال له امير المؤمنين عليه السلام : انا وصي سيد الأنبياء وسيد الأوصياء ، فقال له الراهب : فأنت إذاً اصلع قريش ووصي محمد (ص) ؟ فقال له امير المؤمنين : انا ذاك: فنزل الراهب اليه فقال له : خذ على شرايع الإسلام، اني وجدت في الإنجيل نعتك ، وإنك تنزل ارض براثا بيت مريم وارض عيسى «ع» .

فأتى امير المؤمنين موضعاً ، فلكزه برجله فانبجست عين خواره ، فقال : هذه عين مريم التي انبعثت لها، ثم قال: إكشفوا هاهنا على سبعة عشر ذراعاً فكشف، فإذا هو بصخرة بيضاء، فقال علي عليه السلام: على هذه الصخرة وضعت مريم عيسى من عاتقها، وصلت هاهنا . ثم قال : ارض براثا هذه بيت مريم عليها السلام .

(التهذيب) عن علي بن الحسين عليه السلام : في قوله تعالى : (فانتبذت بـه مكاناً قصياً) . قال : خرجت من دمشق حتى أتت كربلاء ، فوضعته في موضع قبر الحسين « ع » ثم رجعت من ليلتها .

(علل الشرايع) عن وهب قال: لما جاء المخاض مريم عليها السلام إلى جذع النخلة ، إشتد عليها البرد ، فعمد يوسف النجار إلى حطب فجعله حولها كالحضيرة ثم أشعل فيه النار ،فأصابتها سخونة الوقود من كل ناحية حتى دفئت ،وكسر لها سبع جوزات وجدهن في خرجه فأطعمها . فمن أجل ذلك توقد النصارى النار في ليلة الميلاد وتلعب بالجوز .

(وعن) الباقر «ع» : ان ابليس أتى ليلة ميلاد عيسى « ع » فقيل له قد ولد الليلة ولد لم يبق على وجه الأرض صنم إلا خر لوجهه ، واتى المشرق والمغرب يطلبه فوجده في بيت دير قد حفت به الملائكة ، فذهب يدنو فصاحت الملائكة : تنح ؟ فقال لهم من أبوه ، فقالت الملائكة : فمثله كمثل آدم ، فقال ابليس لأضلن به أربعة اخماس الناس .

(وعنه) عليه السلام : لما قالت العواتق الفرية على مريم وهن سبعون (لقد جئت شيئاً فريا) أنطق الله عيسى عليه السلام عند ذلك فقال لهن : ويلكن تفترين على امي (انا عبد الله آتاني الكتاب) وأقسم بالله لأضربن كل امرأة منكن حداً بافترائكن على امي .

قال الحكم : فقلت للباقر عليه السلام: افضربهن عيسى بعد ذلك؟ نعم ولله الحمد والمنة .

(علل الشرايع) باسناده عن وهب اليماني قال : ان يهودياً سأل النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا محمد كنت في ام الكتاب نبياً قبل ان تخلق ؟ قال : نعم ، قال : وهؤلاء اصحابك مثبتون معك قبل ان يخلقوا ؟ قال : نعم ، قال : فما شأنك لم تتكلم بالحكمة حين خرجت من بطن امك كما تكلم عيسى بن مريم على زعمك وكنت قبل ذلك نبياً ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله : انه ليس امري كأمر عيسى بن مريم ، خلقه الله عز وجل من ام ليس له أب ، كما خلق آدم من غير أب ولا أم ، ولو ان عيسى خرج من بطنها ولم ينطق

بالحكمة لم يكن لأمه عذر عند الناس وقد اتت بـه من غير أب وكانوا يأخذونها كما يأخذون من المحصنات ، فجعل الله منطقه عذراً لأمه .

(وعن الرضا عليه السلام) قال: كانت نخلة مريم عليها السلام العجوة ونزلت في كانون .

أقول : اختلف في انه لم سمي بالمسيح :

فقيل لأنه باليمن والبركة .

وقيل لأنه مسح بالتطهير من الذنوب .

وقيل انه كان لا يمسح ذا عاهة بيده إلا براه .

وقيل : لأنـه مسحه جبرئيل عليه السلام بجناحه وقت ولادته ، لتكون عوذة من الشيطان .

وفي (تفسير العياشي) ان اصحاب عيسى سألوه أن يحيي لهم ميتاً .

قال فأتى بهم الى قبر سام بن نوح فقال له قم بإذن الله يا سام بن نوح ، فانشق القبر ، ثم أعاد الكلام فخرج سام بن نوح ، فقال له عيسى أيما أحب إليك تبقى او تعود ؟ فقـال يا روح الله اعود اني لأجد حرقة الموت وقال لذعة الموت في جوفي الى يومي هذا .

(وفيه) عن ابان بن تغلب قال سئل ابو عبد الله هل كان عيسى بن مريم احيي احداً بعد موته حتى كان له أكل ورزق ومدة وولد .

قال : فقال نعم انه كان له صديق مواخ له في الله ، وكان عيسى يمر بـه فينزل عليه ، وان عيسى غاب عنه حيناً ، ثم مر به ليسلم عليه فخرجت إليه امـه فقالت مات يا رسول الله ، فقال لها أتحبين ان تريه ؟ قالت نعم ، قال إذا كان غداً اتيتك حتى احييه بإذن الله . فلما كان من الغد أتاهـا فقال إنطلقي معي إلى قبره ، فانطلقا إلى قبره فوقف عيسى ثم دعا الله ، فانفرج القبر وخرج ابنها حياً .

فلما رأته امه ورآها بكيا ، فرحمها عيسى ، فقال أتحب ان تبقى مـع امك في الدنيا ؟ قال يا رسول بأكل ورزق ومدة ؟ او بغير مدة ولا رزق ولا اكل ؟ فقال له عيسى بل بأكل ورزق ومدة تعمر عشرين سنة وتزوج ويولد لك ؟ قال نعم .

قال فدفعه عيسى الى امه ، فعاش عشرين سنة وتزوج وولد له .

وفي (تفسير الحسن العسكري عليه السلام) قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا عباد الله ان قوم عيسى «ع» لما سألوه ان ينزل مائدة من السماء (قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني اعذبه عذاباً لااعذب به احداً من العالمين)فأنزلها عليهم فمن كفر بعد فمسخه الله ، اما خنزيراً واما قرداً واما دباً واما هراً واما على صورة بعض الطيور والدواب التي في البحر ، حتى مسخوا على اربعمائة نوع من المسخ .

وقال ابو جعفر عليه السلام المائدة التي نزلت على بني اسرائيل مدلاة بسلاسل من ذهب عليها تسعة ألوان وتسعة أرغفة .

وقيل لعيسى : ما لك لا تتزوج ؟ قال وما أصنع بالتزويج ؟ قيل يولد لك ، قال وما أصنع بأولاد ان عاشو افتتنونا وان ماتوا احزنونا ؟ .

وقال أمير المؤمنين « ع » في بعض خطبه : وان شئت قلت في عيسى بن مريم بن مريم عليه السلام فلقد كان يتوسد الحجر ويلبس الخشن وكان ادامه الجوع وسراجه بالليل القمر وظلاله في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها وفاكهته ريحانة ما انبتت الأرض للبهائم ولم تكن له زوجة تفتنه ولا ولد يحزنه ولا مال يتلفه ولا طمع يذله ودابته رجلاه وخادمه يداه .

وفي (إرشاد القلوب) قال عيسى : خادمي يداي ودابتي رجلاي وفراشي الأرض ووسادي الحجر ودفئي في الشتاء مشارق الأرض وسراجي بالليل القمر وادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وفاكهتي وريحانتي ما انبتت الأرض للوحوش والأنعام، أبيت وليس لي شيء وأصبح وليس لي شيء وليس على وجه الأرض احداً اغنى مني .

أقول: معنى قوله: وادامي الجوع، اني لا آكل شيئاً إلا بعد شدة الجوع والاشتياق اليه ولا آكل إلا إذا كان هكذايكون مستلذاً، ويكون كأنه مع الأدام. والمراد بقوله: اغنى مني ، غنى النفس وعدم الحاجة الى الناس .

وروى المفضل عن الصادق «ع» : ان بقاع الارض تفاخرت ، ففخرت الكعبة على البقعة بكربلا ، فأوحى الله إليها اسكني ولا تفخري عليها ، فإنها البقعة المباركة التي نودي منها موسى من الشجرة ، وانها الربوة التي أوت إليها مريم والمسيح « ع » وان الدالية التي غسل فيها رأس الحسين « ع » فيها ، وفيها غسلت مريم عيسى واغتسلت لولادتها .

(كتاب التمحيص) عن سدير قال قلت لأبي جعفر عليه السلام : هل يبتلي الله المؤمن ؟

فقال : وهل يبتلي إلا المؤمن ؟ حتى ان صاحب يس قـال : (يا ليت قومي يعلمون) كان مكنعاً ، قلت وما المكنع ؟ قال : كان به الجذام .

(الأمالي) عن ابي بصير قال : سألت ابا عبد الله عليه السلام يقول : ان عيسى روح الله مـر بقوم مجلبين فقال مـا لهؤلاء ؟ قيل يا روح الله ان فلانة بنت فلان تهدي الى فلان بن فلان في ليلتها هذه ، قال : يجلبون اليوم ويبكون غداً ، فقال قائل منهم : ولم يا رسول الله ؟ قال : لأن صاحبتهم ميتة في ليلتها هذه ، فقال القائلون بمقالته : صدق الله وصدق رسوله ، وقال أهل النفاق وما أقرب غداً .

فلما اصبحوا جاءوا فوجدوها على حالها لم يحدث بها شيء ، فقالوا يا روح الله ان التي اخبرتنا امس انها ميتة لم تمت ، فقال عيسى يفعل الله ما يشاء ، فاذهبوا بنا إليها فذهبوا يتسابقون حتى قرعوا الباب ، فخرج زوجها ، فقـال له عيسى : إستأذن لي على صاحبتك ، فدخل إليها فأخبرها ان روح الله وكلمته بالباب مع عدة .

قال : فتخدرت ، فدخل عليها فقال لها ما صنعت ليلتك هذه ؟ قالت : لم اصنع شيئاً إلا وقد كنت اصنعه فيما مضى ، انه كان يعترينا سائل في كل ليلة جمعة فنعطيه ما يقوته الى مثلها، وانه جاءني في ليلتي هذه وانا مشغولة بأمري واهلي في مشاغيل وهتف فلم يجبه احد ، ثم هتف فلم يجب ، حتى هتف مراراً .

فلما سمعت مقالته قمت متنكرة حتى انلته كما كنا ننيله، فقال لها تنحي عن مجلسك فإذا تحت ثيابها افعى مثل الجذع عاض على ذنبه ، فقال عليه السلام : بما صنعت ، صرف عنك هذا .

أقول : ورد في الأخبار عن السادة الأئمة الأطهار : ان العلم الذي يخبر به الانبياء عليهم السلام عن الله تعالى لا بـد من وقوعه لئلا يلزم تكذيب الانبياء عليهم السلام وهذا الحديث ينافيه ظاهراً، ويمكن الجواب ان هذا وأمثاله مما ترتب عليه وظهر منه إعجاز عيسى ورفع الكذب عنه .

وقد وقع مثل هذا في إخبار النبي صلى الله عليه وآله ، والجواب واحد .

(البصائر) باسناده الى ابي عبد الله بن الوليد قال : قال ابو عبد الله مـا يقول اصحابك في امير المؤمنين عليه السلام وعيسى وموسى عليهم السلام ايهم اعلم ؟ قال : قلت ما يقدّمون على اولي العزم احداً، قال أما انك لو خاصمتهم بكتاب الله لحججتهم قال:

قلت واين هذا في كتاب الله ؟ قال : ان الله قال في موسى ، (وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة) ولم يقل كل شيء وقال في عيسى : (ولأ بين لكم بعض الذي تختلفون فيه) ولم يقل كل شيء .

وقال في صاحبكم : (كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) .

(تفسير علي بن ابراهيم) عن ابي عبد الله «ع» قال : قال الحسن فيما ناظر به ملك الروم : كان عمر عيسى في الدنيا ثلاثة وثلاثين سنة ، ثم رفعه الله الى السماء ويهبط الى الأرض بدمشق وهو الذي يقتل الدجال .

(عيون الأخبار) باسناده الى الرضا عليه السلام قال : كان نقش خاتم عيسى حرفين إشتقهما من الانجيل : طوبى لعبد ذكر الله من اجله وويل لعبد نسي الله من اجله.

(إكمال الدين) عن الباقر عليه السلام قال : ان الله تبارك وتعالى ارسل عيسى الى بني اسرائيل خاصة ، وكانت نبوته ببيت المقدس ، وكان من بعده من الحواريين إثنا عشر .

يقول مؤلف الكتاب ايده الله تعالى : قد تعارضت الأخبار في عموم رسالة اولي العزم الى كافة الناس خصوصاً موسى وعيسى .

ففي بعض الاخبار ان رسالتها عامة ، والانبياء الذين كانوا في عصرهم امروا بتبليغ شرايعهم . وفي بعضها كما في الخبر ولعل الاقوى هو الاول .

ويؤول هذا الحديث وما بمعناه على إرادة إرساله بالذات الى بني اسرائيل .

كما يقال في نبينا صلى الله عليه وآله انه رسول العرب ورسول اهل مكة إذ لا خلاف في عموم رسالته الى كافة المخلوقات .

(قصص الراوندي) باسناده الى ابي عبد الله بن سنان قال : سأل ابي ابا عبد الله « ع » هل كان عيسى يصيبه ما يصيب ولد آدم ؟ قال نعم ، ولقد كان يصيبه وجع الكبار في صغره ، ويصيبه وجع الصغر في كبره ويصيبه المرض ، وكان اذا مسه وجع الخاصرة في صغره – وهو من علل الكبار – قال لامه ابغي لي عسلا وشونيزاً وزيتاً فتعجنين به ثم ائتيني به ، فأتته فكرهه ، فتقول لم تكرهه وقد طلبته ؟ فيقول هاتيه وصفته لك بعلم النبوة ، واكرهته لجزع الصبي ، ويشم الدواء ثم يشربه بعد ذلك .

(وعنه عليه السلام) ان عيسى كان يبكي بكاء شديداً ، فلما اعيت مريم عليها السلام بشدة بكائه ، قال لها خذي من لحا هذه الشجرة فاجعلي وجوراً ثم اسقينيه فإذا سقي

بكى بكاءاً شديداً ، فتقول مريم : ماذا امرتني ؟ فيقول يا امـاه علم النبوة وضعف الصبي .

(عيون الاخبار) عن الرضا « ع » قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : عليكم بالعدس فإنه مقدس مبارك يرقق القلب ويكثر الدمعة ، وقد بارك الله فيه سبعون نبياً آخرهم عيسى بن مريم « ع » .

(الكافي) عن داود الرقي قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول : إتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً ، ان عيسى بن مريم كان في شرايعه السيح في البلاد .

فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من اصحابه قصير وكان كثير اللزوم لعيسى ابن مريم « ع » . فلما انتهى عيسى الى البحر قال بسم الله بصحة يقين منه ، فمشى على ظهر الماء فقال الرجل القصير حين نظر الى عيسى جازه ، بسم الله بصحة يقين منه ، فمشى على الماء فلحق بعيسى ، فدخله العجب بنفسه ، فقال : هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وانا امشي على الماء فما فضله علي .

قال فرمس في الماء ، فاستغاث بعيسى ، فتناوله من الماء فأخرجه ، ثم قال لـه ما قلت يا قصير؟ قال : قلت هذا روح الله يمشي على الماء وانا امشي على الماء! فدخلني من ذلك عجب ، فقال له عيسى «ع» لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله به ، فمقتك الله على ما قلت ، فتب الى الله عز وجل .

قال : فتاب الرجل ورجع الى مرتبته التي وضعه الله ، فاتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً .

وعنه عليه السلام ان عيسى عليه السلام لما ان مر على شاطيء البحر رمى بقرص من قوته في البحر ، فقال له بعض الحواريين يا روح الله وكلمته لم فعلت هذا وانما هو من قوتك؟ قال فعلت هذا لدابة تأكله من دواب الماء وثوابه عند الله عظيم .

الفصل الثالث

فيما جرى بينه وبين إبليس وفي حواريه واصحابه

وفي مواعظه وحكمه عليه الصلاة والسلام

(الأمالي) عن ابن عباس : خرجت امرأة من الجن تمشي على شاطيء البحر فإذا هي بابليس ساجداً على صخرة صماء تسيل دموعه على خديه ! فقامت تنظر اليه تعجباً، ثم قالت له ويحك يا ابليس ما ترجو بطول السجود ؟ فقال لها يا ايتها المرأة الصالحة ابنة الرجل الصالح ارجو اذا برّ ربي عز وجل قسمه وادخلني نار جهنم ان يخرجني من النار برحمته ، ووقوع ابليس في البحر إنما كان من سماعه دعاء عيسى .

(وعن) ابي عبد الله عليه السلام ان عيسى « ع » صعد جبلاً بالشام اسمه أريحا فأتاه ابليس في صورة ملك فلسطين! فقال يا روح الله احييت الموتى وأبرأت الاكمة والابرص فاطرح نفسك عن الجبل ، فقال عيسى « ع » : ان ذلك أذن لي فيه ، وهذا لم يؤذن لي فيه .

وفي حديث آخر ، عنه عليه السلام : انه قال ابليس لعيسى عليه السلام اليس تزعم انك تحيي الموتى؟ قال عيسى : بلى، قال: فاطرح نفسك من فوق الحائط قال عيسى: ويلك ان العبد لا يجرب ربه . وقال ابليس يا عيسى هل يقدر ربك ان يدخل الارض في بيضة والبيضة كهيئتها فقال : ان الله لا يوصف بالعجز ، والذي قلت لا يكون هو مستحيل بنفسه كجمع الضدين .

وعن ابي جعفر «ع» قال : لقي ابليس عيسى بن مريم فقال هل نالك من حبائلك شيء ؟ قال : جدتك التي قالت : (رب اني وضعتها انثى . . . — الى قوله — الشيطان الرجيم) .

أقول: معناه ان جدتك لما قالت، حين وضعت وضعها امك: (واني اعيذها وذريتها من الشيطان الرجيم) لم يكن فيك نصيب .

(عيون الاخبار) عن علي بن الحسين بن فضال قال : قلت للرضا عليه السلام لم سمي

الحواريون (الحواريين) ؟ قال : امـــا عند الناس فانهم سموا حواريين ، لأنهم كانوا قصارين يخلصون الثياب من الوسخ بالغسل ، وهو اسم مشتق من الخبز الحوار ، واما عندنا : فسمي الحواريون حواريين ، لأنهم كانوا مخلصين في انفسهم ومخلّصين لغيرهم من اوساخ الذنوب بالوعظ والتذكير .

قال : قلت له فلمَ سمي النصارى نصارى ؟ قـال : لأنهم من قرية اسمها ناصرة من بلاد الشام نزلتها مريم وعيسى بعد رجوعهما من مصر .

وعنه عليه السلام : سباق الأمم ثلاث ، لم يكفروا بالله طرفة عين : علي بن ابي طالب « ع » ، وصاحب يس ومؤمن آل فرعون ، فهم الصديقون حبيب النجار مؤمن آل يس وحزقيل مؤمن آل فرعون وعلي بن ابي طالب صلى الله عليه وآله وهو افضلهم .

(الكافي) قال عيسى بن مريم عليه السلام : يا معشر الحواريين لي اليكم حاجة اقضوها لي ، قالوا : قضيت حاجتك يا روح الله ، فقام فغسل اقدامهم ، فقالوا : كنا نحـــن احق بهذا يا روح الله، فقال : ان احق الناس بالخدمة العالم، انما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم .

ثم قال عيسى «ع» : عليكم بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر ، وكذلك في السهل ينبت الزرع لا بالجبل.

وفيه ، انه سئل ابو عبد الله عليه السلام : ما بال اصحاب عيسى عليه السلام كانوا يمشون على الماء وليس ذلك في اصحاب محمد صلى الله عليه وآله قـــال : ان اصحاب عيسى كفوا عن المعاش ، وان هؤلاء ابتلوا بالمعاش .

وفيه ، عن محمد بن مسلم عن ابي عبد الله عليه السلام قـال : قلت إنا لنرى الرجل له عبادة واجتهاد وخشوع ولا يقول بالحق فهل ينفعه ذلك شيئاً ؟ فقـال : يا محمد انمـا مثل اهل بيت مثل اهل بيت كانوا في بني اسرائيل كان لا يجتهد احد منهم اربعين ليلة إلا دعـا فاجيب ، وان رجل منهم اجتهد اربعين ليلة ثم دعا فلم يستجب له ، فأتى عيسى بن مريم صلى الله عليه وآله ليشكو اليه ما هو فيه ويسأله الدعاء .

قال فتطهر عيسى وصلى ركعتين ثم دعا الله عز وجل فأوحى الله عز وجل اليه : يا عيسى ان عبدي اتاني من قبل البـاب الذي اوتي منه ، انـه دعاني وفي قلبه شك منك ، فلو دعاني ينقطع عنقه وتنتشر انامله ما استجبت له .

قال : فالتفت اليه عيسى «ع» فقـال تدعو ربك وانت في شك من نبيه ؟ فقال يا روح الله وكلمته قد كان والله ما قلت ! فادع الله ان يذهب به عني . قال : فدعى له عيسى ، فتاب الله عليه وقبل منه ، وصار في احد اهل بيته .

وفي كتاب (بحار الانوار) ان عيسى عليه السلام جمع بعض الحواريين في بعض سياحته ، فمروا على بلد ، فلما قربوا منه وجدوا كنزاً على الطريق ، فقال من معه : إئذن لنـا يا روح الله ان نقيم هاهنا ونحوز هـذا الكنز لئلا يضيع ؟ فقال لهم اقيموا هاهنا وانا ادخل البلد ولي كنزاً اطلبه .

فلما دخل البلد وجال فيه ، رأى داراً خربة فدخلها ، فوجد فيها عجوزاً فقـال لها : انا ضيفك في هذه الليلة وهل في الدار احد غيرك ؟ قالت نعم لي ابن صغير مات ابوه وبقي يتيماً في حجري ، وهـو يذهب الى الصحارى ويجمع الشوك ويبيعه ونتعيش به . فلما جاء ولدها قالت له بعث الله لنا في هذه الليلة ضيفاً صالحاً تسطع من جبينه انوار الهدى والصلاح ، فاغتنم خدمته وصحبته، فدخل الابن على عيسى «ع» واكرمه.

فلما كان في بعض الليل سأل عيسى عليه السلام الغلام عن حاله ومعيشته وغيرها وتفرس فيه آثار العقل والاستعداد للترقي على مدراج الكمال ، لكن وجد فيـه ان قلبه مشغول بهم عظيم، فقال : يا غلام ارى قلبك مشغولا بهم عظيم فاخبرني لعله يكون عندي دواء دائك .

فلما بالغ عيسى « ع » قال نعم في قلبي هم لا يقدر على دوائه إلا الله تعالى فقـال اخبرني به لعل الله يلهمني ما يزيله عنك ، فقال الغلام : اني كنت يوماً احمل الشوك الى البلد ، فمررت بقصر ابنة الملك فنظرت الى القصر فوقع نظري عليها فدخل حبها شغاف قلبي وهو يزداد كل يوم ولا ارى لذلك دواء إلا الموت ، فقال عيسى « ع » إن كنت تريدها انا احتال حتى تتزوجها .

فجاء الغلام الى امه واخبرها بقوله فقالت أمه يا ولدي اني لاظن ان هذا الرجل يعد بشيء لا يمكنه الوفاء به فاسمع له واطعه في كل ما يقول .

فلما اصبحوا قال عيسى عليه السلام للغلام اذهب الى باب الملك فاذا اتى خواص الملك ليدخلوا عليه ، قل لهم ابلغوا الملك عني اني جئته خاطباً كريمته ثم ائتيني واخبرني بما جرى بينك وبين الملك .

فأتى الغلام باب الملك ، فلما قال ذلك لخاصته ضحكوا وتعجبوا من قوله ودخلوا على الملك واخبروه بما قال الغلام مستهزئين به ، فاستحضره الملك .

فلما دخل على الملك وخطب ابنته قال الملك مستهزءاً به لااعطيك ابنتي إلا ان تأتيني من اللئالي واليواقيت والجواهر كذا وكذا ووصف له ما لا يوجد في خزانة ملك من ملوك الدنيا ، فقال الغلام انا اذهب وآتيك بجواب هذا الكلام فرجع الى عيسى «ع» فأخبره بما جرى فذهب به عيسى«ع»الى خربة فيها احجار ومدر كبار فدعا الله تعالى فصيرها كلها من جنس ما طلب الملك واحسن منها، فقال يا غلام خذ منها ما تريد واذهب به الى الملك فلما اتى الملك بها تحير الملك واهل مجلسه في امره، وقالوا لا يكفينا هذا فرجع الى عيسى «ع» فأخبره فقال اذهب الى الخربة وخذ منها ما تريد واذهب بها اليهم، فلما رجع بأضعاف ما اتى بـه أولا زادت حيرتهم وقال الملك ان لهذا شأناً غريباً فخلا بالغلام واستخبره عن الحال فأخبره بكل ما جرى بينه وبين عيسى ، وما كان من عشقه لابنته فعلم الملك ان الضيف هو عيسى « ع » فقال قـل لضيفك يأتيني ويزوجك ابنتي ، فحضر عيسى «ع» وزوجها منه وبعث الملك ثياباً فاخرة الى الغلام فألبسها إياه وجمع بينه بين ابنته تلك الليلة فلما اصبح طلب الغلام وكلمه فوجده عاقلاً فهماً ، فلم يكن للملك ولد غير هذه الابنة فجعله الملك ولي عهده ووارث ملكه، وامر خواصه واعيان مملكته ببيعته وطاعته ، فلما كانت الليلة الثانية مات الملك فأجلسوا الغلام على سرير الملك واطاعوه وسلموا اليه خزائنه فأتاه عيسى « ع » في اليوم الثالث ليودعه فقال الغلام ايها الحكيم ان لك علي حقوقاً لا اقوم بشكر واحد منها ولكن عرض في قلبي البارحة امر لو لم تجبني عنه لم انتفع بشيء مما حصلتها لي، فقال وما هو؟ قال الغلام انك قدرت على ان تنقلني من تلك الحالة الخسيسة الى تلك الدرجة الرفيعة في يومين فلم لا تفعل هذا لنفسك واراك في تلك الحالة ؟ فلما احفى في السؤال قال له عيسى ان العالم بالله وبدار ثوابه وكرامته والبصير بفناء الدنيا وخستها لا يرغب الى هذا الملك الزائل، وان لنا في قربه تعالى ومعرفته ومحبته لذات روحانية لا تعد تلك اللذات الفانية عندها شيئاً، فلما اخبر بعيوب الدنيا وآفاتها ونعيم الآخرة ودرجاتها. قال الغلام فلي عليك حجة اخرى لم اخترت لنفسك ما هو اولى واحرى واوقعتني في هذه البلية الكبرى فقال عيسى «ع» انما اخترت لك ذلك لأمتحنك في عقلك وذكائك وليكون لك الثواب في ترك هذه الأمور الميسرة لك اكثر وأوفى وتكون حجة على غيرك .

فترك الغلام الملك ولبس اثوابه البالية وتبع عيسى عليه السلام فلما رجـع الى الحواريين

قال : فهذا كنزي الذي كنت اظنه هذا البلد فوجدته والحمد لله .

(الأمالي) باسناده الى الصادق « ع » قال إن عيسى بن مريم «ع» توجه في بعض حوائجه ومعه ثلاثة نفر من اصحابه فمر بلبنات ثلاث من ذهب على ظهر الطريق فقال لأصحابه ان هذا يقتل الناس ، ثم مضى ، فقال احدهم ان لي حاجة قال فانصرف، ثم قال الآخر ان لي حاجة فانصرف ، ثم قال الآخر ان لي حاجة فانصرف ، فوافوا عند الذهب ثلاثتهم فقال اثنان لواحد اشتر لنا طعاماً فذهب يشتري لهما طعاماً فجعل فيه سماً ليقتلهما كي لا يشاركاه في الذهب وقال الاثنان اذا جاء قتلناه كي لا يشاركنا فلما جاء قاما اليه فقتلاه ثم تغديا فماتا فرجع اليهم عيسى « ع » وهم موتى حوله فأحياهم باذن الله تعالى ذكره ثم قال ألم اقل لكم ان هذا يقتل الناس .

(التوحيد) باسناده الى ابي جعفر عليه السلام قال لما ولد عيسى بن مريم كان ابن شهرين فلما كان ابن سبعة اشهر اخذت والدته بيده وجاءت به الى الكتاب واقعدته بين يدي المؤدب، فقال له المؤدب قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال عيسى عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم فقال المؤدب قل ابجد فرفع عيسى رأسه فقال وهل تدري ما ابجد فعلاه بالدرة ليضربه فقال يا مؤدب لا تضربني ان كنت تدري وإلا فاسألني حتى افسر لك قال فسر لي فقال عيسى «ع» اما الألف فآلاء الله والباء بهجة الله والجيم جمال الله والدال دين الله ، هوز الهاء هول جهنم والواو ويل اهل النار والزاء زفير جهنم، حطي حطت الخطايا عن المستغفرين ، كلمن كلام الله لا مبدل لكلماته ، سعفص صاع بصاع والجزاء بالجزاء ، قرشت قرشهم فحشرهم . فقال المؤدب ايتها المرأة خذي بيدي ابنك فقد علم ولا حاجة له في المؤدب .

(الأمالي) مسنداً الى الصادق «ع» قال: رسول الله صلى الله عليه وآله ومرّ عيسى بن مريم «ع» بقبر يعذب صاحبه، ثم مر به من القابل فاذا هو ليس يعذب فقال يا رب مررت بهذا القبر عام اول فكان صاحبه يعذب ثم مررت به العام فاذا هو ليس يعذب فأوحى ال عز وجل اليه يا روح الله انه ادرك ولد صالح فأصلح طريقاً وآوى يتيماً فغفرت له بما عمل ابنه قال : فقال عيسى بن مريم «ع» ليحيى ابن زكريا « ع » إذا فيك ما فيك فاعلم انه ذنب ذكرته فاستغفر الله منه، وان فيك ما ليس فيك فاعلم انها حسنة كتبت لك لم تتعب فيها .

وفي مواعظ المسيح عليه السلام يا علماء السوء ليس امر الله على ما تتمنون وتتخيرون

بل للموت تبنون الدار وللخراب تبنون وتعمرون وللوارث تمهدون وبحق اقول لكم ان موسى « ع » كان يأمركم ان لا تحلفوا بالله كاذبين ، وانا اقول لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين ولكن قولوا وانعم الله يا بني اسرائيل عليكم بالبقل البري وخبز الشعير وإياكم وخبز البر فإني اخاف ان لا تقوموا بشكره .

(علل الشرايع) عن امير المؤمنين « ع » إن النبي ﷺ قال مـر اخي عيسى ابن مريم عليه السلام بمدينة وفيها رجل وامرأة صالحين فقال وما شأنكما قال يا نبي الله ان هذه امرأتي وليس بهـا بأس فهي صالحة ولكني احب فراقها قال فما شأنها ؟ قال هي خلقة الوجه من غير كبر، قال لها اذا اكلت فاياك ان تشبعين لأن الطعام اذا تكاثر على الصدر فزاد في القدر ذهب بماء الوجه ففعلت ذلك فعاد وجها طريا .

وقال عليه السلام مر اخي عيسى «ع» بمدينة واذا في ثمارها الدودة فشكوا اليه مابهم فقال دواء هـذا معكم وليس تعلمون ، انتم قوم اذا غرستم الأشجار صببتم التراب ثم صببتم الماء وليس هكذا يجب بل ينبغي ان تصبوا الماء في اصول الشجرة ، ثم تصبوا التراب لكيلا يقع فيه الدود فاستأنفوا كما وصف فذهب ذلك عنهم .

وقال عليه السلام : مر اخي عيسى « ع » بمدينة فاذا وجوههم صفر وعيونهم زرق فصاحوا اليه وشكوا ما بهم من العلل فقال دواؤه معكم انتم اذا اكلتم اللحم طبختموه غير مغسول وليس يخرج شيء من الدنيا إلا بجنابة فغسلوا بعد ذلك لحومهم فذهبت امراضهم.

وقال عليه السلام : مر أخي عيسى « ع » بمدينة واذا اهلها اسنانهم منتثرة ووجوههم منتفخة فشكوا اليه فقال : انتم اذا نمتم تطبقون افواهكم فعلا الريح في الصدور حتى تبلغ الى الفم فلا يكون لها مخرج الى أصول الأسنان فيفسد الوجه ، فاذا نمتم فافتحوا شفاهكم وصيروه لكم خلقاً ففعلوا ، فذهب عنهم ذلك .

(قصص الراوندي) باسناده الى عبد الله « ع » قال : ان عيسى بن مريم « ع » قـال : اذا داويت المرضى فشفيتهم باذن الله تعالى، وابرأت الأكمة والأبرص باذن الله وعالجت الموتى فأحييتهم باذن الله وعالجت الاحمق فلم اقدر على اصلاحه، فقيل يا روح الله وما الاحمق ؟ قال : المعجب برأيه ونفسه الذي يرى الفضل كله له ، لا عليه ! ويوجب الحق كله لنفسه ولا يوجب عليها ، فذلك الاحمق الذي لا حيلة في مداواته .

(وروي) ان عيسى « ع » مر مع الحواريين على جيفة، فقال الحواريون : ما انتن

ريح الكلب ؟ فقال عليه السلام : ما اشد بياض اسنانه .

وقيل له : لو اتخذت بيتاً ، فقال يكفينا خلقان من كان قبلنا .

(وروي) ان عيسى « ع » إشتد عليه المطر والرعد يوماً ، فجعل يطلب شيئاً يلجأ اليه ، فرفعت له خيمة من بعيد فأتاها ، فاذا فيها امرأة ، فحاد عنها ، فاذا هو بكهف في جبل فأتاه ، فاذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال : إلهي لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى، فأوحى الله تعالى اليه: مأواك في مستقر رحمتي، وعزتي لأزوجنك يوم القيامة مائة حورية خلقتها بيدي، ولأطعم في عرسك اربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا، ولآمرن منادياً ينادي: اين الزهاد في الدنيا، إحضروا عرس الزاهد عيسى بن مريم .

(وروي) ان عيسى «ع» كوشف بالدنيا، فرآها في صورة عجوز عتماء، - يعني منكسرة الثنايا - عليها من كل زينة ، فقال لها : كم تزوجت فقالت لا احصيهم قال : وكلهم مات عنك او كلهم طلقك، فقالت بل كلهم قتلت؟ فقال عيسى «ع»: بؤساً لأزواجك الباقين ، كيف تهلكيهم واحداً واحداً ، ولم يكونوا منك على حذر .

وقيل : بينا عيسى بن مريم جالس وشيخ يعمل بمسحاة ويثير الارض ، فقال عيسى «ع»: اللهم إنزع منه الأمل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع، فلبث ساعة فقال عيسى « ع » : اللهم اردد اليه الأمل ، فقام يعمل بمسحاته ، فسأله عيسى عن ذلك فقال بينا انا اعمل إذ قالت لي نفسي: الى متى تعمل وانت شيخ كبير؟ فألقيت المسحاة واضطجعت، ثم قالت لي نفسي والله لا بد لك من عيش ما بقيت، فقمت الى مسحاتي .

الفصل الرابع

في تفسير ما يقوله الناقوس وفي رفعه عليه السلام الى السماء

(الامالي ومعاني الاخبار) بالاسناد الى الحارث الاعور قال: بينا كنت اسير مع امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في الحيرة ، إذ نحن بدير اني يضرب الناقوس ، فقال علي بن ابي طالب «ع» : يا حارث اتدري ما يقول الناقوس ؟ قلت والله ورسوله وابن عم رسوله اعلم ، قال : انه يضرب مثل الدنيا وخرابها ويقول لا إله إلا الله حقاً حقاً

صدقاً صدقاً، ان الدنيا قد غرتنا وشغلتنا واستهوتنا واستقوتنا، يا ابن الدنيا مهلاً مهلاً يا ابن الدنيا دقاً دقاً يا ابن الدنيا جمعاً جمعاً تفنى الدنيا قرناً قرناً، ما من يوم يمضي عنا إلا أوهي منا ركناً، قد ضيعنا داراً تبقى واستوطنا داراً تفنى، لسنا ندري ما فرطنا فيها إلا لو قد متنا .

فقال الحارث : يا امير المؤمنين النصارى يعلمون ذلك ؟ قال: لو علموا ذلك لما اتخذوا المسيح إلهاً من دون الله عز وجل . قال : فذهبت الى ديراني ، فقلت له : بحق المسيح عليك لما ضربت بالناقوس على الجهة التي تضربها قال : فأخذ يضرب وانا اقول حرفاً حرفاً ، حتى بلغ الى قوله الا لو قد متنا ، فقال بحق نبيكم من اخبركم بهذا؟ قلت هذا الرجل الذي كان معي امس ، قال : وهل بينه وبين النبي من قرابة ؟ قلت هو ابن عمه ، قال بحق نبيكم اسمع هذا من نبيكم ؟ قال : قلت نعم ، فأسلم .
ثم قال لي : والله ، اني وجدت في التوراة : انه يكون في آخر الانبياء .

(إكمال الدين) عنه عليه السلام قال : لما ملك اسبخ بن اشكان وملك مائتين وستاً وستين سنة . ففي سنة إحدى وخمسين من ملكه بعث الله عيسى بن مريم « ع » واستودعه النور والحكمة وجميع علوم الأنبياء قبله وزاده الانجيل، وبعثه الى بيت المقدس الى بني اسرائيل يدعوهم الى الايمان بالله فمكث ثلاثة وثلاثين سنة ، حتى طلبته اليهود وادعت انها قتلته ! (وما كان الله ليجعل لهم سلطاناً عليه وإنما شبه لهم . . .) الحديث .

وعن ابي جعفر عليه السلام : لما كانت الليلة التي قتل فيها يوشع بن نون ، وكذلك كانت الليلة التي رفع فيها عيسى بن مريم ، وكذلك الليلة التي قتل فيها علي بن ابي طالب « ع » لم يرفع عن وجه الارض حجر ، إلا وجد تحته دم عبيط ، حتى طلع الفجر ، وكذلك الليلة التي قتل فيها الحسين صلوات الله عليه .

(تفسير علي بن ابي ابراهيم) عن ابي جعفر عليه السلام قال : ان عيسى « ع » وعد اصحابه ليلة رفعه الله اليه ، فاجتمعوا عند المساء وهم اثنى عشر رجلاً فأدخلهم بيتاً ، ثم خرج عليهم من عين في زاوية البيت وهو ينفض رأسه من الماء، فقال: ان الله رافعي اليه الساعة ومطهري من اليهود ، فأيكم يلقي عليه شبحي فيقتل ويصلب ويكون معي في درجتي ؟ قال شاب منهم : أنا يا روح الله ، قال : فأنت هو ذا فقال عيسى : ان منكم لمن يكفر بي قبل ان يصبح اثنتي عشر كفرة ؟ فقال له رجل انا منهم ، فقال عيسى عليه السلام انحن بذلك في نفسك فلتكن هو .

ثم قال عيسى «ع» : أما انكم ستفترقون من بعدي على ثلاث فرق ، فرقتين مفتريتين على الله في النار ، وفرقة شمعون صادقة على الله في الجنة ، ثم رفع الله عيسى من زاوية البيت وهم ينظرون اليه .

ثم قال : ان اليهود جاءت في طلب عيسى «ع» من ليلتهم ، فأخذوا الرجل الذي قال له عيسى : ان منكم لمن يكفر بي قبل ان يصبح اثنتي عشرة كفرة ، واخذوا الشاب الذي ألقى عليه شبح عيسى «ع» فقتل وصلب وكفر الذي قال له : تكفر قبل ان تصبح اثني عشرة كفرة .

(قصص الراوندي) عنه عليه السلام قال: لما اجتمعت اليهود على عيسى «ع» ليقتلوه بزعمهم ! اتاه جبرئيل «ع» فغشاه بجناحه ونظر عيسى فاذا هو بكتاب في جناح جبرئيل اللهم اني ادعوك باسمك الواحد الأعز وادعوك اللهم باسمك الكبير المتعالي الذي ثبت به أركانك كلها ان تكشف عني ما اصبحت وامسيت فيه .

فلما دعا به عيسى عليه السلام ، أوحى الله تعالى الى جبرئيل عليه السلام ارفعه الى عندي .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله يا بني عبد المطلب سلوا ربكم بهذه الكلمات فو الذي نفسي بيده ما دعا بهن عبد باخلاص إلا اهتز له العرش، وإلا قال الله للملائكة إشهدوا إني قد استجبت له بهن وأعطيته سؤله في عاجل دنياه وآجل آخرته .

ثم قال لأصحابه : سلوا بها ولا تستبطئوا الاجابة .

(وعن (ابي عبد الله عليه السلام قال : رفع عيسى بن مريم عليه السلام بمدرعة من صوف من غزل مريم «ع» ومن خياطة مريم .

فلما انتهى الى السماء نودي يا عيسى بن مريم إلق عنك زينة الدنيا .

(عيون الأخبار) عن الرضا «ع» قال : ما شبه امر احد من انبياء الله وحججه عليهم السلام للناس إلا امر عيسى بن مريم عليه السلام وحده ، لأنه رفع من الارض حياً وقبض روحه بين السماء والارض ، ثم رفع الى السماء ورد اليه روحه .

وذلك قوله عز وجل : (إذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك إلي) .

وروي : انه مر عيسى «ع» برهط من اليهود ، فقال بعضهم قد جاءكم الساحر ابن الساحرة ! والفاعل بن الفاعلة : فقذفوه بامه ، فسمع ذلك عيسى «ع» فقال : اللهم انت ربي خلقتني ولم اُتهم من تلقاء نفسي ، اللهم إلعن من سبني وسب والدتي

فاستجاب الله دعوته فمسخهم قردة وخنازير .

وبلغ خبرهم يهوذا وهو رأس اليهود ، فخاف ان يدعوا عليه. فجمع اليهود واتفقوا على قتله ! فبعث الله جبرئيل عليه السلام يمنعه منهم .

فاجتمع اليهود حول عيسى « ع » فجعلوا يسألونه فيقول لهم : يا معشر اليهود ان الله تعالى يبغضكم، فثاروا عليه ليقتلوه! فأدخله جبرئيل عليه السلام خوخة البيت الداخل لها روزنة في سقفها ، فرفعه جبرئيل عليه السلام الى السماء .

فبعث يهوذا – رأس اليهود – جلا من اصحابه اسمه طيطانوس ليدخل عليه الخوخة ليقتله ! فدخل فلم يره ، فأبطأ عليهم ، فظنوا انه يقاتل في الخوخة ، فألقى عليه شبه عيسى عليه السلام . فلما خرج على اصحابه قتلوه وصلبوه .

وقيل : القى عليه شبه وجه عيسى ، ولم يقل عليه شبه جسده .

فقال بعض القوم ان الوجه وجه عيسى والجسد جسد طيطانوس .

وقال بعضهم ان كان هذا عيسى « ع » فأين طيطانوس ، فاشتبه الامر عليهم واما قوله : (إني متوفيك ورافعك إلي) فذكر المفسرون فيه اقوالا :

منها – اني قابضك إلى ورافعك إلي السماء من غير وفاة بموت ، ومعنى (متوفيك) اني رافعك إلي وافياً ، لم ينالوا منك شيئاً من قولهم : توفيت منك كذا وكذا أي تسلمته .

ومنها – اني متوفيك وفاة نوم ورافعك إلي في النوم منقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل ، ومنها – ما قاله ابن عباس من ان المراد (إني متوفيك) وفاة موت كما تقدم به الحديث ، وقال ابن عباس إنه توفاه ، اي اماته ثلاث ساعات ، وأما النحويون فيقولون: هو على التقديم والتأخير اي: (رافعك ومتوفك) لأن الواو لا توجب الترتيب. ويدل عليه ما روي عن النبي (ص) قال : عيسى « ع » لم يمت ، وانه راجع اليكم قبل يوم القيامة .

فيكون تقديره : (اني قابضك) بالموت بعد نزولك من السماء .

(الاحتجاج) سأل نافع مولى ابن عمر ابا جعفر عليه السلام كم بين عيسى ومحمد صلى الله عيه وآله من سنة قال : اجيبك بقولك ام بقولي؟ قال : اجبني بالقولين قال : أما بقولي فخمسمائة سنة ، وأما قولك فستمائة سنة .

(تفسير) علي بن ابراهيم مسنداً الى شهر بن حوشب قـال : قال الحجاج : يا شهر آية في كتاب الله قد اعيتني، فقلت ايها الأمير أي آية هي ؟ فقال قوله : (وان من اهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) والله اني لامر باليهودي والنصراني فتضرب عنقه ثم ارمقه بعيني فما أراه يحرك شفتيه حتى يخمد ، فقلت اصلح الله الامير ليس على ما تأولت، قال كيف هو؟ قلت ان عيسى على نبينا وآله وعليه أفضل الصلاة ينزل قبل يوم القيامة الى الدنيا، فلا يبقى اهل ملة، يهودي ولا غيره إلامن آمن به قبل موته ويصلي خلف المهدي عليه السلام ، قال ويحك اني لك هذا ومن اين جئت بـه ؟ قلت : حدثني محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام، قال: جئت والله بهـا من عين صافية .

باب

في قصص أرميا ودانيال وعزير وبخت نصر

قال الله تعالى : (أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها * قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال : كم لبثت قال ؟ قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال: بل لبثت مائة عام، فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً، فلما تبين له : قال : أعلم ان الله على كل شيء قدير).

وفي سورة الاسراء : (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً * فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا اولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً * ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيراً * ان احسنتم احسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسئوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً) .

(وقضينا) أي واوحينا اليهم في التوراة قضاء مقضياً .

(مرتين) أي إفسادين ، أولها مخالفة احكام التوراة وقتل شعيا وقتل ارميا وثانيها قتل يحيى وزكريا وقصد قتل عيسى .

وقوله : (وعد اوليهما) أي وعد عقاب اولها .

وقوله : (عباداً لنا) أي بخت نصر عامل لهراسف الى بابل وجنوده، (فجاسوا) أي ترددوا لطلبكم (خلال الديار) أي وسطها ، للقتل والغارة (والكرة الدولة) والغلبة (عليهم) أي على الذين بعثوا عليكم .

وذلك بأن القى الله في قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسب شفقة عليهم ، فرد اسراهم الى الشام وملك دانيال عليهم ، فاستولوا على من كان فيها من

اتباع بخت نصر . و (نفير) من ينفر مع الرجل من قومه (فاذا جاء وعد ـ عقوبة ـ الآخرة) بمثاهم ليجعلوا وجوههم بادية اثاراً لمساءة فيها ، (وليتبروا) أي ليهلكوا (ما علوا) أي ما غلبوه واستولوا عليه أو مدة علوهم .

وذلك بأن سلط الله عليهم الفرس مرة أخرى ، فغزاهم ملك بابل ودخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم ، فوجد فيه دماً يغلي ، فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقتوني ، فقتل عليه الوفاً منهم فلم يسكن الدم، ثم قال إن لم تصدقوني ما تركت منكم احداً فقالوا انه دم يحيى ، فقال لمثل هذا ينتقم منكم ربكم .

(روي) ان بخت نصر ملك بابل وكان من جنس نمرود ، وكان لزنية لا اب له فظهر على بيت المقدس وخرب المسجد! واحرق التوراة! والقى الجيف في المسجد! وقتل على دم يحيى « ع » سبعين الفاً وسبى ذراريهم واغار عليهم واخرج أموالهم وسبى سبعين الفاً وذهب بهم الى بابل وبقوا في مدة مائة سنة تستعبدهم المجوس .

ثم تفضل الله عليهم بالرحمة ، فأمر ملكاً من ملوك فارس عارفاً بالله سبحانه فردهم الى بيت المقدس ، فأقامهم به مائة سنة على الطريقة المستقيمة .

ثم عادوا الى الفساد والمعاصي! فجاءهم ملك من ملوك الروم اسمه انطياخوس فخرب بيت المقدس وسبى اهله .

(تفسير علي بن ابراهيم) عن ابي عبد الله عليه السلام قال : لما عملت بنو اسرائيل بالمعاصي وعتوا عن امر ربهم ، أراد الله أن يسلط عليهم من يذلهم ويقتلهم فأوحى الله الى ارميا : يا ارميا ما بلد انتخبته من بين البلدان وغرست فيه من كرائم الشجر فأخلف ، فأنبت خرنوباً . فأخبر ارميا احبار بني اسرائيل فقالوا له راجع ربك ليخبرنا ما معنى هذا المثل فصام ارميا سبعاً ، فأوحى الله اليه: يا ارميا اما البلد فبيت المقدس،واما ما نبتت فيه فبنو اسرائيل الذين اسكنتهم فيها، فعملوا بالمعاصي وغيروا ديني وبدلوا نعمتي كفراً، في حلفت لأمتحنهم بفتنة يظل الحكيم فيها حيران ولأسلطن عليهم شر عبادي ولادة وشرهم طعاماً، فليتسلطن عليهم فيقتل مقاتليهم ويسبي حريمهم ويخرب بيتهم التي يغترون به، ويلقي حجرهم الذي يفتخرون به على الناس في المزابل مائة سنة ، فأخبرهم اخبار بني اسرائيل فقالوا : راجع ربك فقل له : ما ذنب الفقراء والمساكين والضعفاء؟ فصام ارميا سبعاً ثم أكل أكلة ، فلم يوح اليه شيء ، ثم صام سبعاً وأكل أكلة فلم يوح اليه شيء ، ثم صام سبعاً ، فأوحى الله اليه : يا ارميا لتكفن عن

هذا او لأردن وجهك الى وراءك .

ثم اوحى الله اليه: قل لهم لأنكم رأيتم المنكر فلم تنكروه ، فقال ارميا يا رب إعلمني من هو حتى آتيه وآخذ لنفسي واهل بيتي منه اماناً قال : إئت موضع كذا وكذا فانظر الى غلام اشدهم زمانة واخبثهم ولادة واضعفهم جسما وأشرهم غذاءاً فهو ذاك .

فأتى ارميا الى ذلك البلد ، فاذا هو بغلام في خان زمن ملقى على وسط مزبلة واذا له ام تربي بالكسر ، وقعت الكسر في القصعة وتحلب عليه خنزيرة لها ، ثم تدنيه من ذلك الغلام فيأكله .

فقال ارميا : إن كان في الدنيا الذي وصفه الله فهو هذا ، فدنى منه وقال : ما اسمك ؟ قال بخت نصر ، فعرف انه هو ، فعالجه حتى برء .

ثم قال : تعرفني ؟ قال لا ، أنت رجل صالح ، فقال : أنا ارميا نبي بني اسرائيل اخبرني الله انه سيسلطك على بني اسرائيل فتقتل رجالهم وتفعل بهم السوء .

قال : فتاه في نفسه في ذلك الوقت ، ثم قال ارميا : اكتب لي كتاباً بأمان منك فكتب له كتاباً .

وكان يخرج بالجبل ويحطب ويدخله المدينة ويبيعه ، فدعا الى حرب بني اسرائيل وكان مسكنهم في بيت المقدس ، واقبل بخت نصر فيمن أجابه نحو بيت المقدس ، وقد اجتمع اليه بشر كثير .

فلما بلغ ارميا إقباله نحو بيت المقدس ، استقبله على حمار له ومعه الامان الذي كتبه بخت نصر ، فلم يصل اليه ارميا ، من كثرة جنوده ، فصير الامان على خشبة ورفعها ، فقال من أنت ؟ فقال : أنا ارميا النبي الذي بشرتك بأنك متسلط على بني اسرائيل وهذا امانك لي ، قال اما انت فقد امنتك واما اهل بيتك فاني ارمي من هاهنا الى بيت المقدس ، فان وصلت رميتي الى بيت المقدس فلا امان لهم عندي وان لم تصل فهم آمنون ، وانتزع قوسه ورمى نحو بيت المقدس ، فحملت الريح النشابة حتى علقتها في بيت المقدس فقال لا امان لهم عندي .

فلما وافى نظر الى جبل من تراب وسط المدينة ، واذا دم يغلي وسطه ، كلما القى عليه التراب خرج وهو يغلي ، فقال ما هذا ؟ فقالوا هذا نبي قتله ملوك نبي اسرائيل

ودمه يغلي كلما القي عليه التراب خرج وهو يغلي ، فقال بخت نصر لأقتلن بني اسرائيل ابداً حتى يسكن هذا الدم .

وكان ذلك الدم دم يحيى بن زكريا عليه السلام وكان في زمانه ملك جبار يزني بنساء بني اسرائيل ! وكان يمر يحيى بن زكريا عليه السلام فقال له يحيى : إتق الله ايها الملك لا يحل لك هذا ، فقالت له امرأة من اللواتي كان يزني بها حين سكر : ايها الملك اقتل يحيى ، فأمر ان يؤتى برأسه ، فأتى برأس يحيى « ع » في الطشت وكان الرأس يكلمه ويقول: يا هذا إتق الله لا يحل لك هذا ، ثم غلى الدم في الطشت حتى فاض الى الارض فخرج يغلي ولا يسكن . وكان بين قتل يحيى وبخت نصر مائة سنة .

ولم يزل بخت نصر يقتلهم ، كان يدخل قرية قرية فيقتل الرجال والنساء والصبيان وكل حيوان ، والدم يغلي حتى افنى من ثم ، فقال : هل بقي احد في هذه البلاد؟ قالوا عجوزاً في موضع كذا وكذا ، فبعث اليها فضرب عنقها على الدم ، فسكن ، وكانت آخر من بقى .

ثم اتى الى بابل فبنى فيها مدينة واقام ، وحفر بئراً فألقى فيها دانيال ، والقى معه اللبوة ، فجعل اللبوة تأكل طين البئر ويشرب دانيال لبنها ، فلبث بذلك زماناً .

فأوحى الله الى النبي الذي كان في بيت المقدس : ان اذهب بهذا الطعام والشراب الى دانيال واقرأه السلام، قال واين هو يا رب؟ فقال: في بئر بابل في موضع كذا وكذا. قال : فأتاه فاطلع في البئر ، فقال: يا دانيال قال : لبيك صوت غريب ، قال : ان ربك يقرؤك السلام قد بعث اليك بالطعام والشراب ، فدلاه اليه ، فقال دانيال : الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، الحمد لله الذي لا يخيب من دعاه الحمد لله الذي من توكل عليه كفاه الحمد لله الذي من وثق به لم يكله الى غيره الحمد لله الذي يجزي بالاحسان إحساناً الحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاة والحمد لله الذي يكشف ضرنا عند كربتنا، والحمد لله الذي هو ثقتنا حتى ينقطع الحبل منا، والحمد والذي هو رجائنا حين ساء ظننا بأعمالنا .

قال : فرأى بخت نصر في نومه كأن رأسه من حديد ورجلاه من نحاس وصدره من ذهب .

قال : فدعا المنجمين فقال لهم : ما رأيت ؟ قالوا ما ندري ولكن قص علينا

ما رأيت في المنام ؟ فقال وأنا اجري عليكم الارزاق منذ كذا وكذا وما تدرون ما رأيت في المنام ؟ فأمر بهم فقتلوا .

فقال له بعض من كان عنده : ان كان عند احد شيء ، فعند صاحب الجب ، فان اللبوة لم تعرض له وهي تأكل الطين وترضعه ، فبعث الى دانيال ، فقال ما رأيت في المنام ؟ فقال : رأيت كأن رأسك من كذا وصدرك من كذا ، قال هكذا رأيت فما ذاك : فقال : ذهب ملكك وأنت مقتول الى ثلاثة أيام يقتلك رجل من ولد فارس .

قال : فقال له : ان عليّ لسبع مدائن على باب كل مدينة حرس وما رضيت بذلك حتى وضعت بطة من نحاس على باب كل مدينة ، لا يدخل غريب إلا صاحت فيؤخذ . قال : فقال له : ان الأمر كما قلت لك .

قال : فبعث الخيل وقال : لا تلقون احداً من الخلق إلا قتلتموه ! وكان دانيال جالساً عنده ، قال : لا تفارقني هذه الثلاثة أيام ، فان مضت قتلتك .

فلما كان اليوم الثالث ممسياً اخذه الغم ، فتلقاه غلام كان اتخذه ابناً له من اهل فارس وهو لا يعلم انه من اهل فارس فدفع اليه سيفه وقال له : يا غلام لا تلقى أحداً إلا وقتلته، ولو لقيتني أنا فاقتلني، فأخذ الغلام سيفه فضرب به بخت نصر ضربة فقتله.

فخرج ارميا على حمار ومعه تين قد تزوده وشيء من عصير ، فنظر الى سباع البر وسباع البحر وسباع الجو تأكل تلك الجيف ، ففكر في نفسه ساعة ثم قال : (أنى يحيي الله هؤلاء ـ وقد أكلتهم السباع ـ فأماته الله مكانه) .

وهو قول الله تبارك وتعالى : (أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه) أي احياه .

فلما رحم الله بني اسرائيل واهلك بخت نصر ، رد بني اسرائيل الى الدنيا ، وكان عزير لما سلط الله بخت نصر على بني اسرائيل هرب ودخل في عين وغاب فيها ، وبقي ارميا مائة سنة ، ثم احياه الله ، فأول ما أحيي منه عينيه في مثل زقيء البيض فنظر فأوحى الله تعالى اليه: (كم لبثت قال لبثت يوماً) ، فنظر الى الشمس قد ارتفعت، فقال : (أو بعض يوم) ، فقال الله تبارك وتعالى : (بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه ـ اي لم يتغير ـ وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً) فجعل ينظرالى العظام البالية المنفطرة

يجتمع اليه والى اللحم الذي قد اكلته السباع يتألف الى العظام من هاهنا ومن هاهنا ويلتزق بها ، حتى قام وقام حماره . فقال (أعلم ان الله على كل شيء قدير) .

أقول : قال أمين الاسلام رحمه الله في قوله تعالى : (أو كالذي مر على قرية) هو عزيز ، وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام .

وقيل : هو ارميا ، وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام . وقيل : هو الخضر «ع» .

(قصص الراوندي) عن الرضا عليه السلام قال : ان الملك قال لدانيال : أشتهي ان يكون لي ولد مثلك ، فقال : ما محلي من قلبك؟ قال : أجل محل واعظمه قال دانيال عليه السلام : فاذا جامعت فاجعل همتك في قبلك ، ففعل الملك ذلك ، فولد له ابن أشبه خلق الله بدانيال «ع» .

(وفيه) عن ابن عباس قال: قال عزير يا رب اني نظرت في جميع امورك واحكامها فعرفت عدلك بعقلي، وبقي باب لم أعرفه، انك تسخط على اهل البلية فتعممهم بعذابك وفيهم الأطفال ؟ فأمره الله تعالى ان يخرج الى البرية ، وكان الحر شديداً فرأى شجرة فاستظل بها ونام ، فجاءت نملة فقرصته ، فدلك الارض برجليه فقتل من النمل كثيراً. فعرف انه مثل ضرب له ، فقيل : يا عزير ان القوم اذا استحقوا عذابي قدرت نزوله عند انقضاء آجال الأطفال ، فماتوا اولئك بآجالهم وهلك هؤلاء بعذابي .

(وعن) ابي عبد الله عليه السلام : سمي بخت نصر لأنه رضع بلبن كلبة وكان اسم الكلبة بخت واسم صاحبها نصر ، وكان مجوسياً اغلف أغار ببيت المقدس ودخله في ستمائة الف عام . . . الحديث .

(العياشي) قال : ذكر جماعة من اهل العلم ان ابن الكوا قال لعلي « ع » : ما ولد اكبر من ابيه من اهل الدنيا ؟ قال نعم اولئك ولد عزير ، حيث مر على قرية خربة ، تحته حمار ومعه شنة فيها تين وكوز فيه عصير ، فمر على قرية فقال (أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام) فتوالد ولده وتناسلوا ، ثم بعث الله اليه فأحياه في المولد الذي أماته ، فاولئك ولده اكبر من ابيهم .

وفي حديث آخر عنه عليه السلام : ان عزيراً خرج من اهله وامرأته في شهرها وله يومئذ خمسون سنة ، فلما ابتلاه الله عز وجل بذنبه (اماته الله مائة سنة ثم بعثه) فرجع الى اهله وهو ابن خمسون سنة ،فاستقبله ابنه وهو ابن مائة سنة ، ورد الله عزيراً في السن الذي كان به .

(الكافي) مسنداً الى ابي عبد الله عليه السلام قال : انه كان نبي يقال له دانيال وانه اعطى صاحب معبر رغيفاً لكي يعبر به ، فرمى صاحب المعبر بالرغيف وقال : ما اصنع بالخبز ، هذا الخبز عندنا قد يداس بالأرجل :

فلما رأى دانيال ذلك منه ، رفع يده الى السماء وقال: اللهم اكرم الخبز فقد رأيت يا رب ما صنع هذا العبد ؟ ولما قال اوحى الله عز وجل الى السماء ان تحبس الغيث ، وأوحى الى الارض : ان كوني طبقاً كالفخار.

قال : فلم يمطر شيء ، حتى انه بلغ من ان بعضهم اكل بعضاً .

فلما بلغ منهم ما اراد الله من ذلك ، قالت امرأة لأخرى ولهما ولدان : يا فلانة تعالى حتى آكل انا وانت اليوم ولدي ، فاذا جعنا غداً اكلنا ولدك ، قالت : نعم فأكلتاه . فلما جاعتا من الغد راودت الأخرى على اكل ولدها ، فامتنعت عليها ، فقالت لها : بيني وبينك نبي الله ، فاختصما الى دانيال عليه السلام ، فقال لهما : وقد بلغ الامر الى ما ارى ؟ قالتا له : نعم يا نبي الله ، واشر . فرفع يده الى السماء فقال : اللهم عد علينا بفضلك ورحمتك ولا تعاقب الاطفال ومن فيه خير ، بذنب صاحب المعبر واضرابه لنقمتك .

قال : فأمر الله تعالى الى السماء ان امطري على الارض، وامر الله الارض ان انبتي لخلقي ما قد فاتهم من خيرك ، فاني قد رحمتهم بالطفل الصغير .

(تفسير علي بن ابراهيم) قال : لما خرج هشام بن عبد الملك ابا جعفر « ع » الى الشام سأله عالم النصارى عن مسائل فكان فيما سأله : اخبرني عن رجل دنا من امرأته فحملت بابنين جميعاً حملتهما في ساعة واحدة وماتا في ساعة واحدة ودفنا في قبر واحد. فعاش احدهما خمسين ومائة سنة ، وعاش الآخر خمسين سنة من هما ؟ فقال ابو جعفر عليه السلام : هما عزير وعزرة، كان حمل امهما على ما وصفت ووضعهما على ما وصفت، وعاش عزرة مع عزير ثلاثين سنة ، ثم امات الله عزير مائة سنة وبقي عزره حياً ، ثم بعث الله عزيراً فعاش مع عزرة عشرين سنة .

يقول مؤلف الكتاب ايده الله تعالى : وقع الخلاف في ان الذي اماته الله مائة عام ، هل هو ارميا او عزير ، وقد دلت الروايات على كل منهما .

وقيل : ولعل الأخبار الدالة على كونه عزيراً ، محمولة على التقية ، او على ما يوافق اهل الكتاب ، بأن يكون اجابوهم على معتقدهم .

(دعوات الراوندي) قال: اوحى الله الى عزير اذا وقعت في معصية فلا تنظر الى صغرها ولكن انظر الى من عصيت ، واذا اوتيت رزقاً مني فلا تنظر الى قلته ولكن انظر الى من اهداه ، واذا نزلت بـك بلية فـلا تشك الى خلقي ، كما لا اشكوك الى ملائكتي عند صعود مساويك وفضائحك .

باب

في قصص يونس عليه السلام وفيه أحوال أبيه متى

(تفسير علي بن ابراهيم) عن ابن ابي عمير عن جميل قال : قال لي ابو عبد الله عليه السلام : ما رد الله العذاب إلا عن قوم يونس ، وكان يونس يدعوهم الى الاسلام فيأبون ذلك ، فهم ان يدعو عليهم ، وكان فيهم رجلان عابد وعالم ، وكان اسم احدهما مليخا والآخر روبيل ، فكان العابد يشير على يونس « ع » بالدعاء عليهم ، وكان العالم ينهاه ويقول لا تدع عليهم فان الله يستجيب لك ولا يحب هلاك عباده ، فقبل قول العابد ولم يقبل من العالم .

فدعا عليهم ، فأوحى الله اليه : ان يأتيهم العذاب في سنة كذا وكذا .

فلما قرب الوقت خرج يونس عليه السلام مع العابد وبقى العالم فيها .

فلما كان في ذلك اليوم نزل العذاب ، فقال العالم : يا قوم افزعوا الى الله فلعله يرحمكم فيرد العذاب عنكم ، فقالوا كيف نفعل ؟ قال : اخرجوا الى المفازة وفرقوا بين النساء والأولاد وبين الابل واولادها وبين البقر واولادها وبين الغنم واولادها ثم ابكوا وادعوا ، فذهبوا وفعلوا ذلك وضجوا وبكوا ، فرحمهم الله وصرف ذلك عنهم وفرق العذاب على الجبال .

وقد كان نزل وقرب منهم ، فأقبل يونس « ع » لينظر كيف اهلكهم الله فرأى الزارعين يزرعون في ارضهم ، فقال لهم : ما فعل قوم يونس ؟ فقالوا له ولم يعرفوه إن يونس دعا عليهم ، فاستجاب الله له ونزل العذاب عليهم ، فاجتمعوا وبكوا ، فدعوا فرحمهم الله وصرف ذلك عنهم وفرق العذاب على الجبال ، فهم ذا يطلبون يونس «ع» ليؤمنوا به ، فغضب يونس ومر على وجهه مغاضباً به ، كما حكى الله، حتى انتهى الى ساحل البحر ، فاذا سفينة قد شحنت وارادوا ان يدفعوها ، فسألهم يونس عليه السلام ان يحملوه ، فحملوه .

فلما توسط البحر، بعث الله حوتاً عظيماً ، فحبس عليهم السفينة ، فنظر اليه يونس عليه السلام ففزع ، فصار في مؤخرة السفينة ، فدار اليه الحوت وفتح فاه ، فخرج اهل السفينة فقالوا : فينا عاص ، فتساهموا فخرج سهم يونس عليه السلام . وهو قول الله عز وجل : (فتساهموا فكان من المدحضين) فأخرجوه فألقوه في البحر فالتقمه الحوت ومر في الماء .

وقد سأل بعض اليهود أمير المؤمنين عليه السلام عن سجن طاف اقطار الأرض بصاحبه فقال: يا يهودي أما السجن الذي طاف أقطار الأرض بصاحبه فانه الحوت الذي حبس فيه يونس عليه السلام في بطنه ، فدخل في بحر القلزم ، ثم خرج الى بحر مصر ثم دخل بحر طبرستان ثم دخل في دجلة العوراء ثم مر به تحت الارض حتى لحقت بقارون .

وكان قارون هلك في ايام موسى « ع » ووكل الله به ملكاً يدخله في الأرض كل يوم قامة رجل ، وكان يونس « ع » في بطن الحوت يسبح الله ويستغفره فسمع قارون صوته فقال للملك الموكل به انظرني اسمع كلام آدمي ، فأوحى الله الى الملك : انظره ، فأنظره .

ثم قال قارون : من أنت ؟ قال يونس « ع » أنا المذنب الخاطىء يونس بن متى ، قال : فما فعل شديد الغضب في الله موسى بن عمران ؟ قال : هيهات هلك ، قال : فما فعل الرؤوف الرحيم على قومه هارون بن عمران ؟ قال : هلك ، قال فما فعلت كلثم بنت عمران التي كانت سميت لي ؟ قال : هيهات ما بقي من آل عمران احد ، قال قارون : وا أسفاه على آل عمران . فشكر الله له ذلك فأمر الله الملك الموكل به أن يرفع عنه العذاب أيام الدنيا ؟ فرفع عنه .

فلما رأى يونس عليه السلام ذلك (نادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) فاستجاب له وأمر الحوت فلفظته على ساحل البحر وقد ذهب جلده ولحمه ، وانبت الله شجرة من يقطين فأظلته من الشمس فسكن ، ثم امر الله الشجرة فتنحت عنه ووقعت الشمس عليه فجزع .

فأوحى الله اليه : يا يونس لِمَ لم ترحم مائة الف او يزيدون ، وانت تجزع من ألم ساعة ؟ فقال يا رب عفوك عفوك ، فرد الله صحة بدنه ، ورجع الى قومة وآمنوا به.

قال : فمكث يونس عليه السلام في بطن الحوت تسع ساعات .

(وعن) ابي جعفر عليه السلام : ثلاث ساعات .

وقال علي بن ابراهيم في قوله (وذا النون إذ ذهب مغاضباً) قال هو يونس « ع » قوله : (فظن ان لـن نقدر عليه) قال : انزله على اشد الامرين ، فظن به أشد الظن .

وقال : ان جبرئيل عليه السلام استثنى في هلاك قوم يونس « ع » ولم يسمعه يونس « ع » قلت : ما كان حال يونس « ع » لما ظن ان الله لم يقدر عليه ؟ قال : من أمر شديد ، قلت وما كان سببه حتى ظـن ان الله لم يقدر عليه ؟ قال : وكله الى نفسه طرفة عين .

(وعن) ابي عبد الله عليه السلام قـال : سمعت ام سلمة النبي صلى الله عليه وآله يقول في دعائه : اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين أبداً ، فسألته في ذلك ، فقال: صلى الله عليه وآله : يا ام سلمة وما يؤمنني ، وإنما وكل الله يونس بن متى الى نفسه طرفة عين ، وكان منه مـا كان .

(عيون الأخبار) في خبر ابن الجهم انـه سأل المأمون الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل : (وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه)، فقال الرضا « ع »: ذلك يونس بن متى (ذهب مغاضباً) لقومه (فظن) بمعنى استيقن (أن لـن نقدر عليه) اي لن نضيق عليه رزقه، ومنه قوله عز وجل: (وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه) اي ضيق عليه وقتر . (فنادى في الظلمات) ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الحوت ، (أن لا إله إلا انت سبحانك إني كنت من الظالمين) بتركي مثل هذه العبادة التي قد فرغتني لها في بطن الحوت .

يقول مؤلف الكتاب أيده الله تعالى : هذا التأويل الوارد في ان سند هذا الحديث هو الموافق لمذهب الإمامية رضوان الله عليهم .

وأما ما وقع في الخبر الأول ، فهو موافق لمذاهب العامة .

(العياشي) عن الباقر « ع » في حديث طويل ، قال فيه : انه بعد مـا سأل يونس ربه نزول العذاب على قومه ، ان فيهم الحمل والجنين والطفل والشيخ الكبير والمرأة الضعيفة والمستضعف ، وأنا الحكم العدل ، سبقت رحمتي غضبي لا اعذب الصغار بذنوب الكبار من قومك ، وهم يا يونس عبادي احب أن أتأنيهم وارفق بهم وأنتظر توبتهم ، وانما بعثتك الى قومك لتعطف اليهم وتكون لهم كهيئة الطبيب المداوي والعالم بمداواة الداء ، فخرقت بهم ولم تستعمل قلوبهم بالرفـق ، ثم سألتني من سوء نظرك العذاب

عند قلة الصبر منك، وعبدي نوح كان أصبر منك على قومه واحسن صحبة واشد تأنياً، فغضبت له حين غضب لي واجبته حين دعاني .

فقال يونس «ع» : يا رب انما غضبت عليهم فيك وانما دعوت عليهم حين عصوك فوعزتك لا أتعطف عليهم برأفة أبداً ، فأنزل عليهم عذابك فإنهم لا يؤمنون أبـــداً فقال الله : يا يونس انهم مائة الف او يزيدون من خلقي يعمرون بلادي ويلدون عبادي ومحبتي ، ان أتأنيهم للذي سبق من علمي فيهم وفيك ، وتقديري غير علمك وتقديرك وأنت المرسَل وأنا الرب الحكيم، يا يونس وقد اجبتك الى مسألتك من العذاب عليهم وما ذلك يا يونس بأوفر لحظك عندي ، وسيأتيهم عذابي في شوال يوم الأربعاء وسط الشهر بعد طلوع الشمس، فأعلمهم ذلك .

قال : فسرّ بذلك يونس « ع » ولم يدر ما عاقبته ، فانطلق يونس «ع» الى تنوخا العابد فأخبره بمـــا اوحى الله اليه من نزول العذاب على قومه في ذلك اليوم وقال له: انطلق واعلمهم بمـــا اوحى الله إلي من نزول العذاب عليهم ، فقال تنوخا : فدعهم في غمرتهم ومعصيتهم ، حتى يعذبهم الله تعالى ، فقال له يونس «ع» : بل نلقى روبيل فنشاوره فانه رجل عالم حكيم من اهل بيت النبوة .

فانطلقا الى روبيل ، فأخبره يونس عليه السلام بما اوحى الله اليه من نزول العذاب على قومه في شوال يوم الأربعاء في وسط الشهر بعد طلوع الشمس ، فقال له : مـــا ترى ؟ انطلق بنا حتى اعلمهم ذلك ، فقال له روبيل : ارجع الى ربك رجعة نبي حكيم وسله أن يصرف عنهم العذاب فانه غني عن عذابهم ، وهو يحب الرفق بعباده، ولعل قومك بعد ما سمعت ورأيت من كفرهم وجحودهم يؤمنون يوماً فصابرهم وتأنهم .

فقال لهم تنوخا : ويحك يا روبيل ما أشرت الى يونس «ع» وأمرت ، بعد كفرهم بالله وجحودهم لنبيه وتكذيبهم إياه وإخراجهم إياه من مساكنه ومـــا هموا بـــه من رجمة ، فقال روبيل لتنوخا : اسكت فانك رجل عابد لا علم لك .

ثم اقبل على يونس « ع » فقال : يا يونس اذا انزل الله العذاب على قومك يهلكهم جميعاً او يهلك بعضاً ويبقي بعضاً ؟ فقال يونس « ع » : بـــل يهلكهم جميعاً وكذلك سألته ما دخلتني لهـــم رحمة تعطف ، فأراجع الله فيهم واسأله ان يصرف عنهم ، فقال له روبيل: أتدري يا يونس لعل الله اذا أنزل عليهم العذاب فأحسوا به ان يتوبوا اليه، فيرحمهم فانه أرحم الراحمين ويكشف عنهم العذاب من بعد مـــا اخبرتهم عن الله انه

ينزل عليهم العذاب يوم الاربعاء فتكون بذلك عندهم كذاباً ، فقال له تنوخا : ويحك يا روبيل لقد قلت عظيما ، يخبرك النبي المرسل ان الله أوحى اليه ان ينزل العذاب عليهم ، فترد قول الله وتشك فيه وفي قول رسول الله ، اذهب فقد هبط الله عملك ، فقال روبيل لتنوخا : لقد فشل رأيك ، ثم اقبل على يونس «ع» فقال: اذا نزل الوحي والأمر من الله فيهم على ما أنزل عليك فيهم من إنزال العذاب عليهم وقوله الحق أرأيت اذا كان ذلك فهلك قومك كلهم وخربت قريتهم أليس يمحو الله اسمك من النبوة وتبطل رسالتك وتكون كبعض ضعفاء الناس ويهلك على يديك مائة الف من الناس ؟ فأبى يونس عليه السلام أن يقبل وصيته :

فانطلق ومعه تنوخا من القرية وتنحيا عنهم غير بعيد، ورجع يونس « ع » الى قومه واخبرهم ان الله اوحى اليه أن ينزل العذاب عليكم في شوال في وسط الشهر بعد طلوع الشمس ، فردوا عليه قوله وكذبوه وأخرجوه من قريتهم إخراجاً عنيفاً .

فخرج يونس عليه السلام ومعه تنوخا من القرية وتنحيا عنهم غير بعيد وأقاما ينتظران العذاب.

وأقام روبيل مع قومه في قريتهم ، حتى اذا دخل عليهم شوال ، صرخ روبيل بأعلى صوته في رأس الجبل الى القوم : أنا روبيل شفيق عليكم رحيم بكم وهذا شوال قد دخل عليكم وقد أخبركم يونس نبيكم ورسولكم ان الله اوحى اليه ان العذاب ينزل عليكم في شوال في وسط الشهر يوم الأربعاء بعد طلوع الشمس ، ولن يخلف الله وعده ورسوله فانظروا ما أنتم صانعون ؟ فأفزعهم كلامه ووقع في قلوبهم تحقيق نزول العذاب ، فأتوا نحو روبيل وقالوا له : ما تشير علينا يا روبيل فانك رجل عالم حكيم لم نزل نعرفك بالرأفة علينا والرحمة لنا ، وقد بلغنا ما اشرت به على يونس فينا ، فمرنا بأمرك وأشر علينا برأيك فقال لهم روبيل : فاني أرى لكم وأشير عليكم أن تنظروا اذا طلع الفجر يوم الأربعاء في وسط الشهر ان تعزلوا الأطفال عن الامهات في اسفل الجبل في طريق الأودية وتقفوا النساء في سفح الجبل ويكون هذا كله قبل طلوع الشمس فاذا رأيتم ريحاً صفراء أقبلت من المشرق فعجوا الكبير منكم والصغير بالصراخ والبكاء والتضرع الى الله والتوبة اليه وارفعوا رؤوسكم الى السماء وقولوا: ربنا ظلمنا انفسنا وكذبنا نبينا وتبنا اليك من ذنوبنا وإن لم تغفر لنا ولا ترحمنا لنكونن من الخاسرين المعذبين فاقبل توبتنا وارحمنا يا أرحم الراحمين ، ثم لا تملوا من البكاء والصراخ والتضرع الى الله حتى تتوارى الشمس بالحجاب ويكشف الله عنكم العذاب قبل ذلك . فأجمع رأي القوم جميعاً على هذا .

فلما كان يوم الاربعاء الذي توقعـوا العذاب ، تنحى روبيل من القرية حيث يسمع صراخهم ويرى العذاب اذا نزل .

فلما طلع الفجر يوم الاربعاء ، فعل قوم يونس ما أمرهم روبيل .

فلما بزغت الشمس اقبلت ريح صفراء مظلمة مسرعة لها صرير وحفيف وهدير. فلما رأوها عجوا بالصراخ والبكاء والتضرع الى الله وتابوا اليـه وصرخت الاطفال بأصواتها تطلب امهاتها وعجت سخال البهائم تطلب اللبن وعجت الأنعام تطلب المرعى. فلم يزالوا بذلك ، ويونس وتنوخا يسمعان صيحتهم وصراخهم ، ويدعوان الله عليهم بتغليظ العذاب ، وروبيل في موضعه يسمع صراخهم وعجيجهم ويرى ما نزل وهو يدعو الله بكشف العذاب عنهم .

فلما ان زالت الشمس وفتحت أبواب السماء وسكن غضب الرب تعالى ، فاستجاب دعاءهم وقبل توبتهم ، واوحى الى إسرافيل : ان يهبط الى قوم يونس « ع » فانهم قد عجوا إلي بالبكاء والتضرع وتابوا فرحمتهم وأنا الله التواب الرحيم، وقد كان عبدي يونس سألني نزول العذاب على قومه وقد أنزلته عليهم ، وأنا احق من وفى بعهدي، ولم يكن اشترط يونس حين سألني ان انزل عليهم العذاب ، ان اهلكهم فاهبط اليهم فاصرف عنهم ما قد نزل بهم من عذابي، فقال اسرافيل: يا رب انعذابك قد بلغ اكنافهم وكاد ان يهلكهم وما أراه إلا وقد نزل بساحتهم فكيف انزل اصرفه ؟ فقال الله : كلا اني قد امرت ملائكتي ان يوقفوه ولا ينزلوه عليهم حتى يأتي أمري فيهم وعزيمتي ، فاهبط يا اسرافيل عليهم واصرفه عنهم واصرفـه على الجبال بناحية مفاوض العيون ومجاري السيول في الجبال العادية المستطيلة على الجبال ، فأذلها به لينها بـه حتى تصير ملينة حديداً جامداً .

فهبط اسرافيل عليهم ، فنشر أجنحته ، فاستاق بها ذلك العذاب حتى ضرب بها تلك الجبال .

قال ابو جعفر « ع » : وهي الجبال التي بناحية الموصل اليوم ، فصارت حديـداً الى يوم القيامة .

فلما رأى قوم يونس ان العذاب قـد صرف عنهم ، هبطوا من رؤوس الجبال الى منازلهم ضموا اليهم نساءهم وأولادهم وأموالهم وحمدوا الله على ما صرف عنهم .

وأصبح يونس « ع » وتنوخا يوم الخميس في موضعها لا يشكان ان العذاب قد نزل

بهم وأهلكهم جميعاً ، لما خفيت اصواتهم عندهما ، فأقبلا ناحية القرية يوم الخميس مع طلوع الشمس ينظران الى ما صار اليه القوم .

فلما دنوا من القوم واستقبلهم الحطابون والحماة والرعاة بأغنامهم ونظروا الى اهل القرية مطمئنين، قال يونس لتنوخا : يا تنوخا كذبني الوحي وكذبت وعدي لقومي ولا عزة لي ولا يرون لي وجهاً أبداً بعد ما كذبني الوحي .

فانطلق يونس هارباً على وجهه مغاضباً لربه ناحية البحر مستنكراً فراراً من ان يراه احد من قومه فيقول له كذاب ! . فلذلك قال الله تعالى : (وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه . . .) الآية .

ورجع تنوخا الى القرية فلقي روبيل فقال له : يا تنوخا أي الرأيين كان أصوب وأحق ان يتبع ، رأيي أو رأيك ؟ فقال له تنوخا : بل رأيك كان أصوب ولقد كنت أشرت برأي الحكماء العلماء. فقال تنوخا: اما اني لم أزل أرى اني أفضل منك لزهدي وفضل عبادتي حتى استبان فضلك لفضل علمك ، وما اعطاك ربك من الحكمة مع التقوى أفضل من الزهد والعبادة بلا علم ، فاصطحبا ، فلم يزالا مقيمين مع قومها .

ومضى يونس «ع» على وجهه مغاضباً لربه : فكان من قصته ما أخبر الله في كتابه: (فآمنوا فمتعناهم الى حين) .

قال ابو عبيدة : قلت لأبي جعفر عليه السلام : كم كان غاب يونس عليه السلام عن قومه حتى رجع اليهم بالنبوة والرسالة فآمنوا به وصدقوه؟ قال: اربعة أسابيع سبعاً منها في ذهابه الى البحر ، وسبعاً منها في رجوعه الى قومه .

فقلت له : وما هذه الأسابيع شهوراً وايام او ساعات ؟ فقال يا عبيدة ان العذاب اتاهم يوم الأربعاء في النصف من شوال وصرف عنهم من يومهم ذلك ، فانطلق يونس عليه السلام مغاضباً ، فمضى يوم الخميس سبعة ايام في مسيره الى البحر وسبعة ايام في بطن الحوت ، وسبعة ايام تحت الشجرة بالعراء ، وسبعة ايام في رجوعه الى قومه ، فكان ذهابه ورجوعه مسيرة عشرين يوماً ، ثم اتاهم فآمنوا به وصدقوه واتبعوه .

فلذلك قال الله : (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي) .

(العياشي) عن ابي جعفر عليه السلام في حديث قال فيه : ان العذاب نزل على قوم

يونس حتى نالوه برماحهم، فلبسوا المسوح والصوف ووضعوا الحبال في أعناقهم والرماد على رؤوسهم وضجوا ضجة واحدة الى ربهم وقالوا : آمنـــا بإله يونس ، فصرف الله عنهم العذاب الى جبال آمل .

وأصبح يونس وهو يظن انهم هلكوا ، فوجدهم في عافية فغضب وخرج ، حتى ركب سفينة فيها رجلان فاضطربت السفينة فقال الملاح : يا قـوم في سفينتي مطلوب، فقـال يونس » : أنا هو وقام ليلقي نفسه ، فأبصر السمكة وقـد فتحت فاها ، فهابها وتعلق بـه الرجلان وقالا له : انت واحد ونحن رجلان ، فساهمهم ، فوقعت السهام عليه .

فجرت السنة بأن السهام اذا كانت ثلاث مرات انها لا تخطىء .

فألقى نفسه ، فالتقمه الحوت ، فطاف بـه البحار سبعة ، حتى صار الى البحر المسجور ، وبه يعذب قارون ، ثم ذكر كلامه معه – كما تقدم – .

(المناقب) عن الثمالي قال : دخل عبد الله بن عمر على زين العابدين عليه السلام وقال له : يا بن الحسين الذي تقول ان يونس بن متى ، انمـا ألقى من الحوت ما ألقى لأنه عرضت عليه ولاية جدي فتوقف عندها ! قال : ثكلتك امك ، قال فأرني آية ذلك إن كنت من الصادقين ، فأمر بشد عينيه بعصابة وعيني بعصابة ، ثم أمـر بعد ساعة بفتح اعيننا ، فاذا نحن على شاطىء البحر تضرب أمواجه .

فقال ابن عمر : يا سيدي دمي في رقبتك ، الله الله في نفسي ، فقال : هبه وأر به إن كنت من الصادقين .

ثم قال : يا ايها الحوت ، قـال : فأطلع الحوت رأسه من البحر مثل الجبل العظيم وهو يقول : لبيك لبيك يا ولي الله ، فقال من أنت؟ قال : انا حوت يونس يا سيدي، قال : أنبئنا بالخبر ، فقالت : يا سيدي ان الله تعالى لم يبعث نبياً من آدم الى ان صار جدك محمد صلى الله عليه وآله إلا وقد عرض عليه ولايتكم، فمن قبلها من الأنبياء سلم وتخلص، ومن توقف عليها وتتعتع في حملها لقى ما لقي آدم من الخطيئة ، ومـا لقي نوح « ع » من الغرق ، وما لقي ابراهيم من النار ، وما لقي يوسف من الجب ، ومـا لقي أيوب من البلاء ، وما لقي داود من الخطيئة الى ان بعث الله يونس عليه السلام فأوحى الله اليه: أن يا يونس تول أمير المؤمنين علياً والأئمة الراشدين من صلبه .

في كلام له قال : فكيف أتولى من لم أره ولم اعرفه ، وذهب مغتاضاً ! فأوحى الله

تعالى إلي: ان إلتقمي يونس ولا توهني له عظماً، فمكث في بطني أربعين صباحاً يطوف معي البحار في ظلمات ثلاث، ينادي: (أن لا إله إلا أنـــت سبحانك اني كنت من الظالمين) قـــد قبلت ولاية علي والأئمة الراشدين من ولده. فلما آمن بولايتكم، أمرني ربي فقذفته على ساحل البحر.

فقال زين العابدين «ع»: ارجع ايتها الحوت الى وكرك، واستوي الماء.

(وعن) ابي عبد الله عليه السلام قـــال: ان داود النبي «ع» قـــال: يا رب اخبرني بقريني في الجنة ونظيري في منازلي، فأوحى الله وتبارك تعالى اليه: ان ذلك متى أبا يونس.

قال: فاستأذن الله في زيارته فأذن له، فخرج هو وسليمان ابنه، حتى أتيا موضعه، فاذا هما ببيت من سعف، فقيل لهما: هو في السوق، فسألا عنه فقيل لهما: اطلباه في الحطابين، فسألا عنه، فقال لهما: جماعة من الناس: نحن ننتظره الآن يجيء فجلسا ينتظرانه. إذ أقبل وعلى رأسه وقر من حطب، فقام اليه الناس، فألقى عنه الحطب فحمد الله وقال: من يشتري طيباً بطيب؟ فساومه واحد وزاد بآخر، حـــتى باعه من بعضهم.

قال: فسلما عليه، فقال: انطلقا بنا الى المنزل، واشترى طعاماً بما كان معه ثم طحنه وعجنه، ثم أجج ناراً وأوقدها، ثم جعل العجين في تلك النار، وجلس معهما يتحدث، ثم قـــام وقد نضجت خبيزته فوضعها في الإجانة وفلقها وذرّ عليها ملحاً ووضع الى جنبه مطهرة ماء وجلس على ركبتيه وأخذ لقمة، فلما وضعها إلى فيه قال: بسم الله، فلما ازدردها قال: الحمد لله، ثم فعل ذلك بأخرى، ثم اخذ المـاء فشرب منه فذكر اسم الله، فلما وضعه قال الحمد لله، يا رب من ذا الذي أنعمت عليه ما اوليته مثل ما اوليتني، قـــد صححت بصري وسمعي وبدني وقويتني حتى ذهبت الى شجر لم اغرسه ولم اهتم لحفظه، جعلته لي رزقاً وسقت إلي من اشتراه مني، فاشتريت بثمنه طعاماً لم ازرعه، وسخرت لي النـــار فأنضجته، وجعلتني آكله بشهوة أقوى بـــه على طاعتك فلك الحمد.

قال: ثم بكى، قال داود عليه السلام: يا بني قم فانصرف بنا، فاني لم أر عبداً قط أشكر من هذا. صلى الله عليه وعليهما.

اقول: نقل المفسرون: ان السفينة التي ركب فيهـا يونس «ع» احتبست فقال الملاحون: ان هاهنا عبداً آبقاً، فان من عادة السفينة اذا كان فيها آبق لا تجري فلذلك

اقترعوا ، فوقعت القرعة على يونس « ع » ثلاث مرات ، فعلموا انه المطلوب ، فألقى نفسه في البحر . فأوحى الله الى الحوت : اني لم أجعل عبدي رزقاً لك ، ولكني جعلت بطنك له مسجداً ، فلا تكسرن له عظماً ولا تخدشن له جلداً .

وقوله : (وهو مليم) اي مستحق اللوم ، لوم العتاب لا لوم العقاب على خروجه من بين قومه من غير امر ربه .

وعندنا : ان ذلك إنما وقع منه تركاً للمندوب وقد يلام الرجل على ترك المندوب.

وعن ابي عبد الله عليه السلام ان النبي (ص) يقول : ما ينبغي لأحد ان يقول : أنا خير من يونس بن متى .

اقول : لعل المعنى على تقدير صحة الخبر : انه لا ينبغي لأحد ان يقول : انا خير من يونس ، من حيث المعراج، بأن يظن اني صرت من حيث العروج الى السماء اقرب الى الله تعالى منه ، فان نسبته تعالى الى السماء والأرض والبحار نسبة واحدة ، وانما اراني الله تعالى عجائب صنعه في السماوات ، وارى يونس عجائب خلقه في البحار ، واني عبدت الله في السماء ويونس عبده في بطن الحوت ، ولكن التفضيل من جهات اخر لا تحصى .

باب

في قصة أصحاب الكهف والرقيم

قال الله سبحانه: (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً...) الآيات .

(قصص الروندي) باسناده الى ابن عباس قال : لما كان في عهد خلافة عمر أتاه قوم من احبار اليهود فسألوه عن إقفال السماوات ما هي ؟ وعمن انذر قومه وليس من الجن ولا من الانس؟ وعن خمسة اشياء مشت على وجه الأرض لم يخلقوا في الأرحام؟ وما يقول الدراج في صياحه؟وما يقول الديك والفرس والحمار والضفدع والقنبرة؟ فنكس عن رأسه ! فقال : يا ابا الحسن ما أرى جوابهم إلا عندك .

فقال لهم علي عليه السلام: إن لي عليكم شريطة اذا انا اخبرتكم بما في التوراة دخلتم في ديننا؟ فقالوا : نعم فقال علي عليه السلام :

اما اقفال السماوات فهو الشرك بالله ، فان العبد والأمة اذا كانا مشركين ما يرفع لهما إلى الله سبحانه عمل ، فقالوا : وما مفاتيحها ؟ فقال علي عليه السلام : شهادة ان لا إله إلا الله وان محمداً عبده ورسوله .

فقالوا : اخبرنا عن قبر سار بصاحبه ؟ قال : ذلك الحوت ، حين ابتلع يونس «ع» فدار به في البحار السبعة .

فقالوا : اخبرنا عمن أنذر قومه لا من الجن ولا من الانس ؟ قال : تلك نملة سليمان « ع » : إذ قالت : (يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم ليحطمنكم سليمان وجنوده) .

قالوا : اخبرنا عن خمسة اشياء مشت على الارض ما خلقوا في الأرحام ؟ قال : ذاك آدم وحواء وناقة صالح وكبش ابراهيم وعصا موسى صلوات الله عليهم .

قالوا : فاخبرنا ما تقول هذه الحيوانات ؟ قال : الدراج يقول : الرحمن على العرش استوى . والديك يقول : اذكروا الله يا غافلين . والفرس يقول : اللهم انصر عبادك

المؤمنين على عبادك الكافرين. والحمار يلعن العشارين ينعق في عين الشيطان . والضفدع يقول : سبحان ربي المعبود في لجج البحار . والقنبرة تقول : اللهم إلعن مبغضي محمد وآل محمد .

قال : وكانت الأحبار ثلاثة ، فوثب إثنان وقالا : اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فوقف الحبر الآخر وقال : يا علي لقد وقع في قلبي ما وقع في قلوب أصحابي،ولكن بقيت خصلة أسألك عنها، فقال عليه السلام: سل ، قال: اخبرني عن قوم كانوا في اول الزمان فماتوا ثلاثمائة وتسع سنين ، ثم أحياهم الله ، ما كانت قصتهم ؟

فابتدأ علي عليه السلام وأراد ان يقرأ سورة الكهف ، فقال : الحبر ما اكثر ما سمعنا قراءتكم ، فان كنت عالماً فاخبرنا بقصة هؤلاء وبأسمائهم وعددهم واسم كلبهم واسم كهفهم واسم ملكهم واسم مدينتهم .

فقال علي عليه السلام : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، يا أخا اليهود حدثني محمد (ص) انه كان بأرض الروم مدينة يقال لها اقسوس وكان لهم ملك صالح فمات ملكهم ، فاختلفت كلمتهم .

فسمع ملك من ملوك فارس يقال له دقيوس ، فأقبل في مائة الف حتى فتح مدينة اقسوس ، فاتخذها دار مملكته واتخذ فيها قصراً طوله فرسخ في عرض فرسخ واتخذ في ذلك القصر مجلساً طوله الف ذراع في عرض مثل ذلك ، من الزجاج المرد واتخذوا في ذلك المجلس اربعة آلاف إسطوانة من ذهب واتخذوا الف قنديل من ذهب لها سلاسل من اللجين ، تسرج بأطيب الأدهان ، واتخذ في شرقي المجلس ثمانين كوة ، وكانت الشمس اذا طلعت في المجلس كيفما دارت واتخذت فيه سريراً من ذهب له قوائم من فضة مرصعة بالجواهر ، وعلاه من النمارق ، واتخذ من يمين السرير ثمانين كرسياً من الذهب مرصعة بالزبرجد الأخضر ، فأجلس بطارقته ــ يعني قواده ــ وأعاظم اهل دولته من العلماء ، واتخذ من يسار السرير ثمانين كرسياً من الفضة مرصعة بالياقوت الأحمر ، فأجلس عليها هراقيله ــ يعني حكامه وعماله ــ ثم علا على السرير فوضع التاج على رأسه .

فوثب اليهودي فقال: مم كان تاجه ؟ قال : من الذهب المشبك له سبعة اركان على كل ركن لؤلؤة بيضاء كضوء الصبح في الليلة الظلماء ، واتخذ خمسين غلاماً من أولاد

الهراقلة ، فقرطهم بقراريط الديباج الأحمر وسرولهم سراويلات الحرير وتوجهم ودملجهم وخلخلهم واعطاهم اعمدة من الذهب وأوقفهم على رأسه ، واتخذ ستة غلمة وزراء فأقام ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن يساره .

فقال اليهودي : ما كان اسم الثلاثة والثلاثة ؟ فقال علي صلوات الله عليه : الذين عن يمينه أسماؤهم تمليخا ومكسلمينا ومنشلينيا ، واما الذين عن يساره فأسماؤهم مرنوس وديرنوس وساذريوس ، وكان يستشيرهم في جميع امورهم ، كان يجلس في كل يوم في صحن داره والبطارقة عن يمينه والهراقلة عن يساره ، ويدخل ثلاثة غلمة في يد أحدهم جام من ذهب مملوء من المسك المسحوق وفي يد الآخر جام من فضة مملوء من ماء الورد وفي يد الآخر طائر ابيض منقاره احمر ، فاذا نظر الملك الطائر صفر به ، فيطير الطائر حتى يقع في جام ماء الورد فيتمرغ فيه ثم يقع على جام المسك ، فيحمل ما في الجام بريشه وجناحه ، ثم يصفر به الثانية فيطير الطائر على الملك فينفض ما في ريشه وجناحه على رأس الملك .

فلما نظر الملك الى ذلك عتى وتجبر ! فادعى الربوبية من دون الله ! ودعا الى ذلك وجوه قومه ! فكل من أطاعه الى ذلك اعطاه وكساه ، وكل من لم يبايعه قتله فاستجابوا له رأساً ، واتخذ لهم في كل سنة مرة .

فبينا هم ذات يوم في عيد لهم والبطارقة عن يمينه والهراقلة عن يساره ، إذ أتاه بطريق فأخبره ان عساكر الفرس قد غشيته ، فاغتم لذلك حتى سقط التاج عن ناصيته ، فنظر اليه احد الثلاثة الذين كانوا عن يمينه يقال له تمليخا وكان له غلاماً فقال في نفسه : لو كان دقيوس إلهاً كما يزعم إذن ما كان يغتم ولا يفزع ولا يبول ولا يتغوط ما كان ينام وليس هذا من فعل الإله .

قال : وكان الفتية كل يوم عند احدهم ، وكانوا ذلك اليوم عند تمليخا ، فاتخذ لهم من طيب الطعام ثم قال لهم : يا اخوتاه قد وقع في قلبي شيء منعني الطعام والشراب والمنام ، قالوا : وما ذاك يا تمليخا ؟ قال : أطلت فكري في هذه السماء فقلت : من رفع سقفها محفوظة بلا عمد ولا علاقة من فوقها ومن أجرى فيها شمساً وقمراً آيتان مبصرتان ومن زينها بالنجوم ؟ ثم اطلت الفكر في الأرض فقلت : من سطحها على صميم الماء الزخار ؟ ومن حبسها بالجبال أن يمتد على كل شيء ؟ وأطلت فكري في نفسي من أخرجني جنيناً من بطن امي ومن غذاني ومن رباني ؟ ان لها صانعاً ومدبراً ، غير

دقيوس الملك ، وما هو إلا ملك الملوك وجبار السماوات ، فانكبت الفتية على رجليه يقبلونها وقالوا : بك هدانا الله من الضلالة إلى الهدى ، فأشر علينا .

قال : فوثب تمليخا فباع تمراً من حائط له بثلاثة آلاف درهم وصرّ في ردنه وركبوا خيولهم وخرجوا من المدينة .

فلما صاروا ثلاثة أميال قال لهم تمليخا: ياأخوتاه جاءت مسكنة الآخرة وذهب ملك الدنيا ، انزلوا عن خيولكم وامشوا على أرجلكم لعل الله ان يجعل لكم من امركم فرجاً ومخرجاً ، فنزلوا عن خيولهم ومشوا على أرجلهم سبعة فراسخ في ذلك اليوم ، فجعلت أرجلهم تقطر دماً .

قال : فاستقبلهم راع فقالوا : يا ايها الراعي هل من شربة لبن أو ماء ؟ فقال الراعي : عندي ما تحبون، ولكن أرى وجوهكم وجوه الملوك وما اظنكم إلا هراباً من دقيانوس الملك، قالوا: يا ايها الراعي لايحل لنا الكذب أفينجينا منك الصدق؟ فأخبروه بقصتهم ، فانكب الراعي على ارجلهم يقبلها ويقول : يا قوم لقد وقع في قلبي ما وقع في قلوبكم ولكن امهلوني حتى ارد الأغنام على اربابها وألحق بكم ، فتوقفوا له ، فرد الأغنام واقبل يسعى يتبعه الكلب .

فوثب اليهودي فقال: يا علي ما اسم الكلب وما لونه؟ فقال له علي عليه السلام لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أما لون الكلب فكان أبلق بسواد ، وأما اسم الكلب فقطمير .

فلما نظر الفتية الى الكلب قال بعضهم : إنا نخاف ان يفضحنا الكلب بنباحه ، فألحوا عليه بالحجارة ، فأنطق الله الكلب وقال : ذروني حتى احرسكم من عدوكم .

فلم يزل الراعي يسير بهم ، حتى علاهم جبلا فانحط به على كهف يقال له الوصيد فاذا بفناء الكهف عيون واشجار مثمرة، فأكلوا من الثمر وشربوا من الماء وجنهم الليل.

فأوحى الله تعالى الى ملك الموت بقبض أرواحهم ، ووكل الله بكل رجل ملكين يقلبانه من ذات اليمين الى ذات الشمال، وأوحى الله الى خزان الشمس (فكانت تزاور كهفهم ذات اليمين وتقرضهم ذات الشمال) .

فلما رجع دقيوس من عيده ، سأل عن الفتية ؟ فاخبر انهم خرجوا هرباً ، فركب في ثمانين الف حصان ، فلم يزل يقفو أثرهم حتى علا ، فانحط الى كهفهم .

فلما نظر اليهم فاذا هم نيام ، فقال الملك : لو اردت ان اعاقبهم بشيء لما عاقبتهم بأكثر مما عاقبوا انفسهم ، ولكن إئتوني بالبنائين، فسد باب الكهف بالكلس والحجارة وقال لأصحابه: قولوا لهم يقولوا لإلههم في السماء لينجيهم وان يخرجهم من هذا الموضع .

قال علي عليه‌السلام : يا اخا اليهود ، فمكثوا ثلاثمائة وتسع سنين .

فلما ان اراد الله ان يحييهم امر اسرافيل ان ينفخ فيهم الروح ، فنفخ ، فقاموا من رقدتهم .

فلما بزغت الشمس قال بعضهم: قد غفلنا في هذه الليلة عن عبادة إله السماء فقاموا، فإذا العين قد غارت وإذا الأشجار قد يبست ، فقال بعضهم لبعض: ان امرنا لعجيب، مثل تلك العين الغزيرة قد غارت والأشجار قد يبست في ليلة واحدة ، ومسهم الجوع (فقالوا ابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها ازكى طعاماً فليأتكم برزق وليتلطف ولا يشعرن بكم احداً) قال تمليخا : لا يذهب في حوائجكم غيري ولكن ادفع أيها الراعي ثيابك إلي ، فدفع الراعي ثيابه ، ومضى نحو المدينة فجعل يرى مواضع لا يعرفها وطريقاً هو ينكرها، حتى اتى باب المدينة، واذا علم اخضر مكتوب عليه : لا إله إلا الله عيسى رسول الله ، فجعل ينظر الى العلم وجعل يمسح به عينيه ويقول : اراني نائم .

ثم دخل السوق فأتى رجلا خبازاً فقال : ايها الخباز ما اسم مدينتكم هذه ؟ قال: افسوس ، قال : وما اسم ملككم ؟ قال : عبد الرحمن ، قال : ادفع لي بهذه الورق طعاماً ، فجعل الخباز يتعجب من ثقل الدراهم ومن كبرها .

فقال اليهودي : يا علي ما كان وزن كل درهم منها ؟ قال : وزن عشرة دراهم وثلثي درهم .

فقال الخباز : يا هذا انت اصبت كنزاً ؟ فقال تمليخا : ما هذا إلا ثمن تمر بعتها منذ ثلاث وخرجت من هذه المدينة وتركت الناس يعبدون دقيوس الملك .

قال : فأخذ الخباز بيد تمليخا وادخله على الملك ، فقال : ما شأن هذا الفتى ؟ قال الخباز : هذا رجل اصاب كنزاً ، فقال الملك : يا فتى لا تخف فان نبينا عيسى « ع » أمرنا ان لا نأخذ من الكنز إلا خُمسها ، فاعط خمسها وامضي سالماً ، فقال تمليخا : انظر ايها الملك في امري ما اصبت كنزاً ، انا رجل من اهل هذه المدينة ، فقال الملك : انت من اهلها ؟ قال : نعم ، قال : فهل تعرف بها احداً ؟ قال :

نعم، قال : ما اسمك ؟ قال: اسمي تمليخا ، قال : وما هذه الأسماء اسم اهل زماننا .

فقال الملك : هل لك في هذه المدينة دار ؟ قال : نعم ، اركب ايها الملك معي فركب والناس معه ، فأتى بهم ارفع دار في المدينة ، قال تمليخا : هذه الدار لي ، فقرع الباب فخرج اليهم شيخ وقد وقع حاجباه على عينيه من الكبر ، فقال : ما شأنكم ؟ قال الملك : اتانا هذا الغلام بالعجائب ، يزعم ان هذه الدار داره ، فقال الشيخ : من انت ؟ قال : انا تمليخا بن قسطيكين .

قال : فانكب الشيخ على رجليه يقبلها وهو يقول : جدي ورب الكعبة فقال : ايها الملك هؤلاء الفتية الستة الذين خرجوا هرباً من دقيوس الملك .

قال : فنزل الملك عن فرسه وحمله على عاتقه وجعل الناس يقبلون يديه ورجليه فقال : يا تمليخا ما فعل اصحابك ؟ فأخبر انهم بالكهف .

وكان يومئذ بالمدينة ملك مسلم وملك يهودي ، فركبوا في اصحابهم .

فلما صاروا قريباً من الكهف قال لهم تمليخا : اني اخاف ان يسمع اصحابي اصوات حوافر الخيول يظنون ان دقيوس الملك قد جاء في طلبهم ، ولكن امهلوني حتى اتقدم فأخبرهم ، فوقف الناس .

فأقبل تمليخا حتى دخل الكهف ، فلما نظروا اليه اعتنقوه وقالوا الحمد لله الذي نجانا من دقيوس ، قال تمليخا : دعوني عنكم وعن دقيوسكم ، كم لبثتم ؟ قالوا : لبثنا يوماً او بعض يوم ، قال تمليخا : بل لبثتم ثلاثمائة وتسع سنين وقد مات دقيوس وقرن بعد قرن، وبعث الله نبياً يقال له المسيح عيسى بن مريم ورفعه الله اليه، وقد اقبل الينا الملك والناس معه . قالوا : يا تمليخا اتريد ان تجعلنا فتنة للعالمين ؟ قال تمليخا : فما تريدون؟قالوا:إدع الله جل ذكره وندعو معك حتى يقبض ارواحنا،فرفعوا ايديهم، فأمر الله تعالى بقبض ارواحهم ، وطمس الله باب الكهف على الناس .

فأقبل الملكان يطوفان على باب الكهف سبعة ايام ، لا يجدان للكهف باباً ، فقال الملك المسلم : ماتوا على ديننا نبني على باب الكهف مسجداً ، وقال اليهودي : لا بل ماتوا على ديني ، نبني على باب الكهف كنيسة ، فاقتتلا ، فغلب المسلم وبنى مسجداً عليه .

يا يهودي أيوافق هذا ما في توراتكم؟ قال: ما زدت حرفاً ولا نقصت وانا اشهد ان لا إله إلا الله واشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وفيه مسنداً الى ابي جعفر عليه السلام قال صلى النبي صلى الله عليه وآله ذات ليلة، ثم توجه الى البقيع فدعا ابا بكر وعثمان وعمر وعلياً، فقال: امضوا حتى تأتوا اصحاب الكهف وتقرؤوهم مني السلام ، وتقدم انت يا ابا بكر فانك اسوة القوم ، ثم انت يا عمر ثم انت يا عثمان، فان اجابوا احداً منكم وإلا تقدم انت يا علي كن آخرهم ، ثم أمر الريح فحملتهم ووضعتهم على باب الكهف .

فتقدم ابو بكر فسلم فلم يردوا عليه فتنحى ، فتقدم عمر فسلم فلم يردوا عليه وتقدم عثمان وسلم فلم يردوا عليه .

تقدم علي عليه السلام وقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا اهل الكهف الذين آمنوا بربهم وزادهم هدى وربط على قلوبهم ، أنا رسول الله اليكم ، فقالوا : مرحباً برسول الله وبرسوله وعليك السلام يا وصي رسول الله (ص) ورحمة الله وبركاته ، قال : كيف علمتم اني وصي النبي ؟ قالوا : انه ضرب على آذاننا ان لا نكلم إلا نبياً او وصي نبي ، فقالوا : كيف تركت رسول الله وكيف حشمه وكيف حاله ؟ وبالغوا في السؤال ، وقالوا : اخبر اصحابك هؤلاء إنا لا نكلم إلا نبياً أو وصي نبي .

فقال لهم : أسمعتم ما يقولون ؟ قالوا : نعم ، قال : فاشهدوا ، ثم حول وجوهم نحو المدينة ، فحملتهم الريح حتى وضعتهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبروه بالذي كان ، فقال لهم (ص) : قد رأيتم وسمعتم فاشهدوا ، قالوا : نعم .

فانصرف النبي صلى الله عليه وآله الى منزله وقال لهم : احفظوا شهادتكم .

ورواه الثعلبي في تفسيره بأسانيد ، في معجزات النبي ومعجزات أمير المؤمنين صلوات الله عليهما .

وعن ابي عبد الله عليه السلام : ان اصحاب الكهف أسروا الايمان واظهروا الكفر ، فكان على إظهارهم الكفر اعظم منهم على اسرارهم الايمان .

وفيه عنه عليه السلام انه قال : خرج ثلاثة نفر يسيحون في الارض فبينا هم يعبدون الله في كهف في قلة جبل حتى بدت صخرة من اعلى الجبل حتى التقمت باب الكهف ، فقال بعضهم : يا عباد الله والله لا ينجيكم منها إلا أن تصدقوا عن الله ، فهلموا ما عملتم لله خالصاً .

فقال احدهم: اللهم إن كنت تعلم اني طلبت امرأة جيدة لحسنها وجمالها واعطيت فيها

مالاً ضخماً، فلما قدرت عليها وجلست منها مجلس الرجل من المرأة ذكرت النار فقمت عنها خوفاً منك ، فارفع عنا هذه الصخرة. قال : فانصدعت حتى نظروا الى الضوء. ثم قال الآخر : اللهم إن كنت تعلم استأجرت قوماً كل رجل بنصف درهم ، فلما فرغوا اعطيتهم اجورهم ، فقال رجل لقد عملت عمل رجلين والله لا آخذ إلا درهماً ثم ذهب وترك ماله عندي ، فبذرت بذلك النصف درهم في الأرض ، فأخرج الله به رزقاً ، وجاء صاحب النصف الدرهم فأراده فدفعت اليه عشرة آلاف دراهم درهم حقه فان كنت تعلم انما فعلت ذلك مخافة منك فارفع عنا هذه الصخرة، قال : فانفرجت حتى نظر بعضهم الى بعض . ثم قال الآخر : اللهم إن كنت تعلم ان ابي وامي كانا نائمين فأتيتها بقصعة من لبن فخفت ان اضعه فتقع فيه هامة، وكرهت ان انبهها من نومها فيشق ذلك عليها ، فلم ازل بذلك حتى استيقظا فشربا ، اللهم إن كنت تعلم اني فعلت ذلك ابتغاء لوجهك فارفع عنا هذه الصخرة ، فانفرجت حتى سهل الله لهم المخرج .

ثم قال رسول الله ﷺ : من صدق الله نجا .

أقول إنما اوردنا هذا الخبر هنا : لأنه ذهب كثير من المفسرين الى ان أهل الرقيم هم هؤلاء الثلاثة .

وقال الثقة علي بن ابراهيم : واما الرقيم : فيها لوحان من نحاس مرقوم مكتوب فيها أمر الفتية وأمر إسلامهم وما أراد منهم دقيانوس الملك وكيف كان أمرهم وحالهم.

وقيل : الرقيم اسم الوادي الذي كان فيه الكهف . وقيل : هي القرية التي خرجوا منها .

باب

في قصة أصحاب الاخدود

وقصة جرجيس وقصة خالد بن سنان العبسي

(تفسير) علي بن ابراهيم في قوله تعالى : (قتل أصحاب الأخدود) قال : كان سببهم: ان الذي هيج الحبشة على غزوة اليمن ذانوس وهو آخر ملك من ملوك حمير تهود واجتمعت معه حمير على اليهودية ، وسمى نفسه يوسف ، ثم اخبر ان بنجران بقايا قوم على دين النصرانية وكانوا على دين عيسى عليه السلام وعلى حكم الانجيل ، ورأس ذلك الدين عبد الله بن ياس وحمله اهل دينه على ان يسير اليهم ويحملهم على اليهودية ويدخلهم فيها.

فسار حتى قدم نجران ، فجمع ما كان بها على دين النصرانية ، ثم عرض عليهم دين اليهودية والدخول فيها ، فأبوا عليه ، فجادلهم وعرض عليهم وعلى الحرس كله فأبوا عليه وامتنعوا من اليهودية والدخول فيها واختاروا القتل ، فخدّ لهم أخدوداً وجمع فيه الحطب واشعل فيه النار ، فمنهم من احرق بالنار ومنهم من قتل بالسيف ومثل بهم كل مثلة ، فبلغ عدد من قتل واحرق بالنار عشرين الف الف رجل .

(قصص الأنبياء) للراوندي طاب ثراه باسناده الى ابي جعفر عليه السلام قال : ان اسقف نجران دخل على امير المؤمنين عليه السلام فجرى ذكر أصحاب الاخدود ، فقال عليه السلام: بعث الله نبياً حبشياً الى قومه في الحبشة فدعاهم الى الله تعالى فكذبوه وحاربوه وظفروا به وخدوا الاخدود وجعلوا فيه الحطب والنار . فلما كان حراقاً ، قالوا لمن كان على دين ذلك النبي: اعتزلوا وإلا طرحناكم فيها فاعتزل قوم كثير وقذف فيها خلق كثير ، حتى وقعت امرأة ومعها ابن لها من شهرين فقيل لها : اما ان ترجعي واما ان تقذفيه في النار ، فهمت تطرح نفسها .

فلما رأت ابنها رحمته ، فأنطق الله الصبي وقال : يا اماه إلقي نفسك وإياي في النار ، فان هذا في الله قليل .

وسئل امير المؤمنين عليه السلام عن المجوس اي احكام تجرى فيهم ؟ قال : هم اهل الكتاب كان لهم كتاب وكان لهم ملك سكر يوماً فوقع على اخته وامه ! فلما أفاق ندم وشق ذلك عليه ، فقال للناس : هذا حلال . فامتنعوا عليه ، فجعل يقتلهم ويحفر لهم الاخدود ويلقيهم فيه .

وفيه عنه عليه السلام قال : ولي عمر رجلا كورة من الشام فافتتحها ، فاذا أهلها أسلموا ، فبنى لهم مسجداً فسقط ، ثم بنى فسقط ، ثم بنى فسقط ، فكتب الى عمر بذلك .

فلما قرأ الكتاب سأل أصحاب محمد (ص) هل عندكم في ذلك علم ؟ قالوا : لا . فبعث الى علي بن ابي طالب عليه السلام فأقرأه الكتاب ، فقال : هذا نبي كذّبه قومه فقتلوه ودفنوه في هذا المسجد وهو متشحط في دمه ، فاكتب الى صاحبك فلينبشه فان جسده طرياً ، ليصل عليه وليدفنه في موضع كذا ، ثم ليبني عليه مسجداً فانه سيقوم .

ففعل ذلك ، ثم بنى المسجد فثبت .

وفي رواية : اكتب الى صاحبك ان يحفر ميمنة أساس المسجد ، فانه سيصيب فيها رجلا قاعداً يداه على انفه ووجهه ، فقال عمر : من هو ؟ قال علي عليه السلام : اكتب الى صاحبك فليعمل ما أمرته ، فان وجده كما وصفت أعلمتك إن شاء الله .

فلم يلبث ان كتب العامل : أصبت الرجل على ما وصفت ، فصنعت الذي أمرت به ، فثبت البنا .

فقال عمر لعلي عليه السلام : ما حال هذا الرجل؟ فقال : هذا نبي من اصحاب الاخدود، قصتهم معروفة في القرآن .

وفيه باسناده الى ابن عباس قال : بعث الله جرجيس عليه السلام الى ملك بالشام ، فقال له : انه يعبد صنما ، فقال له : ايها الملك إقبل نصيحتي لا ينبغي للخلق ان يعبدوا غير الله تعالى ولا يرغبوا إلا اليه ، فقال له الملك : من أي ارض انت ؟ قال : من الروم قاطنين بفلسطين ، ثم أمر بحبسه ثم مشط جسده بأمشاط من حديد حتى تساقط لحمه ونضح جسده بالخل ودلكه بالمسوح الخشنة ثم أمر بمكاو من حديد تحمى فيكوى بها جسده ، ولما لم يقتل أمر بأوتاد من حديد فضربوها في فخذيه وركبتيه وتحت قدميه ، فلما رأى ان ذلك لم يقتله أمر بأوتاد طوال من حديد فوتدت في رأسه فسال منها دماغه وأمر بالرصاص فأذيب وصب على أثر ذلك ثم امر بسارية من حجارة كانت في السجن

لم ينقلها إلا ثمانية عشر رجلا فوضعت على بطنه .

فلما اظلم الليل وتفرق عنه الناس رآه اهل السجن وقد جاءه ملك فقال له : يا جرجيس ان الله جلت عظمته يقول : اصبر وابشر ولا تخف ان الله معك يخلصك وانهم يقتلونك اربع مرات ، في كل ذلك ارفع عنك الألم والأذى .

فلما اصبح الملك دعاه فجلده بالسياط على الظهر والبطن ثم رده الى السجن ثم كتب الى اهل مملكته ان يبعثوا اليه بكل ساحر ، فبعثوا بساحر استعمل كل ما قدر عليه من السحر فلم يعمل فيه .

ثم عمد الى سم فسقاه ، فقال جرجيس : بسم الله الذي يضل عند صدقه كذب الفجرة وسحر السحرة ، فلم يضره ، فقال الساحر : لو اني سقيت بهذا اهل الأرض لنزفت قواهم وعميت ابصارهم ، فأنت يا جرجيس النور المضيء والسراج المنير والحق المبين ، أشهد أن إلهك حق وما دونه باطل ، آمنت به وصدقت رسله واليه أتوب مما فعلت .

فقتله الملك ، ثم اعاد جرجيس صلوات الله عليه الى السجن وعذبه ألوان العذاب ، ثم قطعه اقطاعاً والقاه في جب .

ثم خلا الملك الملعون واصحابه على طعام له وشراب ، فأمر الله تعالى اعصاراً انشأت سحابة سوداء وجاءت بالصواعق ورجفت الأرض وتزلزلت الجبال حتى أشفقوا ان يكون هلاكهم ، وأمر الله ميكائيل فقام على رأس الجب وقال قم يا جرجيس بقوة الله الذي خلقك فسواك ، فقام جرجيس حياً سوياً واخرجه من الجب وقال : اصبر وابشر .

فانطلق جرجيس حتى قام بين يدي الملك وقال : بعثني الله ليحتج بي عليكم فقام صاحب الشرطة وقال : آمنت بإلهك الذي بعثك بعد موتك وشهدت انه الحق وجميع الآلهة دونه باطل ، واتبعه اربعة آلاف آمنوا وصدقوا جرجيس ، فقتلهم الملك جميعاً بالسيف ، ثم أمر بلوح من نحاس اوقد عليه النار حتى احمر فبسط عليه جرجيس وأمر بالرصاص فأذيب وصب في فيه ، ثم ضرب الأوتاد في عينيه ورأسه ثم ينزع ويفرغ بالرصاص مكانه .

فلما رأى ان ذلك لم يقتله ، فأوقد عليه النار حتى مات وأمر برماده فذر في الرياح ! فأمر الله تعالى رياح الأرضين في ليلة فجمعت رماده في مكان ، فأمر ميكائيل عليه السلام

فنادى يا جرجيس ، فقام حياً سوياً بإذن الله .

فانطلق جرجيس صلوات الله عليه الى الملك وهو في اصحابه، فقام رجل فقال: ان تحتنا اربعة عشر منبراً ومائدة بين أيدينا وهي من عيدان شتى منها مـا يثمر ومنها ما لا يثمر، فسل ربك ان يلبس كل شجرة منها لحاها وينبت فيها ورقها وثمرها، فان فعل ذلك فإني اصدقك ، فوضع جرجيس ركبتيه على الأرض ودعا ربـه تعالى عظم شانه ، فما برح مكانه حتى اثمر كل عود فيها ثمرة .

فأمر الملك فمد بين الخشبتين ووضع المنشار على رأسه فنشر حتى سقط المنشار من تحت رجليه، ثم أمر بقدر عظيمة فألقى فيها زفت وكبريت ورصاص وألقى فيها جسد جرجيس « ع » فطبخ حتى اختلط ذلك كله جميعاً ! .

فأظلمت الأرض لذلك وبعث الله اسرافيل فصاح صيحة خرّ منها الناس لوجوههم، ثم قلب اسرافيل « ع » القدر « فقال : قم يا جرجيس بإذن الله تعالى ، فقام حياً سوياً بقدرة الله .

وانطلق جرجيس الى الملك ، ولما رآه الناس عجبوا منه ، فجاءت امرأة وقالت ايها العبد الصالح كان لنا ثوراً نعيش بـه فمات ، فقال لها جرجيس : خذي عصاي فضعيها على ثورك وقولي ان جرجيس يقول : قم بإذن الله تعالى . ففعلت ، فقام حياً، فآمنت بـه .

فقال الملك : إن تركت هذا الساحر هلك قومي ، فاجتمعوا كلهم على ان يقتلوه ، فأمر به ان يخرج ويقتل بالسيف ، فقال جرجيس عليه‌السلام لما خرج : لا تعجلوا عليّ ، فقال : اللهم إن اهلكت انت عبدة الأوثان اسألك ان تجعل اسمي وذكري صبراً لمن يتقرب اليك عنـد كل هول وبلاء ، ثم ضربوا عنقه فمات ، ثم اسرعوا الى القرية فهلكوا كلهم .

(الكافي) باسناده الى ابي عبد الله عليه‌السلام قال: بينا رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله جالس إذ جاءته امرأة ، فرحب بها وأخذ بيدها وأقعدها ، ثم قـال : إبنة نبي ضيعه قومه خالد ابن سنان ، دعاهم فأبوا ان يؤمنوا به ، وكانت نار يقال لها: نار الحدثان تأتيهم كل سنة فتأكل بعضهم ، وكانت تخرج في وقت معلوم ، فقال لهم إن رددتها عنكم تؤمنون ؟ قالوا : نعم .

قال : فجاءت فاستقبلها بثوبه فردها ثم تبعها حتى دخلت كهفها ودخل معهـا

وجلسوا على باب الكهف وهم لا يرون ألا يخرج ابداً ، وهو يقول : زعمت بنو عبس اني لا اخرج ابداً ، ثم قال : تؤمنون بي؟ قالوا: لا ، قال : فاني ميت يوم كذا وكذا فاذا انا مت فادفنوني ، فانه سيجيء قطيع من حمر الوحش يقدمها عير ابتر حتى تقف على قبري ، فانبشوني وسلوني عما شئتم .

فلما مات دفنوه، وكان ذلك اليوم إذ جاءت الحمر الوحشية وجاؤوا يريدون نبشه، فقالوا : ما آمنتم به في حياته فكيف تؤمنون به بعد وفاته ، ولئن نبشتموه ليكون عليكم فاتركوه فتركوه .

اقول : قال السيوطي نقلاً عن العسكري في ذكر اقسام النار : نار الحرتين كانت في بلاد عبس تخرج من الأرض فتؤذي من مرّ بها ، وهي التي دفنها خالد بن سنان النبي عليه السلام .

قال خليد شعراً :

كنار الحرتين لها زفير   تصم مسامع الرجل السميع

وحينئذ فالأظهر – كما قيل – : انه كان نار الحرتين فصحف .

وفيه مسنداً الى الصادق عليه السلام قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس إذ اقبلت امرأة تمشي حتى انتهت اليه ، فقال لها : مرحباً يا بنت اخي فصافحها ، وكان اسمها محياء بنت خالد بن سنان ، ثم قال : ان خالد دعا قومه فأبوا ان يجيبوه ، وكانت نار تخرج في كل يوم فتأكل ما تليهم من مواشيهم وما ادركتهم ، فقال لقومه : أرأيتم إن رددتها عنكم أتؤمنون بي وتصدقونني ؟ قالوا : نعم فاستقبلها فردها بقوة حتى ادخلها غاراً ، وهم ينظرون ، فدخل معها فمكث حتى طال ذلك عليهم فقالوا : إنا لنراه قد اكلته ، فخرج منها فقال : أتؤمنون بي ؟ قالوا : نار خرجت ودخلت لوقت ، فأبوا ان يجيبوه... الحديث .

(الاحتجاج) قال الصادق عليه السلام في اسئلة الزنديق وكان فيما سأله : اخبرني عن المجوس هل بعث اليهم خالد بن سنان ؟ قال عليه السلام : ان خالد كان عربياً بدوياً ، وما كان نبياً ، وإنما ذلك شيء يقوله الناس .

اقول : الأخبار الدالة على نبوته كثيرة ، ويمكن حمله على ما هو معتقد الزنديق لأن مثله يرد في الأجوبة كثيراً .

باب

ما ورد بلفظ نبي من الانبياء

وفيه ذكر نبي المجوس

(علل الشرايع) باسناد العلوي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ان نبياً من الأنبياء بعثه الله عز وجل الى قومه فبقي فيهم اربعين سنة فلم يؤمنوا ، فكان لهم عيد في كنيسة فاتبعهم ذلك النبي فقال لهم : آمنوا بالله ، قالوا : إن كنت نبياً فادع الله ان يجيئنا بطعام على لون ثيابنا ، وكانت ثيابهم صفراء ، فجاء بخشبة يابسة فدعا الله عز وجل عليها ، فاخضرت وأينعت وجاءت بالمشمش حملاً ، فأكلوا . فكل من اكل ونوى ان يسلم على يد ذلك النبي خرج ما في جوف النوى من فيه حلواً ، ومن نوى ان لا يسلم ، خرج ما في جوف النوى من فيه مراً .

(عيون الأخبار) مسنداً الى الهروي قال : سمعت علي بن موسى الرضا « ع » يقول : أوحى الله عز وجل الى نبي من انبيائه : اذا أصبحت فأول كل شيء يستقبلك فكله والثاني فاكتمه والثالث فاقبله والرابع فلا تؤيسه والخامس فاهرب منه .

قال : فلما اصبح مضى ، فاستقبله جبل عظيم أسود فوقف وقال : أمرني ربي عز وجل ان آكل هذا ، وبقي متحيراً ، ثم رجع الى نفسه فقال : ان ربي جل جلاله لا يأمرني إلا بما أطيق فمشى اليه ليأكله ، فكلما دنا منه صغر حتى انتهى اليه فوجده لقمة فأكلها فوجدها اطيب شيء أكله .

ثم مضى فوجد طشتاً من ذهب ، فقال : أمرني ربي ان اكتم هذا ، فحفر له وجعله فيه وألقى عليه التراب .

ثم مضى فالتفت فاذا الطشت قد ظهر فقال : قد فعلت ما أمرني ربي عز وجل .

فمضى فاذا بطير وخلفه بازي ، فطاف الطير حوله ، فقال : امرني ربي ان اقبل

هذا ، ففتح كمه فدخل الطير فيه ، فقال له البازي : اخذت صيدي وأنا خلفه منذ أيام فقال : ان ربي عز وجل أمرني ان لا آيس هذا ، فقطع من فخذه قطعة فألقاها اليه ثم مضى .

فلما مضى فاذا هو بلحم ميتة منتن مدود، فقال : أمرني ربي عز وجل ان اهرب من هذا ، فهرب ورجع .

ورأى في المنام كأنه قد قيل له : انك فعلت ما امرت به، فهل تدري ماذا كان؟ قال : لا ، قال له :

أما الجبل فهو الغضب ، ان العبد اذا غضب لم ير نفسه وجهل قدره من عظم الغضب ، فاذا عرف نفسه وعرف قدره وسكن غضبه كان عاقبته كاللقمة الطيبة التي أكلتها .

وأما الطشت : فهو العمل الصالح ، اذا كتمه العبد وأخفاه أبى الله عز وجل إلا ان يظهره ، ليزينه به مع ما يدخر له من ثواب الآخرة .

وأما الطير : فهو الرجل الذي يأتيك بنصيحة ، فاقبله واقبل نصيحته .

وأما البازي : فهو الرجل الذي يأتيك في حاجة ، فلا تؤيسه .

وأما اللحم المنتن : فهو الغيبة ، فاهرب منها .

(قصص الراوندي) عن ابي عبد الله عليه السلام قال : ان الله تعالى اوحى الى نبي من انبياء بني اسرائيل : اني احببت ان تلقاني غداً في حضيرة القدس فكن في الدنيا غريباً مهموماً محزوناً متوحشاً من الناس بمنزلة الطير الواحد ، فاذا كان الليل آوى وحده استوحش من الطيور واستأنس بربه .

(الكافي) عن ابي جعفر عليه السلام قال : مرّ نبي من انبياء بني اسرائيل برجل بعضه تحت حائط وبعضه خارج قد نقبته الطير ومزقته الكلاب .

ثم مضى فرفعت له مدينة فدخلها ، فاذا هو بعظيم من عظمائها ميت على سرير مسجى بالديباج حوله المجامر ، فقال : يا رب أشهد أنك حكم عدل لا تجور ، وعبدك لم يشرك بك طرفة عين أمته بتلك الميتة ، وهذا عبدك لم يؤمن بك طرفة عين أمته بهذه الميتة ؟ قال الله عز وجل : أنا كما قلت حكم عدل لا أجور ، ذلك عبدي كانت له عندي سيئة وذنب ، أمته بتلك ، لكي يلقاني ولم يبق عليه شيء ، وهذا عبدي

كانت له عندي حسنة فأمته بهذه الميتة ، لكي يلقاني وليس له عندي شيء .

(الكافي) عن الرضا عليه السلام قال : اوحى الله عز وجل الى نبي من الأنبياء اذا اطعت رضيت واذا رضيت باركت ، وليس لبركتي نهاية ، واذا عصيت غضبت واذا غضبت لعنت ، ولعنتي تبلغ السابع من الورى — أي ولد الولد — .

(وفيه) عن ابي عبد الله عليه السلام قال : شكا نبي من الأنبياء عليهم السلام الى الله عز وجل الضعف ، فقيل له : اطبخ اللحم باللبن فانهما يشدان الجسم .

وقال عليه السلام : ان نبياً من الأنبياء شكا الى الله عز وجل من الضعف وقلة الجماع . فأمره بأكل الهريسة .

وشكا نبي من الأنبياء الى الله عز وجل قلة النسل ، فقال : كل اللحم بالبيض .

وفيه ان بعض انبياء بني اسرائيل شكا الى الله عز وجل قسوة القلب وقلة الدمعة ، فأوحى الله اليه : ان كل العدس ، فأكل العدس فرق قلبه و كثرت دمعته .

وشكا نبي من الأنبياء الى الله عز وجل الغم ، فأمره بأكل العنب .

وما بعث الله عز وجل نبياً إلا ومعه رائحة السفرجل .

وقال عليه السلام : العطر من سنن المرسلين .

(الأمالي) عن ابن نباتة قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام على المنبر : سلوني قبل ان تفقدوني ، فقام اليه الأشعث بن قيس فقال له : يا أمير المؤمنين كيف تأخذ من المجوس الجزية ، ولم ينزل عليهم كتاب ولم يبعث اليهم نبي ؟ فقال : بلى يا أشعث قد أنزل الله عليهم كتاباً وبعث اليهم نبياً ، وكان لهم ملك سكر ذات ليلة ، فدعا بابنته الى فراشه فارتكبها ! فلما اصبح تسامع به قومه فاجتمعوا الى بابه فقالوا : أيها الملك دنست علينا ديننا فأهلكته فاخرج بظهر بلدك نقم عليك الحد ، فقال لهم : اجتمعوا واسمعوا كلامي فان يكن لي مخرج مما ارتكبت وإلا فشأنكم .

فاجتمعوا فقال لهم هل علمتم ان الله عز وجل لم يخلق خلقاً اكرم عليه من ابينا آدم وأمنا حوا ؟ قالوا صدقت ايها الملك ، قال أفليس زوج بنيه بناته وبناته من بنيه؟ قالوا صدقت ايها الملك هذا هو الدين ! فتعاقدوا على ذلك .

فمحى الله ما في صدورهم من العلم ورفع عنهم الكتاب ، فهم الكفرة يدخلون النار بغير حساب والمنافقون اشد حالاً .

فقال الاشعث والله ما سمعت بمثل هذا الجواب ، والله لا عدت الى مثلها ابداً .

(الاحتجاج) في خبر الزنديق الذي سأل الصادق « ع » عن المجوس : ابعث الله اليهم نبياً ، فقال ما من امة إلا خلا فيها نذير ، قال الزنديق افزرادشت ؟ قال« ع » ان زرادشت أتاهم بزمزمة وادعى النبوة! فآمن منهم قوم وجحد قوم فأخرجوه فأكلته السباع في برية من الأرض .

قال : فاخبرني عن المجوس كان اقرب الى الصواب في دهرهم ام العرب ؟ قال : العرب في الجاهلية كانت اقرب الى الدين الحنيفي من المجوس .

وذلك ان المجوس كفرت بكل الأنبياء وجحدت كتبها وانكرت براهينها ولم تأخذ بشيء من سننها ، وان كيخسرو ملك المجوس في الدهر الأول قتل ثلاثمائة نبي ! وكانت المجوس لا تغتسل من الجنابة ، والعرب كانت تغتسل ، والاغتسال من خالص الحنفية ، وكانت المجوس لا تختتن ، وهو من سنن الأنبياء ، واول من فعل ذلك ابراهيم خليل الله عليه السلام ، وكانت المجوس لا تغسل امواتهم ولا تكفنهم ، وكانت العرب تفعل ذلك ، وكانت المجوس ترمي موتاهم في الصحاري والنواويس والعرب تواريها في قبورها وتلحدها ، وكانت المجوس تأتي الأمهات وتنكح البنات والأخوات وحرمت ذلك العرب ، وانكرت المجوس بيت الله الحرام وسمته بيت الشيطان ، والعرب كانت تحجه وتعظمه وتقول بيت ربنا وتقر بالتوراة والإنجيل وتسأل اهل الكتاب وتأخذ ، وكانت العرب في كل الأسباب اقرب الى الدين الحنيف من المجوس . قال : فاحتجوا باتيان الأخوات انها سنة آدم قال : فما حجتهم في اتيان البنات والأمهات ! وقد حرم ذلك آدم وكذلك نوح وابراهيم وموسى وعيسى وساير الانبياء عليهم السلام .

وفي (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله : ان المجوس كان لهم نبي فقتلوه وكتاب احرقوه ، اتاهم نبيهم بكتابهم في اثني عشر جلد ثور ، وكتابهم يقال له جاماسب .

وفيه عن أبي عبد الله «ع» قال : ان قوماً فيما مضى قالوا لنبي لهم : ادع لنا ربك يرفع عنا الموت ، فرفع الله عنهم الموت ، فكثروا حتى ضاقت عليهم المنازل وكثر النسل ، ويصبح الرجل يطعم أباه وجده وأمه وجد جده ويوصيهم ويتعاهدهم فشغلوا عن طلب المعاش ، فقالوا سل لنا ربك ان يردنا الى حالنا التي كنا عليها ، فسأل نبيهم ربه فردهم الى حالهم .

وفيه عن ابن ابي عمير عن بعض اصحابه قال : قلت لأبي عبد الله « ع » اني لأكره الصلاة في مساجدهم فقال : لا تكره فما من مسجد بني إلا على قبر نبي او وصي نبي قتل ، فأصاب تلك البقعة رشة من دمه ، فأحب الله ان يذكر فيها، فأد فيها الفريضة والنوافل ، واقض فيها ما فاتك .

وعنه عليه السلام ان الله لم يعذب امة فيما مضى إلا يوم الأربعاء وسط الشهر .

وقال عليه السلام : دفن ما بين الركن اليماني والحجر الاسود سبعون نبياً ، اماتهم الله جوعاً وضراً .

وعنه عليه السلام : ان الله عز وجل اوحى الى نبي من انبيائه في مملكة جبار من الجبارين: ان ائت هذا الجبار فقل له اني ما استعملتك لتكشف عني اصوات المظلومين فاني لم ادع ظلامتهم وإن كانوا كفاراً .

وفيه عن ابي الحسن عليه السلام قال : ان الاحلام لم تكن فيما مضى من اول الخلق ، وانما حدثت . فقلت : وما العلة في ذلك ؟ فقال : ان الله عز ذكره بعث رسولاً الى اهل زمانه فدعاهم الى عبادة الله وطاعته فقالوا ان فعلنا ذلك ، فما لنا؟ فوالله ما انت بأكثرنا مالاً ولا بأعزنا عشيرة، فقال: ان اطعتموني ادخلكم الله الجنة ، وإن عصيتموني ادخلكم الله النار ، فقالوا وما الجنة وما النار ؟ فوصف لهم ذلك ، فقالوا : متى نصير الى ذلك ؟ قال : اذا متم ، قالوا : رأينا امواتنا صاروا عظاماً ورفاتاً ، فازدادوا له تكذيباً فأحدث الله عز وجل فيهم الاحلام ، فأتوه وأخبروه بما رأوا وما انكروا من ذلك فقال : ان الله عز ذكره أراد ان يحتج عليكم بهذا ، هكذا تكون ارواحكم اذا متم ، وان بليت ابدانكم ، تصير الأرواح الى عقاب ، حتى تبعث الأبدان .

(دعوات الراوندي) روي ان الله تبارك وتعالى اوحى الى نبي من الانبياء في الزمن الاول : ان لرجل في امته دعوات مستجابة ، فأخبر ذلك به الرجل ، فانصرف من عنده الى بيته واخبر زوجته بذلك ، فألحت عليه ان يجعل دعوة لهـا فرضي ، فقالت سل الله ان يجعلني اجمل نساء الزمان فدعا الرجل فصارت كذلك :

ثم انها لما رأت رغبة الملوك والشبان المتنعمين فيها متوفرة ، زهدت في زوجها الشيخ الفقير وجعلت تغالطة وتخاشنه ، وهو يداريها ، ولا يكاد يطيقها . فدعا الله ان يجعلها كلبة فصارت كذلك .

ثم اجمع اولادها يقولون: يا ابة ان الناس يعيرونا ان امنا كلبة نابحة
وجعلوا يبكون ويسألونه ان يدعو الله ان يجعلها كما
كانت فدعا الله تعالى ان يصيرها مثل الذي
كانت في الحالة الأولى فذهبت
الدعوات الثلاث
ضياعاً .

خاتمة الكتاب

في نوادر أخبار بني اسرائيل

واحوال بعض الملوك

(مجمع البيان) عن ابن عباس قال : كان في بني اسرائيل عابد اسمه برصيصا عبد الله زماناً من الدهر ، حتى كان يؤتى بالمجانين يداويهم ويعودهم ، فيبرؤون على يده .

وانه اتى بامرأة في شرف قد جنت ، وكان لها اخوة فأتوه بها ، وكانت عنده فلم يزل الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت .

فلما استبان حملها قتلها ودفنها .

فلما فعل ذلك ، ذهب الشيطان حتى لقي احد اخوتها فأخبره بالذي فعل الراهب وانه دفنها في مكان كذا ، ثم اتى ببقية اخوتها رجلا رجلا فذكر له .

فجعل الرجل يلقى أخاه فيقول: والله لقد اتاني آت ذكر لي شيئاً يكبر علي ذكره فذكره بعضهم لبعض حتى بلغ ملكهم .

فسار الملك والناس ، فاستنزلوه ؟ فأقر لهم بالذي فعل ، فأمر به فصلب .

فلما رفع على خشبة ، تمثل له الشيطان فقال : انا الذي ألقيتك في هذا ؟ فهل انت مطيعي فيما اقول لك اخلصك مما انت فيه ؟ قال نعم ، قال اسجد لي سجدة واحدة فقال : كيف اسجد لك وانا على هذه الحالة ؟ قال اكتفي منك بالايماء ، فأومى له بالسجود فكفر بالله ، وقتل المرأة . .

فأشار الله تعالى الى قصته في قوله : (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين) .

(قصص الراوندي) باسناده الى ابي جعفر عليه السلام قال: كان في بني اسرائيل عابد يقال له جريح وكان يتعبد في صومعته ، فجاءته امه وهو يصلي فدعته فلم يجبها فانصرفت ،

ثم اتته ودعته فلم يجبها ولم يكلمها ، فانصرفت وهي تقول اسأل له بني اسرائيل ان يخذلك .

فلما كان من الغد جاءت فاجرة وقعدت عند صومعته فأخذها الطلق ، فادعت ان الولد من جريح .

ففشا في بني اسرائيل ان من كان يلوم الناس على الزنا ، فقد زنا ، وأمر الملك بصلبه ، فأقبلت امه اليه تلطم وجهها ، فقال لها : اسكني ، انما هذا لدعوتك ، فقال الناس لما سمعوا بذلك منه : وكيف لنا بذلك ؟ قال: هاتوا الصبي فجاؤوا به فأخذه ، فقال من أبوك ؟ فقال فلان الراعي لبني فلان .

فأكذب الله الذين قالوا ما قالوا في جريح ، ان لا يخالف امه بل يخدعها أبداً .

وفيه عنه عليه السلام قال : كان في بني اسرائيل رجل وكان له بنتان فزوجها من رجلين ، واحد زارع وآخر يعمل الفخار ، ثم انها زارهما ، فبدأ بامرأة الزارع فقال لها : كيف حالك ؟ فقالت قد زرع زوجي زرعاً كثيراً ، إن جاء الله بالسماء فنحن في أحسن بني اسرائيل حالاً .

وذهب الى الاخرى ، فسألها عن حالها فقالت قد عمل زوجي فخاراً كثيراً ، فإن أمسك الله السماء عنا فنحن احسن بني اسرائيل حالا . فانصرف وهو يقول : انت لهما . وفيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان في بني اسرائيل رجل يكثر أن يقول : الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ، فغاظ ابليس ذلك .

فبعث اليه شيطاناً فقال : قل العاقبة للأغنياء ، فجاءه ، فقال ذلك فتحاكما ان من طلع عليهما ، على قطع يد الذي يحكم عليه .

فلقيا شخصاً ، فأخبراه بحالهما ، فقال العاقبة للأغنياء فقطع يده ،

فرجع وهو يحمد الله ويقول : العاقبة للمتقين ، فقال له تعود ايضاً ، فقال نعم على اليد الاخرى فخرجا .

فطلع الآخر عليه ايضاً فقطعت يده الاخرى ، وعاد ايضاً يحمد الله وهو يقول : العاقبة للمتقين ، فقال تحاكمني على ضرب العنق ؟ فقال نعم فخرجا .

فرأيا مثالا فوقعا عليه ، فقال اني حاكمت هذا وقصا عليه قصتها .

قال : فمسح بديه فعادتا ، ثم ضرب عنق ذلك الخبيث وقال : هكذا العاقبة للمتقـين .

وفيه عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان فاجر في بني اسرائيل وكان يقضي بالحق فيهم .

فلما حضرته الوفاة قال لامرأته : اذا مت فاغسليني وكفنيني وغطي وجهي على سريري فانك لا ترين سوءاً إن شاء الله تعالى .

فلما مات فعلت ما أمرها به ، ثم مكثت بعد ذلك حيناً ، ثم انها كشفت عن وجهه فاذا دودة تقرض من منخره ففزعت من ذلك .

فلما كان الليل اتاها في منامها ، فقال لها فزعت مما رأيت ؟ قالت اجل ، قـال والله ما هو إلا في اخيك . وذلك انه اتاني ومعه خصم له فلمـا جلسا قلت : اللهم اجعل الحق له .

فلما اختصما كان الحق له ، ففرحت ، فأصابني ما رأيت لموضع هواي مع موافقة الحق له .

وعنه عليه السلام ان قوماً من بني اسرائيل قالوا لنبي لهم ادع لنا ربك يمطر علينا السماء اذا اردنا فسأل ربه ذلك فوعده ان يفعل ، فأمطر السماء عليهم كلما ارادوا ، فزرعوا فنمت زروعهم وحسنت .

فلما حصدوا لم يجدوا شيئاً ، فقالوا انما سألنا المطر للمنفعة ، فأوحى الله تعالى انهم لم يرضوا بتدبيري .

وقال عليه السلام : انه كان ورشان يفرخ في شجرة ، وكان رجـل يأتيه اذا ادرك الفرخان فيأخذ الفرخين .

فشكا ذلك الورشان الى الله تعالى فقال : اني سأكفيك .

قال : فأخرج الورشان وجاء الرجل ومعه رغيفان فصعد الشجرة وعرض له سائل فأعطاه احد الرغيفين ، ثم صعد فأخذ الفرخين ونزل بهما فسلمه الله لما تصدق به .

وعنه عليه السلام قال : كان في بني اسرائيل رجل عاقل كثير المال وكان له ابن يشبهه في الشمائل من زوجة عفيفة ، وكان له ابنان من زوجة غير عفيفة .

فلما حضرته الوفاة قال لهم : هذا مالي لواحد منكم .

فلما توفى قال الكبير انا ذلك الواحد وقال الأوسط انا ذلك وقال الأصغر انا ذلك .

فاختصموا الى قاضيهم قال ليس عندي في امركم شيء ، انطلق الى بني الاغنام الاخوة الثلاث فانتهوا الى واحد منهم ، فرأوا شيخاً كبيراً ، فقال ادخلوا الى اخي فلان فهو اكبر مني سناً فاسألوه ، فدخلوا عليه فخرج شيخ كهل ، فقال سلوا اخي الأكبر مني ، فدخلوا على الثالث ، فاذا هو في المنظر اصغر ، فسألوه اولا عن حالهم فقال : اما اخي الذي رأيتموه اولا ، هو الاصغر وان له امرأة سوء تسوؤه وقد صبر عليها ، مخافة ان يبتلي ببلاء لا صبر عليه فهو منه .

وأما اخي الثاني ، فان عنده زوجة تسوؤه وتسره ، فهو متماسك الشباب .

واما انا ، فزوجتي تسرني ولا تسوؤني لم يلزمني منها مكروه قط منذ صحبتني فشبابي معها متماسك .

وأما حديثكم الذي هو حديث ابيكم انطلقوا اولا وانبشوا قبره واستخرجوا عظامه واحرقوها ، ثم عودوا لاقضي بينكم .

فانصرفوا ، فأخذ الصبي سيف ابيه واخذ الاخوان المعاول .

فلما ان همّا بذلك ! قال لهم الصغير لا تنبشوا قبر ابي وانا ادع لكما حصتي .

فانصرفوا الى القاضي فقال يقنعكما هذا ، إئتوني بالمال ؟ فقال للصغير : خذ المال فلو كانا ابنيه لداخلهما من الرقة ، كما دخل على الصغير .

وعن ابي الحسن موسى صلوات الله عليه قال : كان في بني اسرائيل رجل صالح وكانت له امرأة صالحة ، فرأى في النوم ان الله قد وقّت لك من العمر كذا وكذا سنة وجعل نصف عمرك في سعة ، وجعل النصف الآخر في ضيق ، فاختر لنفسك اما النصف الاول او النصف الاخير ؟ فقال الرجل : ان لي زوجة صالحة وهي شريكتي في المعاش ، فأشاورها في ذلك وتعود إلي فاخبرك .

فلما اصبح الرجل قال لزوجته : رأيت في النوم كذا وكذا ، فقالت يا فلان خذ النصف الاول وتعجل العافية لعل الله سيرحمنا ويتم لنا النعمة .

فلما كان في الليلة الثانية اتى الآتي ،فقال ما اخترت ؟ فقال اخترت النصف الاول ، فقال ذلك لك ، فأقبلت الدنيا عليه من كل وجه .

ولما ظهرت نعمته قالت له زوجته : قرابتك والمحتاجون فصلهم وبُرهم وجارك واخوك فلان فهبهم .

فلما مضى نصف العمر وجاز حد الوقت ، رأى الرجل الذي رآه في النوم فقال ان الله تعالى قد شكر لك ذلك ، ولك تمام عمرك سعة ما مضى .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال : خرجت امرأة بغي على شباب من بني اسرائيل ، فافتتنتهم ! فقال بعضهم لو كان العابد فلاناً رآهـا فتنته وسمعت مقالتهم فقالت والله لا انصرف الى منزلي حتى افتتنه .

فمضت نحوه في الليل فدقت عليه ، فقالت آوي عندك فأبى عليها فقالت ان بعض شباب بني اسرائيل راودني عن نفسي ، فان ادخلتني وإلا لحقوني وفضحوني فلما سمع مقالتها فتح لها .

فلما دخلت عليه رمت بثيابها ، فلما رأى جمالهـا وهيئتها وقعت في نفسه فضرب يده عليها ، ثم رجعت اليه نفسه ، وقد كان يوقد تحت قدر له ، فأقبل حتى وضع يده على النار ، فقالت اي شيء تصنع ؟ فقال : احرقها لأنها عملت العمل .

فخرجت حتى اتت جماعة من بني اسرائيل فقالت الحقوا فلاناً فقد وضع يده في النار فأقبلوا فلحقوه وقد احترقت يده .

وعن ابي عبد الله « ع » : ان عابداً كان في بني اسرائيل فأضاف امرأة من بني اسرائيل فهم بها ، فأقبل كلما هم بها ، قرب اصبعاً من اصابعه الى النار ، فلم يزل ذلك دأبه حتى اصبح ، قال لها : اخرجي لبئس الضيف كنت لي .

وعن ابي جعفر عليه السلام قال : كان في بني اسرائيل جبار ، وانه اقعد في قبره ورد اليه روحه ، فقيل له : إنا جالدوك مائة جلدة من عذاب الله قال لا اطيقها ، فلم يزالوا ينقصونه من الجلد وهو يقول لا اطيق ، حتى صاروا الى واحدة قال : لا اطيقها قالوا لن نصرفها عنك ، قال فلماذا تجلدونني ؟ قال مررت يوماً بعبد من عباد الله ضعيف مسكين مقهور ، فاستغاث بك فلم تغثه ولم تدفع عنه .

قال : فجلدوه جلدة واحدة ، فامتلأ قبره ناراً .

وعن وهب بن منبه قال : رووا ان رجـلاً من بني اسرائيل بنى قصراً فجوده وشيده ثم صنع طعاماً ، فدعا الأغنياء وترك الفقراء .

فكان اذا جاء الفقير قيل لكل واحد منهم ان هـــذا طعام لم يصنع لك ولا لأشباهك .

قال : فبعث الله ملكين في زي الفقراء ، فقيل لهما مثل ذلك ، ثم أمرهما الله تعالى بأن يأتيا في زي الأغنياء فادخلا واكرما واجلسا ، فأمرهما الله تعالى ان يخسفا المدينة ومن فيها . وباسناده : إن بني اسرائيل الصغير منهم والكبير كانوا يمشون بالعصا مخافة ان يختال احد في مشيه .

وعن أبي عبدالله عليه‌السلام قال : كان ابو جعفر صلوات الله عليه يقول : نعم الارض الشام وبئس القوم أهلها ، وبئس البلاد مصر ، اما انها سجن من سخط الله عليه من بني اسرائيل ، ولم يكن دخل بنو اسرائيل مصر إلا من سخطه ومعصيته منهم لله ، لأن الله عز وجل يقول : (ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم) فأبوا ان يدخلوها وعصوا ، فتاهوا في الارض اربعين سنة ، ومـــا كان خروجهم من مصر ودخولهم الشام ، إلا من بعد توبتهم ورضاء الله عنهم .

ثم قال ابو جعفر عليه‌السلام انني اكره ان آكل شيئاً طبخ في فخار مصر وما احب ان اغسل رأسي من طينها ، مخافة ان تورثني تربتها الذل وتذهب بغيرتي .

(قصص الراوندي) باسناده الى عبد الأعلى ابن اعين قال : قلت لابي عبد الله عليه‌السلام حديث ترويه الناس من أن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله قال : حدث عن بني اسرائيل ولا حرج ؟ قال نعم .

قلت : أفنحدث عن بني اسرائيل ولا حرج علينا ؟ قال أما سمعت ما قال كفى بالمرء كذباً ان يحدث بكل ما سمع .

قلت : كيف هذا ؟ قال ما كان في الكتاب انه كان في بني اسرائيل ، فحدث انه كان في هذه الامة ولا حرج .

أقول : في (النهاية) في الحديث حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ـ أي لا بأس ولا اثم عليكم ان تحدثوا عنهم ما سمعتم ، وإن استحال ان يكون في هذه الأمة مثل ما روي ان ثيابهم كانت تطول وان النار تنزل من السماء ، فتأكل القربان وغير ذلك ، لا ان تحدث عنهم بالكذب .

ويشهد لهذا التأويل ما جاء في بعض رواياته فان فيهم العجائب .

وقيل : معناه ان الحديث عنهم إذا اديته كما سمعته حقاً كان او باطلاً لم يكن عليكم إثم ، لطول العهد ووقوع الفترة، بخلاف الحديث عن النبي ﷺ لأنه إنما يكون بصحة روايته وعدالة راويه .

وقيل معناه إن الحديث عنهم ليس على الوجوب، لأن قوله ﷺ في أول الحديث بلغوا عني على الوجوب ، ثم اتبعه بقوله وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج عليكم ان لم تحدثوا عنهم .

(الكافي) عن ابي عبدالله عليه السلام قال : كان عابد في بني اسرائيل لم يقارف من امر الدنيا شيئاً ، فنخر ابليس نخرة فاجتمع اليه جنوده ، فقال من لي بفلان ؟ فقال بعضهم انا فقال من اين تأتيه ؟ فقال من ناحية النساء ، قال لست له لم يجرب النساء قال له آخر فأنا له قال من اين تأتيه ؟ قال من ناحية الشراب واللذات ، قال لست له ليس هذا بهذا ، قال آخر فأنا له قال من اين تأتيه ؟ قال من ناحية البر ، قال انطلق فأنت صاحبه .

فانطلق الى موضع الرجل فأقام حذاءه يصلي .

قال : وكان الرجل ينام والشيطان لا ينام ، ويستريح والشيطان لا يستريح .

فتحول اليه الرجل وقد تقاصرت اليه نفسه واستصغر عمله ، فقال : يا عبدالله بأي شيء قويت على هذه الصلاة ؟ فلم يجبه ، ثم اعاد عليه فقال يا عبدالله اني اذنبت ذنباً وانا تائب منه ، فاذا ذكرت الذنب قويت على الصلاة ! قال فاخبرني بذنبك حتى اعمله وأتوب : فاذا فعلته قويت على الصلاة ، قال ادخل المدينة فسل عن فلانة البغية فاعطها درهمين ونل منها ، قال ومن أين لي الدرهمان وما ادري ما الدرهمين ، فتناول الشيطان من تحت قدميه درهمين فناوله إياهما .

فقام ودخل المدينة بجلابيبه يسأل عن منزل فلانة البغية فأرشده الناس ، وظنوا انه جاء يعظها .

فجاء اليها بالدرهمين وقال قومي فقامت فدخلت منزلها وقالت ادخل ، وقالت انك جئتني في هيئة ليس يؤتى مثلي في مثلها ، فاخبرني بخبرك فأخبرها ، فقالت له : يا عبدالله ان ترك الذنب أهون من طلب التوبة ، وليس كل من طلب التوبة وجدها

وإنما ينبغي ان يكون هذا شيطاناً مثل لك فانصرف فانك لا ترى شيئاً .

فانصرف ، وماتت من ليلتها ، فأصبحت واذا على بابها مكتوب : احضروا فلانة (البغية) فانها من اهل الجنة ، فارتاب الناس ، فمكثوا ثلاثاً لا يدفنوها ، ارتياباً في امرها .

فأوحى الله عز وجل الى نبي من الأنبياء لا اعلمه إلا موسى بن عمران صلوات الله عليه إن إئت فلانة ، فصل عليها ، ومر الناس ان يصلوا عليها ، فاني قد غفرت لها ووجبت لها الجنة ، بتثبيطها عبدي فلاناً عن خطيئته .

(الكافي) باسناده الى زرارة عن ابي جعفر عليه السلام قال : سأله حمران قال جعلني الله فداك ، لو حدثتنا متى يكون هذا الامر فسررنا به قال يا حمران ان لك اصدقاء وإخواناً ومعارف ، ان رجلاً كان فيما مضى من العلماء ، وكان له ابن لم يكن يرغب في علم ابيه ولا يسأله عن شيء ، وكان له جار يأتيه ويسأله ويأخذ عنه .

فحضر الرجل الموت ، فدعا إبنه فقال : يا بني إنك كنت تزهد فيما عندي وتقل رغبتك فيه ولم تكن تسألني عن شيء ، ولي جار قد كان يأتيني ويسألني ويأخذ مني ويحفظ عني ، فان احتجت الى شيء فأته ، وعرفه جاره ، فهلك الرجل وبقي ابنه فرأى ملك ذلك الزمان رؤيا فسأل عن الرجل فقيل له قد هلك ، فقال الملك هل ترك ولداً فقيل له نعم ترك إبناً ، فقال إيتوني به فبعث اليه ، فقال الغلام والله ما ما ادري لما يدعوني الملك وما عندي علم ولئن سألني عن شيء لأفتضحن ، فذكر ما كان اوصاه ابوه ، فأتى الرجل الذي كان يأخذ العلم عن أبيه ، فقال له ان الملك قد بعث إلي يسألني ولست أدري فيما بعث إلي، وقد كان ابي امرني ان آتيك ان احتجت الى شيء ، فقال الرجل ولكني ادري فيما بعث اليك ، فان اخبرتك فما اخرج الله لك من شيء فهو بيني وبينك ، فقال نعم ، فاستحلفه واستوثق منه ان يفي ، فأوثق له الغلام ، فقال : انه يريد ان يسألك عن رؤيا رآها اي زمان ، فقل له : هذا زمان الذئب .

فأتاه الغلام ، فقال له الملك : لما أرسلت اليك ، قال ارسلت إلي تريد ان تسألني عن رؤيا رأيتها أي زمان هذا ، فقال له الملك : صدقت ، فاخبرني اي زمان هذا فقال له زمان الذئب .

فأمر له بجائزة فقبضها الغلام وانصرف الى منزله وابى أن يفي لصاحبه وقال لعلي لا أنفذ هذا المال ولا آكله حتى أهلك ، ولعلي لا احتاج ولا اسأل عن مثل هذا الذي سئلت عنه .

فمكث ما شاء الله ، ثم ان الملك رأى رؤيا ، فبعث اليه يدعوه ، فندم على ما صنع وقال : والله ما عندي علم آتيه به وما ادري كيف اصنع بصاحبي وقد غدرت به ولم أف له .

ثم قال : لآتيه على كل حال واعتذرن اليه ولأحلفن له فلعله يخبرني ، فأتاه فقال اني صنعت الذي صنعت ولم أف لك بما كان بيني وبينك وتفرق ما كان في يدي وقد احتجت اليك ، فأنشدك الله ان لا تخذلني وانا اوثق لك ان لا يخرج لي شيء إلا كان بيني وبينك الى الملك ولست أدري عما يسألني ، فقال انه يريد ان يسألك عن رؤيا رآها أي زمان هذا ، فقل له زمان الكبش .

فأتى الملك فدخل عليه ، فقال الملك لما بعثت اليك ؟ قال انك رأيت رؤيا وانك تريد أن تسألني اي زمان هذا ، فقال له صدقت ، فقال : هذا زمان الكبش .

فأمر له بصلة ، فقبضها وانصرف الى منزله ، وتدبر رأيه في أن يفي لصاحبه أو لا يفي فهم مرة ان يفعل ومرة ان لا يفعل ، ثم قال لعلي لا احتاج بعد هذه المرة ابداً ، واجمع رأيه على الغدر .

فمكث ما شاء الله ، ثم ان الملك رأى رؤيا ، فبعث اليه ، فندم على ما صنع فيما بينه وبين صاحبه وقال بعد غدرتين كيف اصنع وليس عندي علم ، ثم اجمع رأيه على إتيان الرجل .

فأتاه فناشده الله تبارك وتعالى وسأله ان يعلمه واخبره ان هذه المرة يفي له واوثق منه وقال : لا تدعني على هذه الحال ، فاني لا اعود الى الغدر ، فاستوثق منه، فقال : انه يدعوك يسألك عن رؤيا رآها اي زمان هذا ، فاذا سألك فاخبره انه زمان الميزان .

قال : فأتى الملك فدخل عليه فقال له : لما بعثت اليك ؟ فقال رأيت رؤيا وتريد ان تسألني اي زمان هذا ، فقال صدقت فاخبرني اي زمان هذا ؟ قال : هذا زمان الميزان .

فأمر له بصلة فقبضها وانطلق بها الى الرجل فوضعها بين يديه وقال : قد جئتك بما خرج لي فقاسمنيه ، فقال له العالم : ان الزمان الاول كان زمان الذئب وانك كنت من الذئاب ، وان الزمان الثاني كان زمان الكبش يهم ولا يفعل ، وكذلك كنت تهم ولا تفي ، وكان هذا زمان الميزان وكنت فيه على الوفاء ، فاقبض مالك لا حاجه لي فيه ، ورده عليه .

اقول : قوله عليه السلام : ان لك اصدقاء واخواناً ، قيل : لعل المقصود من ايراد الحكاية بيان ان هذا الزمان ليس زمان الوفاء بالعهود ، فان عرفتك زمان ظهور الأمر، فلك اصدقاء ومعارف فتحدثهم ، فيشيع الخبر بين الناس وينتهي الى الفساد ، والعهد بالكتمان لا ينفع لأنك لا تفي به واذا لم يأت بعد زمان الميزان .

وفيه عن الحسن بن الجهم قال : سمعت ابا الحسن عليه السلام يقول : ان رجلاً في بني اسرائيل عبد الله اربعين سنة ، ثم قرب قرباناً فلم يقبل منه ، فقال لنفسه : وما اتيت إلا منك ، وما الذنب إلا لك .

قال : فأوحى الله تبارك وتعالى اليه: ذمك لنفسك افضل من عبادتك اربعين سنة .

وعن ابي جعفر عليه السلام : ان رجلاً من بني اسرائيل كان له ابن وكان له محباً ، فاتي في منامه فقيل له : ان ابنك ليلة يدخل باهله يموت .

قال : فلما كانت تلك الليلة وبنى عليه ابوه توقع ابوه ذلك ، فاصبح ابنه سليما فأتاه ابوه فقال : يا بني ما عملت البارحة شيئاً من الخير ؟ قال لا ، إلا ان سائلاً اتى الباب وقد كانوا ادخروا لي طعاماً فأعطيته للسائل ، فقال هذا دفع عنك .

(الأمالي) باسناده الى ابي عبد الله « ع » قال : كان رجل شيخ ناسك يعبد الله في بني اسرائيل ، فبينا هو يصلي وهو في عبادته إذ بصر بغلامين صبيين قد اخذا ديكا وهما ينتفان ريشه ، فأقبل على ما هو فيه من العبادة ولم ينههما عن ذلك، فأوحى الله الى الارض : ان سيخي بعبدي ، فساخت به الارض ، فهو يهوي ابد الآبدين ودهر الداهرين .

(الكافي) مسنداً الى ابي عبد الله عليه السلام قال : كان ملك في بني اسرائيل وكان له قاض وللقاضي اخ وكان رجل صدق وله امرأة قد ولدتها الأنبياء .

فأراد الملك ان يبعث رجلاً في حاجة ، فقال للقاضي : إبغني رجلاً ثقة فقال :

ما اعلم احداً اوثق من اخي ، فدعاه ليبعثه فكره ذلك الرجل وقال لأخيه اني اكره ان اضيع امرأتي ، فعزم عليه فلم يجد بداً من الخروج فقال لأخيه : يا أخي لست اخلف شيئاً اهم علي من امرأتي ، فاخلفني فيها وتول قضاء حاجتها . قال نعم .

فخرج الرجل وكانت المرأة كارهة لخروجه ، فكان القاضي يأتيها ويسألها عن حوائجها ويقوم لها ، فأعجبته فدعاها الى نفسه فأبت عليه ، فحلف عليها لئن لم تفعل ليخبرن الملك انها قد فجرت ! فقالت : اصنع ما بدا لك لست اجيبك الى شيء مما طلبت .

فأتى الملك فقال ان امرأة اخي فجرت وقد حق ذلك عندي ! فقال له الملك طهرها فجاء اليها فقال ان الملك امرني برجمك فما تقولين تجيبيني وإلا رجمتك فقالت : لست اجيبك فاصنع ما بدا لك ، فأخرجها فحفر لها فرجها ومعه الناس .

فلما ظن انها قد ماتت تركها فانصرف ، وجن بها الليل وكان بها رمق فتحركت فخرجت من الحفيرة ، ثم مشت على وجهها حتى خرجت من المدينة ، فانتهت الى دير فيه ديراني ، فنامت على باب الدير .

فلما اصبح الديراني فتح الباب فرآها فسألها عن قصتها فخبرته ، فرحمها وادخلها الدير .

وكان له ابن صغير لم يكن له غيره ، وكان حسن الحال ، فداواها حتى برأت من علتها واندملت ، ثم دفع اليها ابنه ، فكانت تربيه ، وكان للديراني قهرمان يقوم بأمره فأعجبته فدعاها الى نفسه ! فأبت ، فجهد بها فأبت ، فقال لئن لم تفعلي لأجهدن في قتلك ، فقالت : اصنع ما بدا لك .

فعمد الى الصبي ودق عنقه واتى الديراني ! فلما رآها قال لها : ما هذا ؟ فقد تعلمين صنيعي بك ، فاخبرته بالقصة ، فقال لها لست تطيب نفسي ان تكوني عندي فاخرجي فأخرجها ليلاً ودفع اليها عشرين درهماً وقال لها تزودي هذه ، الله حسبك .

فخرجت ليلاً ، فأصبحت في قرية فاذا فيها مصلوب على خشبة وهو حي فسألت عن قصته فقالوا عليه دين عشرون درهماً ، ومن كان عليه دين عندنا لصاحبه صلب حتى يؤدي الى صاحبه ، فأخرجت العشرين درهماً ودفعتها الى غريمه وقالت لا تقتلوه فانزلوه عن الخشبة ، فقال ما احد اعظم علي منة منك نجيتني من الصلب ومن الموت فانا معك حيث ما ذهبت .

فمضى معها ومضت ، حتى اتيا الى ساحل البحر ، فرأى جماعة وسفناً ، فقال لها اجلسي حتى اذهب انا واعمل لهم واستطعم وآتيك به ، فاتاهم فقال ما في سفينتكم هذه؟

قالوا كثيرة لا نحصيها ، قال فان معي شيئاً هو خير مما في سفينتكم ! قالوا ما معك ؟ قال جارية لم تروا مثلها قط ! قالوا فبعناها قال على شرط ان يذهب بعضكم فينظر اليها ثم يجئني فيشريها ولا يعلمها ويدفع الي الثمن ولا يعلمها حتى امضي انا ، فقالوا ذلك لك . فبعثوا من نظر اليها ، فقال ما رأيت مثلها قط ، فاشتروها منه بعشرة آلاف درهم ودفعوا اليه الدراهم فمضى .

فلما امعن اتوها فقالوا لها: قومي وادخلي السفينة، قالت: ولم ؟ قالوا قد اشتريناك من مولاك ، قالت: ما هو مولاي، قالوا لتقومين او لنحملنك، فقامت ومضت معهم.

فلما انتهوا الى الساحل لم يأمن بعضهم بعضاً عليها ، فجعلوها في السفينة التي فيها الجواهر والتجارة وركبوا هم في السفينة الأخرى ، فبعث الله عز وجل عليهم ريحاً فغرقتهم وسفينتهم ونجت السفينة التي كانت فيها ، حتى انتهت الى جزيرة من جزائر البحر وربطت السفينة ، ثم دارت في الجزيرة ، فاذا فيها ماء وشجر فيه ثمر ، فقالت هذا ماء اشرب منه ، وثمر آكل منه ، اعبد الله في هذا الموضع .

فاوحى الله عز وجل الى نبي من انبياء بني اسرائيل : ان يأتي ذلك الملك فيقول : ان في جزيرة من جزائر البحر خلقاً من خلقي فاخرج انت ومن في مملكتك حتى تأتوا خلقي هذا ، فتقروا لـــه بذنوبكم ثم تسألوا ذلك الخلق ان يغفر لكم ، فان غفر لكم غفرت لكم .

فخرج الملك بأهل مملكته الى تلك الجزيرة ، فرأوا امرأة ، فتقدم اليها الملك فقال لها: ان قاضي هذا اتاني فخبرني ان امرأة اخيه فجرت فأمرته برجمها ولم تقم عندي البينة فأخاف ان اكون قد تقدمت على مـا لا يحل ، فأحب ان تستغفري لي ، فقالت غفر الله لك اجلس .

ثم اتى زوجها ولا يعرفها فقال لها : انه كان لي امرأة وكان من فضلها وصلاحها ، واني خرجت وهي كارهة لذلك ، فاستخلفت اخي عليها ، فلـما رجعت سألت عنها فأخبرني اخي انها فجرت ، فرجمها ، وانا اخاف ان اكون قد ضيعتها فاستغفري لي ، فقالت غفر لك الله اجلس ، فأجلسته الى جنب الملك .

ثم اتى القاضي فقال : انه كان لأخي امرأة وانهـــا اعجبتني فدعوتها الى الفجور فأبت ، فأعلمت الملك انها قد فجرت! وامرني برجمها وأنا كاذب عليها، فاستغفري لي ، قالت : غفر الله لك ، ثم اقبلت على زوجها فقالت : اسمع اجلس .

ثم اقبل الديراني فقص قصته وقال : اخرجتها بالليل وأنا أخاف أن يكون قد لقيها سبع فقتلها ، فقالت غفر الله لك اجلس ، ثم تقدم القهرمان فقص قصته ، فقالت للديراني : إسمع غفر الله لك . ثم تقدم المصلوب فقص قصته فقالت : لا غفر الله لك .

ثم اقبت على زوجها فقالت : انا امرأتك وكلما سمعت فإنما هو من قصتي وليس لي حاجة في الرجال ، فأنا احب ان تأخذ هذه السفينة وما فيها وتخلي سبيلي ، فأعبد الله عز وجل في هذه الجزيرة فقد ترى ما قد رأيت من الرجال ، ففعل واخذ السفينة وما فيها وخلى سبيلها ، وانصرف الملك واهل مملكته .

وفيه عن الديلمي عن ابيه قال: قلت لأبي عبد الله عليه‌السلام : فلان من عبادته وفضله ودينه كذا وكذا ، فقال : كيف عقله ؟ قلت : لا أدري ، فقال : ان الثواب على قدر العقل ، ان رجلاً من بني اسرائيل كان يعبد الله في جزيرة من جزائر البحرخضراء نظرة كثيرة الشجر ظاهرة الماء وان ملكاً من الملائكة مرّ به فقال : يا رب أرني ثواب عبدك هذا ، فأراه الله ذلك فاستقله الملك ، فأوحى الله اليه : ان اصحبه .

فأتاه الملك في صورة إنسي فقال له : من أنت ؟ فقال أنا رجل عابد بلغني مكانك وعبادتك في هذا المكان فأتيتك لأعبد الله معك . فكان معه يوم ذلك .

فلما أصبح قال له الملك : ان مكانك لنزه ولا يصلح إلا للعبادة ، فقال العابد : ان لمكاننا هذا عيباً ، قال : وما هو ؟ قال : ليس لربنا بهيمة فلو كان له حمار عيناه في هذا الموضع ، فإن هذا الحشيش يضيع ! فقال له الملك : وما لربك حمار فقال : لو كان له حمار ما كان يضيع مثل هذا الحشيش .

فأوحى الله الى ذلك الملك : إنما أثيبه على قدر عقله .

وفيه مسنداً إلى علي بن الحسين « ع » قال : ان رجلاً ركب البحر بأهله فكسرت السفينة بهم ، فلم ينج ممن كان في السفينة إلا امرأة الرجل فإنها نجت على لوح من ألواح السفينة حتى التجأت الى جزيرة من جزائر البحر ، فكان في تلك الجزيرة رجل يقطع الطريق ولم يدع لله حرمة إلا انتهكها ، فلم يعلم إلا والمرأة قائمة على رأسه فرفع رأسه اليها فقال : إنسية أم جنية ؟ فقالت : إنسية ، فلم يكلمها بكلمة حتى جلس منها مجلس الرجل من اهله ، فلما ان همّ بها اضطربت ، فقال لها : ما لك تضطربين ؟ فقالت :

اخاف من هذا وأومأت بيدها الى السماء ؟ قال : فصنعت من هـذا شيئاً ؟ قالت : لا وعزته ، قال: فأنت تخافين منه هذا الخوف ولم تصنعي شيئاً واستكرهتك استكراهاً فأنا والله أولى بهذا الخوف وأحق منك . فقام ولم يحدث شيئاً ورجع الى اهله وليس لـه همة إلا التوبة والمراجعة . فبينما هـو يمشي إذ صادفه راهب يمشي في الطريق ، فحميت عليها الشمس فقـال الراهب للشاب : إدع الله يظلنا بغمامة فقـد حميت علينا الشمس فقال الشاب : مـا أعلم ان لي عنـد ربي حسنة فأتجاسر على ان اسأله شيئاً ، قال : فأدعو انا وتؤمن انت ؟ قال : نعم . فأقبل الراهب يدعو والشاب يؤمن ، فما كان بأسرع من ان أظلتهما غمامة فمشيا تحتها ملياً من النهار ، ثم انفرقت الجادة جادتين فأخذ الشاب في واحدة واخذ الراهب في واحدة فإذا السحاب مـع الشاب ، فقال الراهب : انت خير مني لك استجيب ولم يستجب لي فخبرني ما قصتك ؟ فأخبره بخبر المرأة فقـال : غفر الله لك مـا مضى حيث دخلك الخوف ، فانظر كيف تكون فيما يستقبل .

وعن الرضا عليه السلام : ان الرجل كان اذا تعبد في بني اسرائيل لم يعد عابداً حتى يصمت قبل ذلك عشر سنين .

وفي (الكافي) عن ابن عمارة قال: روينا ان عابد بني اسرائيل كان اذا بلغ الغاية في العبادة صار مشاء في حوائج الناس عانياً بما يصلحهم .

(إكمال الدين) باسناده الى ابن ابي رافع عن ابيه: قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ان جبرئيل «ع» نزل عليّ بكتاب فيـه خبر الملوك ملوك الارض قبلي ، وخبر من بعث قبلي من الأنبياء والرسل . وهو حديث طويل اخذنا منه موضع الحاجة ، قال : لمـا ملك الأشبخ بن اشكان وكان يسمى الكيس وملك مائتين وستاً وستين سنة . ففي سنة احدى وخمسين من ملكه بعث الله عيسى بن مريم عليه السلام واستودعه النور والعلم وبعثه الى بيت المقدس الى بنى اسرائيل يدعوهم الى الايمان بالله ، فأبى اكثرهم إلا طغياناً وكفراً ، فلما لم يؤمنوا به دعا ربه وعزم عليه ، فمسخ منهم شياطين ليريهم آياته فلم يزدهم إلا طغياناً وكفراً .

فأتى بيت المقدس يدعوهم الى الله ثلاثاً وثلاثين سنة ، حتى طلبته اليهود وادعت انها عذبته ودفنته في الأرض حياً ، وادعى بعضهم انهم قتلوه وصلبوه ، وكذبوا (وإنما شُبه لهم) . ولما اراد ان يرفعه اليه اوحى اليه : ان يستودع نور الله وحكمته

وعلم كتابه شمعون بن حمون الصفا ، خليفته على المؤمنين .

فلم يزل شمعون يقوم بأمر الله عز وجـــل بجميع مقال عيسى عليه السلام ويجاهد الكفار ، حتى بعث الله يحيى بن زكريا فمضى شمعون .

وملك عند ذلك اردشير بن اسكان اربع عشرة سنة وعشرة أشهر ، وفي ثمانية سنين من ملكه قتلت اليهود يحيي بن زكريا «ع» فلما أراد الله ان يقبضه اوحى اليه : ان يجعل الوصية في ولد شمعون ويأمر الحواريين واصحاب عيسى بالقيام معه ، ففعل.

وعندها ملك سابور بن اردشير ثلاثين سنة حتى قتله الله ، وعلم الله نوره وحكمته في ذرية يعقوب بن شمعون «ع» .

وعند ذلك ملك بخت نصر مائة سنة وسبعاً وثمانين ، وقتل من اليهود سبعين الف مقاتل على دم يحيى بن زكريا ، وخرب بيت المقدس ، وتفرقت اليهود في البلدان . وفي سنة سبع واربعين من ملكه بعث الله « العزيز » نبياً على اهل القرى التي مات اهلها ، ثم بعثهم له وكانوا من قرى شتى ، فهربوا خوفاً من الموت ، فنزلوا في جوار عزير ، وكانوا مؤمنين ، وكان عزير يختلف اليهم ويسمع كلامهم وأحبهم على ذلك ، فغاب عنهم يوماً واحداً ، ثم اتاهم فوجدهم موتى صرعى فحزن عليهم وقال أنى يحيي هذه الله بعد موتها ـ تعجباً منه حيث اصابهم وقد ماتوا في يوم واحد ـ فأماته الله ـ عند ذلك ـ مائة سنة ثم بعثه الله وإياهم وكانوا مائة مقاتل ، ثم قتلهم الله أجمعين على يد بخت نصر .

ثم ملك مهرويه بن بخت نصر عند ذلك ستة عشر سنة وعشرين يوماً ، فأخذ عند ذلك دانيال وخد له خداً في الارض وطرح فيه دانيال عليه السلام واصحابه من المؤمنين وألقى عليهم النيران ، فلما رأى ان النـــار لا تعذبهم ولا تحرقهم استودعهم الجب والسباع وعذبهم بكل نوع من العذاب ، حتى خلصهم الله منه وهم الذين ذكرهم الله في كتابه فقال : (قتل اصحاب الاخدود * النار ذات الوقود) . فلما اراد الله ان يقبض دانيال أمره ان يستودع علمه وحكمه مكيخا بن دانيال ففعل . وعند ذلك ملك هرمز ثلاثة وستين سنة وثلاثة اشهر واربعة أيام. وملك بعده بهرام ستاً وعشرين سنة ، وولى الله أمر مكيخا بن دانيال واصحابه المؤمنين ، غير انهم لا يستطيعون ان يظهروا الايمان في ذلك الزمـان . وعند ذلك ملك بهرام بن بهرام سبع سنين ، وفي زمانه انقطعت الرسل وكانت الفترة، وولي أمر الله يومئذ مكيخا بن دانيال واصحابه

المؤمنون . فلما اراد الله ان يقبضه أوحى اليه في منامه : ان يستودع نور الله وحكمته انشوا بن مكيخا وملك بعده .

وكانت الفترة بين عيسى «ع» ومحمد ﷺ اربعمائة سنة وثمانين سنة ، واولياء الله في الارض يومئذ ذرية انشوا يرث ذلك منهم واحداً بعد واحد ممن يختاره الجبار عز وجل .

فعند ذلك ملك سابور بن هرمز اثنتي وسبعين سنة ، وهو أول من عقد التاج ولبسه ، وولي أمر الله يومئذ انشوا بن مكيخا .

وملك بعده اردشير اخو سابور سنتين ، وفي زمانه بعث الله عز وجل الفتية أهل الكهف والرقيم ، وولي امر الله يومئذ دسيخا بن انشوا بن مكيخا . وعند ذلك ملك سابور بن اردشير خمسين سنة ، وولي يومئذ دسيخا بن انشوا وملك بعده يزدجرد بن سابور احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وتسعة ايام ، وولي امر الله يومئذ في الارض دسيخا بن انشوا عليه السلام . فلما اراد الله تبارك وتعالى ان يقبض دسيخا اوحى الله اليه في منامه : يستودع علم الله ونوره نسطورس بن دسيخا ، وفعل . وعند ذلك ملك بهرام جور ستاً وعشرين سنة وثلاثة اشهر وثمانية عشر يوماً ، وولي امر الله في الارض نسطورس بن دسيخا . وعند ذلك ملك فيروز بن يزدجزد بن بهرام سبعاً وعشرين سنة ، وولي امر نسطورس بن دسيخا واصحابه المؤمنون . فلما اراد الله عز وجل ان يقبضه اوحى اليه في منامه : ان يستودع علم الله ونوره وحكمته وكتبه مرعيدا . وعند ذلك ملك فلاس بن فيروز اربع سنين ، وولي أمر الله مرعيدا . وملك بعده قباد بن فيروز ثلاثاً وأربعين سنة . وملك بعده جاماسب اخو قباد ستاً وستين سنة ، وولي امر الله يومئذ في مرعيدا وعند ذلك ملك كسرى ابن قباد ستاً واربعين سنة وثمانية اشهر ، وولي امر الله مرعيدا وشيعته المؤمنون .

فلما اراد الله عز وجل ان يقبض مرعيدا اوحى اليه في منامه : ان يستودع نور الله وحكمته بحيرا الراهب ، ففعل . وملك عند ذلك هرمز بن كسرى ثمان وثلاثين سنة ، وولي امر الله يومئذ بحيرا وأصحابه المؤمنون وشيعته الصديقون .

وعند ذلك ملك كسرى بن هرمز بن ابرويز ، وولي أمر الله يومئذ في الارض بحيراء ، حتى اذا طالت المدة ودُرس الدين وتركت الصلاة واقتربت الساعة وكثرت

الفرق وصار الناس في حيرة وظلمة وأديان مختلفة .

وعند ذلك استخلص الله تعالى لنبوته ورسالته محمد ﷺ .

(إكمال الدين) عن مكي بن أحمد قال : سمعت إسحاق الطوسي يقول وقد مضى عليه سبعة وتسعون سنة على باب يحيى بن منصور قال : رأيت سربابك ملك الهند في بلد تسمى صوح ، فسألناه كم أتى عليك من السنين ؟ قال : تسعمائة وخمسة وعشرين سنة ، وهو مسلم ، فزعم ان النبي ﷺ أنفذ اليه عشرة من اصحابه منهم حذيفة بن اليمان وعمرو بن العاص واسامة بن زيد وابو موسى الأشعري وغيرهم يدعونـــه الى الاسلام ، فاسلم وقبل كتاب النبي ﷺ . فقلت له : كيف تصلي مع هذا الضعف ؟ فقال : قال الله عز وجل : (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) .

فقلت له : ما طعامك : قال : اكل ماء اللحم والكراث ، وسألته هـــل يخرج منك شيء ؟ قال : في كل اسبوع مرة شيء يسير ، وسألتـــه عن أسنانه ، فقال : ابدلتها عشرين مرة ، ورأيت في اصطبله شيئاً من الدواب اكبر من الفيل يقال له زنده فيل ، فقلت له : ما تصنع بهذا ؟ قال : يحمل ثيـــاب الخدم الى القصور ، ومملكته مسيرة اربع سنين في مثلها ، ومدينته خمسون فرسخاً في مثلها ، وعلى كل باب منها عسكر مائة الف ، اذا وقع في أحد الابواب حدث خرجت تلك الفرقة الى الحرب لا تستعين بغيرها وهو في وسط المدينة ، وسمعته يقول : دخلت المغرب فبلغت الى رمل عالج ، وصرت الى قوم موسى فرأيت سطوح بيوتهم مستوية ، وبيدر الطعام خارج القرية يأخذون منه القوت والباقي يتركونه هناك وقبورهم في دورهم ليس فيهم شيخ ولا شيخة ولا يعتلون الى ان يموتوا ، ولهم اسواق اذا أراد الانسان شراء شيء منهم صار الى السوق فوزن لنفسه وأخذ ما يصيبه وصاحبه غير حاضر ، وإذا أرادوا الصلاة حضروا فصلوا وانصرفوا لا يكون بينهم خصومة ولا كلام يكره ، إلا بذكر الله عز وجل والصلاة وذكر الموت .

وعن أبي عبدالله عليـــه الصلاة والسلام : انه تبع الملك أتى ببيت الله وكساه وأطعم الطعام ثلاثين يوماً كل يوم مائة جزور ، حتى حملت الجفان الى السباع في رؤوس الجبال ونثرت الأعلاف في الأودية للوحوش ، ثم انصرف من مكة الى المدينة ، فأنزل بها قوماً من أهل اليمن من غسان ، وهم الانصار .

اللهم انصرنا بنصرك ، وتفضل علينا بكرمك ، وارحمنا برحمتك .

وقع الفراغ مما أردنا تحريره من (قصص الانبياء عليهم السلام) ما في الاخبار عن الأئمة الأطهار صلوات الله عليهم اناء الليل والنهار ، كتب الكتاب ببنانه مؤلفه المذنب الجاني نعمة الله الحسيني عفا الله سبحانه عن سيئاته وكان الفراغ من تأليفه صبح يوم الثلاثا في أوائل شهر شعبان المكرم عام العاشر بعد المائة والألف الهجرية وكان منه في بلدة شوشتر صانها الله سبحانه من طوارق الحدثان في دارنا القريبة من مسجدها الجامع .

حامداً لله مصلياً على رسوله (ص) وأهل بيته الطاهرين .

فهرس الكتاب


COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU01841904